# مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

د. عبد الله عبد العزيز بن إدريس




جامعة الملك سعود
عمادة شؤون المكتبات



# مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ

د. عبد الله عبد العزيز بن إدريس
استاذ مساعد - قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة الملك سعود



عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود
ص.ب ٢٢٤٨٠ - الرياض ١١٤٩٥ - المملكة العربية السعودية

أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة من المؤلف بعنوان :

**مجتمع المدينة المنورة وتنظيم القبائل سياسيا واجتماعيا**
**في عصر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (١ - ١١هـ/ ٦٢٢ - ٦٣٣م)**

للحصول على درجة الماجستير في التاريخ من جامعة الرياض (الملك سعود حاليا).
وقد منح الدرجة من قبل مجلس الجامعة) في جلسة ٣٠ بتاريخ ١٣٩٩/٧/٧هـ (١٩٧٩/٦/٢م).


*الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).*
*الطبعة الثانية ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).*

٩٥٣,٠٢
أ ع م ابن ادريس، عبدالله عبدالعزيز
مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم / عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس .

١ . المدينة المنورة ـ تاريخ ٢ . المدينة المنورة ـ أحوال اجتماعية
أ . العنوان

مطابع جامعة الملك سعود ١٤١٢هـ

# شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره كثيرا، على توفيقه وامتنانه، الذى يسرلنا أمر الانتهاء من هذا البحث وتمامه، في صورة نرجو أن تكون قريبه من الكمال. ثم يسعدني أن أتقدم بوافر الشكر وأجله، إلى أستاذي الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الذى كان، أثناء عملى معه، نعم الموجه الفاهم، والعالم المتواضع. وذلك قد مكنني من الاستفادة كثيرا من علمه وخبرته. كما يسعدني كثيرا، أن أتقدم بالشكر الجزيل، لكافة جهاز جامعة الرياض – على ما وجدته – أثناء دراستى – من تشجيع أدبى ومعنوى، وحرص على تقديم جميع التسهيلات اللازمة، لخدمة هذا البحث. حيث كان لذلك أعظم الأثر، في توفير المناخ العلمي المتكامل. مما مكنني من العمل براحة نفسية، وهدوء بال، وحرص على مواصلة البحث بهمة ونشاط. وأخص بالذكر معالى مدير الجامعة الاستاذ الدكتور عبد العزيز الفدا، وكذلك أصحاب السعادة وكلاء الجامعة الأجلاء، وسعادة عميد كلية الآداب الدكتور عزت خطاب ومن سبقه من عمداء الكلية وسعادة وكيل الكلية الدكتور عبد العزيز الهلابى. كما أخص بالذكر رئيس وأعضاء مجلس قسم التاريخ المحترمين بكلية الآداب، وسائر منسوبي الكلية، هيئة التدريس والموظفين، على تعاونهم المباشر وغير المباشر، أثناء تعاملى معهم في مجال الدراسة. كما يطيب لي أن أشكر سعادة عميد شؤ ون المكتبات الدكتور أحمد الضبيب وجميع المسؤ ولين في مكتبة كلية الآداب والمكتبة المركزية وقسم المخطوطات بجامعة الرياض، وخصوصا الصديق الاستاذ صالح الحجى، رئيس قسم المخطوطات، على مالقيته منهم من حسن التعامل والمساعدة، أثناء دراستى. كما أشكر جميع منْ تعاون معى من المسؤ ولين في المكتبات التي زرتها داخل المملكة وخارجها، وأخص بالذكر الاستاذ علاء الدين أحمد العاني، بالمتحف العراقى ببغداد. كما يطيب لى أن أشكر الرسام بقسم الجغرافيا السيد عثمان ساتى، على تعاونه معى في رسم خرائط البحث. وكذلك أشكر السكرتير بقسم الاجتماع، بكلية الآداب، سيد محمد رجب، الذى تولى طباعة هذا البحث، واجتهد في عمله.

والله المولى ونعم النصير . . . ،

# المحتويات

الموضوع | الصفحة



**مصادر ومراجع البحث**



**الملاحق والخرائط**

# مقدمة

ظل الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، بمكة ـ قرابة ـ ثلاث عشرة سنة ـ منذ أن بعثه الله تعالى بالنبوة، إلى الناس بشيرا ونذيرا ـ يدعو إلى دين الله، الإسلام. وكان خلال تلك الفترة، يتدرج بالناس فى نشر الدعوة، ليكون ذلك أدعى لتفهمهم وعدم نفورهم من هذه الدعوة الجديدة.

وقد كانت أوضاع مكة الدينية والاقتصادية، غير مهيأة ـ حينذاك ـ لحمل سادتها على تقبل ما جاءت به دعوة محمد (ص)، من تعاليم ومبادىء وقيم، كانت ـ جميعها ـ تتعارض مع ما كان سائدا، فى محيطهم المحلى والخارجى، من نظم وأعراف واعتقاد. لهذا شعروا أن هذه الدعوة، سوف تسلبهم ما كان لهم من هيمنة دينية واقتصادية على معظم القبائل العربية، الذين كانوا ـ فى معظمهم ـ يدينون لقريش ـ أهل الحرم وقطان مكة ـ بهذا النفوذ القوى، للمكانة الكبيرة التى تحتلها الكعبة، ومشاعر الحج فى نفوسهم. بالإضافة إلى دور قريش المرموق، فى الحفاظ على تجارة معظم قبائل جزيرة العرب، قائمة ومزدهرة. وذلك لسبقهم فى أخذ الضمانات الدولية، باستمرار التبادل التجارى، بين جزيرة العرب والخارج. وذلك عن طريق حماية قوافلها ـ عند مرورها بين القبائل والدول المحيطة ـ بما عرف بالإلاف، ورحلات الشتاء والصيف.

ومع أن مشركى قريش، قد عرفوا، بأمر دعوة محمد ـ فى أول الأمر ـ إلا أنهم لم يلقوا لها بالا، ولم يعيروها أهمية كبيرة. ثم إن سادتهم ـ فيما بعد ـ حين جهر الرسول محمد (ص)، بالدعوة، أدركوا أن دعوة الإسلام تحدٍ لنفوذهم وسيادتهم بمكة، خصوصا، وأن من مبادئها الأساسية، إفراد الله بالعبادة، وتحقير ما كانوا يعبدون مع الله تعالى. هذا بالإضافة إلى ضمان الدعوة الإسلامية لحقوق الإنسان، وتحقيق المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

ولقد كان لانتشار هذه المبادىء ـ فى مجتمع مكة ـ أعظم الأثر فى دخول كثير من الموالى والعبيد والشبان الطموحين، فى الإسلام، عن رغبة وإيمان واعتقاد. وقد زاد هذا من حنق سادة قريش وأنفتهم، فصبوا جام غضبهم على أتباع هذه الدعوة، وآذوهم إيذاء شديدا. ولم يستثنى إلا من كان له سند قوى فيهم ـ يؤازره ويحميه ـ فإنه يسلم

من بعض الأذى وليس كله. ولما رأى الرسول (ص)، اشتداد الأذى على أصحابه المضطهدين، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة (وهى مملكة النجاشى، الذى كان على دين النصرانية).

ولقد أحدثت الهجرة إلى الحبشة، أصداء كبيرة في جزيرة العرب، وبلاد الحبشة. وبذلك اكتسبت أهمية وأبعادا عظيمة. حيث أنها مكنت من نشر دعاية حسنة للإسلام والمسلمين، فى بعض أرجاء العالم النصرانى، كما أضفت على موقف الرسول محمد (ص)، وأصحابه، أهمية سياسية، واعترافا دوليا بزعامته الجديدة على أمة الإسلام.

وكما سبق أن ألمحنا، فإن ظروف مكة الدينية والاقتصادية والاجتماعية، لم تكن مهيأة أو قادرة على احتضان الدعوة الإسلامية، مع بداية انتشارها. ولذلك بدأ الرسول، صلى الله عليه وسلم، كصاحب دعوة للعالمين أجمع، يبحث عن مكان أفضل، يهيىء لدعوته الانتشار، ويضمن سهولة بناء دولة الإسلام الجديدة، على أسس قوية وثابتة. ولهذا عرض نفسه على القبائل فى المواسم، طالبا منهم الدخول فى الإسلام، ومؤازرته، ولهم خيرا الدنيا والآخرة. إلا أن الرسول (ص)، لم يلق منهم إلا الإعراض والاستهزاء. على الرغم من أن العرب ـ فى طول جزيرتهم وعرضها ـ كانوا ـ قبيل البعثة ـ يبدون اهتماما كبيرا بالأمور المستهدفة تصحيح عقائدهم، وطريقة ايمانهم بالله. ونستنتج ذلك مما ذكر عن وجود اعتقاد بين العرب، بقرب ظهور نبى منتظر، اسمه محمد. ولهذا سمى كثير منهم أولاده بهذا الاسم فى الجاهلية، تيمنا باسمه، ورغبة أن يكون هو النبى المنتظر. ولعلنا من هذا، نتلمس حقيقة الانقياد والتبعية لنفوذ قريش وتأثيرها على معظم القبائل. مما جعلهم يعطلون ملكة التفكير لديهم ويتخلون عن نصرة محمد والايمان بدعوته، لا لشىء، سوى أن قومه قريش لم يؤمنوا به. ولم يمكث الرسول (ص)، بمكة، كثيرا ـ على هذه الحال ـ فقد قيض الله تعالى له ـ فى السنة العاشرة من البعثة، تقريبا ـ جماعة من أهل يثرب (الأوس والخزرج) حضروا الموسم، فعرض عليهم الرسول (ص)، الإسلام، فقبلوه. ثم رجعوا إلى يثرب، فتكلموا بالإسلام. فلاقى حديثهم قبولا لدى البعض من قومهم. ثم انتشر الإسلام، فى يثرب، انتشارا سريعا جدا، حتى قيل: أنه لم يبق دار إلا وفيها ذكر لرسول الله، صلى الله عليه وسلم. وقد أرجع معظم المؤرخين المسلمين ـ كابن اسحاق ـ دواعى هذا الإقبال السريع، من قبل الأوس والخزرج، على الدخول فى الإسلام، إلى عوامل اجتماعية، تمثلت فى طبيعة تركيب السكان فى يثرب، من العرب، المتنافسين على السلطة، واليهود، الذين لم يكن وضعهم ـ حينذاك ـ مستقرا. فقد كانوا ـ على ضعف موقف الأوس والخزرج، النسبى ـ يخشون على مركزهم، وما بأيديهم من ثروات طائلة. هذا بالإضافة إلى ماذكر عن ايمان الأوس والخزرج بظهور نبي منتظر، فكانت اليهود على اعتبار أنهم أهل كتاب وعلم، وأن الأوس والخزرج وثنيون ـ توعدهم به، كلما أحسوا بقوتهم، أنهم سيتبعونه ويقتلونهم به.

وقد ساعدت تلك الظروف فى يثرب، على سرعة إقبال الأوس والخزرج فى دخول الإسلام، حتى فشا فيهم، خلال مدة تقل عن ثلاث سنين. وكانوا خلال تلك الفترة، حريصين على تعلم القرآن والتفقه في الدين. ولذلك جاءت مسارعتهم ـ في السنة الثالثة عشرة للبعثة ـ لموافاة الرسول (ص)، في الموسم بمكة. وقد عقدوا العزم على مبايعته ودعوته إليهم، مع أصحابه، بنشر دعوة ربه في يثرب، آمنا مطاعا. وعرفت هذه البيعة باسم بيعة العقبة الكبرى، حيث ترتب عليها هجرة الرسول إلى يثرب (المدينة) مع أصحابه، فتكون، نتيجة لهذه الهجرة، أول مجتمع إسلامي متكامل، قائم على أسس الدين الجديد، وتعاليمه ونظمه السامية.

ولقد اتفقت ـ لحسن حظي ـ أراء أستاذي المشرف الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصاري، مع ما كان يشغل تفكيري حول أهمية تناول موضوع مجتمع المدينة المنورة، منذ بدء الهجرة النبوية حتى وفاة الرسول (ص). وذلك نابع عن إيمان عميق، بأن هذا المجتمع الإسلامي ـ في نظمه وخططه ـ إنما هو صورة أصيلة للمجتمعات الإسلامية، التي تشكلت بعد الفتوحات الإسلامية. وأن الاختلاف ـ إن حصل في بعضها ـ لا يعد وبعض التغييرات التزويقية، التي لا تمس جوهر الشيء. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإننا نرى، أن معرفة حقيقة التراكم الثقافي والحضاري لدى الشعوب، قد لا يتيسر الحصول عليها مالم نلم بشيء عن كيفية وطبيعة حدوث هذا التراكم، وعلى وجه الخصوص، معرفة الأساس، وتتبع مراحل تكوينه. ومن هذا المنطلق ـ آخذين في الاعتبار، أن موضوع هذه الرسالة، من بواكير الرسائل المقدمة لقسم التاريخ بكلية الآداب ـ فقد عقدنا العزم، أن يكون موضوع البحث، لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، مختص بدراسة مجتمع المدينة المنورة ـ خلال العصر النبوي ـ في نظمه الادارية السياسية والاجتماعية والاقتصادية. راجين من الله تعالى، أن يكون في هذا الجهد المتواضع، مساهمة في طريق البحث العلمي الشاق، وأن يكون حلقة متينة مباركة، في سلسلة كتابة التاريخ الإسلامي، على أسس علمية وموضوعية.

أما عن الوسائل التي اتبعتها لكتابة هذا البحث، فقد مرت بمراحل ثلاث. الأولى، مرحلة القراءة العامة في نفس الموضوع أو حول ما يمسه، من قريب أو بعيد. والمرحلة الثانية، اقتصرت قراءتي فيها على مواضيع محددة، تخدم صلب البحث وتقويم معلوماته. وكنت في هذه الأثناء، أجمع كل ما أرى أنه مفيد وصالح، مستخدما جزازات (أفياش)، عملت لهذا الغرض. ولم تكن المرحلة الأخيرة تختلف كثيرا عن سابقتها، اللهم إلا أن قراءتي في هذه الأثناء، كانت عبارة عن عملية نقدية للمعلومات المجمعة، مع حرص على المقارنة بين المصادر.

وكان تركيزى ـ فى البداية ـ على قراءة كتب السيرة والتراجم والطبقات وأسماء الصحابة. لما فى مادتها من ثروة عظيمة، لمعرفة طبيعة المجتمع، من خلال سلوك أفراده وأعمالهم. هذا بالإضافة إلى مطالعتى كتب التاريخ العام،

وتواريخ المدن وجغرافية البلدان. كما أنى لم أغفل الرجوع إلى أهم وأصدق مصدر إسلامى فى أمور العقيدة والحياه، وهو كتاب الله، القرآن الكريم. إلى جانب مراجعتى لكتب الفقه والحديث والتفسير، وغير ذلك من القراءات التى وجدت أنها تساعد على معرفة جوانب البحث والسير فيه على هدى وبصيرة.

ومما ساعد على تيسر هذه الكتب بين يدى، مراجعتى الدائبة لكثير من المكتبات مثل، مكتبة جامعة الرياض المركزية، وقسم المخطوطات فيها. إلى جانب ارتيادى لمكتبة كلية الآداب، وكذلك بعض المكتبات العامة فى الرياض كالمكتبة السعودية والمكتبة الوطنية، بالإضافة إلى ما كانت تقدمه ـ فى بعض الأحيان ـ مكتبتى المتواضعة من مراجع وبعض المصادر والدوريات. ثم إن مراجعتى للمكتبات، لم تقتصر على ما كان داخل الرياض وحدها. فقد كانت لى بعض الوقفات على ما كان فى مكتبات المدينة ومكتبة الحرم المكى. إلى جانب الزيارات التى قمت بها خارج المملكة العربية السعودية، لمكتبات العراق ومصر وتركيا وبريطانيا. وكان قيامى بهذه الرحلات ـ خارج المملكة، قد تم ـ كما هو معلوم ـ على نفقة جامعة الرياض، التى كان لى الشرف الكبير أن أحظى برعاية المسؤولين فيها، بصفتى أحد معيديها، وأحد الطلاب الذين يتلقون دراستهم العليا بين جنباتها.

وقد خرجت من هذا الاطلاع الواسع ـ ولله الحمد ـ بحصيلة جيدة، ومعلومات مرضية، مكنتنى من العمل والشروع فى الكتابة. حيث وضعت على هذا الأساس ـ إلى جانب ما اختمر فى ذهنى من آراء وتصورات للموضوع ـ الصورة النهائية للبحث، عنوانا وموضوعا ومنهجا.

أما من ناحية العنوان، فهو: مجتمع المدينة المنورة وتنظيم القبائل سياسيا واجتماعيا فى عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم. أما الموضوع، فيتناول بالدراسة، إبراز نواحى الأصالة فى التخطيط وتنظيم القبائل، فى المجتمع المدنى خلال العصر النبوى. كما يتعرض ـ ضمن تناول مجتمع المدينة بالدراسة ـ لذكر بعض العادات والتقاليد، إلى جانب ذكر طبيعة وتطور النشاط الاقتصادى والاجتماعى. وكما هو واضح ـ من خلال ما ذكرنا ـ فإن الموضوع يعالج أحوال مجتمع المدينة، خلال الفترة الواقعة بين بدء هجرة الرسول، صلى الله عليه وسلم، مع أصحابه إلى يثرب سنة ٦٢٢م، إلى السنة التي انتقل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، عام ١١هـ/٦٣٢م. ومن الواضح أن هذه الفترة، التى تناهز العشر سنين، تعد فترة قصيرة جدا فى عمر التنظيمات وبناء الدول. ولهذا برزت أمامنا ـ بادىء الأمر ـ حقيقة صعوبة تناول هذا الموضوع، الذى يتطلب ـ ولا ريب ـ من الباحث، صبرا كبيرا، وعملا دؤوبا، لملاحقة التطور السريع فى تتابع الأحداث. وقد كان توفيق الله ثم الرغبة الصادقة للخدمة فى هذا المجال المشرف، أعظم دافع لنا فى المضى بهمة ونشاط، لإنجاز ما أقدمنا عليه.

أما بالنسبة للمصادر والمراجع، التى اعتمدنا عليها عند كتابة هذا البحث، فلقد وجدنا أن فى كتب الطبقات والتراجم وأسماء الصحابة، مادة غنية جدا وذات فوائد كثيرة، لمن أراد أن يبحث فى مجتمع تلك الفترة. سواء فى النواحى السياسية أم الاجتماعية والاقتصادية. ولقد وجدنا، أن من المتعذر علينا، أن نستوعب ـ قراءة ـ كل الكتب التى صنفت فى علم الطبقات والتراجم وأسماء الصحابة. فكان الرأى، انتخاب أحدها، ليدرس بعمق وتمحيص، على أن تتوفر فيه شروط تميزه عن غيره من التصانيف، التى عنيت بذكر أسماء الصحابة، واضعين نصب أعيننا ما ذكره ابن الاثير من أن الناس، قد جمعوا فى أسمائهم «كتبا كثيرا ومنهم من ذكر كثيرا من أسمائهم فى كتب الانساب والمغازى وغير ذلك، وأختلفت مقاصدهم فيها، إلا أن الذى انتهى إليه جمع أسمائهم الحافظان أبوعبدالله ابن منده وأبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهانيان، والامام أبوعمر بن عبد البر. . وقد أتى بعدهم الحافظ أبوموسى محمد بن أبى بكر بن أبى عيسى الأصفهانى، فاستدرك على ابن منده ما فاته فى كتابه، فجاء تصنيفه كثيرا نحو ثلثى كتاب ابن منده فرأيت أن أجمع بين هذه الكتب وأضيف إليها ما شذ عنها مما استدركه أبوعلى الغسانى على ابن أبى عمر بن عبد البر وكذلك أيضا، ما استدركه عليه آخرون»[١].

ولقد رأينا أن أفضل تصنيف يمكن أن يكون العمود الفقرى لدراسة كتب ما صنف فى أسماء الصحابة، كتاب ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م [٢]). المعروف باسم (الاصابة فى تمييز الصحابة). فهو من الآثار القيمة فى معرفة أحوال الصحابة ومجتمع المدينة المنورة على عهد الرسول (ص)، ولهذا «كان أجمع ما صنف فى بابه».

وقد شهد لابن حجر، بالحفظ والثقة والأمانة والمعرفة التامة والذهن الوقاد والذكاء المفرط وسعة العلم فى فنون شتى، كما شهد له بأنه أعلم أصحابه بالحديث[٣].

وكتابه، الذى رجعنا إليه: (الاصابة فى تمييز الصحابة)، يقع فى أربعة أجزاء[٤]. وكان منهجه فى ترجمته للصحابة والنساء الصحابيات، يسير وفق نظام الترتيب على حروف المعجم. وأفرد الجزء الرابع للكنى وللنساء. ويعد كتابه استيعابا لما فى كتاب سلفه ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) وقد أشار إلى أنه قد استدرك عليه، وزاد بنحو ١٣ ألف ترجمة.

وقد كانت استفادتي من كتاب الاصابة، كبيرة جدا، وعلى وجه الخصوص، في النواحي التنظيمية والاجتماعية، حيث أمدني بمعلومات، ربما أنها قد مرت علينا، أومررنا بها، مر الكرام، بينما كانت تذخر بفوائد كثيرة في تصوير مجتمع المترجم لهم.

---

(١) أسد الغابة، جـ ١، ص ٣ ـ ٤.

(٢) وابن حجر هو، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ويلقب بالاستاذ إمام الأئمة أبو الفضل الكناني العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي ولد سنة ٧٧٣هـ بمصر ونشأ بها ودرس على كثير من الشيوخ في القراءات والحديث ومتعلقاته وحفظ المتون واللغة. (انظر: السخاوي: الضوء اللامع، جـ ٢، ص ٣٦ ـ ٣٧).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، جـ ٢، ص ٤٠.

(٤) مطبعة السعادة، ط ١، القاهرة، ١٣٢٨هـ. وبهامشه كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م. وهناك طبعة، غير التي رجعنا إليها، تقع في ثمانية أجزاء، مطبعة السعادة، بمصر، ٢٣ ـ ١٣٢٥هـ. والجزء الثامن منها، خاص بتراجم النساء الصحابيات).

أما وقد ألممنا بشيء عن ابن حجر وكتابه الإصابة، كأحد المصنفات القيمة فى أسماء الصحابة، فنرى أن نعرض بإيجاز للمصادر والمراجع الأخرى، التى اعتمدت عليها - بصفة عامة - فى كتابة هذا البحث. وبالإمكان القول، إن هذه المصادر والمراجع - تسهيلا لعرضها - تنحصر فى مجموعات، أولها، كتب السير والطبقات وأسماء الصحابة. ويأتى فى مقدمة هذه المجموعة، كتاب (سيرة النبى، صلى الله عليه وسلم)، لابن اسحاق (ت ١٥١هـ/٧٦٢م)، وهى السيرة التى وصلتنا بتهذيب عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م)، وتعد، أقدم أثر وصل إلينا من آثار علماء الإسلام[١]. كما يعتبر ابن اسحاق من أوائل من جمع مغازي الرسول[٢]. وقالوا عنه: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن اسحاق. وكان ثبتا فى الحديث عند أكثر العلماء. وأما فى المغازى والسير فلا تجهل إمامته[٣]. وكان رجوعى إلى سيرة ابن اسحاق - عند كتابة هذا البحث - فى الأمور التى تتعلق بإرهاصات الهجرة إلى المدينة، وتتبع خطوات البيعة الكبرى، التى عقدت بين الرسول (ص)، وبين أهل يثرب، الأوس والخزرج. وغير ذلك من الأمور، التى تعالج حركة البعوث والغزوات والمعاهدات، خلال العصر النبوى. وقد رجعت أيضا، إلى كتاب الواقدى (ت ٢٠٧هـ)، المعروف باسم (مغازى رسول الله). وقد شهد للواقدى بأنه كان صدوقا[٤] ثقة. وقد أفادنى كتابه، فيما له علاقة بالتاريخ السياسى والحربى وبعض الأمور الاجتماعية، مثل طبيعة التكافل الاجتماعى ومستوى الحالة المعيشية فى المدينة، خلال العصر النبوى. كما أن كتاب ابن سعد (ت. ٢٣٠هـ/٨٤٥م)، (الطبقات الكبرى)، قد أمدنى بمعلومات جيدة، فيما يختص بالنواحى الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك فيما يختص بالحالة الاجتماعية وطريقة العيش. خلال العصر النبوى. ويعد كتاب ابن سعد، من أوثق مادون فى هذا العلم. كما أن كتاب ابن قدامه (ت ٦٢٠هـ)، (الاستبصار فى نسب الصحابة من الانصار)، يعد من الكتب القيمة التى تعطى معلومات وافية عن قبيلتي الأوس والخزرج، وتذكر أنسابهم ودخولهم في الإسلام، ودورهم الكبير في احتضان الدعوة الإسلامية، وإقامة دولة الهجرة فى المدينة. وقد اعتمدت على النسخة المخطوطة منه[٥]. رغبة منى فى الاستفادة مما قد يدون على حواشيها من معلومات. هذا بالإضافة إلى رجوعى إلى كثير من الكتب فى هذا الحقل مثل كتاب ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، (الاستيعاب فى أسماء الاصحاب)، وكتاب ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م)، (أسد الغابة فى معرفة الصحابة)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، (السيرة النبوية)، والذهبى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، (سير أعلام النبلاء). وغيرها من الكتب التى سوف نثبت أسماءها آخر هذا البحث.

---

(١) انظر: ابن اسحاق: السيرة، جـ ١، ص ١٠ - ١١ (مقدمة المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد).
(٢) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ١، ص ٩ (مقدمة المحقق).
(٣) القنوجي: التاج المكلل، ص ١١١ - ١٢.
(٤) القنوجي: نفس المصدر، ص ١٢٣.
(٥) انظر النسخة المطبوعة، تحقيق علي نويهض، بيروت، ١٩٧١م.

أما المجموعة الثانية من المصادر التي اعتمدت عليها واستفدت منها استفادة كبيرة، فهي كتب الفقه والحديث والتفسير، حيث أمدتني بمعلومات في غاية الدقة والفائدة. خاصة في معرفة أحوال المجتمع، الاقتصادية والاجتماعية، التي قد تصل إلى إلقاء الضوء على الأشياء الدقيقة والخصوصية، الجارية في المجتمع المدني، على عهد الرسول (ص). ويأتي على رأس هذه القائمة نخبة من أول ما دون في هذا المجال وأصحه، مثل كتاب الامام مالك بن أنس «ت ١٧٩هـ/٧٩٥م». (الموطأ)، و(صحيح الامام البخاري) «ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م»، و(صحيح الامام مسلم) «ت ٢٦١هـ» وتفسير الطبري «ت ٣١٠هـ/٩٢٣م»، (جامع البيان عن تأويل آي القرآن). وغيرها من كتب السنن والحديث والفقه.

والمجموعة الثالثة، في مصادر ومراجع بحثنا، هي كتب التاريخ العام، مثل كتاب الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)، المعروف باسم (تاريخ الطبري). وكانت استفادتي من هذا الكتاب - على وجه الخصوص - فيما كتبه، في سيرة الرسول، صلى الله عليه وسلم، التي استوعبت المجلد الثاني من تاريخه، وتعد من أوثق ما دون في السيرة. هذا بالإضافة إلى كتاب ابن الاثير «ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م». (الكامل في التاريخ)، وكتاب ابن كثير «ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م»، (البداية والنهاية في التاريخ)، وابن خلدون «ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م»، المعروف باسم (تاريخ ابن خلدون)، وغيرها من الكتب، مما سوف نضيفه إلى ثبت المصادر والمراجع. وقد كانت استفادتي من تلك المجموعة - بصفة عامة - تتمثل في رجوعي إليها، إما للمقارنة بين النصوص ومعرفة تخريجها، أو لتفسير الغامض منها، أو شرح مجمله.

ولقد تطلبت طبيعة هذا البحث، الرجوع إلى كثير من الكتب التي تعالج شتى العلوم والفنون، وسنشير إليها في هذا التقسيم الرابع، باسم «العلوم العامة» مثل الأنساب واللغات والفنون والطب والآثار والوثائق والاحكام وغيرها. ولعل أبرز من يمثل هذه الفروع، البلاذري «ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م»، في كتابه (أنساب الأشراف)، وابن حزم «ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م»، في كتاب (جمهرة أنساب العرب)، وكذلك ابن دريد «ت ٣٢١هـ/٩٣٣م» في كتابه (الاشتقاق)، وابن منظور «ت ٧١١هـ/١٣١١م» في كتابه (لسان العرب المحيط)، وابن جلجل (كان حيا سنة ٣٨٤هـ) في كتابه (طبقات الاطباء والحكماء). وسواهم ممن سيذكر في ثبت المراجع.

أما المجموعة الخامسة، فى هذا التقسيم للمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها، فهى خاصة بالكتب التى تتحدث عن تواريخ المدن وتخطيطها وجغرافية البلدان. وقد حرصت كثيرا على قراءتها والاستفادة مما فيها من معلومات، وجدت أنها ذات مساس وصلة كبيرة بموضوع بحثنا. ومن هذه الكتب، المصنفات الخاصة بتاريخ المدينة المنورة نفسها، مثل كتاب ابن النجار (ت ٦٤٧هـ)، (أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة في أخبار المدينة)، وكتاب المطرى «ت ٧٤١هـ»، (التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة)، وكتاب المرجانى «توفى في سنة ٧٨١هـ»، (تاريخ هجرة المختار)، وكتاب السمهودي، «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى». كما حرصت على الرجوع إلى كتب الخطط، قديمها وحديثها، مثل كتاب المقريزى «ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م»، (المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار)،

وقد أفادني في عملية المقارنة بين خطط الأمصار. ويضاف إلى هذا بعض الكتب الحديثة في الخطط، مثل كتاب المستشرق لويس ماسنيون: (خطط الكوفة وشرح خريطتها). أما بالنسبة لكتب جغرافية البلدان، فيأتي على رأس هذه القائمة، الأصطخري (توفي في منتصف القرن الرابع الهجري)، وكتابه، (المسالك والممالك)، وكذلك ياقوت الحموي «ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م» وكتابه (معجم البلدان). ففي مثل تلك الكتب تسنى لي معرفة معظم المواضع الجغرافية، في جزيرة العرب، التي وردت خلال البحث، مع محاولة للمقارنة بين أسمائها في الوقت الحاضر. وسوف نطالع بقية هذه الكتب، سواء في تاريخ المدينة المنورة وخططها، أم في غيرها، مما له صلة بالموضوع ـ خططا وجغرافية ـ في آخر البحث، في ثبت المصادر والمراجع.

هذا ولم يفتني الرجوع إلى كتب الموسوعات والقواميس، ودواوين الشعر وبعض الدوريات العلمية المعتبره. وهي المجموعة السادسة والأخيرة في هذه السلسلة من المصادر والمراجع، التي اعتمدت عليها عند كتابة هذا البحث.

أمّا بالنسبة للشكل المنهجي لهذا البحث، فنحب أن ننوه، بأننا بعد اختيار الموضوع، لم نضع أي مخطط مسبق للكتابة، إلا من واقع المادة التي جمعناها. ونحن بهذا، لم نحاول أن نضع أنفسنا في موضع اعتساف للحقيقة، حتى توافق رأينا أو فكرتنا المسبقة، وذلك فيما لو أننا قيدنا أنفسنا بمخطط للبحث، قبل أن نلم بالموضوع ونجمع مادته الكافية. وعلى هذا، فقد اقتضت طبيعة هذا البحث ـ من واقع المادة المجمعة ـ أن نقسمه إلى ثلاثة أبواب، كل باب يشتمل على عدة موضوعات، مدرجة في فصول بحسب منهجية الدراسة وارتباط موضوعها ببعض.

فبالنسبة للباب الأول، فهو مختص بذكر عناصر السكان في المدينة المنورة، خلال العصر النبوي. ويضمن ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول منها بعنوان «دراسات تمهيدية» ويشتمل على فقرتين، الأولى دراسة موجزة عن الجغرافية التاريخية للمدينة مع الإشارة لأسمائها القديمة والإسلامية. والثانية تتناول موضوع أهمية موقع المدينة الاقتصادي بين الشمال والجنوب. وقد رأينا، أن من الأفضل، البدء بهذا الفصل، لتهيئة ذهن القارئ، ولكي تتجمع لديه بعض المعلومات عن النواحي الجغرافية والاقتصادية والطبغرافية في المدينة، ودور ذلك في عملية جذب أو طرد التجمعات السكانية فيها خلال العصور. وسيجد القارئ أن الفقرة الأولى في هذا الفصل، تسلط الضوء على موقع المدينة الجغرافي من جزيرة العرب، كما تتعرض لذكر شيء عن مناخها وتضاريسها وطبيعة تربتها، التي تغلب عليها أشكال التربة البركانية أو الحرية. ولم يفتنا في هذه الفقرة، أن نعرج على ذكر أسماء المدينة ـ قديما وفي الإسلام ـ لما في ذلك من إشارة على أهمية ـ جغرافية وتاريخية واقتصادية ـ تؤكد حيوية منطقة المدينة. وذلك حين نجد، أن بعض أسمائها، كان موغلا في القدم، وظل متداولا إلى عصور متأخرة. أما في الفقرة الأخيرة، فقد حرصنا على التنويه بأهمية موقع المدينة الاقتصادي كمحطة تجارية، في الوسط الغربي لجزيرة العرب، على طريق القوافل التجارية. وهو الطريق الذي يربط ـ قبل الإسلام ـ بين الجنوب والشمال والشرق. كما أشير إلى مساهمة السكان ـ حينذاك ـ في النشاط الصناعي، الذي كان يقوم ـ في الغالب ـ على الزراعة، وخاصة النخيل، التي اشتهرت المدينة بزراعته.

ويتنـاول الفصـل الثـانى ، بالـدراسـة ، عنـاصر السكان فى المدينة ، قبيل الإسلام وبعده . حيث يتعرض فى الفقرة الأولى ، لذكر قبائل اليهود ، وحقيقة وجودهم فى المنطقة ، وطبيعة ذلك الوجود . وقد حاولنا التعرف على حقيقة ، نسب بعض القبائل اليهودية . وناقشنا الفكرة التى تتعرض لذكر تهود بعض العرب . كما أننا ، لم نغفل تقديم إحصاء تقريبى لأعـداد اليهـود . وكذلك تعرضنا لذكر وضعهم الاجتماعي والاقتصادي ، قبيل الهجرة وبعدها . ولأنه كان معروفا . أن وجـود اليهـود فى المـدينـة ـ بعـد الهجـرة ـ لم يدم طويلا لأمور بدرت منهم . لهذا حاولنا ، خلال البحث ، أن نذكر طبيعة نوايـاهم تجاه الإسـلام واتبـاعـه في المـدينـة . كما أشـارت الـدراسة إلى مدى مكابرة وعناد معظمهم ، فى مسألة الايمان بمحمـد رسـول الله ، مع أنهم كانـوا على معـرفـة بعلامات نبوته ، التى ذكرت فى كتب أحبارهم . وختم الحديث عن اليهود ، بإشارة إلى بعض العناصر الدينية غير اليهودية فى المدينة بعد أن تم إجلاء معظم أفراد وقبائل اليهود الكبرى عن المدينة . ثم وصل الحديث بعد ذلك فى الفقرة الثانية ، بذكر قبيلتى الأوس والخزرج وحلفائهم من العرب ، حيث ذكـر نسبهم وتفـرعـاتهم وزمن هجـرتهم إلى المـدينة من اليمن . كما تناولت هذه الفقرة ، طبيعة العلاقات ، التى قامت بينهم وبـين اليهـود إلى ما بعـد الهجـرة . وفى هذه الفقـرة أيضـا ، محاولـة لإلقـاء بعض الضوءعلى حقيقة صلة الأوس والخزرج بالقوى السياسية فى الشام ، ومدى استجابة ونجاح الأوس والخزرج للغزل السياسي الذي تعرضوا له ، من قبل الروم ، بغية استخدامهم ضد منافسيهم من الفرس وحلفائهم اليهود ، كما أشير ، في هذه الفقرة ، إلى دور الأوس والخزرج وريادتهم في نصرة الإسلام ، وكذلك دعوتهم رسول الله (ص) ، وأصحابه ، للهجرة إليهم معززين مكرمين . ولم يفتني أن أشـير إلى وضـع المنـافقـين ، وهم فئة قليلة ـ معظمهم من الأوس والخزرج ـ رأوا أن استقرار الرسول ومعه المهاجرين في المدينة ، يعد اغتصابا لسيادتهم ، وتعديا على حقوقهم الوطنية ، وكان على رأس هذه الفئة ، عبدالله بن أبي بن سلول . وأخيرا تطرقت الدراسة إلى ذكر حلفاء الأنصار من العرب . حيث أشير إلى أسماء بعض القبائل التي كان لأفرادها حلف في بطون الأوس والخزرج ، مع ذكر طبيعة وأسباب هذا الحلف . أما الفقرة الثالثة في هذا الفصل ، فهي عرض لحالـة المـوالي والعبيـد في المجتمـع المدني ، خلال العصر النبوي . كما تطرقت الدراسة إلى ذكر أهم مصادر هؤلاء . وكذلك ذكرت مهنهم وحرفهم وشيئا عن تأثيرهم في المجتمع . وقد أفردت الفقرة الرابعة للحديث عن قبيلتي قريش وثقيف . حيث استهلت بذكر الصلات القديمة بينهم . ثم تطرقت إلى تبيان طبيعة دخولهم الإسلام ، ومن ثم طبيعـة هجـرتهم إلى المـدينـة . وقـد أشير إلى منزلة قريش وثقيف في الإسلام ، ودورهم الكبير في المشاركة ، في معظم فعاليات المجتمع .

أمـا الفقـرة الأخـيرة في هذا الفصـل ، فهي مختصـة بذكـر سـائر المهاجرين من قبائل العرب وأفنائهم . وقد حاولنا ، إعطـاء صورة تقـريبيـة للإحصـاء التقـريبي العام لهؤلاء ، وكذلك لعامة الصحابة في المدينة . مشيرين في هذا ، لمعدل تدفقهم على المدينة . وكذلك ذكر أسباب ضآلة الأعداد المهاجرة لبعض القبائل ، وتفضيلهم البقاء في بلدانهم .

ولما كان لعامة المهاجرين ، كغيرهم ، نشاط واسع في المجتمع المدني . لهذا أشير في هذه الفقرة ، إلى هذا النشاط ، في نواحيه العامة ، الدينية والعلمية ، والحربية وغير ذلك .

أما الفصل الثالث، فهو عن الأوضاع العامة للسكان في المدينة، بعد الهجرة. حيث تناولت الدراسة ـ في الفقرة الأولى ـ النواحي الاجتماعية العامة، مثل الدعوة إلى الهجرة، كعمل ضروري ولازم لخلق مجتمع متحضر ومتكامل، وقادر على حماية دينه وتبليغه للعالمين، حين يدعى إلى ذلك في الحال. ومثل التهيئة النفسية والسياسية بين المسلمين ليكونوا قادرين على حماية الإسلام ونشره. وكذلك تناولت الدراسة، المواضيع الاجتماعية الأخرى كمسألة التكيف في المجتمع المدني، سواء بالنسبة للتكيف مع المناخ أم بالنسبة للتكيف مع عادات وتقاليد المجتمع الجديد، بحكم تعدد قبائله واختلاف أجناسه. وكذلك مواجهة الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الهجرة، مثل ضرورة توفر السكن الملائم وكسب مستوى معيشي لائق. أما الفقرة الثانية، فهي عن العلاقات الاجتماعية بين السكان. وقد تناولت علاقات المصاهرة بين قريش والانصار وبين قريش وسائر القبائل المهاجرة، كما تناولت العلاقات الاجتماعية بين الانصار وسائر المهاجرين. ثم تطرقت الدراسة، في الأخير، إلى ذكر المجالس والأندية العامة، كمراكز اجتماعية وسياسية، لتداول الرأى والمشورة، أو للترويح عن النفوس.

أما الباب الثاني، فهو مختص بذكر التنظيم السياسي الإداري والاجتماعي للقبائل. وقد واجهتنا، خلال دراستنا للتنظيم، صعوبات كبيرة. لعل من أهمها، الغموض الذي يكتنف طبيعة تطبيق بعض التنظيمات. وهو ما جعلنا نميل إلى الاعتقاد، أن هذه التنظيمات لم تكن تستهدف إجبار الناس على تطبيقها ـ قانونا ـ بقدر ما أريد بها تعويد القبائل وتصحيح مسارهم على الطرق المثلى للبيئة الإسلامية والسلوك السوي العام. كما أننا لم نجد نصوصا صريحة، يمكن اعتبارها، وثائق مكتوبة، تختص بالتنظيمات الإدارية السياسية والاجتماعية في المدينة، خلال العصر النبوي، ولذا كان معولنا، في عرض تلك التنظيمات، يعتمد على تحليل النصوص التاريخية، التي تناولت، بصفة عامة، مجتمع المدينة، خلال العصر النبوي، مع الحرص كثيرا على الرجوع إلى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وكذلك كتب التفسير والفقه. وذلك بغرض تخريج المعلومات التي تجمعت لدينا في هذا المجال. ثم إن الباحث، كذلك، حرص على إيراد الشواهد والمواقف التاريخية ـ ما أمكن ـ حول موضوع الدراسة، ، كأدلة وبراهين. وهو في هذا كان يتحاشى تحميل النص أكثر مما يحتمله من معنى تاريخي أو لغوي.

وقد قسمنا هذا الباب، عن التنظيم، إلى فصلين. الفصل الأول مختص بذكر المراحل العامة لتنظيم القبائل. وهي ثلاث مراحل. وناقشنا، عند عرضنا، للمراحلة الأولى، وهي مرحلة التنظيم العشائري، أهمية اتباع هذا التنظيم ـ مع بداية تكوين المجتمع الإسلامي ـ وبينا بعض أهدافه ومسؤولياته، التي اطلع بها، للمشاركة في البناء، مع رأس السلطة وجهازها الخاص، في جميع النواحي الاجتماعية والدينية والحربية وغير ذلك. كما ألمحنا إلى الإدارة الداخلية للتنظيم العشائري، وأهميتها في تقوية كيانه، مشيرين في هذا، إلى رئاسة التنظيم العشائري، وطبيعة عمل النقيب في المجتمع المدني بصفة عامة.

وتعد المرحلة الثانية، وهي التنظيم الجماعي، مرحلة تالية للمرحلة الأولى. غير أنها ـ في الواقع ـ مرحلة متداخلة مع التنظيم السابق، في المرحلة الأولى، أي التنظيم العشائري، ونفس الشيء مع المرحلة الأخيرة، أي تنظيم عصبية

الموطن أو الأرض ـ كما سنرى خلال البحث ـ بمعنى أن ظهور أي تنظيم من خلال أحداث المجتمع في المدينة، لا يعني ـ بالضرورة ـ أنه الأفضل، وبالتالي إلغاء ما سبقه، بقدر ما يعني خلق أجواء ملائمة، لمعرفة مزايا هذه التنظيمات ولتعويد القبائل عليها، إلى أن تتهيأ الظروف لتطبيقها. وهذا يعني، أننا ربما وجدنا تطبيقا وعملا بالتنظيم العشائري في الفترة التي يظن أنها مرحلة التنظيم الجماعي، والعكس كذلك، وقد تناولت الدراسة خلال الحديث عن التنظيم الجماعي، أهم وسائل هذا التنظيم ووظائفه، والتي منها، إقامة المسجد الجامع وسط المدينة. وتسميته باسم مسجد المدينة، متفردا بهذا عن بقية المساجد في المدينة، التي تنسب إلى القبائل، أو البطون والعشائر. وكذلك أشير إلى الوسيلة الأخرى للتنظيم الجماعي، وهي المؤاخاة الخاصة بين المسلمين. حيث بين بدء ظهورها وكيفية عقدها واستمرارها، وأهم أهدافها. وكذلك أشير إلى الأسس التي قامت عليها المؤاخاة. كما أشير في هذه الدراسة، إلى تنظيم رابطة ذوي الأرحام. وهو تنظيم يعتمد على جمع عدد من البطون والعشائر ـ التي تنتسب إلى قبيلة واحدة ـ تحت راية واحدة. أما الوسيلة الأخيرة، فهي الرابطة العامة بين المسلمين، وتهتم بتوحيد عامة القبائل في تنظيم حربي واجتماعي، تحت راية واحدة.

أما المرحلة الأخيرة في هذا الفصل، عن تنظيم القبائل السياسي الإداري والاجتماعي، فقد اختصت بعرض تنظيم عصبية الموطن أو الأرض، كمرحلة نهائية ومتكاملة في مراحل التنظيمات. وأكدت الدراسة هنا، على دور هذا التنظيم في تعويد القبائل على التخلي ـ بشكل تدريجي ـ عن العصبية القبلية. وذلك باتباع أسس قوية وحكيمة، مثل الحرص على نسبة القبائل إلى مواطنهم، والحد ـ ما أمكن ـ من الاستخلاف على القبيلة، بالاستخلاف على المدن والاقاليم، التي تجمع عدد من القبائل والعشائر المختلفة.

وبالنسبة للفصل الثاني، فقد أفرد لبحث موضوع خطط المدينة ومنازل القبائل فيها خلال العصر النبوي. وهو في أربع فقرات رئيسية. الأولى مختصة بتناول العمران في موضع المدينة قبل الهجرة، وذكر خطط الأنصار. حيث تستعرض الدراسة تاريخ التجمع السكاني في المدينة ـ قديما إلى ظهور الإسلام ـ ثم تتطرق ـ تفصيلا ـ لذكر خطط الانصار، ومن سكن معهم من اليهود، حين قدم الرسول (ص)، المدينة مهاجرا. ثم تشير إلى ذكر العوامل التي دعت إلى تركز بعض السكان في منطقة ما من المدينة، أكثر من غيرها. ثم تتناول الفقرة التالية بالدراسة، عوامل اختيار موضع المدينة، وأصالة تخطيطها، مع الإشارة إلى العوامل الأخرى، التي دعت الرسول (ص)، والمسلمين معه إلى اختيار باطن المدينة أو وسطها لبناء مسجدهم، كنواة لخطط المهاجرين وبعض الأنصار. أما الفقرة الثالثة، فهي مختصة بتتبع دراسة التطور في تخطيط المدينة وسكنى المهاجرين، مع الإشارة لمساحة المدينة، خلال هذا التوسع في خطط المهاجرين. وبالنسبة للفقرة الأخيرة، فقد عنيت بذكر أثر تخطيط المدينة على مدن الأمصار. حيث ألقت بعض الضوء على أوجه الشبه والاختلاف بين تخطيط المدينة، وبعض مدن الأمصار الإسلامية، التي أسست بعد الفتوحات. وكذلك ألقت الضوء على مدى التأثير الذي أوجدته خطط وتنظيمات المدينة على تنظيمات وخطط تلك المدن.

وسنجد أن الباب الثالث، وهو الأخير فى هذا البحث، قد اختص بتناول مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فى المجتمع المدنى، خلال العصر النبوى. وقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول. أفرد الفصل الأول لدراسة مظاهر الحياة الاجتماعية. حيث تناول أولا مستوى المعيشة مع إشارة موجزة إلى أهل الصفة (وهم فقراء المسلمين)

وكذلك إشارة أخرى، إلى منازل الوفود. وقد حاولنا إلقاء الضوء على المستوى الاقتصادى العام للسكان، مشيرين إلى مدى تذبذب هذا المستوى، فى معظم السنين. إلى أن استقر الوضع - بعض الشيء - بعد فتح خيبر وتبوك ومن ثم فتح مكة. ومن ضمن ما تناولته هذه الدراسة، خلال هذا الفصل - كما أشرنا آنفا - موضوع الصفة (وهى ظلة فى مؤخر المسجد، يأوى إليها المساكين، غالبا)، لما للصفة من أهمية فى الوظائف الاجتماعية، التى تستهدف الأخذ بأيدى المعسرين والمساكين وأبناء السبيل، بغية التخفيف عنهم مما هم فيه. وكذلك تناولت هذه الدراسة، الحديث عن منازل الوفود، أو ضيوف الرسول، النازلين عليه فى المدينة. وأشير ثانيا، فى هذا الفصل، إلى ظاهرة اعتماد الناس فى المدينة على الخدم والموالى لقضاء معظم أمورهم. وهى ظاهرة، ربما كان من أهم أسبابها، انصراف معظم المسلمين للجهاد ونشر الإسلام. ولذلك أصبح وجود الخادم، ضرورة اجتماعية لازمة. وقد أشارت الدراسة إلى نوعية أولئك الخدم، وكذلك ذكرت الأعمال التى يقومون بها فى المجتمع.

أما الفصل الثانى، فقد أفرد لدراسة الحالة الاقتصادية، المشتملة على، الزراعة والتجارة، والحرف والمهن العامة. وبالنسبة للزراعة، تناولنا بالدراسة، أهمية المدينة الزراعية، التى اكتسبتها نتيجة توفر تربة بركانية خصبة، إلى جانب وجود أيدى ماهرة في أمور الزراعة كما تناولنا عملية التوسع الزراعى بعد الهجرة. وذكر دور المهاجرين فى هذا. ثم عرجت الدراسة على ذكر بعض الحاصلات الزراعية فى المدينة، وبيان أهميتها فى توفير الطعام للسكان، وتأثيرها فى سائر حياتهم الاقتصادية والاجتماعية.

وبالنسبة للتجارة، فقد كان للمدينة نشاط تجارى مرموق، فى الجاهلية والإسلام. وكان أبرز هذا النشاط التجارى - الذى اهتمت بتناوله هذه الدراسة - اشتمال المدينة على عدة أسواق تجارية، لتبادل أنواع البضائع والسلع فيها. وقد ذكرنا أهم هذه الأسواق، وما كانت عليه من تنظيم، وكذلك ذكرنا ما كان فيها، من بضائع وأنواع ما كان يأتيها من الخارج، وحجم هذا التبادل التجارى. كما أشير - أثناء الدراسة - إلى أسس التعامل التجارى بين السكان، وأنواع العملة والموازين والمكاييل المعروفة.

أما بالنسبة للمهن والحرف العامة - وهى الفقرة الأخيرة فى هذا الفصل - فالملاحظ - كما تشير الدراسة - أنه على الرغم من انصراف معظم السكان للاشتغال بالزراعة والتجارة، إلا أن بعضهم - وخاصة الموالى - كانوا يمارسون أنواع الحرف والصناعات العامة، جنبا إلى جنب مع اهتمامهم بشئون الزراعة والتجارة.

أما الفصل الثالث، وهو الفصل الأخير، فلقد رأينا أن يكون إطارا جامعا، ومختصرا وافيا، للتعرف على الطابع العام لمجتمع المدينة - خلال العصر النبوى - فى النواحى العلمية والثقافية - على وجه الخصوص - لما فى ذكر تلك الأمور من مساهمة، تساعد القارىء، على تكوين صورة واضحة وكاملة، عن مجتمع المدينة، موضوع الدراسة.

وختاما، أرجو من الله تعالى، أن تكون هذه المساهمة المتواضعة، فى كتابة التاريخ الإسلامى، فاتحة خير لتقدم أمثال هذه الدراسات وتطورها، على أيدى طلاب العلم وخدمته، فى مؤسساتنا الأكاديمية العلمية.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل . . . .

الرياض : ربيع الأول ١٣٩٩هـ

عبدالله عبد العزيز بن ادريس

## الباب الأول

# عناصر السكان في المدينة المنورة خلال العصر النبوي

- دراسات تمهيدية
- عناصر السكان في المدينة قبيل الإسلام وبعده
- الأوضاع العامة للسكان في المدينة بعد الهجرة

# الفصل الأول

## دراسات تمهيدية

- أولا : الجغرافيا التاريخية للمدينة مع إشارة لأسمائها
- ثانيا : أهمية موقع المدينة الاقتصادي بين الشمال والجنوب

**أولا : الجغرافية التاريخية للمدينة مع الإشارة لأسمائها**

حينما عزم الرسول (ص) على الهجرة إلى المدينة مع أصحابه، بعد تزايد أذى قريش ووقوفهم أمام نشر الإسلام في مكة قال لاصحابه: «قد أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين[1]»، أو كما قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكه إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب[2]».

ومقتضى ما ذكر أن المدينة كانت مشتهرة قديما بين العرب بحرارها وكثرة نخيلها[3]. وأنها كانت مؤهلة لأن تكون قاعدة الإسلام، ولذلك أدرج الرسول (ص) اسمها بين بعض المدن العربية الزراعية[4].

وكانت المدينة إحدى مدن الحجاز الجديرة بالذكر[5]. وقد اعتبرها بعض الجغرافيين العرب، إحدى أقسام جزيرة

---

(١) ابن كثير: **السيرة النبوية**، جـ ٢، ص ٢١٣.

(٢) ابن كثير: نفس المكان،

الديار بكرى: **تاريخ الخميس**، ص ٣٢٠.

اليمامة: منطقة واسعة في نجد وسط الجزيرة العربية وتشمل منطقة حجر (الرياض حاليا)، والسهباء والسيح الكبير والخرج ونساح والعارض وأودية نعام وغيرها. واليمامة حصون متفرقة ونخل ورياض وزروع، وأشهر قبائلها بنى حنيفة وبنى تميم. وفى بلادهم النخيل والقرى والزروع والآبار. (انظر: الهمدانى: **صفة جزيرة العرب** (تحقيق الأكوع)، ص ٢٧٩ - ٢٨٥.

هجر: مدينة البحرين أى منطقة الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وهى سوق بنى محارب من بنى عبد القيس. ومنازلها مادار بها من قرى البحرين، والقطيف من قراها وهى موضع نخل وقرية عظيمة الشأن وهى ساحل، ثم العقير من دونه وهو ساحل أيضا وقرية دون القطيف وبه نخل، والنباج بلاد كثيرة القرى ويقال له: نباج بنى عامر وهى عيون تنبج بالماء ونخيل وزروع. (انظر: الهمدانى: نفس المصدر، ص ٢٧٩ - ٢٨٠).

(٣) العينى: **عقد الجمان**، جـ ١، ورقة ٣٢ (مكتبة طبقبو، باستانبول)،

حتى: **تاريخ العرب**، جـ ١، ص ١٤٦.

(٤) وروى عن طلحة بن عبيد الله التيمى أنه حين حضر سوق بصرى سمع من راهب في صومعته يبشر بظهور الرسول محمد (ص) وأن مهاجره إلى نخل وحرة وسباخ (انظر: ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٢١٤ - ٢١٥).

(٥) حتى: **تاريخ العرب**، جـ ١، ص ١٤٣.

الحجاز: بالكسر وآخره زاى وإنما سمى حجازا لأنه حجز بين تهامة، وهى السهول المنخفضة على ساحل البحر الأحمر، وبين مرتفعات نجد شرقا. (انظر: ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٢، ص ٢١٨ - ٢٢٠، مادة حجاز، الهمذانى: **مختصر البلدان**، ص ٢٦ - ٢٧، حتى: **تاريخ العرب**، جـ ١، ص ١٤٢ - ١٤٣)، وقد اختلف الجغرافيون العرب اختلافا كبيرا فى تعريف الحجاز وتحديده، إلا أنهم مع ذلك، يجمعون - تقريبا - على أن الحجاز، هو جبل السراة، الذى يمتد من حدود اليمن إلى بادية الشام، فيحجز بين تهامة وبين نجد (انظر: الوهيبى، د. عبد الله: الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، بحث نشر فى **مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض**، م ١، السنة الاولى، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م، ص ٥٣ - ٧٠).

العرب الرئيسية فقال: جزيرة العرب المدينة ومكة واليمامة واليمن[١]. وكانت مأهولة منذ القدم بالقبائل العربية مثل العماليق[٢]. ثم نزحت إلى جوارهم بعض القبائل اليهودية والعربية، والذين عرف منهم يقينا، عند ظهور الاسلام، على شكل قبائل كبيرة، بنو قينقاع وبنو قريظه والنضير من اليهود، والأوس والخزرج، من العرب[٣]. وترينا الخريطة المرفقة، أن المدينة تقع من جزيرة العرب على الحافة الغربية المنحدرة من الجزءالسهلى الرئيسى للجزيرة العربية[٤]. والمسافة بين المدينة وبين ينبع على ساحل البحر الأحمر نحو (٢٧٥) كيلا[٥]. وبينها وبين مكة جنوبا حوالى (٥٠٠) كيلا.

---

(١) البكرى: معجم ما استعجم، جـ ١، ص ٥.

(٢) **العماليق**: نسبة إلى عملاق بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وذكر أن العماليق كانوا أول من زرع بالمدينة، واتخذ بها النخل وعمر بها الدور والأطام واتخذ الضياع. (انظر: السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٥٧). والأطام: واحدها أطم وهو بناء من الحجاره. (انظر: العدوى: **أحوال مكة والمدينة**، جـ ٢، ص ١١٢). ويذكر أنها مأخوذه من ائتطم، إذا ارتفع وعلا. بينما يرى ولفنسون، المؤرخ اليهودى، أن للفعل أطم معان شتى في العبرية: يقال أطم عينيه: أغمضها. وأطم أذنيه سدهما والأطم فى الجدار والحيطان هى النوافذ المغلقة من الخارج والمفتوحة من الداخل (انظر: **تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام**، ص ١١٧). وأحب أن أضيف إلى ما ذكر، أن فى عامية أهل نجد، استعمال الفعل بمعنى سقف يسقف الدار فى البناء، كما تعنى تغطية البئر بالحجارة الكبيرة. ويستعمل فى عاميتهم أيضا فعل الأمر من يطم فيقال: انطم بمعنى اسكت ـ بجفاء ـ ومن أمثالهم: «على طمام المرحوم». أى على عهده وأيامه. وفى أساس البلاغة: طم الوادى طموما: علا وغلب وطم البئر: كبسها، وطم شعره: حلقه. (انظر: الزمخشرى: **أساس البلاغة** ((طبعة دار صادر بيروت))، ص ٣٩٦). ويلاحظ أن لفظة أطم لم ترد فى القرآن الكريم. (انظر: مدنى، عبيد: أطوم المدينة، بحث نشر فى **مجلة كلية الآداب ـ جامعة الرياض**، المجلد الثالث، السنة الثالثة، ١٣٩٣ / ١٣٩٤ هـ). وإنما أشير إليها بلفظة الحصون من قول الله تعالى فى بنى قريظة والنضير: «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من أمر الله». الحشر: ٢. وأشير إليها أيضا بلفظة الصياصي من قوله تعالى: «وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم» الأحزاب: ٢٦. ويذكر أن المدينة لم تنفرد بوجود الأطام فيها بل كان باليمامة وكان فى خيبر وتيماء والطائف وكان فى صنعاء ونجران أطام، ولكن عهد ابتداع هذا النوع من البناء كان موغلا فى القدم وقد يكون تطور أول ما تطور فى المدينة (انظر: مدنى، عبيد: المرجع السابق، ص ٢٢٣).

أما بالنسبة لحصون اليمامة فأنها كانت تعرف باسم البتل الواحد بتيل: وهو هن أوحصن مربع مثل الصومعة مستطيل فى السماء من طين منها ما كان طوله مائتا ذراع فى السماء. وقيل كان منها ما طوله خمسمائة ذراع على عهد طسم وجديس سكانها القدماء. (انظر: الهمدانى: **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٨٤). ومما نستدل به على عروبة فكرة بناء الأطام ما أورده المؤرخون المسلمون من أن بنى أنيف كانوا من بقية العماليق الغالبين على المدينة قبل اليهود، وكان معهم أحياء من بلى ومن اليمن فابتنوا الأطام والمنازل قبل اليهود. (انظر: العدوى: **أحوال مكة والمدينة**، جـ ٢، ورقة ١١٢، ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٥، ص ٨٤، ابن خلدون: **تاريخ** «طبعة الحبابى بمصر، ١٣٥٥ هـ»، جـ ١، ص ٤٤).

(٣) البلاذرى: **أنساب الاشراف**، جـ ١، ص ٦،
السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٥٦ وما بعدها،
على (د. جواد): **المفصل فى تاريخ العرب**، جـ ١، ص ١٢٨ـ ١٣٧.

(٤) *Brita: Ency.* vol. **15** (London, 1957) P. 206.

(٥) والاسم القديم للبحر الأحمر هو بحر القلزم. (انظر: الأصطخرى: **المسالك والممالك** «تحقيق د. محمد جابر»، ص ٢٠).

ينبع: بالفتح ثم السكون، والباء الموحدة مضمومة وعين مهملة، بلفظ ينبع الماء وهى على يمين رضوى، (وهوجبل عند ينبع منها على مسيرة يوم، ومن المدينة على سبع مراحل) لمن كان منحدرا من المدينة إلى البحر الأحمر على ليلة من رضوى. وكان النبى (ص) قد أقطع ينبع عمر بن الخطاب. (انظر: ياقوت: معجم البلدان، جـ ٣، ص ٥١، مادة رضم، جـ ٥، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠، مادة ينبع). وتبعد ينبع عن المدينة بمسافة تقرب من مائة وخمسين ميلا نحو الغرب. ويطلق اسم ينبع فى العهد الحاضر وقبله بزمن، على ينبع الميناء، وإذا أريد ينبع النخل قيل: «ينبع النخل». إلا أن اسم ينبع عند إطلاقه فى كتب المتقدمين يقصد به ينبع النخل، لأن ينبع الميناء أو «ينبع البحر» كما يسمى أيضا، كان أقل شهرة حينذاك. (انظر: الجاسر، حمد: **بلاد ينبع** «لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة». ص ١٠ـ١٢، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض).

وتقع المدينة تقريبا على الدرجتين (٤٠) طولا شرقيا و(٢٥) عرضا شماليا. وارتفاعها عن سطح البحر يصل إلى ٦٣٩ مترا[١].

ويجد الدارس لطبغرافية المدينة أنها في مستوى من الأرض برية وجبلية[٢]. والغالب على أرضها السباخ[٣]. والجزء الجنوبي من المدينة أكثر ارتفاعا ويعرف بالعالية[٤]. بينما يعرف الجزء الشمالي بالسافلة[٥]. وتعد قرية قباء من أهم قرى العالية وهي على ميلين من المدينة ومتصلة بها[٦] وبقباء كانت منازل الأوس والخزرج قبل الاسلام[٧]. وبها نزل الرسول (ص) والمهاجرون الأولون قبل أن يصيروا الى موضع المدينة حيث المسجد النبوي[٨].

ومن أبرز جبال المدينة أحد في شمالها وعير في جنوبها الغربي[٩]. وسلع، بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو جبل بسوق المدينة وهو محاط اليوم بالعمران ويكاد يكون في وسطها[١٠]. كما يحيط بها في جهتي الشرق والغرب تكوينات بركانية تشكلت نتيجة للنشاط البركاني الذي تعاقب على المدينة خلال العهود القديمة، حيث أنها تقع قريبا من أحد أكبر

---

(١) Crichton, A; *History of Arabia*, vol.. 1, p. 86.

أما تفصيلا فإنها تقع بالنسبة لخطوط الطول والعرض على الدرجة ٣٩ والدقيقة ٣٦ وثانية واحدة و٦١٪ من خطوط الطول. وعلى الدرجة ٣٤ والدقيقة ٢٨ وخمس ثوان و٣٥٪ من خطوط العرض. (انظر: حافظ، علي: **فصول من تاريخ المدينة**، ص ١٣).

**وكان عمر كحالة قد ذكر أن المدينة تقع على الدرجة ٣٩ والدقيقة ٥٠ طولا شرقيا وعلى الدرجة ٢٤ والدقيقة ٣٢ عرضا شماليا. (انظر: جغرافية شبه جزيرة العرب، ص ١٧٤).**

(٢) اليعقوبي: **البلدان**، ص ٧٢.

(٣) ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٥، ص ٨٢ مادة مدينة،

العيني: **عقد الجمان**، جـ ١، ورقة ٣٢.

(٤) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٦١،

المطري: **التعريف**، ص ٨٠.

(٥) المطري: نفس المكان.

(٦) ياقوت: المصدر السابق، جـ ٥، ص ٨٢، مادة مدينة،

الفيروز آبادي: **المغانم المطابة**، ص ٣٢٣-٢٤.

قباء: بالضم والقصر وقد يمد. ويقول المطري إنها كانت على ثلاثة أميال من المدينة. (انظر: المصدر السابق، ص ٥٠).

(٧) اليعقوبي: المصدر السابق، ص ٧٣.

(٨) المطري: المصدر السابق، ص ٤٩-٥٠،

اليعقوبي: المصدر السابق، ص ٧٣.

(٩) المطري: **التعريف**، ص ٦٨-٦٩،

كبريت: **الجواهر الثمينة**، ورقة ٨ (مخطوط الاوقاف ببغداد).

**جبل عير**: عير الصخرة: حرف نأتي فيها خلقه، وقيل كل نأتي في وسط مستو.

والعير أيضا هو الجبل، وقد غلب على جبل عير بالمدينة. (انظر: ابن سيدة: **المحكم**، جـ ٢، ص ١٦٧-١٦٩).

(١٠) ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٣، ص ٢٣٦، مادة سلع،

العباسي: **عمدة الأخبار**، ص ٣٣٧،

الأنصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ٢٠٣-٢٠٥.

المراكز البركانية في الجزيرة العربية وكان في نشاط بركاني إلى وقت متأخر حوالى عام ١٢٦٦م[١]. وقد عرفت تلك التكوينات في المدينة باسم لابتى المدينة أو حرتيها[٢]. وهما حرة واقم في الشرق وحرة الوبرة في الغرب[٣]. ومن ضمن حرة الوبرة يوجد ثلاث هضاب بركانية تعرف باسم الجماوات[٤]. ومن أجل ذلك قيل أن المدينة تقع في حوص جبلى[٥]. وللمدينة عدة أودية تجري خلالها في وقت الامطار والسيول من جبال بمواضع في شرقها وجنوبها[٦]. ومن أشهر تلك الأودية: وادى العقيق في جهة الغرب منها، ويأتي من تحت جنوبها[٧]. ووادى بطحان الذى يمر بالمدينة وسط بيوتها[٨] في جهة الغرب متجها شمالا بعد التقائه بواديي مذينيب ورانوناء[٩] أو رانون[١٠]. ويشق وادي مهزور، وهو شرقي العوالي، الحرة الشرقية إلى العريض ملتقيا أيضا، ببطحان في طريقه غربي المدينة إلى الشمال[١١]. وفي شمال المدينة وادي قناة ويأتي ماؤه من شرقيها ثم تجتمع مياهه مع الأودية المذكورة بموضع يقال له الغابة[١٢].

---

(١) Brita; Ency. vol. 15 p. 206.

ويورد المؤرخون المسلمون حادثة آخر نشاط بركانى شهدته المدينة، فذكروا أن ابتداءه كان زلزلة بالمدينة مستهل جمادى الأخرة أو آخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة من الهجرة ثم ابتدأ بعد ذلك تدفق الحمم من البراكين أو ما كان يعرف باسم النار، ودامت إلى يوم الاحد السابع والعشرين من رجب ثم خمدت. (انظر: السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ١٤٢-١٤٥).

(٢) المطرى: المصدر السابق، ص ١٥، كبريت: المصدر السابق، ورقة ٨،

العجيمى: مكة والمدينة، ورقة ٣٧.

(٣) العباسى: المصدر السابق، ص ٢٩٩-٣٠٢.

(٤) والجماوات، مفردها جماء: بالفتح وتشديد الميم وبالمد. عن يمين الطريق للمسافر من المدينة إلى مكة. وهى: جما تضارع التى تسيل إلى قصر عاصم بئر عروة فى العقيق، والجماء الثانية جماء أم خالد، والجماء الثالثة جماء العاقر بينها وبين جماء أم خالد فسحة. (انظر: العباسى: عمدة الأخبار، ص ٢٨٩-٢٩٠).

(٥) Brita; Ency. vol. 15 p. 206.

(٦) المطرى: التعريف، ص ٦٣،

اليعقوبى: البلدان، ص ٧٢.

(٧) اليعقوبى: نفس المكان،

المطرى: المصدر السابق، ص ٦٣.

(٨) ابن شبة: أخبار المدينة، ورقة ٥٤.

(٩) المطرى: المصدر السابق، ص ٦٣.

(١٠) ابن شبة: المصدر السابق، ورقة ٥٤.

(١١) المطرى: المصدر السابق، ص ٦٣،

الانصارى، عبد القدوس: آثار المدينة، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

العريض: تصغير عرض أو عرض: وادى بالحرة شرقى المدينة به جملة آبار وزروع ويبعد عن المدينة حوالى خمسة كيلومترا. (انظر: الفيروز آبادى: المغانم المطابة، ص ٣٦٠، الانصارى، عبد القدوس: المرجع السابق، ص ١٣٨، العياشى: المدينة بين الماضى والحاضر، ص ٥٢٥).

(١٢) اليعقوبى: البلدان، ص ٧٢،

الانصارى، عبد القدوس: آثار المدينة، ص ١٨٠ - ١٨٢، ٢٣٧.

وادى قناة: هو الوادى الذى يمر شمال المدينة من الشرق إلى قبور الشهداء بأحد. (انظر: العباسى: عمد الأخبار، ص ٣٩٩). وقد عرفه ابن شبة بأنه الوادى الأحمر، حين قال: لما قتل حمزة رضى الله عنه، أقام فى موضعه، تحت جبل الرماة وهو الجبل الصغير الذى ببطن الوادى الأحمر. (انظر: أخبار المدينة، ورقة ٤١).

الغابة: بالموحدة. وهى اسم موضع قرب المدينة من جهة الشمال، على ثمانية أميال منها، على نحو بريد من ناحية الشام. (انظر: العباسى: المصدر السابق، ص ٣٨١ - ٣٨٢).

وقد ساعد النشاط البركانى فى المدينة على حجز المياه الجوفية مما جعل فى الاستطاعة الوصول إليها فى أى بقعة منها عند حفر الآبار العميقة[١]. ولذلك كثرت بالمدينة الآبار التى يسقى منها النخل والزرع[٢]. ومن هذه الآبار: بئر أريس غربى مسجد قباء[٣]، وبئر البصة جنوبى البقيع[٤]. وبئر حاء شمال المسجد النبوى[٥]. وبئر بضاعة، شمال غرب المسجد النبوى[٦]. ثم بئر رومة وسط العقيق من أسفله شمالا وكانت ليهودى يبيع المسلمين ماءها فاشتراها عثمان بن عفان «رضى الله عنه» فجعلها للمسلمين[٧].

وكان لتضافر تلك العوامل الطبيعية التى أشرنا إليها مثل توفر المياه بجميع مصادرها بالاضافة إلى خصوبة التربة البركانية، أن أصبحت المدينة فى المقام الأول، مدينة زراعية على العكس من مكة التى كانت مدينة تجارية[٨].

ويسود المدينة مناخ صحراوى متطرف. ولذلك كان الرسول (ص) يأمر المؤذن إذا كانت ليلة باردة ذات مطر يقول: «آلا صلوا فى الرحال[٩]». وكان يقول: من صبر على أوار المدينة وحرها كنت له يوم القيامة شفيعا شهيدا[١٠]. كما روى عنه أنه قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة[١١]».

ولم يكن لنزول المطر على المدينة مواسم معينة أو أوقات متقاربة. ولذلك كانت المدينة عرضة لسنوات الجفاف والقحط[١٢]. وأحيانا تتعرض لسيول جارفة تكتسح ما يقابلها من مواش وزروع وطرق[١٣].

(١) *Brita; Ency.* vol. 15 p. 206.
(٢) اليعقوبى: المصدر السابق، ص ٧٢.
(٣) المطرى: التعريف، ص ٥٦.
(٤) المطرى: نفس المصدر، ص ٥٨.
البقيع: هو بقيع الغرقد: أصل البقيع فى اللغة: كل مكان فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سمى بقيع الغرقد، والغرقد: كبار العوسج وهو مقبرة أهل المدينة شرقى المسجد النبوى وغير بعيد منه. (انظر: الفيروز آبادى: المغانم المطابة، ص ٦١، الأنصارى، عبد القدوس: المرجع السابق، ص ١٧٥ - ١٧٦).
(٥) المطرى: المصدر السابق، ص ٥٨.
(٦) المطرى: نفس المصدر، ص ٥٩.
(٧) ابن شبة: أخبار المدينة، ورقة ٤٩.
المطرى: التعريف، ص ٥٩ - ٦٠.
(٨) *Brita; Ency.* vol. 15 p. 207.
(٩) مالك: الموطأ، جـ ١، ص ٧٣. والرحال: جمع رحل وهو المنزل والمسكن.
(١٠) المطرى: المصدر السابق، ص ١٧،
ياقوت: معجم البلدان، جـ ٥، ص ٨٣. والأوار: حر الشمس والنار. يقال: لفحنى أوار النار وأوار الشمس، وأوار التنور. (انظر: مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، جـ ١، ص ٣٢).
(١١) مالك: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٥. وأبردوا: خففوا. (انظر: المعجم الوسيط، جـ ١، ص ٤٧، مادة برد).
(١٢) مسلم: الصحيح، جـ ٢، ص ٦١٤ - ٦١٥.
(١٣) روى أن رجلا جاء إلى الرسول (ص) فقال: يارسول الله هلكت المواشى وتقطعت السبل (لأن الابل ضعفت لقلة القوت عن السفر) فادع الله. فدعا الرسول (ص) فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة. قال: فجاء رجل إلى الرسول (ص) فقال: يارسول الله تهدمت البيوت وانقطعت السبل (لتعذر سلوك الطرق من كثرة الماء وهلكت المواشى من عدم المرعى، فقال الرسول (ص): اللهم ظهور الجبال والاكام (وهو التراب المجتمع)، وبطون الأودية ومنابت الشجر. قال: فانجابت عن المدينة انجياب الثوب (أى خرجت عنها). (أنظر: مالك: الموطأ، جـ ١، ص ١٩١).

## ذكر أسماء المدينة

والاسم الاسلامي لدار هجرة المسلمين هو المدينة أو مدينة الرسول (ص) عوضا عن اسمها القديم يثرب[١].

وجاء اسم المدينة من التمدن وهو التوطن وزنا ومعنى وأصله اسم لكل بلد كبير ثم صار علما بالغلبة عند الاطلاق على المدينة المنورة[٢]. وقيل: المدينة: من دان إذا أطاع وذلك لأن السلطان يسكن المدن فتقام له طاعة فيها أو لأن الله تعالى يطاع أو لأنه عليه السلام سكنها فدانت له الأمم[٣]. ويقال أنها كانت معروفة بهذا الاسم قديما قبل الاسلام وأن اللفظ قد جاء من كلمة مدينتا (Medinta) أو مدينتو(Medinto) الارمية التى تعنى مدينة فى اللغة العربية[٤].

ومن غير المستبعد أن تكون المدينة معروفة، قبل الهجرة باسم (مدينة يثرب) ثم اختصر فقيل لها مدينتا أي المدينة[٥]. خصوصا وأن الرسول (ص) حين عرف دار هجرة المسلمين قال: أنها المدينة يثرب[٦]. ثم نهى عن قول يثرب، بعد الهجرة، وأكتفى بلفظ المدينة[٧]، أو مدينة الرسول[٨].

أما عن الاسم يثرب. فيذكر المؤرخون المسلمون أنها عرفت به نسبة إلى يثرب بن هذيل بن ارم لما نزل أول مرة وقومه موضع المدينة بعد تفرق قوم عاد[٩]. وقيل: أن يثرب نسبة إلى يثرب بن قانية بن مهلائيل بن ارم بن عبيل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وبه سميت يثرب[١٠]. وهو من العماليق[١١]. وكانوا يسمون المنازل التى ينزلونها بأسمائهم[١٢].

---

(١) المطرى: **التعريف**، ص ١٦،

ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٦٥ (مخطوط بمكتبة المتحف العراق)، ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٥، ص ٨.

(٢) العجيمي: **تاريخ مكة والمدينة**، ورقة ٣٥. وقد ذكر أن للمدينة أسماء تقارب المئة مثل طابه وطيبة وأرض الهجرة وأكلة البلدان وأكلة القرى والايمان وغير ذلك. (انظر: ابن الحاج: المصدر السابق، هامش الورقة ٦٥، السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ٨ وما بعدها).

(٣) كبريت: **الجواهر الثمينة**، ورقة ٧.

(٤) جواد على: **المفصل**، جـ ٤، ص ١٣٠.

(٥) جواد: **المفصل**، جـ ٤، ص ١٣٠.

(٦) ابن كثير: **السيرة**، جـ ٢، ص ٢١٣.

(٧) المطرى: **التعريف**، ص ١٦ ـ ١٧. وقيل في سبب تغيير اسم يثرب إنه يعود إلى حب الرسول (ص) للاسم الحسن إذ أن يثرب مأخوذ من الثرب وهو الفساد، أو التثريب وهو المؤاخذه بالذنب. (انظر: المطرى: نفس المصدر، ص ١٩).

(٨) ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٥، ص ٨٢.

(٩) العينى: **عقد الجمان**. جـ ١، ورقة ٣٢.

(١٠) السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٥٦.

(١١) البلاذرى: **الأنساب**، جـ ١، ص ٦ـ٧،

ابن عبد البر: **القصد والأمم** (النجف، ١٩٦٦م)، ص ١٤.

(١٢) ابن عبد البر: نفس المكان.

وحاصل ما ذكر أن اسم يثرب كان قديما. ويقال: أنه وجد مكتوبا على حجر بوادى العقيق ضمن نص أورده ابن زبالة جاء فيه «أنا عبد الله رسول الله سليمان بن داوود إلى أهل يثرب»(١).

ومن الباحثين المحدثين من يرى أن أقدم مورد أشير فيه إلى يثرب هو نص الملك نبونيد (Nabonid) (٥٥٦ - ٥٣٩ق. م). الذي ذكر فيه أنه بلغ هذه المدينة(٢). كما ذكرها بطليموس (Ptolemy) في جغرافيته وكذلك استيفانوس اليزنطى (Stephanus Byzantinus) باسم يثربا «Iathrippa»(٣).

وكما سبق أن أشرنا فإن الجزء الجنوبي من المدينة كان يعرف بالعالية وقباء وذلك يعنى أن اسم يثرب لم يكن يطلق على جميع أجزاء المدينة في الغالب. وقد لاحظ ذلك معظم مؤرخى المدينة فذكروا أن يثرب اسم ناحية من مدينة الرسول(٤) وأنما غلب الاسم على كل المدينة - في بعض الأحيان - من باب اطلاق اسم البعض على الكل(٥).

وكانت ناحية يثرب قبل نزول الأوس والخزرج تعد أم قرى المدينة وبها كان معظم اليهود النازلين فيها على العماليق(٦). ويذكر المطرى أن ناحية يثرب كانت معروفة بهذا الاسم إلى أيامه، وفيها نخيل كثير ملك لأهل المدينة وأوقاف للفقراء وغيرهم(٧). ويحدد موضعها على أنه «غربى مشهد أبى عمارة حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله، وشرقى الموضع المعروف بالبركة، مصرف عين الأزرق ينزلها الركب الشامي في وروده وصدوره وتسميها الحجاج عيون حمزة(٨).

---

(١) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ١٥٨-٥٩،
ابن النجار: الدرة، ص ٣٠.
(٢) جواد: المفصل، جـ ١، ص ٦١٠ - ٦١٥، جـ ٤، ص ١٣٠.
(٣) *Brita; Ency.* vol. 15 p. 206.
(٤) المطرى: التعريف، ص ١٩،
المراغى: تحقيق النصرة، ص ٢٢.
(٥) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٠.
(٦) المطرى: المصدر السابق، ص ١٩.
(٧) المطرى: نفس المكان.
(٨) المطرى: التعريف، ص ١٩،
المراغى: تحقيق النصرة. ص ١٩،
مشهد حمزة: في الركن الشمالي الشرقي من جبل عينين جنوبي جبل أحد. وهو على مسافة أربعة ونصف كيلومترات في الخط الممتد من مسجد الغمامة وسط المدينة. (انظر: العياشى: المدينة بين الماضي والحاضر، ص ٥٣١ - ٥٣٢).
عين الأزرق: تسميها العامة العين الزرقاء. وهى عين أجراها مروان بن الحكم لما كان واليا لمعاوية على المدينة. وكان أزرق العينين أضيفت إليه العين التى أجراها بأمر معاوية. وأصلها بئر معروفة كبيرة بقباء غربي مسجد قباء وهى عذبة الماء وغزيرته. أما البركة فهى قرب بئر رومة - شمال غربى المدينة آخر العقيق - تصلها قناة يجرى فيها الماء من عين الأزرق. (انظر: العباسى: عمدة الأخبار، ص ٢٦٥، ٣٧٩، الانصارى، عبد القدوس: آثار المدينة، ص ٢٦٢ وما بعدها).

ومما قيل أيضا في تحديد موضع يثرب أنها ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف وما بين المال الذي يقال له البرني إلى زبالة(١). وهذا التحديد لا يتعارض مع ما سبق ذكره من أن يثرب تقع في تلك الجهات الممتدة غربي مشهد حمزة إلى مجتمع الأسيال برومة(٢).

ومما يجدر ذكره هنا أن الرسول (ص) حينما هم بالتحول من قباء إلى موضع مسجده قال: أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة(٣). وذلك يعني أن موضع مسجد الرسول (ص) اليوم وما حوله كان يعرف أيضا باسم يثرب(٤). وبالاضافة إلى ذلك فقد ذكر بعض مؤرخي المدينة أنه كان بيثرب عدد من الصاغة اليهود(٥). وقد غاير بعضهم بين يثرب هنا وبين زهرة(٦). واعتبروا أن الصاغة إنما كانوا بزهرة وكانت أعظم قرى المدينة(٧).

ويمكننا التوفيق بين الروايات السابقة إذا اعتبرنا أن المراد بيثرب هو جميع سافلة المدينة بما في ذلك زهرة، بالاضافة إلى منطقة المسجد النبوي المحيطة به. مع عدم استبعاد أن التسمية إنما كانت تطلق أصلا على الجهة الشمالية الغربية للمدينة ثم عرفت به كل سافل الجهات الشرقية ليثرب وذلك من باب اطلاق اسم البعض على الكل.

---

(١) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ٨ ـ ٩.

الجرف: بالضم ثم السكون: موضع على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشمال الغربي. (انظر: العباسي: المصدر السابق، ص ٢٨٨).

البرني: ويقال البرناوي. (انظر: ابن النجار: الدرة، ص ٨). والبرني لفظ يطلق على نوع من التمر كان مشهورا بالمدينة. وحقيقة المال المعروف بالبرني أو البرناوي مجهولة الآن. وربما أنه بعض بساتين العيون في الشمال الغربي للمدينة. أما زبالة: فهي شمالي جبل سلع إلى قرب وادي قناة. (انظر: الأنصاري، عبد القدوس: المرجع السابق ص ١٧٧، العياشي: المرجع السابق، ص ٢٤ ـ ٢٥).

(٢) المطري: التعريف، ص ١٩،

العباسي: عمدة الأخبار، ص ٢٨٨، ٣٣٢، ٣٩٩،

العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، ص ٢٤.

(٣) المطري: المصدر السابق، ص ١٩.

(٤) يذكر ابن الحاج أن الرسول (ص) حينما سار من قباء «وركب ناقته وجاء يثرب أي المدينة». (انظر: رفع الخفاء، ورقة ٦٨).

(٥) قيل إنهم ثلاثمائة صائغ. (انظر: المطري: المصدر السابق، ص ١٩ ـ ٢٠). وهو عدد كبير يصعب تصديقه، على الرغم من اشتهار معظم اليهود بصناعة الذهب إلا أنه ـ فيما يبدو لنا ـ وعلى فرض صحة تلك الرواية فإن تلك الناحية من المدينة كانت ولا بد مركزا خاصا لمعامل الصاغة ومكانا لمتاجرهم في المدينة.

(٦) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ٩، ابن النجار: الدرة، ص ٨.

زهرة: بالضم ثم السكون: موضع بالمدينة بين الحرة الشرقية والسافلة. (انظر: العباسي: المصدر السابق، ص ٣٣١).

(٧) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٨ ـ ٩،

العباسي: المصدر السابق، ص ٣٣١،

المراغي: تحقيق النصرة، ص ٢٣.

ثانيا : أهمية موقع المدينة الاقتصادى بين الشمال والجنوب

حرص معظم مؤرخى المدينة على الاشارة إلى قدم العمران وسكنى الناس بها(١) . كما أجمعوا فى كتاباتهم على أن الصراع والتنافس بين سكانها العرب وبين جيرانهم اليهود كان قديما، واستمر إلى ما قبل الاسلام(٢) .

وقد كانت يثرب، إضافة إلى أنها واحة خصيبة التربة ومن أمهات المراكز الزراعية، فهى واقعة على طريق القوافل التجارية التى تحمل الطيوب بين اليمن والشام(٣) . وذلك الموقع قد جعل من يثرب مطمعا للقوى المتنافسة حينذاك. وهو ما كان يحرك روح العداء ويثير الحروب سواء بين العرب واليهود من جهة أو بين الأوس والخزرج أنفسهم. ونتيجة ـ فيما نرى ـ لتلك الأهمية السياسية، فقد تمتعت المدينة ـ قبيل الاسلام ـ بمركز اقتصادى مرموق فى مجالات التجارة والصناعة. فأصبحت بذلك محطة تجارية هامة للتجار العائدين إلى الشام والشرق من الحجاز واليمن(٤) .

ولم يقتصر الامر فى المدينة على ازدهارها التجارى الخارجي. بل إن التجارة الداخلية فيها كانت نشطة ومزدهرة. ودل على ذلك ما ذكر من كثرة أسواقها ومتاجرها(٥) . وكان التعامل فيها كبيرا بين أهلها وبين من يفد عليهم من جيرانهم(٦) .

---

(١) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ١٥٩،
العدوى: أحوال مكة والمدينة، جـ ٢، ورقة ١١١،
البتنونى: الرحلة الحجازية (الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٢٩هـ)، ص ٢٥٢.

(٢) السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٥٩،
العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ورقة ١١١،
ابن النجار: الدرة، ص ٩.

(٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٣، ص ٧٨٨،
اليعقوبى: البلدان، ص ٦٨ وما بعدها،
السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٠ ـ ١٧١،
حتى: تاريخ العرب، جـ ١، ص ١٤٦.

(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٠٠،
البلاذرى: فتوح البلدان. جـ ١، ص ٤١ ـ ٤٢.

(٥) السمهودى: الوفاء، جـ ٢، ص ٧٤٧ وما بعدها.

(٦) أنظر: الشريف: مكة والمدينة، ص ٣٦٥. ويمكن الاستدلال على أهمية النشاط التجارى فى المدينة من اهتمام القرآن الكريم بأمر البيع وتنظيمه وسن قوانينه حيث قال تعالى: «وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون». سورة البقرة: ٢٧٥. والربا: هو الزيادة على الشيء. وكانوا فى الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عنى. فيؤخر عنه. (انظر: الطبرى: جامع البيان، جـ ٣، ص ١٠١). كما قال تعالى فى أمر البيع «ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل. (انظر: الطبرى: نفس المصدر، جـ ٣٠، ص ٩٠ـ٩١).

ولقد كان من أبرز سمات النشاط التجارى الخارجى للمدينة ما ذكر من أن التجار من الشام وغيرها كانوا يقدمون إلى المدينة لتصريف تجارتهم[١]. كما كان تجار المدينة يحملون بضائعهم إلى الشام بواسطة القوافل ويستوردون منها الأقمشة المختلفة[٢].

وكانت الحدادة والصياغة من أشهر الصناعات فى المدينة[٣] ويقف إلى جانب ذلك بعض الصناعات الخفيفة وخاصة المعتمدة على مواد النخيل[٤]

ومما سبق نجد أن المدينة كانت جديرة باختيار الرسول (ص) لها كعاصمة للاسلام ومنطلق لدعاته وسراياه الظافرة. وجاءت تلك الجدارة نتيجة لموقعها الاستراتيجى ولشهرتها الدولية بين الشمال والجنوب كمحطة هامة فى الطريق التجارى بين الشام واليمن، إضافة إلى ما تمتعت به من موقع طبيعى حصين ضم تربة خصبة ذات ماء وفير مع شعب تجلت فى جوانبه الايجابية كل عوامل التكامل والتوازن النفسى ممثلا فى اليهود، أصحاب الكتاب والرسالة وقتها، وفى الأوس والخزرج وهم من اليمن أهل الحضارة والعمران.

ومع أن تأثير اليهود فى الأوس والخزرج، من ناحية العقيدة، كان محدودا جدا إلا أنهم آمنوا بفكرة ظهور نبى جديد بتأثير منهم، وكانوا أهل كتاب وعلم[٥].

وقد عبر الأوس والخزرج عن هذا الايمان حين لقى نفر منهم رسول الله (ص) فى موسم الحج وهو يعرض نفسه على القبائل طالبا النصرة واظهار دين الاسلام[٦]، ثم انصرفوا عن رسول الله (ص) راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا[٧]. فلما قدموا إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله (ص) ودعوهم إلى الاسلام حتى فشا فيهم[٨]، ثم توالت وفودهم على الرسول (ص) فى المواسم حتى كان الموسم الثالث حيث وافاه فى العقبه ثلاثة وسبعون رجلا ومعهم امرأتان من نسائهم حيث بايعوه على أن يمنعونه مما يمنعون نساءهم وأبناءهم حين يقدم عليهم المدينة مهاجرا[٩].

(١) ابن حجر: الاصابة، جـ ٤، ص ٤٤ - ٤٥، ١٠٧.
(٢) الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ ٢، ص ١٢،
الشريف: المرجع السابق، ص ٢٧١.
(٣) المطرى: العريف، ص ١٩ - ٢٠،
الشريف: المرجع السابق، ص ٣٧٦ - ٣٧٧.
(٤) مثل صناعة الخوص والحبال، من سعف والياف النخيل وصناعة الأثاث والأبواب من الجذوع. (انظر: الشريف: نفس المرجع، ص ٣٧٦ - ٣٧٧).
(٥) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٩٢.
(٦) ذكر أن الرسول (ص) عرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال بعضهم لبعض: ياقوم والله إنه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه. (انظر: ابن اسحاق: نفس المكان).
(٧) ابن اسحاق: نفس المكان.
(٨) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٩٣.
(٩) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٩٤ - ٣٠٨.

ولم يمض وقت كثير على هذه البيعة حتى أذن الرسول (ص) لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة وأقام ينتظر أن يؤذن له فى الخروج[١]. وكان نزول معظم المهاجرين الأوائل فى بنى عمرو بن عوف بقباء[٢]. ثم تتابع المهاجرون إلى المدينة ولحق بهم رسول الله (ص) - فيما بعد - بعد رحلة شاقة ومضنية أعقبها السهل والأهل وترحيب الأوس والخزرج بمن هاجر إليهم.

وكان وصول الرسول (ص) إلى المدينة فى يوم الاثنين اثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول[٤]، الموافق الرابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ستمائة واثنين وعشرين بعد الميلاد[٥].

وقد بدأ الرسول (ص)، بعد استقراره وبناء مسجده فى المدينة، فى تنظيم العلاقات بين السكان حيث كتب كتابا بين المهاجرين وأهل المدينة وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم[٦]. وذلك التنظيم يعد خطوة أولية جمعت عناصر السكان فى المدينة فيما يشبه الاتحاد العام تحت قيادة واحدة وسياسة موحدة[٧]. ثم رأى الرسول (ص) بتأييد من الله تعالى أن أفضل سبيل لفرض هيبة الاسلام فى المدينة ولرفع معنوية المسلمين بين القبائل هو الاتجاه إلى بعث السرايا لاعتراض عير قريش القادمه من الشام واستمالة ما أمكن من القبائل المجاوره إلى صف المدينة بموادعتها ومحالفتها[٨].

وقد أدت تلك الخطة الحكيمة دورها كاملا وتوجت أعمالها بالنصر المؤزر على الرغم من قلة أنصار الاسلام حينذاك[٩]. فكان لذلك أعظم الأثر فى تكاثر المهاجرين فى المدينة مع توالى انتصارات المسلمين حتى سميت سنة تسع من الهجرة، لما أفتتح الرسول مكة بسنة الوفود، لكثرة من وفد فيها على رسول الله (ص) من القبائل معلنين الطاعة والولاء[١٠]؛ كما تقاطرت على المدينة أعداد كبيرة من شتى القبائل العربية راغبة فى الجهاد والهجرة إلى رسول الله (ص) فأصبح لمعظمهم فى المدينة خططا خاصة بهم[١١].

---

(١) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ٢٣٥.
(٢) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٢٤.
(٣) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٢٦ - ٣٤٧،
السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٣٥ وما بعدها.
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق جـ ٢، ص ٣٤١، ابن خياط: تاريخ، جـ ١، ص ١٢،
ابن سيد الناس: عيون الأثر، جـ ١، ص ٢٢٥ (الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٧٧م).
(٥) **Holt, P.M.; *Cambridge History of Islam.* vol. 1 (Cambridge, 1970) p. 41.**

ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٤٨. (انظر الكتاب فى الملاحق).
(٧) **Holt; o. p. cit vol. 1. p. 41.**
(٨) الواقدى: المغازى، جـ ١، ص ٩ وما بعدها. (طبعة اكسفورد).
(٩) قال تعالى: «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس... الآية». الأنفال: ٢٦.
(١٠) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٤، ص ٩٨٥ وما بعدها.
(١١) انظر: السمهودى: الوفاء، جـ ٢، ص ٧٥٧ وما بعدها.

# الفصل الثاني

## عناصر السكان في المدينة قبيل الإسلام وبعده

- اليهود
- الأوس والخزرج وحلفائهم من العرب
- الموالي والعبيد
- قريش وثقيف
- المهاجرون من قبائل وأفناء العرب

## ١ - اليهـود

لفـظ اليهـود ـ فى هذه الـدراسـة ـ نريـد به ما يحتمله من معنييـه : وهما النسب والديانه : قال الله تعالى فى القرآن الكـريم «مـا كان إبـراهيم يهوديـا ولا نصـرانيـا ولكن كان حنيفـا مسلما[١]»، وهو تعبير عن اعتناق اليهودية مثلما يقال نصـرانى لاعتنـاقـه النصرانيه . وعلماء اللغة تعرضوا إلى هذا المعنى فقال ابن منظور الهود التوبة ، هاد يهود هودا : تاب ورجع إلى الحق فهو هائد . . . وهود الرجل : حول إلى اليهودية[٢] . واليهود لفظ يراد به ـ أيضا ـ الدلالة على النسب مرادف للفـظ بنى اسـرائيـل[٣]، وهـو لفظ يعنى فى العبرانية بنى عبدالله أو صفوة الله . مركبة من اسرا بمعنى عبد أو صفوه ومن ايل وهو الله[٤] . وقيل انها تعنى سرى الله[٥] . كما تعنى الشديد أو القوى، وهو لقب يعقوب[٦] .

كما أنهم سموا يهودا نسبة إلى يهوذ بن يعقوب ، فان الملك استقر فى ذريته ، وقد أبدلت الذال المعجمة دالا مهملة فقيل يهود[٧] . وهذا التقسيم وعاه المؤرخون المسلمون فقال السهيلى : «يهود اسم علم كثمود يقال: إنهم نسبوا إلى يهوذ بن يعقـوب ثم عربت الـذال دالا فإذا قلت: اليهـود بالألف والـلام، احتمـل وجهـين النسب والـدين الـذى هو اليهـوديـة، أمـا النسب فعلى حد قولهم التيم في التيميـين . وأما الدين فعلى حد قولك: النصارى والمجوس أعنى أنها صفة لا أنها نسب إلى أب[٨] .

---

(١) آل عمران: ٦٧ . الحنيف: من تحنف إلى الشىء إذا مال اليه، ومنه قيل لمن مال عن كل دين أعوج: هو حنيف وله دين حنيف، وتحنف فلان إذا اسلم . (انظر: الزمخشرى: **أساس البلاغة**، ص ١٤٤).

(٢) **لسان العرب**، جـ ٥، ص ٤٣٩ .

(٣) واسرائيل هو لقب يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم، أبو اليهود، وقد سموا بذلك نسبة إليه . (انظر: ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ١، ص ١٢، شنوده: **اليهود**، ص ١٥، ٢٠، طنطاوى، د. محمد سعيد: **بنو اسرائيل في القرآن**، جـ ١، ص ٦).

(٤) طنطاوى، د. محمد سعيد: نفس المكان.

(٥) السهيلى: **الروض الأنف**، جـ ٢، ص ٢٩٤ .

(٦) للاطـلاع على المعانى المرتبطـة بهذا الاسم وعن صلتـه بالكتـابـات المسمارية واللغة الكنعانية . انظر: *The Interpreter's Dictionary of the Bible*, Abingdon – press, New York, vol. 2, p. 765.

(٧) البيرونى: **تاريخ الملل والنحل**، جـ ٢، ص ٤ . اقتبسها طنطاوى، فى كتابه بنى إسرائيل فى القرآن، ص ٨،
السهيلى: **الروض الأنف**، جـ ٢، ص ٢٩١،
اليعقوبى: **تاريخ**، جـ ١، ص ٣١،
شنوده: **اليهود**، ص ١٤ .

(٨) المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩١ .

وقد تعمدنا تناول هذه النقطة عن معنى لفظ اليهود كتوطئه للحديث عن أصل اليهود فى المدينة، وهل هم من بنى اسرائيل نسبا أم أنهم عرب تهودوا؟.

وما نظن أنه من السهولة بمكان الوصول إلى قرار جازم عن حقيقة قدم وجودهم وأصلهم فى المدينة وذلك عائد إلى أن الباحث فى هذا المجال لا يملك نصوصا تاريخية واضحة تخوله أن يتحدث فيه[1]، على أن هذا لايمنعنا من أن نشير بإيجاز إلى الخلاف فى المصادر حول أصل اليهود ومجيئهم إلى يثرب. فقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين إلى القول بأن اليهود كانوا فى جملة من كان فى جيش نبونيد يوم جاء إلى تيماء، فأقاموا بها وبمواضع أخرى من الحجاز بلغت يثرب[2]. علما بأن نبونيد لم يشر فى أخباره المدونه إلى وجود يهود فى جيشه أو إسكانه لهم فى هذه الأرضين[3]. وإن صدقت هذه الرواية، فلربما أنهم كانوا قلة ولم يكن دورهم كبيرا فى ذلك الجيش.

ويذكر أنه عثر على عدد من الكتابات النبطية فى الحجر وفى مواضع أخرى من أرض النبط وردت فيها أسماء عبرانية تشير إلى أن أصحابها هم من يهود[4]. ويعود بعض تلك الكتابات إلى القرن الأول للميلاد وإلى سنة ٣٠٧ ميلادية[5].

وذلك الوجود للاجئين اليهود فى بلاد العرب جعل من الطبيعى أن يتجه بعضهم ممن كان فى فلسطين، حوالى القرن الأول الميلادى، إلى أعالى الحجاز وإلى يثرب، بعد ظهور الروم على بلاد الشام وفتكهم بالعبرانيين احتماء بنبى عمومتهم، ولأن هذه الديار بعيدة عن متناول الروم[6]. هذا إلى جانب أن اليهود كانوا ينظرون إلى العرب، الساكنين شرق الحد العربى Limes Arabicus. على أنهم من نسل إسماعيل وإبراهيم، فهم من ذوى رحمهم

---

(١) جواد: **المفصل**، جـ ٦، ص ٥١١.

(٢) جواد: **المفصل**، جـ ٦، ص ٥١٣.

**تيماء**: بلد فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق. وتقع اليوم فى الجزء الشمالى الغربى من المملكة العربية السعودية، شمال مدينة العلا، وأرضها خصبة زراعية. انظر: كحالة عمر: **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ص ١٢٩). وتعد تيماء إحدى المدن القديمة التى لها دور كبير فى تاريخ شمال الجزيرة العربية السياسى والاقتصادى وذلك لوقوعها على الطريق التجارى بين الشمال والجنوب. (انظر: الانصارى، دكتور عبد الرحمن الطيب: لمحات عن بعض المدن القديمة فى شمال غربى الجزيرة العربية، بحث نشر فى **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة الأولى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، الرياض، ص ٨٢). وذكرت بعض النقوش التى اكتشفت حديثا فى حران سنة ١٩٥٦م أن نبونيد بنى فى تيماء مدينة جميلة فيها قصرا شبيها بقصره فى بابل. (انظر: الانصارى، د. عبد الرحمن: المرجع السابق، نفس المكان). ونبونيد، أونابونهيد، هو أحد ملوك بابل. وقد انتقل الحكم إليه بعد تعاقب ثلاثة من أسرة نبوخذ نصر على العرش فى مدى سبع سنوات ملؤها التفسخ والقلق، وكان من أسرة كهنوتية، واعتلا العرش عام ٥٥٥ ق.م، وكانت له طموحات سياسية كبيرة فغزا شمال سوريا حتى وصل حماة ووصل إلى غزة جنوبا ثم اتجه إلى واحة تيماء. (انظر: صالح، د. عبد العزيز: **الشرق الأدنى القديم**، جـ ١، ص ٥٦٠ ـ ٥٦١).

(٣) جواد: المرجع السابق، جـ ٦، ص ٥١٣.

(٤) *Islamic Culture*,, vol. 111. No. 2. April, I929, Judaeo–Arabic Relations in pre–Islamic Times, by Josef Horovity, p. I70.

اقتبسه جواد على فى كتابه **المفصل**، جـ ٦، ص ٥١٣.

**الحجر**: (بكسر الحاء وسكون الجيم): اسم ديار ثمود وادى القرى بين الشام والمدينة. (انظر: ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٢، ص ٢٢٠-٢٢١).

(٥) جواد: المرجع السابق، جـ ٦، ص ٥١٣.

(٦) جواد: نفس المرجع، جـ ٦، ص ٥١٨،

الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٠٧.

ويرجون اعتناقهم دين إبراهيم جد العرب واليهود(١).

ونحب أن نشير هنا، إلى أن بعض الباحثين المحدثين، كانوا يميلون إلى ارجاع صلة اليهود بالعرب، فى الحجاز ويثرب، إلى عصور موغلة فى القدم، ربما تصل إلى أكثر من ألف عام قبل ميلاد المسيح، أى بعد خروج بنى إسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام(٢). فقد لقى اليهود ـ أثناء تقدمهم نحو فلسطين والشام ـ عامة ـ مقاومة وعنتا شديد(٣). ولتعذر رجوعهم إلى مصر فلربما أن جماعات صغيرة منهم فضلوا اللجوء إلى الحجاز طلبا للأمان والعافية وفرارا مما هم فيه من ضنك العيش وقلة ما لديهم من «القثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم(٤)». وقد ضجوا بشكواهم تلك إلى موسى معبرين بذلك عن جدب سيناء(٥). ثم إن منطقة الحجاز ومعظم أجزاء جزيرة العرب كانت فى ذلك الحين من أشجر بلاد الله(٦).

ويذكر بعض المستشرقين أن القبائل العبرية فى عام ١٢٥٥ ق م ، قد توقفت فى سيناء والنفود فى هجرتها من مصر إلى فلسطين وأن موسى تزوج من امرأة عربية كانت تعبد الها صحراويا قاسيا يدعى ياهو، وهو الاله الذى دعى «يهوه» فيما بعد(٧). وفائدة تلك الرواية أنها تشير صراحة إلى وجود علاقات قديمة على عهد موسى بين اليهود والعرب الذين كان من طبعهم ـ حينذاك ـ التنقل طلبا للمرعى، سواء فى صحارى الجزيرة العربية أم فى صحراء سيناء. وكان ينظر إلى فلسطين على أنها امتداد طبيعى للحجاز وبالتالى كان من الطبيعى اتصال سكان كل منهما بالبلد الآخر(٨).

والمتتبع لروايات المؤرخين المسلمين عن صلة اليهود بالمدينة يجد أيضا إشارة إلى توغل هذه الصلة إلى عهد موسى عليه السلام، وهم يرجعون أسبابها إلى عوامل سياسية ودينية أحيانا(٩). فمن العوامل السياسية استفحال أمر العماليق، ساكنى يثرب والجحفة من أرض الحجاز، وتعدد إغاراتهم على بنى اسرائيل فى الشام مما جعلهم يضجون بالشكوى إلى موسى، فوجه إليهم جيشا وامرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدا، ففعلوا وتركوا منهم ابن ملك لهم يقال له الأرقم ثم رجعوا الى الشام وقد مات موسى، فقالت بنو اسرائيل لهم: قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم، فقالوا: نرجع إلى البلاد التى غلبنا عليها فنكون بها، فرجعوا إلى يثرب فاستوطنوها وتناسلوا بها(١٠).

(١) لاندو: الاسلام والعرب، (الترجمة العربية لمنير بلعبكى، بيروت، ١٩٦٢م)، ص ١٦،
جواد: المرجع السابق، جـ ٦، ص ٥١٤ (وانظر الهامش رقم ١، نفس المكان).
(٢) شنوده: اليهود، ص ٢٦ ـ ٢٩،
جواد: المرجع السابق، جـ ٦، ص ٥١١.
(٣) شنوده: اليهود، ص ٣٤.
(٤) شنوده: نفس المكان.
(٥) شنوده: نفس المكان.
(٦) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ١٥٩.
(٧) Landau. R; *Islam and the Arabs*, p. 13 (London, 1958).
وانظر الترجمة العربية لمنير البلعبكى (بيروت ١٩٦٢م)، ص ١٧.
(٨) جواد: المفصل، جـ ٦، ص ٥١٣.
(٩) السهيلى: الروض الأنف، جـ ٢، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١،
السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ١٥٧.
(١٠) السهيلى: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١.

أما من أرجع تلك الصلة إلى العامل الديني فيذكر أن موسى لما حج كان معه أناس من بني اسرائيل فلما كان في انصرافهم أتوعلى المدينة فرأوا موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراة، فإنه خاتم النبيين، فأشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع ثم تألفت أليهم أناس من العرب فرجعوا على دينهم[1]

وإلى جانب ذلك فهناك روايات لبعض مؤرخي الاسلام وغيرهم تذكر أن نزول اليهود في الحجاز إنما كان في أيام نبوخذ نصر أو بختنصر، بعد أن جاء فلسطين فهرب قسم منهم إلى وادي القرى وخيبر وتيماء، ويثرب واستقروا بها إلى مجيء الاسلام[2].

وقد وجدت اليهودية لها سبيلا بين العرب[3]، في حمير وبنى كنانه وبنى الحارث وكنده[4]، وغسان[5]، وبلى[6]، وفي الأوس والخزرج[7]. وبالنسبة للأوس والخزرج فقد ذكر عن تهودهم أن المرأة تكون مقلاتا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده[8]. وهذا يشير إلى أن اليهودية لم تكن في الأوس والخزرج بالشكل الكبير مما ينبى عن أن اعتناقها لم يكن عن اقتناع ورغبة. وهذا يحملنا على الاعتقاد بأن نظرة العرب إلى اعتناق الديانة اليهودية كان يشوبه شيء من الجفاء والنفور إلى درجة اعتبار اعتناقها قرينا للهلاك، بمعنى أن المرأة كانت تفضل أن يعيش ولدها حتى وإن كان يهوديا، فهو في رأيها أفضل من موته. ولو أن هذا لا يعدم وجود فئات قليلة بين القبائل العربية دخلت في الدين اليهودي لأغراض سياسية - فيما يبدو - مثل كعب بن الأشرف، وهو من طيء ثم أحد بنى نبهان، أتى أبوه المدينة

---

(١) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٥٧.

(٢) **Donyy, R.,** ***Die Isrealiten zu Mekka,*** **S. 135.**

اقتبسه جواد علي في كتابه **المفصل**: جـ ٦، ص ٥١٧ - ٥١٨. ونبوخذ نصر أو بختنصر: ملك بابلي أرسل جيشا إلى فلسطين وقتل ملك اليهود وسبى قومه في عام ٥٩٧ ق.م. (انظر: صالح «د. عبد العزيز»: **الشرق الأدنى القديم**، جـ ١، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٧٧).

(٣) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٥٩،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٢٢،
السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٧٩ - ٢٨٠،
جواد: **المفصل**، جـ ٦، ص ٥١٤ (انظر الهامش رقم ١، نفس المكان)،
رستم: **الروم**، ص ٢٤.

(٤) ابن قتيبة: **المعارف**، ص ٦٢١.

(٥) البلخي: **البدء والتاريخ**، جـ ٤، ص ٣١.

(٦) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٧) الطبري: **جامع البيان**، جـ ٣، ص ١٣ - ١٤.

(٨) الطبري: نفس المكان. ومقلات: وقيل مقلى، بكسر الميم والصواب ما قاله شعبه بن الحجاج وهو مقلات. واشتقاق المقلات من قلت لا من قلا. (انظر: نفس المصدر، جـ ٣٣، ص ١٤، وانظر الهامش رقم ١، نفس المكان). والمقلات أيضا: ناقة تضع واحدا ثم لا تحمل، وامرأة لا يعيش لها ولد. والجمع مقاليت. (انظر: البستاني: **محيط المحيط**، مجلد ٢، باب القاف مادة قلت، ص ١٧٤٩، وانظر الزمخشري: أساس البلاغة، ص ٥١٩).

فحالف بنى النضير فشرف فيهم وتزوج فيهم[١]، وجبل بن جوال بن صفوان بن بلال الذبيانى الثعلبى، وكان مع بنى قريظه[٢]، وحيى بن أخطب وهو فى بنى النضير[٣]، إذ ذكره بعضهم فى نسب عتيبه بن الحارث بن شهاب بن جدى التميمى فارس العرب[٤].

وهناك تهود جماعى، ويبدو أنه حدث فى الفترة ما بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين[٥]. فقد ذكر أن اليمن بأسرها قد دخلت فى الدين اليهودى وأصبح الدين الرسمى فيها[٦]. كما تهود قوم من بنى الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام[٧].

وما نستنتجه مما سبق هو وجود عرب تهودوا وأنهم كانوا يشكلون تجمعا خاصا، وهو ما يحملنا على ترجيح الاعتقاد بأن يهود بنى قريظة ويهود بنى النضير وبعض يهود الحجاز إنما هم عرب تهودوا.

وقد قيل فى نسب بنى قريظة والنضير أنهم فخذ من جذام[٨]. وذكر أن تهود أولئك كان فى أيام عاديا أى السموأل[٩]. وقد عاش السموأل وهو صاحب العلاقة المشهورة مع امرىء القيس الكندى[١٠]، ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين[١١].

ولو تناولنا ما ذكر حول إرجاع نسب بنى قريظة ونسب بنى النضير إلى بنى اسرائيل لوجدنا أن ما ذكر فى ذلك هو أنهم من أبناء الخزرج بن الصريح بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوى بن جبر بن النحام بن عازر بن عيزر بن

(١) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٥٩،
السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٢٢.
(٣) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٩.
(٤) السهيلى: **الروض الأنف**، جـ ٢، ص ٢٨٩.
(٥) جواد: **المفصل**، جـ ٦، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠.
(٦) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٢ وما بعدها،
اليعقوبى: تاريخ، جـ ١، ص ٢٥٧،
جواد: المرجع السابق، جـ ٦، ص ٥٣٧ وما بعدها.
(٧) اليعقوبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٥٧.
(٨) اليعقوبي: تاريخ، جـ ٢، ص ٤٩، ٥٢. وجذام: هو عمرو بن عديب بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. (انظر ابن حزم: **الجمهرة**، ص ٤١٩ ـ ٤٢٠). ويبدو أن بنى جذام قد ألفوا الشمال ورغبوا عن بلدهم ونسبهم الاصليين، أيام الأمويين، فقد ذكر أن روح بن زنباع وهو من بني أفصى بن حرام بن جذام، أراد أن يرد نسب جذام إلى مضر، فيقول: جذام بن أسدة أخى كنانة وأسد ابنى خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر. (انظر ابن حزم: نفس المصدر، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١).
(٩) اليعقوبى: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٢،
ضيف (د. شوقى): **العصر الجاهلى**، ص ٢٣٩.
(١٠) ابن خلدون: تاريخ، جـ ١، ص ٩١ ـ ٩٥، (طبعة القاهرة، ١٣٥٥هـ).
(١١) جواد: **المفصل**، جـ ٣، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٨.

هارون ابن عمران عليه السلام[١]. ولو أغفلنا ما ذكر من تسلسل فى النسب بعد الخزرج بن الصريح لرأينا أنها جميعها أسماء يهودية شملت بطبيعة الحال عددا من أسماء الأنبياء. ويبدو لنا أن وجود اسم الخزرج فى أول النسب إلى جانب أن معظم أسمائهم الأولى كانت عربية[٢]، يؤكد قدم صلتهم بالخزرج مكانا وربما نسبا عربيا وأن انتحال تلك الأسماء اليهودية بعد أسمائهم العربية إنما أريد به أضفاء الأهمية والاحترام عليهم بوصل أنسابهم إلى أنبياء ديانتهم.

وقد نسلم بالقول أن اليهود من بنى قريظة وبنى النضير، وهم حديثو الهجرة إلى يثرب، قد فضلوا اتخاذ الأسماء العربية بعد اختلاطهم بالعرب فى يثرب وتأثرهم بهم. إلا أن ذلك القول إن صدق على غيرهم فإنه يصعب أن يصدق على اليهود أو على أي أمة لها كيانها ومبادؤها ودينها. وقد كان اليهود، عند نزولهم يثرب، فى أوج قوتهم وسلطانهم[٣]. ولم يكن للعرب فى الجاهلية وقتها أى قوة أو تراث دينى حتى يمكننا القول أنهم فرضوا أسماءهم على اليهود[٤]، مثلما حدث ـ فيما بعد ـ سواء بالنسبة لليهود أو بالنسبة لغيرهم من الشعوب والأمصار المفتوحة[٥].

وقد ذكر أن للغة العبرية آثاراً ظاهرة فى أسماء الأماكن التى نزلها اليهود فى الحجاز مثل وادى بطحان بالمدينة، فإن معناه بالعبرية «الاعتماد»، ووادى مهزور بالمدينة أيضا معناه «مجرى الماء»، وكذلك لفظ أريس وهو يطلق فى اللغة العبرية والأرمية على الفلاح الحارث، وبئر رومه التى اشتراها عثمان بن عفان من يهودى معناها البئر العالية[٦]. وذلك يؤكد أن للجنس اليهودى القديم فى الحجاز، بعض الآثار اللغوية فى أسماء الأمكنة التى نزلوها، مما يبرهن به على ما ذكر، عن تأثير الطارئين على البلاد التى يحلون فيها.

ومن الأقوال التى ذكرت عن عروبة بنى النضير وبنى قريظة ما أورده السمهودى من أن قريظة كانوا يزعمون أنهم

---

(١) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ١٦١.
(٢) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠،
الشريف: مكة والمدينة، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.
(٣) كستر: الحيره ومكة، ص ١١،
الشريف: مكة والمدينة، ص ٣٠٦، ٣٢٠.
(٤) الشريف: نفس المرجع، ص ٣٢٠.
(٥) بارتولد (فاسيلى فلاديمر): تاريخ الحضارة الاسلامية، (الترجمة العربية لحمزة طاهر، ط ٣، القاهرة، ١٩٥٨م)، ص ٣٣، بروكلمان (كارل): تاريخ الشعوب الاسلامية، ص ٩٣ ـ ١١٩ وفى أماكن متفرقة.
(٦) ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب، ص ١٧.

من ذرية شعيب نبى الله، وكان شعيب من بنى جذام[١]. فإن صحت تلك الرواية لم يعد هناك شك فى عروبتهم.

ويبدولنا أن يهود بنى قريظة وبنى النضير وغيرهم كان سابقا لهجرتهم إلى المدينة. وفى هذا يقول السمهودى: أن الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى إسرائيل[٢] وبنو هدل هم بنو عم قريظة والنضير وليسوا منهم فإن نسبهم فوق ذلك[٣].

وتذكر الروايات التاريخية وجود لبني جذام في الشام وحسمى[٤]، وأن لهم منزلة كبيرة وزعامة بين عرب الشام[٥]. وهم في معظمهم نصارى[٦].

والنصرانية كانت الدين الرسمي للدولة الرومانية فكان اعتناقهم للدين المسيحي تعبيرا عن خضوعهم للدولة الرومانية[٧]. وهو ما ولد عندهم فيما نرى شعورا بالتمرد والخروج على دين الدولة.[٨]

---

(١) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ١٦٢. أما عن نسب شعيب (وهو نبى فى قوم يقال لهم «حضوراء»، من العرب البائدة، من بنى أرفخشذ بن يقطن ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ، ومن بنى عمومتهم جرهم وحضرموت والسلف). فأما حضورا فكانت ديارهم بالرس وكانوا أهل كفر وعبادة أوثان، وبعث إليهم نبى منهم أسمه شعيب بن ذى مهرع، فكذبوه وهلكوا كما هلك غيرهم من الأمم. (انظر: ابن خلدون: تاريخ، طبعة القاهرة، ١٣٥٥هـ، جـ١، ص ٤٦). ويذكر أن ديار جرهم كانت باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية. والنص الذى أورده ابن خلدون يلاحظ فيه أنه قد جعل حضورا أبناء عمومة لحضرموت ولجرهم، أى أن حضورا قبيلة جنوبية شأنهم فى ذلك شأن قبيلة جذام الجنوبية أيضا. وذكر أن ديار حضورا وهى الرس كانت لحضرموت (انظر جواد: المفصل، جـ ١، ص ٣٤٧). والنصوص التى بين أيدينا لا تساعدنا على اعطاء تفصيل واف عن جذام وحضورا أكثر من تلك الصلة المكانية، بالاضافة إلى ما سبق ذكره من زعم بنى قريظة أنهم من ذرية شعيب وكانوا من بنى جذام (انظر: ابن حزم: الجمهرة، ص ٣٣٤، السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٢). على اننا نجد فى الجمهرة أيضا، إشارة غير مباشرة عن قرابة جذام وحضورا حيث يجتمع نسبهم فى سبأ. فجذام هم بنو عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. (انظر ابن حزم: المصدر السابق، ص ٤١٨ ـ ٤٢١). أما حضورا فهو عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن الغوث بن أيم بن الهميسع بن حمير ابن سبأ. (انظر: ابن حزم: نفس المصدر، ص ٤٣٢ ـ ٣٤). وتقول اليمن أن من حضورا كان شعيب بن ذى يهدم. (انظر ابن حزم: نفس المصدر، ص ٤٣٤). فمن ذلك نرى أن جذام وحضورا يجتمعون فى سبأ واسمه عامر ابن حسنة بن يشجب بن يعرب بن يقطن بن قحطان، وإلى قحطان جماع اليمن. (انظر: ابن سعد: الطبقات، جـ ٣، ص ٤١٩).

(٢) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ١٦٠.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ ١، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٤) البلاذرى: فتوح البلدان، جـ ١، ص ٧١،
الزمخشرى: الجبال والأمكنة والمياه، ص ٤٢،
الكلبى: الأصنام، ص ٣٨.
دار جذام: حوالى أيلة على خليج العقبة، وهى من عمل الحجاز، وكان من أوديتهم ـ على عهد الرسول ـ وادى شنار. (انظر ابن اسحاق: السيرة، جـ ٤، ص ١٠٣٠، وانظر ايضا ابن حزم: المصدر السابق، ص ٤٢١).

(٥) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٠١١،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٢١٣.

(٦) البلاذرى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٧١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢١٣.

(٧) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٠١١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢١٣.

(٨) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٠١١.

ومما يدلل به على عروبة بنى قريظة وبنى النضير، عدم تقيدهم كثيرا بعادات اليهود، بادعاء نقاء العنصر وتحاشى المصاهرة مع الشعوب غير اليهودية النسب فإنك ترى فى بنى قريظة وبنى النضير وجود مصاهرات مع قبائل عربية مثل بنى ذبيان ابن ثعلبة[١]، وبنى تميم[٢]. وبنى نبهان من طىء [٣]وكندة[٤]. ثم إننا نجد أن متهودة العرب يحرصون على الانتساب إلى هاتين القبيلتين اليهوديتين دون غيرها من قبائل اليهود بالمدينة ويعتبرون أنفسهم منهم بالمصاهرة والانتساب[٥]، وهو انجذاب طبيعى اقتضته صلة الدم القوية بينهم كعرب وممارسة نفس التقاليد والاعراف العربية. وقد لاحظ هذا كثير من المؤرخين المسلمين عند ذكرهم لبعض اليهود المنسوبين فى بنى قريظة مثل عبد الرحمن بن الزبير بن يأطأ قال عنه ابن خياط: انه ليس من بنى اسرائيل[٦]، وذلك يؤكد ما ذهبنا إليه آنفا من أن هناك فرقا بين اليهود وبنى اسرائيل حيث أن لفظ اليهود قد يشير إلى الجنس والديانة معا بينما اقتصر لفظ بنى اسرائيل على الجنس دون غيره.

أما بالنسبة لبنى قينقاع فيبدو أنهم بقية عناصر اسرائيلية النسب وأن وجودهم فى يثرب يعود إلى ما قبل الميلاد. ونستنتج هذا مما سبق ذكره عن نزول بنى اسرائيل فى عهد موسى، يثرب على سكانها العرب القدماء من العماليق، حين أشير إلى نزولهم فى موضع سوق بنى قينقاع [٧]. وهذا التعريف مع ذكر اسم بنى قينقاع يحمل على الاعتقاد أنهم هم المعنيون بأول من سكن المدينة من اليهود، على فرض استبعاد امكانية تغييرهم لذلك الموضع أولا لعدم وجود روايات تذكر شيئا عن انتقال جماعى بهدف تغيير المسكن، وثانيا أن صغر رقعة المدينة المسكونة يجعل من المتعذر حدوث مثل ذلك بسهولة.

وقد كان الرسول (ص) ينظر إلى بنى قينقاع على أنهم أصحاب الكلمة والمعرفة بين يهود المدينة. ولذا فأنه حين رأى أنه من الضرورى استمالة اليهود للدخول فى الاسلام جمع بنى قينقاع بسوقهم ثم قال: يامعشر اليهود، احذروا من اله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة واسلموا فأنكم عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وفى عهد الله إليكم[٨].

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٢٢.
(٢) السهيلى: **الروض الأنف**، جـ ٢، ص ٢٨٩.
(٣) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٥٩،
السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.
(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠١.
(٥) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٩،
السهيلى: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٨٩،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠١، ٢٢٢.
(٦) **الطبقات**، ص ١٢٣.
(٧) السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٥٧.
(٨) الطبرى: تاريخ، جـ ٢، ص ٢٧٩،
السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

وبنو قينقاع كانوا دون سائر يهود يثرب أصحاب الصناعة والصياغة(١)، وهي من الحرف التي يأنف منها العرب ويرونها من الحرف الحقيرة(٢).

وهناك رواية يمكن اعتبارها نصا على نسبة بني قينقاع إلى بني اسرائيل. وهو ما نجده في حديث مخيريق الذي قيل إنه من بني قينقاع(٣)، وكان عالما وقد أوصى بأمواله للنبي (ص) وهي سبع حوائط فجعلها النبي (ص) صدقه(٤). وكان مخيريق قد شهد أحد فقتل بها فقال عنه رسول الله (ص): مخيريق سائق يهود وسلمان سائق فارس وبلال سائق الحبشة(٥)، وقيل مخيريق خير يهود(٦). والرسول (ص) جمع هنا بين أسماء رجال أسلموا، وعرفهم بنسبتهم إلى جنسياتهم ولو كان يقصد الديانه لقال مخيريق سائق اليهود وسلمان سائق المجوس وبلال سائق النصارى. وقد سبق أن تعرضنا إلى معنى التفريق بين لفظ يهود بدون الألف واللام والتي تعني النسب(٧)، واليهود بالألف واللام والتي يحتمل فيها وجهين النسب والدين(٨).

وقد أورد غير واحد من المؤرخين المسلمين نصا على أن بني قينقاع هم من ذرية يوسف عليه السلام(٩).

أما ما قد نجده في بني قينقاع من تشابه في اللغة والعادات مع سائر يهود يثرب فالظاهر أن مرده يعود إلى مجاورتهم الطويلة للقبائل العربية وإلى انقطاع صلتهم ببني جلدتهم في الشام من يهود، حتى أن هؤلاء لم يكونوا يرونهم مثلهم في العقيدة بل رأوا أنهم لم يكونوا يهودا لأنهم لم يخضعوا لأحكام التلمود(١٠).

والذي نراه أن سبب انعزال يهود يثرب وبعدهم عن بني جلدتهم في الشام بنبذ كثير من تقاليد اليهود، إنما يرجع إلى ظروف هجرتهم إلى الجزيرة العربية، سواء ما كان يرجع تاريخه إلى عهد موسى عليه السلام(١١). أو ما كان أيام

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٨١،
المطري: التعريف، ص ١٩ - ٢٠.
(٢) ابن خلدون: تاريخ، جـ ١، ص ٣٣٧ (طبعة بولاق، ١٢٨٤ هـ)،
جواد: المفصل، جـ ٦، ص ٥٣٦.
(٣) ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٣٩٣.
(٤) ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٣٩٣.
(٥) ابن حجر: نفس المكان.
(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٦٣.
(٧) السهيلي: الروض الأنف، جـ ٢، ص ٢٩١.
(٨) السهيلي: نفس المكان.
(٩) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ١٦٤،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٢٠.
(١٠) ولفنسون: تاريخ اليهود، ص ١٣.
(١١) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ١٥٧.

بختنصر حين اكتسح ديارهم في الشام[١]. فقد صاحب هجرة اليهود إلى يثرب ظهور خلاف بينهم وبين بني عمومتهم في الشام وهذا نستخلصه من حديث ابن شبه حين ذكر أن موسى وهارون أقبلا حاجين فمر بالمدينة، فخافا من يهود، فخرجا مستخفيين[٢]. وبصرف النظر عن صحة تلك الرواية إلا أنها تظهر أن هجرة اليهود إلى المدينة كانت نتيجة خلاف بينهم وبين يهود الشام. وإذا ما سلمنا بهذا الأمر فإن يهود المدينة، بحكم كونهم أقلية في محيط عربي كبير وجدوا أن من مصلحتهم كأقلية ليس لها سند خارجي، الاندماج - ولو نسبيا - في محيطهم الجديد لامتصاص ما قد ينشأ من رد فعل كثيرا ما يقابل به الغرباء من قبل أهل البلاد الأصليين.

أما بالنسبة للرواية، التي تذكر أن هجرة اليهود إلى يثرب إنما كانت لايمانهم بظهور نبي عربي منعوت في كتابهم، وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية، في قرية ذات نخل[٣]، وأن اليهود يرجون أن يلقوا هذا النبي فيتبعونه[٤]. فإنها تجعلنا نعتقد أيضا، أن اليهود، وقد آمنوا بأن هذا النبي سيظهر في بلاد عربية، فهو - ولا ريب - لابد أن يكون - في اعتقادهم - عربيا أو على الاقل لسانه عربيا. وعلى ذلك فلا غرابة أن يهيئوا أنفسهم ويربوا صغارهم على التشبع بالعادات والتقاليد العربية لينالوا الحظوة لدى هذا النبي المنتظر.

وهذه المرونه، الشاذه عن طبع اليهود، والخروج عن تقاليدهم المتزمتة التي لا تشجع - عادة - على الاختلاط بغير جنس اليهود، قد تجعلنا نعتقد أنها من عوامل دخول بطون بني قريظة وبني النضير، والذي ذكر أنهم من قبيلة جذام العربية[٥]، كما أنها أيضا، من عوامل دخول سواهم من العرب في الدين اليهودي، وبالتالي الهجرة إلى يثرب.

ويبدو أن تساهل يهود يثرب وخروجهم على بعض أحكام التلمود[٦]، بالإضافة إلى الوضع غير المستقر في الشام، حيث ظهر الروم على تلك البلاد وفتكوا بالعبرانيين، قد جعل منطقة يثرب مركز جذب لليهود، إحتماء بمن كان بالحجاز من بني اسرائيل[٧].

والغالب على طبيعة الهجرات اليهودية الأخيرة إلى يثرب أنها هجرات صغيرة أو على شكل عائلات ولذا فإنهم يحتمون بغيرهم من القبائل اليهودية ويساكنونهم. ومن أولئك بنو القصيص وبنو ناغصة وبنو هدل وبنو عمرو وبنو معاوية وبنو زعوراء وبنو زيد اللات وبنو حجر وبنو ثعلبة وأهل زهرة وبنو مرايه[٨].

---

(١) انظر: جواد: المفصل، جـ ٦، ص ٥١٧ - ٥١٨.
(٢) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦١.
(٣) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٦٠.
(٤) السمهودي: نفس المكان.
(٥) اليعقوبي: تاريخ، جـ ٢، ص ٤٩، ٥٢.
(٦) ولفنسون: تاريخ اليهود، ص ١٣.
(٧) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ١٦٠،
جواد: المفصل، جـ ٦، ص ٥١٨.
(٨) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٠ - ١٦٤. وقيل أن بني ناغصة حي من اليمن كانت منازلهم شعب بني حرام حتى نقلهم عمر بن الخطاب إلى مسجد الفتح. (انظر: السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٦٣).

وقد تكون تلك القبائل المذكورة قبائل عربية تهودت، مستدلين على ذلك من واقع أسمائها العربية. وقد تكون فعلا قبائل يهودية الجنس وجرى عليها في تغيير أسمائها وتقاليدها ما جرى لبني قينقاع. على أننا نميل إلى الاعتقاد بأنها قبائل يهودية الجنس وذلك إذا سلمنا بأن وجود اليهود في المدينة كان قديما وأن تسربهم كان مستمرا حتى أواخر القرن الخامس الميلادي ـ كما سبق أن ذكر خلال البحث، بالاضافة إلى ما سبق ذكره عن عروبة بني قريظة وبني النضير ـ مما يجعل من غير المعقول أن تكون بقية الجنس اليهودي في المدينة لا تتعدى العدد القليل الذي كان يمثل بني قينقاع عند اجلائهم من المدينة[١].

وما بين أيدينا من أخبار عن يهود المدينة لم يكن في حجم آمالنا لمعرفة الاحصاء التقريبي لهم. إلا أننا ـ مع هذا ـ لا نعدم وجود نصوص في هذا المجال تلقي بعض الضوء على الحجم التقريبي لليهود في المدينة.

فالنسبة لبني قينقاع نجد أن البالغين من الرجال يصل إلى حوالي سبعمائة رجل[٢]. ولعدم معرفتنا بعدد النساء والأطفال فسنفترض أن جميع أولئك السبعمائة متزوجين وأن المتوسط التقديري لعدد أطفال كل زوجين هو اثنان. وعليه يمكن القول أن عدد بني قينقاع يصل إلى حوالي ألفين وثمانمائة شخص.

وكذلك بنو قريظة لم تتعد معرفتنا لا حصائها عما ذكر عن عدد رجالها البالغين، وهم ستمائة أو سبعمائة[٣]، والمكثر فيهم يقول: كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة[٤]. وهو اختلاف بسيط يمكن التقريب بينه بأخذ المتوسط لتلك الاعداد وهو سبعمائة وخمسين رجل وقد ذكره أيضا الواقدي[٥].

وحسب قاعدتنا السابقة يمكن معرفة عدد نساء وأطفال بني قريظة حيث يكون الاحصاء التقريبي لبني قريظة هو ثلاثة آلاف شخص.

أما بنو النضير، وهم إحدى قبائل اليهود الثلاث الكبرى في المدينة. فلم نعثر على ما يخبر عن عدد رجالهم البالغين إلا أن ابن الحاج أورد نصا يعطي صورة تقريبية عن حجم النساء والصبيان في بني النضير وذلك عند حديثه

---

(١) ذكر أنهم كانوا حوالي سبعمائة مقاتل. (انظر: الطبري: التاريخ، جـ ٢، ص ٤٨٠).

(٢) الطبري: نفس المكان.

(٣) الطبري: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤٨٨،
ابن النجار: الدرة، ص ٥٤.

(٤) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٣، ص ٧٢١،
الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٨٨،
ابن النجار: المصدر السابق، ص ٥٤.

(٥) يقول الواقدي: كان حيي بن أخطب يقول لأبي سفيان بن حرب ولقريش في مسيره معهم: إن قومي قريظة معكم، وهم أهل حلقة وافرة، وهم سبعمائة وخمسون مقاتلا. (انظر: المغازي، جـ ٢، ص ٤٥٤ ـ طبعة اكسفورد).

عن اجلائهم حيث قال: «فلحقوا بخيبر ثم إلى الشام والحيرة وحملوا النساء والصبيان وغير ذلك على ستمائة بعير[١]». وهذا يجعلنا نميل إلى الاعتقاد أنهم في نحو عدد بني قينقاع أو بني النضير.

والمعروف أن إجلاء بني النضير قد تم قبل الخندق وقد كان عدد المسلمين في ذلك اليوم حوالي الثلاثة آلاف رجل[٢]. ولما حاصرهم الرسول (ص) عرض عليهم عبد الله ابن أبي، مساعدته بامدادهم بألفين من رجاله يدخلون معهم حصونهم[٣]. فكأن عبدالله بن أبي يريد بهذا ايجاد توازن بين القوتين لتعادل قوة المسلمين التي تصل إلى الثلاثة آلاف مقاتل.

أما بقية اليهود فلا نعرف عنهم شيئا أكثر من أنهم كانوا نيفا وعشرين قبيلة[٤]. ويحسن بنا عدم تحميل هذا القول أكثر مما كان عليه الحال عن تجمعات اليهود في يثرب والذي يتمثل في وجود ثلاث تجمعات قبلية كبيرة هم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة. إلا أننا لا نستبعد أن المقصود من إيصال عدد قبائل اليهود إلى هذا العدد الكبير هو إظهار كثرة تفرعاتهم وأنهم يمثلون قبائل عدة. وليسوا مقتصرين فقط على بني قريظة أو بني قينقاع وبني النضير الذين انتهى أمرهم في المدينة على عهد الرسول (ص). مما يعطي انطباعا بأن هناك أعدادا كبيرة من اليهود قد دخلوا في الاسلام وانصهروا كلية في مجتمعه بالمدينة، وأصبحوا جزءا من تركيبه وبنيته. وهو ما لا نستبعده، خاصة، وأن منطوق الصحيفة التي كتبها الرسول بعد هجرته كان يذكر عددا من اليهود منتسبين إلى كثير من بطون الأوس والخزرج ويعدون أمة مع المؤمنين[٥].

ولم ينزل اليهود في يثرب في منطقة واحدة بل تفرقوا فيها. وقد نقل السمهودي عن ابن زبالة ما ذكره عن سكنى اليهود المدينة فذكر أن جميعهم كان بزهرة، وهي أعظم قرى المدينة، ومنهم بنو ثعلبة وأهل زهرة وهم رهط الفطيون ملكهم وكان لهم أطام على طريق العريض حين تهبط من الحرة[٦]. كما نزل جمهورهم بيثرب بمجتمع السيول مما يلي

---

(١) رفع الخفاء، ورقة ٨٩.

(٢) الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ٥٧٠.

(٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٣، ص ٦٨٣،
الديار بكري: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٤٦٠.

(٤) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ٤٦٠. وقد ذكر أن ممن بقي بالمدينة من اليهود حيث نزلت عليهم الأوس والخزرج: بنو قريظة وبنو النضير وبنو ضخم وبنو زعوراء وبنو ماسكة وبنو القمعة وبنو زيد اللات، وهم رهط عبد الله بن سلام، وبنو قينقاع وبنو حجر وبنو ثعلبة وأهل زهرة وأهل زبالة وأهل يثرب وبنو القصيص وبنو ناغصة وبنو عكوة وبنو مراية. (انظر: ابن رسته: الأعلاق النفيسة، جـ ٧، ص ٦٢).

(٥) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٥٠.

(٦) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦١، ١٦٤.

زغابه[١]. إلا أن يهود يثرب قد بادوا ولم يبق منهم فيها أحد[٢].

ونزل بنو النضير على وادى مذينيب بالعالية واتخذوا عليه الأموال فكانوا أول من احتفر بالعالية الآبار وغرس الأموال[٣]. ونزل عليهم بعض قبائل العرب، فكانوا معهم، فاتخذوا الأموال وأبتنوا الأطام والمنازل[٤].

وما ذكره السمهودى من أن بناء الأطام والمنازل فى بنى النضير إنما كان بعد نزول بعض القبائل العربية عليهم يؤكد عروبة تلك العمارة[٥]، خاصة أن معظم من نزل على بنى النضير من القبائل العربية كانوا أحياء من اليمن كبنى الجذماء وقيل الجذمى[٦]، وبنى أنيف ومريد من بلى وبنى معاوية بن الحارث بن بهثه بن سليم من قيس عيلان[٧]. وبنى ناغصة[٨]. فمن غير المستبعد أن يكون أولئك العرب النازحين من اليمن قد حملوا معهم طراز عمارتهم إلى يثرب أو على الأقل طابعها العام.

ثم إنه قد ذكر أيضا أن العماليق كانوا أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل وعمر بها الدور والآطام قبل نزول اليهود عليهم فى مدينة يثرب[٩]. وذلك يعنى أن للعرب فى المدينة، معرفة سابقة فى بناء الدور والآطام قبل معرفة اليهود الوافدين عليهم. وليس كما حاول بعضهم أن ينسب بناء الأطام فى المدينة ومدن الحجاز عامة إلى اليهود، مدعيا أن تلك المناطق كانت غير آهلة بكثير من سكانها العرب وإن جموعهم كانت تتجمعها ثم ترحل عنها[١٠].

---

(١) السمهودى: الوفاء، جـ١، ص ١٦١.

(٢) السمهودى: نفس المصدر، جـ١، ص ١٦٥. والمقصود بيثرب هنا ما ذكره المطرى بقوله: يثرب اسم أرض ومدينة النبى فى ناحية منها. قلت وهى اليوم (يعنى عصره أواخر القرن السابع الهجرى) معروفة بهذا الاسم وفيها نخيل كثير ملك لأهل المدينة وأوقاف للفقراء وغيرهم. وهى غرب مشهد حمزة بن عبد المطلب. (انظر: التعريف، ص ١٩).

(٣) السمهودى: المصدر السابق، جـ١، ص ١٦١،
ابن رسته: الاعلاق النفيسة، جـ٧، ص ٦١.

(٤) السمهودى: المصدر السابق، جـ١، ص ١٦١.

(٥) مدنى (السيد عبيد): أطوم المدينة المنورة، بحث نشر فى مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، م ٣، السنة الثالثة، ص ٢٢٠.

(٦) ابن رسته: المصدر السابق، جـ٧، ص ٦٢.

(٧) السمهودى: المصدر السابق، جـ١، ص ١٦٢، ابن قتيبه: المعارف، ص ٨٥.

(٨) السمهودى: نفس المصدر، جـ١، ص ١٦٣. وقد ذكر ابن رسته ان بنى ناغصة حى من اليهود. (انظر: المصدر السابق، جـ٧، ص ٦٢).

(٩) ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص ٨٤. ونحب أن نشير هنا إلى أن هناك تشابها كبيرا بين وظيفة الأطام «وهى الحصون والبيوت المرتفعة». (انظر: المعجم الوسيط، جـ١، ص ٢٠) فى المدينة ووظيفة بعض قصور اليمن. فقد قيل أن للآطام مساطب عالية تشرف على ما حولها ويتنزه من فوقها. إضافة إلى مهمتها الدفاعية لاتقاء غارات من حولهم من الاعداء (انظر: الأنصاري، عبد القدوس: آثار المدينة المنورة، ص ٦٤). وبالنسبة لقصور اليمن ذكر أن الحمير يين بادروا بحكم الضرورة إلى بناء القصور والمعاقل المنيعة اتقاء غارات البدو. (انظر: حتى: تاريخ العرب، جـ١، ص ٧٥). كما استخدمت سطوحها متنزها، حيث جعل أعلى بعضها مجالسا بنوها بالرخام. (انظر: ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص ٢١٠، حتى: المرجع السابق، جـ١، ص ٧٥). مثل قصر غمدان فى صنعاء الذى يعزى إلى الملك ليشرح بن يحصب (انظر: ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص ٢١٠). وقد تولى الحكم خلال القرن الأول بعد الميلاد (انظر: حتى: المرجع السابق، جـ١، ص ٧٤). وهناك أيضا بعض الشبه فى شكل البناء بين الأطم وبعض قصور اليمن إذ أن كل منها كان على هيئة مربع وله سطح (انظر: حتى: المرجع السابق، جـ١، ص ٧٥، مدنى، السيد عبيد: أطوم المدينة المنورة، بحث نشر فى مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، م ٣، ص ٣، ص ٢١٤).

(١٠) ولفنسون: تاريخ اليهود، ص ١١، ١١٣ - ١١٧.

وقد أدى اكتظاظ منطقة العالية بسكانها من العرب واليهود إلى توسعهم نحو الغرب والجنوب الغربي بقباء. وقد ذكر منهم في قباء جماعات منها بنو القصيص وبنو ناغصة، كانوا مع بني أنيف قبل نزول الأوس والخزرج عليهم[(١)]. ونزلت بنو قريظة في دارهم بالعالية على وادي مهزور[(٢)]، وكان معهم اخوتهم بنو هدل وبنو عمرو[(٣)]، ونزل بنو زعوراء عند مشربة أم ابراهيم ولهم أطم عندها[(٤)]. أما بنو قينقاع، ومنهم بنو زيد اللات فكانت منازلهم عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية، وكان هناك سوق من أسواق المدينة وكان لهم أطمان عند منقطع الجسر على يمين الذاهب من المدينة إلى العالية إذا سلك الجسر[(٥)]. وقد تمتد مساكنهم إلى قباء[(٦)]. كما سكن من اليهود ناس بالشوط والعنابس والوالج وزبالة إلى عين فاطمة[(٧)]. وكان لأهل الشوط أطما يقال له الشرعبي، دون ذباب وقد صار لبني جشم بن الحارث بن الخزرج الأصفر أخوه بني عبد الأشهل[(٨)]. ولأهل الوالج أطما مما يلي قناة[(٩)].

وكان اليهود أصحاب الثروة والجاه لاحتلالهم أخصب المواقع في المدينة وهو ما خلق فيهم روح الغطرسة والتعالي على من كان معهم من العرب ممن حالفهم وجاورهم[(١٠)]. وقد عمل الأوس والخزرج على إذلال اليهود وتحطيم قوتهم وذلك بعد أن قوي مركزهم في المدينة واتصالهم ببني عمومتهم في الشام كسند لهم ضد قوة اليهود[(١١)]. فتوجه مالك بن العجلان مستغيثا بنفسه إلى الشام بعد أن قتل ملك اليهود الفطيون[(١٢)]. وهذه الحادثة يبدو أنها قريبة العهد بزمن الهجرة. ونستدل على ذلك بما ذكر من شهود أحد ولد مالك بن العجلان معركة بدر[(١٣)].

---

(١) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ١٦٣.

(٢) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٦١، ١٦٣.

(٣) السمهودي: نفس المكان.

(٤) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٦٤.

مشربة أم ابراهيم: موضع في المدينة شمالي مسجد بني قريظة في العالية قريب من الحرة الشرقية في موضع يعرف بالدشت على أيام المطري بين نخل يعرف بالأشراف، من بني قاسم بن ادريس بن جعفر أخي الحسن العسكري. (انظر: المطري: التعريف، ص ٥٢).

(٥) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٤.

جسر بطحان: هو المكان الذي ينبطح فيه وادي بطحان بدءه من شمال الماجشونية المعروفة اليوم بالمدشونية، وينتهي الجسر بين البئر المراكشية العائدة لآل عبد العال المراكشيين وبين البئر المشرفية. وهناك جسر بياضة وهو مجتمع منازل بني بياضة مع بني حبيب وبني دينار. ويذكر أيضا أن شمال الماجشونية هو أول مجرى وادي بطحان في مجتمعه مع وادي مذينيب ومهزور، وبقي من الجهات الناحية الغربية وهي المقصودة في بني قينقاع بالقول «عند منقطع الجسر أي أول مبتدأ بطحان مما يلي غرب الماجشونية وغربي جسر بطحان هناك». (انظر: العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، ص ١٨ - ١٩).

(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

ابن كثير: البداية والنهاية، م ٢، جـ ٣، ص ٢١١.

(٧) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ١٦٥.

(٨) السمهودي: نفس المكان.

(٩) السمهودي: نفس المكان.

(١٠) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٨٢.

(١١) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٧٩.

(١٢) السمهودي: نفس المكان.

(١٣) الواقد: المغازي، جـ ١، ص ١٦٧ (طبعة اكسفورد).

وكانت استجابة الغساسنة بالشام سريعة لنصرة الأوس والخزرج فأرسلوا قوة بقيادة أبي جبيلة إلى يثرب[(١)] ونزل في سفح جبل أحد وبعث إلى اليهود فقتل منهم ثلاث مائة وخمسين رجلا صبرا [(٢)] .

وبالقضاء على رؤساء اليهود ضعف أمرهم وتلاشى نفوذهم حتى صاروا هم الحلفاء للأوس والخزرج[(٣)] .

وبعد أن يئس اليهود من استعمال القوة ضد الأوس والخزرج عمدوا إلى الحيلة بالدس بين الحيين فكان لهم ما أرادوا فنشبت حروب كثيرة بينهما أضعفت كلا من الأوس والخزرج معا[(٤)] . حتى كانت وقعة بعاث ، قبيل الهجرة بخمس سنين[(٥)] ، والتي أنهكت تماما قوة الأوس والخزرج فمالوا إلى السلم مجبرين[(٦)] .

وقد زاد خوف اليهود من هذا الصلح بين الأوس والخزرج فبدأوا يتطلعون إلى ما كانوا يؤمنون به من ظهور نبي ، لم يكن في حسبانهم أن يتبعه الأوس والخزرج قبلهم ، وهم أصحاب الكتاب ، فكانوا يوعدون به الأوس والخزرج وأنهم سوف يتبعونه وينتصرون به عليهم[(٧)] . إلا أن سبق الأوس والخزرج إلى نصرة الرسول محمد (ص) واتباعه جعل اليهود يتراجعون عن ايمانهم به أو نصرته . وكان بينهم أفراد آمنوا بمحمد ، صلى الله عليه وسلم إيمانا صادقا لم تشبه مصالح دنيوية أو شخصية كيامين بن يامين[(٨)] ، وميمون بن يامين الحبر[(٩)] ، وعبد الله بن سلام وكان حبرا عالما[(١٠)] ، دخل في الاسلام عن ايمان واعتقاد. ولما في قصة اسلامه من تصوير دقيق للعقلية اليهودية ، زمن الهجرة وتجسيد لاخلاقياتهم ومتاجرتهم بعقيدتهم وايمانهم في سبيل مصالح شخصية ودنيوية فسوف نورد نصها بتصرف عن روايات المؤرخين المسلمين . فقد ذكر أن عبد الله بن سلام قال: لما سمعت برسول الله (ص) وعرفت صفته واسمه وهيئته وزمانه الذي كنا نتوكف له ، فكنت بقباء ، مسرا بذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله المدينة . فلما سمعت الخبر كبرت فقالت عمتي حين سمعت تكبيري لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت ، قال قلت لها : أي عمه والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به . . قال : فخرجت إلى رسول الله (ص) فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا . . وكتمت إسلامي من يهود وقلت: يارسول الله إن اليهود قوم بهت . فإنهم إن يعلموا

---

(١) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٩ .
(٢) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٨٢ .
(٣) ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٢٦٩، ٣٢٠،
السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .
(٤) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢١٥، ٢١٦ .
(٥) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢١٨ .
(٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ١، ص ٤١٧ ـ ٤١٨ .
(٧) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٩٢ .
(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٦٤٩ .
(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٧١ .
(١٠) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٦٤٩ .

بذلك يهتوني وعابوني[١].

ولقد أدرك الرسول (ص) طبيعة اليهود هذه. ولذا نجد أنه عند بدء تنظيم مجتمع المدينة الجديد يضع اليهود فى مكان مناسب، فى محاولة لهدايتهم وردهم إلى طريق الاسلام بموادعتهم ومعاهدتهم واقرارهم على دينهم وأموالهم[٢] ولم يطلب منهم أكثر من التزام جانب الحياد فى غزواته على أن ينصروه إذا مادهم المدينة عدو[٣]. ويقول ابن اسحاق فى هذا: «وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة»[٤].

وكان تاريخ هذه الموادعة بعد قدوم رسول الله (ص) المدينة بنحو خمسة أشهر[٥]. وقد جاء هذا الدستور فى شكل كتاب أو صحيفة من محمد النبى (ص) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم وأنهم أمة واحدة من دون الناس[٦]. ولم يحمل هذا الدستور اليهود أعباء مالية أكثر مما قد نسميه ضريبة حماية ينفقونها مع المؤمنين ماداموا محاربين[٧]، واعتبرهم أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم[٨].

وعمل الرسول (ص) على استمالة اليهود وتذكيرهم بأن معتقده فى الايمان بالله ورسله لا يختلف عن معتقدهم. فكان أن اتجه فى صلاته الى بيت المقدس، إلى أن حولت القبلة قبل بدر بشهرين إلى الكعبة[٩]. وقد ذكر الطبرى فى هذا: «وأن نبى الله (ص) خير أن يوجه وجهه حيث شاء، فاختار بيت المقدس، لكى يتآلف أهل الكتاب[١٠]». فكانت قبلته ستة عشر شهرا، وهو بذلك يقلب وجهه فى السماء، ثم وجهه الله إلى البيت الحرام[١١]. وهناك آخرون يرون أن استقبال بيت المقدس بعد الهجرة إلى المدينة، إنما كان بأمر من الله لنبيه أن يفعل ذلك[١٢]. وكان بعض

---

(١) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٦٠ - ٣٦١،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٦٤٩، ٤٧١.
(٢) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٤٨.
(٣) مجهول: فى سيرة الرسول، ورقة رقم ١٢، (مخطوط أوقاف بغداد).
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٠.
(٥) مجهول: المصدر السابق، ورقة ١٢.
(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٤٨.
(٧) ابن اسحاق: نفس المكان.
(٨) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٥٠.
(٩) ابن سعد: الطبقات، جـ ١، ص ٢٤١،
مالك: الموطأ، جـ ١، ص ١٩٦،
ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٧٣ - ٧٤،
ابن ظهيره: الجامع، ص ٢١ - ٢٢. وقد ذكر أن القبلة صرفت عن الشام إلى الكعبة فى رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم الرسول (ص) المدينة. (انظر: الطبرى: جامع البيان، جـ ٢، ص ١ - ٣).
(١٠) الطبرى: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤.
(١١) الطبرى: نفس المكان.
(١٢) الطبرى: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤ - ٥.

المسلمين - قبل ذلك - يرى وجاهة التوجه إلى الكعبة عند الصلاة، منذ الأيام الأولى التى سبقت الهجرة[١]. فقد ذكر فى حديث كعب بن مالك قال: «خرجنا فى حجاج قومنا وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور، كبيرنا وسيدنا، فقال: باها ولا، قد رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر، يعنى الكعبة، وأن أصلى إليها. قال: فقلنا. والله ما بلغنا أن نبينا (ص)، يصلى إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه. قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة»[٢].

إلا أن قلوب أحبار اليهود كانت تنطوى على عداوة وحسد وضغن، لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم[٣]. وكانوا يزعمون أنهم أبناء الله[٤].

والذى يبدو، أن اليهود وهم مركز الثقل فى الحياة الاقتصادية والمالية فى المدينة، شعروا بالخوف من انفلات تلك الهيمنة من أيديهم وهم يرون تزايد المهاجرين إلى المدينة وفيهم كبار رجال الاقتصاد والتجارة من قريش وثقيف. ومما زاد خوف اليهود، أن مركز المهاجرين الاجتماعى قد ازداد قوة بعد انتصارهم الحربى والسياسى يوم بدر. فلذا عمد اليهود فى مواقف لاحقة، إلى قطع العهد الذى بينهم وبين الرسول[٥] (ص)، بغية إضعاف ذلك المركز وهز الأوضاع المستقرة بزرع الشك والريبة فى مجتمع المدينة.

ولم يكن من عادة الرسول (ص) أن يبدأ أحدا حتى تظهر عداوته، فاتبع مع اليهود أسلوب اللين ودعاهم إلى الله بمحاجتهم وتذكيرهم بما فى كتابهم من نبوة محمد[٦] (ص). حتى أنه كان يسعى إليهم بنفسه فى بيوت عبادتهم وهى المدرأس فيدعوهم إلى الله ويحاجهم بما فى كتابهم[٧]. إلا أن اليهود ظلوا فى غيهم سادرين، وتفاقم شرهم إلى درجة تهديد حياة محمد رسول الله (ص) مما جعل الصحابة يكرهون أن يتجول فى المدينة بمفرده ليلا، خوفا عليه من اليهود أن يصيبوه بسوء[٨]. وقد تعدى تهديدهم للرسول (ص) إلى التحرش بالمسلمين والمجاهرة بإهانتهم[٩]، معتمدين في

---

(١) ابن قدامه: الاستبصار، ورقه ٣١.
(٢) ابن قدامه: نفس المكان.
(٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٥٨،
شلبى: التاريخ الاسلامى، جـ ١، ص ٢٥٤،
Holt P.M.; *The Cambridge History of Islam*. vol. 1. p. 44.
(٤) المائدة: ١٨، ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٤٩٢.
(٥) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٦٠، جـ ٣، ص ٦٨٢، ٦٨٤، ٧٠٠، ٧١٥-٤٢١،
البلاذرى: الانساب، ص ٣٠٨.
(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٨٥ - ٣٨٩،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٤٩٢.
(٧) الطبرى: جامع البيان، جـ ٣، ص ٢١٧.
(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.
(٩) ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٧٩،
البلاذرى: الأنساب، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

هذا على أن لهم سندا قويا هو عبد الله بن ابى[(١)]. إلى جانب ما اشتهروا به من شجاعة بين طوائف اليهود[(٢)].

غير أن حنكة الرسول (ص) جعلته يسارع إلى حسم الأمر بسرعة وفاجأ بنى قينقاع وحاصرهم وكاد أن يقتلهم جميعا جزاء خيانتهم ونقضهم العهد والميثاق[(٣)]. إلا أن الموقف اقتضى من الرسول (ص) أن أمر باجلائهم إلى الشام فنزلوا أذرعات[(٤)]، حاملين معهم أطفالهم ونساءهم وللرسول (ص) أموالهم وسلاحهم[(٥)]. وكان الرسول قد نفذ تلك الاجراءات بحق اليهود بعد أن أطلعه الله سبحانه فى القرآن الكريم على حقيقة نوايا اليهود بقوله: «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون[(٦)]». حيث ذكر أن هذه الآية نزلت فى اليهود الذين كانوا بنواحى المدينة على عهد رسول الله (ص)، توبيخا لهم في جحودهم نبوة محمد وتكذيبهم به مع علمهم به[(٧)].

وقد كرر بنو النضير غلطة بنى قينقاع بنقضهم العهد واعتمادهم على عبد الله ابن أبى وهو الرجل الضعيف والمتردد فى المدينة فاتبعوا مشورته وتحصنوا فى حصونهم على أمل أن يمدهم بألفين من رجاله[(٨)]. إلا أنهم أخيرا نزلوا على الجلاء إلى الشام وأن لهم ما أقلت الابل من الأمتعة إلا السلاح[(٩)].

وقد ظنت بنو قريظة أن قوة الاحزاب المحاصرة للمدينة ستكون خير معوان لها على محمد (ص) ولذا فقد نقضوا العهد وحالفوا أعداء المسلمين[(١٠)].

وقد اعتبر الرسول (ص) نقض بنى قريظة العهد فى هذه الظروف العصيبة خيانة عظمى عقابها الموت يستحقه

---

(١) البلاذرى: نفس المكان.

(٢) ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٧٩.

(٣) قال تعالى فى حق اليهود: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون». البقرة: ٢٧. وانظر أيضا (الطبرى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٨٢ - ١٨٣).

(٤) البلاذرى: الأنساب، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

اذرعات: من بلاد الشام. والتاء مكسورة ويقال لها يذرعات بالياء. (انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ١٩، الهمدانى: صفة جزيرة العرب، ص ٣٢٩).

(٥) ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٨٠.

(٦) البقرة: ٦.

(٧) الطبرى: جامع البيان، جـ ١، ص ١٠٨.

(٨) ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٨٨.

(٩) البلاذرى: المصدر السابق، ص ١٩،
ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٨٩.

(١٠) الواقدى: المغازى، ص ٢٩١ - ٢٩٢، (الطبعة الاولى).

مقاتلتها السبعمائة والخمسين رجلا(١). وقد أبقى الرسول (ص) على النساء والصغار واعتبرهم سبيا للمسلمين(٢).

وهذا الاجراء الذى اتخذه الرسول (ص) فى حق بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع من قتل وإجلاء هو إجراء سياسى وأمنى اقتضته ضرورة أمن مجتمع الاسلام فى المدينة ولم يكن دافعها تعصب دينى أو عرقى. فقد كفل الرسول (ص) لليهود حريتهم الدينية(٣). وعاملهم كأى طبقة فى المجتمع ارتبطت مع المسلمين بالمصاهرة أحيانا(٤). كما أن ذلك الاجراء لم يشمل بقية العناصر اليهودية فى المدينة والتى دخل بعضها فى الاسلام أو التى ظل بعضها الآخر على دينه.

ولكى تكتمل الصورة فى حديثنا عن اليهود كعنصر غير إسلامى فى مجتمع المدينة، يجدر بنا تناول تلك العناصر لمعرفة مدى تأثرها بالاسلام ونوعية تأثيرها فى المجتمع.

وبالنسبة لليهود، كعنصر بارز فى مجتمع المدينة أكثر من غيره من العناصر غير الاسلامية نجد أن الرسول (ص)، منذ بدء هجرته إلى المدينة عمل على جذب اليهود إلى دين الاسلام، وهم الذين كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج بمحمد قبل بعثته(٥). فكان الرسول (ص) يبعث إليهم جماعة من المسلمين منهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمه، لمجادلتهم بالتى هى أحسن بغية إدخالهم فى الاسلام(٦).

وقد تفاوت اليهود فى مدى الاستجابة لدعوة الرسول (ص) حتى قيل أنه لم يسلم من بنى النضير غير سعد بن وهب وسفيان بن عمير بن وهب(٧). وهذه الحالة تصدق أيضا على بقية طوائف اليهود فالقلة منهم استجابت لدعوة

---

(١) الطبرى: تاريخ، جـ ٢، ص ٤٨٨،
ابن النجار: الدرة، ص ٥٤،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٥٣٨. وكان ابن اسحاق قد ذكر عدد مقاتلة بنى قريظة بقوله: المكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة. (انظر: السيرة، جـ ٣، ص ٧٢١).
(٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠١،
ابن النجار: المصدر السابق، ص ٥٤.
(٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٥٠،
الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣٥٣.
(٤) الواقدى: المغازى، جـ ١، ص ٤١٠ - ٤١٢، (طبعة اكسفورد).
مجهول: فى سيرة الرسول، ورقة ٢.
(٥) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٤٧٣. وقال تعالى: «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به». البقرة: ٨٩.
(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٨٩،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٧٣.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٩.

الاسلام عن إيمان صادق[١].

وكان بعض أحبار يهود أسرع غيرهم إلى اعتناق الاسلام والايمان بمحمد رسول الله، بحكم معرفتهم السابقة بعلامات بعثه ونبوته[٢]. ومن هؤلاء الاحبار، عبدالله بن سلام[٣]، وكان يقول: عرفت صفته واسمه وهيئته وزمانه الذي كنا نتوكف له[٤]. وقد أسلم من أهل بيت عبد الله بن سلام أبناؤه محمد[٥]. ويوسف[٦]، وإخوانه سلمه[٧]، وثعلبة[٨]، وسلام ابن اخته[٩].

وآمن بمحمد من الأحبار أيضا يامين بن يامين وميمون بن يامين[١٠]، وزيد ابن سعنه[١١]، أو سعية[١٢]، وكان يقول: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه[١٣]، وعبد الله بن سالم[١٤]، وتمام بن يهودا[١٥]، ومخيريق، وكان حبر بني ثعلبة بن القطيون[١٦].

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب (هامش الاصابة، جـ ١)، ص ٦٨، ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٢٢، ٢٣١، جـ ٢، ص ٤٠٠. وكان ممن أسلم من عامة اليهود: جبل بن جوال بني صفوان بن بلال بن أصرم بن اياس بن عبد غنم بن جحاش بن مجاله بن مازن بن ثعلبه بن سعد بن ذبيان الشاعر الذبياني ثم الثعلبي، وكان يهوديا فأسلم. (انظر: ابن حجر: جـ ١، ص ٢٢٢)، وجريبج الاسرائيلي. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٣١)، وثعلبه بن سعية، وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد، وهم نفر من هدل، أسلموا ليلة نزول بني قريظة على حكم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، (انظر: ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٧١٩، ابن عبد البر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٦٨، ابن الاثير: أسد الغابة، جـ ١، ص ٦٩ - ٧٠)، وزيد بن سعية أحد أحبار اليهود، الذين أسلموا وكان أكثرهم علما ومالا وممن حسن إسلامه. (انظر: النووي: تهذيب الاسماء واللغات، جـ ١، ص ٢٠٤).

(٢) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٥٦٦.

(٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٦٠ - ٣٦١، ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٦٤٩.

(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٦٠ - ٣٦١، ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢١١ - ٢١٢، ٦٤٩.

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٣٧٩.

(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٧١.

(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٦٥.

(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٩٩.

(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٥٩.

(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٤٩، ٦٧١.

(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٥٦٦.

(١٢) النووي: تهذيب الاسماء واللغات، جـ ١، ص ٢٠٤.

(١٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٦٦.

(١٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٧١.

(١٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٨٣.

(١٦) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٩.

ويشكـل بنـو قريظـة أعلى نسبـة فى اعتنـاق الاسـلام بين اليهـود. وذلـك بحكم وجـودهم كسبى فى أيـدى المسلمين[١]. وكانت غالبيتهم من الشباب الصغار ممن شمله عفو الرسول (ص)، ولم يقتلوا[٢]. وقد ذكر ابن حجر أسماء أكثر من اثنى عشر قرظيا مسلما ممن كانت له صحبة أو رواية عن النبى[٣] (ص).

وعلى عهـد الـرسـول (ص)، كان يوجـد فى المدينة عناصر يهودية كبيرة بقيت على دينها مثل عبد الله بن صائد، كان أبوه من اليهود ولا يدرى من أى قبيلة هو، ولد على عهد رسول الله (ص)، وعاش مع أهله فى المدينة طوال عهد النبى[٤] (ص)، إذ أن النبى (ص)، حين مر به، يلعب مع الصبيان، كان غلاما لم يحتلم[٥]. ولأنه ولد على عهد رسول الله (ص)، فهو ربما كان يناهز العاشرة من عمره وهى مدة حياة الرسول (ص)، بالمدينة.

وقـد أعطيت تلك العنـاصـر حريـة ممارسـة ديانتها وطقوسها الخاصة بها[٦]. كما استعان الرسول (ص)، ببعض هؤلاء اليهـود واتخـذ منهم أدلاء له لمعـرفتهم بعض الطرق حول المدينة، ولم يجبر أحدهم على ترك دينه[٧]. ويذكر أن بعضهم قد أسلم على عهد أبى بكر الصديق[٨].

ومن غلمانهم من كان يخدمـه (ص)، وكـان يعـودهم فى مرضهم[٩]. وكـان ينظـر إلى اليهـود فى المدينة على أنهم معاهدون لهم حقهم من العدل والانصاف[١٠]. وقد تمتعوا بمركز مالى واقتصادى مرموق[١١].

ويبدوا أن جلاء بنى قينقاع وبنى النضير وقتل رجال بنى قريظة لم يؤثر كثيرا على عدد اليهود فى المدينة إذ كانوا نيفـا وعشـرين قبيلة[١٢]. كما لم يضعف من رغبتهم فى استعـادة نفـوذهم ومركزهم فى المدينة. وقد هالهم ما أصبح عليه

(١) ابن حجر: الاصابة، جـ١، ص ٥١٩، جـ٣، ص ٢٩٧.
(٢) البلاذرى: فتوح البلدان، جـ١، ص ٢٣،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٨٦.
(٣) وأولئك هم: عمارة بن سعد. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٨١)، وأبوثعلبة (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ٤، ص ٣٠)، وكثير بن السائب (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٢٨٦)، وكعب بن سليم بن أسد، والزبير بن عبد الرحمن بن الزبير، ورفاعه، وعطية أبناء قرظة، ورافع القرظى، ورفاعه بن سموأل، وأسد وأسيد أبناء كعب، وثعلبة بن أبى مالك (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ٢٠١، ٥٠١، ٥١٨، ٥١٩، ٥٨٤، جـ٣، ص ٢٩٧).
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ١٣٣ - ١٣٥.
(٥) ابن حجر: نفس المكان.
(٦) مسلم: الصحيح، جـ٢، ص ٦٤٣.
(٧) ابن حجر: الاصابة، جـ١، ص ١٨٧.
(٨) ابن حجر: نفس المكان.
(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٢، ص ٤٣٠.
(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ٣٦٦.
(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ٣٦٦، ٤٨٣، جـ٣، ص ٣٩٣،
البلاذرى: فتوح البلدان، جـ١، ص ١٨، ٢٥ - ٢٦.
(١٢) السمهودى: الوفاء، جـ١، ص ٢٦٥.

الأوس والخزرج من تآلف. فبدأوا يحيكون الدسائس ويشون بذور الفرقة ما وجدوا لذلك سبيلا. فمن ذلك قصة شاس بن قيس، وكان يهوديا، مر على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة فأمر شابا معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعاث[١]. وقد كادت أن تشب فتنة عمياء لولا تدارك الرسول صلى الله عليه وسلم، للأمر[٢].

وقد تطلب وجود هذا العدد من اليهود وغيرهم من المعاهدين فى المدينة أن وضح الرسول (ص)، معنى العشور بأنها ليست على المسلمين وإنما هى على اليهود والنصارى[٣]. وهذا الحديث يقودنا إلى ضرورة ذكر شىء مختصر عن العناصر الدينية الأخرى، غير اليهودية، فى المدينة.

**العناصر الدينية غير اليهودية فى المدينة**

وفى هذا نشير إلى أن صلة يثرب بالمسيحية، كانت قديمة وترجع إلى الأيام الأولى لانتشارها. فقد ذكر أنه كان يوجد كتابه فى حجر على قبر قديم عند جماء أم خالد بالعقيق[٤]، تذكر أن مبشرا من قبل عيسى بن مريم، قد أرسل إلى أهل هذه القريه[٥]، يعنى يثرب.

ومن ذلك يظهر أن العناصر غير المسلمة فى المدينة لم يقتصر وجودها على اليهود فحسب. إذ يبدو أنه كان يوجد إلى جانب المؤمنين واليهود بعض الصابئة والنصارى والمجوس. وقد جمعتهم آية فى قوله تعالى: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامه إن الله على كل شىء شهيد[٦]».

وإلى جانب ما ذكر عن قدم النصرانية فى يثرب، فقد بقى تأثيرها إلى العهد القريب السابق للهجرة[٧]. فقد ذكر

---

(١) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٩٦،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٨٧.
(٢) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٩٧،
ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٨٧.
(٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ١٦.
(٤) والجماء المذكورة هى إحدى أربعة أجبل، غربى وادى العقيق. (انظر: المطرى: التعريف، ص ٦٥ - ٦٦).
(٥) المطرى: نفس المكان.
(٦) الحج: ١٧. والصابئون: قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرأون الزبور. أما المجوس، فهم قوم يعبدون الشمس والقمر والنيران. (انظر: الطبرى: جامع البيان، جـ ١٧، ص ١٢٩).
(٧) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٥٦،
ابن قدامه: الاستبصار، ورقه ٧ - ٨،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ١٨٣.

ان أبـا قيس ابن أبى أنس كان رجـلا قد ترهب فى الجـاهليـة ولبس المسـوح وفـارق الأوثان واغتسل من الجنابة واعتزل الحائض من النساء وهم بالنصرانية ثم أمسك حتى قدم رسول الله (ص)، المدينة فأسلم(١) . وللتجار النصارى الذين كانوا يقدمون من الشام بتجارتهم، تأثير كبير فى نشر النصرانية بيثرب، وقد استهوت بعض شباب الاوس والخزرج فاعتنقـوهـا(٢) ومن هؤلاء شابـان من بنى سالم بن عوف تنصـرا قبـل أن يبعث النبى (ص)، ثم قدما المدينة فى نفر من الانصار بتجارة طعام فأتاهما أبوهما، ويقال له أبو الحصين وطلب منهما أن يسلما فأبيا(٣) . وقد ساء أبا الحصين أن يتنصر ولداه فأتى النبى (ص)، فذكر فقال له: لا إكراه فى الدين(٤) .

وقـد كانت الحجـاز، عامـة على صلة بالنصـرانيـة عن طريق اليمن فى العهـد الحبشى(٥)، وكـذلـك عن طريق العـلاقـات التجـاريـة مع الشـام قبيـل وبعـد البعثـة النبـويـة(٦) . كما كانت الحـيرة مركـز تأثـير نصراني إلى ما قبيل الاسلام(٧) . حيث ذكر أنه كانَ يوجد فيها قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا بها على النصرانية، وكانوا يعرفون بالعباد(٨) . وقد استمرت صلة التجار النصارى بالمدينة على عهد النبى (ص)، وأسلم بعضهم بالمدينة حين قدومهم بتجارتهم(٩) .

ويوجد فى المدينة، على عهد النبى (ص)، بعض النصارى، بقوا على دينهم، وكان الرسول (ص)، قد عرض على بعضهم الاسلام ولم يفرضه، فإن أبوا قسمت أموالهم نصفين وتركت لهم حريتهم الدينية(١٠)، وذلك ـ فيما يبدو ـ كان جاريـا على النصـارى المقيمـين فى المـدينـة وقد حدث جعدة بن هاني الحضرمي «أن النبي بعثه إلى رجل نصراني بالمـدينـة يدعـوه إلى الاسـلام، وقـال له: فإن أبى أقسم مالـه نصفـين(١١)». وظل بعض هؤلاء مترددا بين الإسلام والنصرانية ثم أسلموا على عهد أبي بكر(١٢) .

---

(١) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٦،
ابن قدامه: المصدر السابق، ورقة ٧ ـ ٨،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٨٣ .

(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١، جـ ٤ ، ص ٤٤ .

(٣) ابن حجر: نفس المكان.

(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٤ ـ ١٦،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٤٤ .

(٥) ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٥١٢.

(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤.

(٧) الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص ٣٤ ـ ٣٦،
سالم (د. السيد عبد العزيز): دراسات فى تاريخ العرب، جـ ١، ص ٦٥٥ .

(٨) ابن دريد: الاشتقاق، ص ١١، (القاهرة، ١٩٥٨م).

(٩) ابن حجر: المصدرالسابق، جـ ٢، ص ٤٦٧ .

(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٣٦ .

(١١) ابن حجر: نفس المكان.

(١٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

ويبدو أن معظم أولئك النصارى لم يستقروا بصفة دائمة فى المدينة، وإنما كانوا يغشونها لانجاز بعض شؤنهم التجارية، فقد ذكر أن كعب بن عدى التنوخى أقبل فى وفد من أهل الحيرة إلى النبى (ص)، ثم وقع له ولاصحابه تردد وخصوصا بعد وفاة النبى (ص)، وكان الذى يربطه بالمدينة ـ حينذاك ـ ما كان بينه وبين عمر بن الخطاب من شراكه فى تجارة البز (الثياب). وكان يقول: كنت شريكا لعمر بن الخطاب فلما فرض الديوان فرض لى فى بنى عدى بن كعب(١). وذكر أنه أقام لامسلما ولا نصرانيا، ثم حسن إسلامه على عهد أبى بكر(٢).

كما ذكر أن الغلام الذى أهدى مع ماريا واسمه مأبور القبطى ظل على نصرانيته ولم يسلم(٣).

ولا يستبعد أن يكون للمجوس، وهم عبدة النار من الفرس(٤)، وجود فى المدينة على عهد النبى (ص). وقد نستدل على وجودهم من حديث لعبيد الله بن عبدالله قال: جاء مجوسى إلى رسول الله (ص)، قد أعفى شاربه وأحفى لحيته(٥). كما ذكر أن مولى لرسول الله (ص)، اسمه ماناهية، وكان مجوسيا تاجرا، سمع بذكر الرسول (ص)، فخرج بتجارة معه من مرو (من بلاد خرسان) حتى قدم المدينة فأسلم(٦).

وكانت المدينة تستقبل قبل الهجرة كثيرا من الموالى الفرس، وهم فى غالبيتهم من المجوس مثل سلمان الفارسى الذى كان مجتهدا فى المجوسية ثم قدم الجزيرة العربية عبدا فابتاعه رجل من بنى قريظة فاحتمله إلى المدينة(٧).

ويذكر أن للمجوس وجودا فى اليمن، وفى حجر، وأن الرسول (ص)، أخذ منهم الجزية(٨). وبما أن المدينة ـ كما سبق أن رأينا ـ كانت قبيل الإسلام مركزا تجاريا هاما في الطريق التجاري بين اليمن والحجاز، وبين الشام والشرق. فمن غير المستبعد أن يتواجد تجار من المجوس في يثرب بغرض التجارة.

---

(١) ابن حجر: الاصابة، جـ٣، ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(٢) ابن حجر: نفس المكان.

(٣) الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ٢، ص ٣٨.

(٤) المسعودى: مروج الذهب، جـ٢، ص ٢٢٨،
الديار بكرى: المصدر السابق، جـ١، ص ٣٥١،
جواد: المفصل، جـ٦، ص ٦٩١.

(٥) ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ٤٤٩.

(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٣٨٥. ثم إن هناك تأثيرا على بعض المفردات المستعملة فى الجزيرة العربية والمدينة خاصة، مثل لفظ البرنى، وهو من ألوان التمر فى المدينة، وقال أبوحنيفة: معناه بالفارسية حمل مبارك، لأن بر معناها حمل، ونى معناها جيد أو مبارك، فعربته العرب فأدخلته فى كلامها. (انظر: السهيلى: الروض الأنف، جـ٣، ص ٢٥٠). ومن ذلك أيضا لفظ السروال فهى فارسية معربة. (انظر مالك: الموطأ، جـ١، ص ٣٢٥).

(٧) ابن اسحاق: السيرة، جـ١، ص ١٣٩ ـ ١٤٢،
الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ١، ص ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٨) البلاذرى: فتوح البلدان، جـ١، ص ٨٦.

ويبدو أن كثرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى جعل من الطبيعى أن ترتبط مصالحهم مع مصالح المسلمين فى المدينة بشكل كبير. فاستوجب ذلك تنظيما لبعض الأمور والحقائق ضمن تلك العلاقات، وخاصة فى مجال الأطعمة وما أحل منها وما حرم، فقال تعالى: «اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم»[(١)].

ويذكر فى هذا المجال أيضا أن زيد بن ثابت الانصارى النجارى، ترجمان الرسول (ص)، بالسريانية والفارسية والرومية والقبطية والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن[(٢)]. ونستدل من هذا النص على أن تلك الأجناس كان لها وجود بارز فى المدينة مكن أفرادها من حفظ ألسنتهم وتعليمها لمن أراد تعلمها من أهل المدينة.

## ٢ ـ الأوس والخزرج وحلفاؤهم من العرب

الأوس والخزرج حيان كبيران من أحياء قبائل اليمن[(٣)]. ويعدان جماع نسب الأنصار[(٤)]. والأنصار لقب إسلامى عرفوا به لنصرتهم رسول الله[(٥)] (ص)، وهم أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن أمرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن[(٦)] الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[(٧)]. وقيل هم من ولد ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان[(٨)]. واختلاف الروايتين فى تسلسل النسب لم يكن كبيرا وهو كثير الحصول عند النسابة في ذكرهم لأنساب القدماء. غير أن الملاحظ هو اجماعهم على أن نسبهم ينتهي إلى قبائل يمانية[(٩)].

وقد عرف الأوس والخزرج بين العرب فى يثرب باسم اليمانية، ومن تلك التسمية جاء اسم حذيفة بن اليمان

---

(١) المائدة: ٥.

(٢) الخزاعى: تخريج الدلالات السمعية، ورقة ٦٠ (مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية. رقم الميكروفيلم ١٥٨).

(٣) ابن حزم: الجمهرة، ص ٣٢٩،
السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ١٧٣.

(٤) ابن دريد: الاشتقاق، ورقة ٢١٤ (مخطوط بمكتبة السليمانية باسطانبول).

(٥) الأنفال: ٧٢،
ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٩٢، ٣٢١، ٥٠٧، السهيلي: الروض الأنف، جـ ٢، ص ١٨٣،
الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣٠٦.

(٦) ابن حزم: المصدر السابق، ص ٣٣٢.

(٧) ابن قدامه: الاستبصار، ورقة ٣ ـ ٤.

(٨) السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٣.

(٩) السمهودى: في نفس المكان.

العبسي، لما حالف أبوه بني عبد الاشهل الاوسيين سماه قومه اليمان لكونه حالف اليمانية[(١)]. واشتهروا أيضا باسم بني قيلة نسبة الى أمهم قيلة بنت عمرو بن جفنة. وقيل بنت كاهن بن عذره من قضاعة[(٢)].

وينقسم الأوس والخزرج إلى عدة بطون[(٣)]. فمن بطون الخزرج الكبيرة: بنو النجار، وهو تيم الله بن ثعلبة بن حارثة بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر[(٤)]، وهم أدنى أخوال عبد المطلب بن هاشم إليه. فإن أمه هي سلمى بنت عمرو بن حداس بن عامر بن عدى بن غنم بن النجار بن ثعلبة بن الخزرج[(٥)].

ومن الخزرج أيضا بنو مالك بن عدى بن غنم بن عدى بن النجار[(٦)]، ومنهم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، وهم بنو جديلة أمهم نسبوا إليها[(٧)]. ومنهم بنو عبيد بن ثعلبة، رهط أسعد بن زرارة[(٨)]، وبنو سواد بن غنم وبنو عبد عوف بن غنم، رهط أبي أيوب[(٩)]، وبنو مبذول وبنو مازن وبنو دينار وبنو ساعدة وبنو كعب بن الخزرج وبنو خدرة وبنو خدارة وبنو جشم وبنو سلمه وبنو حرام وبنو زريق وبنو بياضة وبنو سالم وبنو عمرو بن عوف[(١٠)].

أما أشهر بطون الأوس فهم: بنو عبد الأشهل وبنو زعوراء وبنو حارثة وبنو ظفر وبنو خطمة وبنو جحجبا وبنو واقف[(١١)].

ويرجع المؤرخون المسلمون دواعي هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب، وسكناهم فيها إلى حادثة سيل العرم وخراب بلاد اليمن[(١٢)]. فذكروا أن عمرو بن عامر مزيقياء سار عن مأرب هو ومن تبعه من الأزد[(١٣)]. فسكن كل بطن ناحية اختاروها، فسكنت خزاعة الحجاز، وسكنت غسان الشام، وتخلف الأوس والخزرج بيثرب، وكان فيها قرى وأسواق وبها قبائل من اليهود من بني اسرائيل وغيرهم[(١٤)].

---

(١) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٣١٧.
(٢) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٥، ١٧٦،
الديار بكري: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٠٦.
(٣) ابن حزم: الجمهرة، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٦.
(٤) ابن قدامه: الاستبصار، ورقة ٣ ـ ٤.
(٥) ابن قدامه: نفس المكان.
(٦) ابن قدامه: نفس المصدر، ورقه ٧.
(٧) ابن قدامه: نفس المصدر، ورقة ٨.
(٨) ابن قدامه: نفس المصدر، ورقه ١٠.
(٩) ابن قدامه: نفس المصدر: ورقة ٨، ١٤.
(١٠) ابن قدامه: نفس المصدر، ورقة ١٥ ـ ٤٦.
(١١) ابن قدامه: نفس المصدر، ورقة ٤٦ ـ ٤٧.
(١٢) ابن الاثير: الكامل، جـ ١، ص ٤٠١.
(١٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ١، ص ٦، ٧،
السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ١٦٦ ـ ١٧٢.
(١٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ١، ص ٤٠١.

ومع أن الغموض يكتنف أسباب وتاريخ هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب إلا أن ذلك لا ينفى حقيقة هجرتهم، والتى نميل إلى ارجاع زمنها الى الفترة الواقعة ما بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين. على اعتبار أن هجرتهم إلى يثرب كانت بعد هجرة بنى قريظة وبنى النضير(١). وقد سبق أن ذكرنا ذلك خلال البحث بأن هجرتهم إلى يثرب قد تمت خلال تلك الفترة(٢). وربما كان ذلك فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام حوالى القرن الرابع الميلادى وهو ما ذكره السمهودى(٣).

والذي يبدو، أن معرفة الأوس والخزرج بيثرب، كانت قديمة وسابقة لهجرتهم. وكان اختيارهم لهذه البقعة الحرية التربة، ذات النخل المطعمات فى المحل(٤). لأنهم كانوا أصحاب خبرة قديمة بشئون الزراعة. وقد لاقى هذا الأختيار - ولا ريب - قبولا ورضى من سكانها اليهود والعرب، ولذلك نجد أن الأوس والخزرج عاملوا اليهود زمانا فصار لهم مالا وعددا(٥). كما أنه عمل على ايجاد تكامل اقتصادى فى يثرب، كان عماده الصناعة والتجارة المحلية فى أيدى معظم اليهود(٦)، والزراعة وتربية المواشى فى أيدى الأوس والخزرج الذين جربوا أيضا حياة الترحل وتتبع القطر فلم تتفق واستعدادهم وما اعتادوا عليه(٧).

علما بأنه كان لليهود أيضا معرفة بشئون الزراعة الخاصة، بمعنى أن لكل عائلة تقريبا حائطا أو نخلا يعملون فيه بأنفسهم لسد حاجاتهم اليومية(٨). ولذا نجد أن لديهم يوم الخندق آلة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل. وقد استعارها المسلمون للحفر فى الخندق(٩).

وكان اليهود يشعرون فى قرارة أنفسهم بأنهم الأعز والأكثر(١٠). وقد وعى الأوس والخزرج - من جانبهم - تلك الحقيقة فسالموا اليهود بادىء الأمر وقبلوا معاملتهم وسألوهم أن يعقدوا فيما بينهم جوارا وحلفا يأمن به بعضهم من بعض ويمتنعون به ممن سواهم(١١). وقد ساعد هذا الحلف الأوس والخزرج على أن يوجهوا جل اهتمامهم إلى مجالات

---

(١) العدوى: أحوال مكة والمدينة، جـ ٢، ورقة ١١٢ - ١١٣،
ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٠١.
(٢) اليعقوبى: تاريخ، جـ ٢، ص ٤٩، ٥٢،
جواد: المفصل، جـ ٣، ص ٣٦٠ - ٦٨.
(٣) المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٦.
(٤) السمهودى: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٧١،
العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ورقة ١١٣.
(٥) العدوى: أحوال مكة والمدينة، جـ ٢، ورقة ١١٣.
(٦) المطرى: التعريف، ص ١٩ - ٢٠،
العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ورقة ١١٣.
(٧) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ١٧٢،
العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ورقة ١١٣.
(٨) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٦١.
(٩) الواقدى: المغازى، جـ ٢، ص ٤٤٥، (طبعة اكسفورد، ١٩٦٦م)،
المقريزى: امتاع الاسماع، جـ ١، ص ٢٢٠.
(١٠) العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ورقة ١١٣.
(١١) العدوى: نفس المكان.

الزراعة، حتى ملكوا الأموال وصار لهم عدد وقوة .

وقد بعث هذا التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى حياة الأوس والخزرج الخوف فى نفوس اليهود. فقطعوا الحلف الذى كان بينهم[١]. وهنا أحس الأوس والخزرج بضرورة وجود سند سياسى يعتمدون عليه ويردون به خطر ما تبيته اليهود لهم. ولهذا كان اتجاههم إلى الشام حيث بنو عمومتهم[٢]. والذى يظهر أنهم كانوا حلفاء مقربين لدى ملوك غسان ويحظون بمنزلة عظيمة[٣]. ولذا فقد أمدوهم بقوة استطاعوا بها كسر شوكة اليهود والقضاء على وجوههم ورؤسائهم فعزت بذلك الأوس والخزرج بيثرب[٤].

وقد تناول المؤرخون المسلمون تلك الحادثة على أنها مجرد استنجاد اقتضته التقاليد القبلية وحتمته[٥]. وهذا يجعلنا نطرح تساؤلا عن حقيقة الدوافع التى جعلت الأوس والخزرج يتجهون إلى الغساسنة بالشام ولم يتجهون الى القبائل العربية فى الحجاز، وهم أقرب إليهم، وكان منهم العديد من بنى عمومتهم[٦].

والذى يبدو لنا أن الغساسنة أنفسهم ربما هم الذين عرضوا على الأوس والخزرج المساعدة لدوافع سياسية كانت تستهدف القضاء على نفوذ اليهود بيثرب، ذات الموقع الاستراتيجي على طرق التجارة[٧]. خاصة وأن اليهودية قد تسللت إلى اليمن وصار لها بها أنصار على النطاق الرسمى[٨]. مما قد يجعل منها قوة قد تعرض الوجود المسيحى فى اليمن والحبشة لخطر كبير[٩]. ولذا فإن بنى غسان بالشام، وهم حلفاء الروم المدافعين عنهم لرد هجمات البدو[١٠]،

(١) العدوى: أحوال مكة والمدينة، جـ ٢، ورقة ١١٣ .
(٢) العدوى: نفس المكان،
ابن الأثير: الكامل، جـ ١، ص ٤٠٢ .
(٣) العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ورقة ١١٣ .
الشريف: مكة والمدينة، ص ٣٣٠ .
(٤) العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ورقة ١١٣ .
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٠٢ .
(٦) ابن الأثير: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤٠١ .
(٧) حتى: تاريخ العرب، جـ ١، ص ١٤٦ .
(٨) ابن اسحاق: السيرة، جـ ١، ص ١٩ - ٢٣،
ابن خلدون: تاريخ، جـ ١، ص ٩١،
**Landau, R.; *Islam and the Arabs*, pp. 16 – 17.**

(٩) يقول روم لاندو: «حوالى عام ٣٥٠م كانت اليمن وحمير قد أمستا مستعمرتين حبشيتين. . وحمل الأحباش النصرانية إلى جنوب بلاد العرب. . واكتسبت اليهودية اتباعا كثيرين من أفراد الشعب وكان بدافع النقمة على سادتهم النصارى أكثر مما كان ذلك بدافع من ايمان دينى عميق الجذور. وكانت المستعمرات اليهودية قد قامت قبل ذلك فى الجنوب وكانت قد أمست عند الغزو الحبشى موطدة الدعائم، بيد أنها كانت ضعيفة، عدديا ولم تشكل أى خطر كبير على الحكومة الا بعد مجىء النصرانية، ثم أن قوتها بلغت من العظم حدا يجوز معه للمرء أن يفترض أن الحملة العسكرية الحبشية المخفقة والأخيرة ربما سيرت انتقاما من اليهود الذين أساءوا معاملة السكان النصارى، وابتغاء تحطيم السلطان اليهودى فى المنطقة. (انظر: **Landau, R.; o.p.cit *pp. 16 – 17.***) .

(١٠) حتي: تاريخ العرب، جـ ١، ص ١٠٢ - ١٠٣، والروم، هو الاسم الذي اطلقه العرب قبل الاسلام وبعده على الرومان وحلفائهم البيزنطيين. (انظر: رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم وديانتهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، جـ ١، ص ٣، ط ١، بيروت، ١٩٥٥م) .

كانوا خير من يمد يد العون للأوس والخزرج للقضاء على نفوذ اليهود فى المدينة مثلما كانت الحبشة تقوم بدور المتصدى لقوتهم فى اليمن(١).

ولعل ما يبرر خوف النصارى بالشام من تزايد نفوذ اليهود ما كان من سابقة لاحبارهم فى التأثير على أحد ملوك اليمن حين مر بيثرب وهم بغزوها، فنصحوه بالعدول عن ذلك فانصرف عنها واتبعهم على دينهم(٢).

والعلاقة بين المسيحيين بالشام وبين الأوس والخزرج قد تفسر السر فى عدم تهودهم رغم مجاورتهم الطويلة لليهود وتأثرهم بهم فى كثير من العادات(٣)، وبعض المعتقدات(٤). ونحن بذلك لا نعتقد أن عدم تهود الأوس والخزرج يرجع إلى عدم توافر النية عند اليهود على نشر ديانتهم بطريقة مباشرة أو لأن نشرها من بعض الوجوه محظور على اليهود(٥). وقد سبق أن رأينا، أن لاحبار اليهود مساهمة كبيرة فى دخول أهل اليمن فى اليهودية بالاضافة لوجود كثير من العرب المتهودة، وهو ما ينقض ذلك الرأى.

وقد كان لهذا التدخل المسيحى دوره الكبير فى توطيد مركز الأوس والخزرج. فعزوا بيثرب وتفرقوا فى عاليتها وسافلها المعمور منها والعافى فنزلوه(٦). وكان هدف المسيحية الأول من ذلك أن توجد لها حلفاء أقوياء فى مناطق اليهود من الحجاز لكسر شوكتهم ولضمان عدم اتصالهم بيهود اليمن. ولربما أصبحت يثرب بقيادتها الجديدة من الأوس والخزرج نقطة انطلاق للقضاء على النفوذ اليهودى فى اليمن والجزيرة العربية كلها، خاصة بعد فشل جهود المبشرين النصارى فى نجران واليمن لادخال اليمن فى النصرانية(٧). وكان بمقدور المسيحية بالشام الاستعانة بقبائل مسيحية للقضاء على اليهود بيثرب، خصوصا وأن من بواعث ذلك الصراع ضد اليهودية يرجع إلى ما كان بينها وبين المسيحية من نضال دينى(٨).

غير أنهم وجدوا فى رغبة الأوس والخزرج أن يصبحوا سادة يثرب ويحصلوا على أموال اليهود ومستعمراتهم ما جعل مهمتهم أكثر سهولة وضمانا لنجاح مخططهم(٩). ويظهر أن سقوط اليمن بأيدى الفرس(١٠)، قد جعل دور الأوس

(١) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٤ وما بعدها.
(٢) ابن اسحاق: السيرة، جـ ١، ص ١٢.
(٣) المطرى: التعريف، ص ٤٩.
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٢،
العدوى: أحوال مكة والمدينة، جـ ٢، ورقة ١١٤،
أرنولد: الدعوة إلى الاسلام، ص ٤٢،
حسن (د. حسن ابراهيم): تاريخ الاسلام، جـ ١، ص ٩٣.
(٥) ولفنسون: تاريخ اليهود، ص ٧٢.
(٦) العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١١٣.
(٧) ابن اسحاق: السيرة، جـ ١، ص ١٩ - ٢٣.
(٨) ولفنسون: تاريخ اليهود، ص ٥٩.
(٩) ولفنسون: نفس المكان.
(١٠) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤١ - ٤٥،
ابن خلدون: تاريخ، جـ ١، ص ٩٥ - ٩٩.

والخزرج غير ذى أهمية كبيرة، كخلفاء فى وسط الجزيرة العربية للروم ضد اليهودية ومناصريها من الفرس الذين كان لهم بعض النفوذ على بنى قريظة والنضير في المدينة. حيث كانوا يدفعون الخراج لعاملهم من قبل مرزبان الزارة، خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادى[١]. ثم إن الأوس والخزرج لم يظهروا كفاءة ومقدرة لبناء دولة قوية، مع أن كل الظروف كانت مهيأة لذلك. فقد سيطرت الروح القبلية على سلوكهم فاتجهوا إلى اختلاق مصادمات كانوا في غنى عنها وشغلتهم عن مهمتهم الرئيسية. وكان لليهود أنفسهم ضلع في إثارة تلك الحروب بين الأوس والخزرج حين شعروا بخطر مهمتهم[٢]. على أن ذلك لا يعنى اغفال عوامل الثأر القبلى وما ينطوى عليه من حزازات، إلى جانب وجود المنافسة القائمة على الاستحواذ على الاراضى الزراعية الجيدة والرغبة في الاستئثار بها[٣].

ومن تلك الحروب حرب سمير، وهى أول حرب بينهم، وكانت أسبابها نزاع قبلى حول دية الحليف[٤].

وقد وجد اليهود فى استمرار ذلك النزاع بين الأوس والخزرج فرصة تضمن بقاءهم في خير البقاع من يثرب فحالفوا الأوس في حربهم ضد الخزرج[٥]. بعد أن علموا برغبة الخزرج فى الاستيلاء على منازل قريظة والنضير، وكانت خير البقاع[٦].

وكان يوم بعاث آخر الحروب بينهم[٧] وقد علمتهم درسا عرفوا منه حقيقة نوايا اليهود. ولذا نجد أن الخزرج لما انهزموا يوم بعاث ووضعت فيهم الأوس السلاح صاح صائح منهم مناديا في الأوس بأن يحسنوا ولا يهلكوا اخوانهم. فجوارهم خير من جوار الثعالب، يعنى اليهود[٨]، كما أن تلك الحروب أظهرت حقيقة الخواء الروحى والحاجة إلى الايمان والاستقرار فكانوا أسرع من غيرهم إلى الإسلام[٩].

---

(١) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ١٢٨ (ليدن، ١٨٨٩م)،

كستر: الحيرة وعلاقتها بالجزيرة العربية، الترجمة العربية د. خالد العسلي، بحث نشر في مجلة العرب، جـ ١١، س ٧ جمادي الاولى عام ١٣٩٣ هـ، ص ٨٥٧ ـ ٨٧٤. (وانظر ايضا حمد الجاسر: نفس المصدر، ص ٨٧٥).

الزرارة: موضع بقرب القطيف وقد درست فى القرن الرابع الهجرى. ولا زال موقعها معروفا يدعى الرمادة بقرب قرية العوامية. (انظر: الجاسر، حمد: مجلة العرب، نفس المكان).

(٢) هيكل (محمد حسين)، حياة محمد، ص ٢٣٥.

(٣) ولفنسون: تاريخ اليهود، ص ٥٩،

Watt; *Muhammad at Medina*. p. 155.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ١، ص ٤٠٣.

(٥) ابن الأثير: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤١٨.

(٦) ابن الأثير: نفس المصدر، جـ ١، ص ١١٧.

(٧) ابن الأثير: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٨.

(٨) ابن الأثير: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤١٧ ـ ٤١٨.

(٩) ابن الأثير: نفس المكان،

الذهبى: تاريخ، جـ ١، ص ١٧١.

وكـان أول معـرفـة للأوس والخـزرج بحقيقة ظهور نبي في مكة يدعو الناس إلى الاسلام. يرجع إلى العام الأول الـذي سبق يوم بعـاث، أي قبـل الهجـرة بخمس سنـوات(١). حيث بدأ في تلك الفترة اتصال الرسول (ص) ببعض رجـال الأوس والخـزرج الـذين كانـوا يفـدون إلى مكـة إما حجاجا أو معتمرين أو التماسا الحلف من قريش(٢). وأول اتصال كان مع سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف، قدم مكة حاجا أو معتمرا، وكان يسميه قومه فيهم الكامل لسنه وجلده وشعره، فتصدى له رسول الله (ص)، ودعاه إلى الاسلام(٣). فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخـزرج يوم بعـاث، فكـان رجـال من قومه يقولون: إنا لنرى أنه قتل وهو مسلم(٤). ثم قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، فأتاهم رسـول الله (ص) ثم ذكـر لهم الاسـلام وانصـرفـوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعاث ثم لم يلبث اياس أن مات وكانوا لا يشكون أنه مات مسلما(٥). وقيل قتل قبل يوم بعاث(٦).

ومع أن ذلك الاتصال لم يثمر إلا عن اسلام اثنين من الأوس، إلا أنه هيأ الأذهان والنفوس لأن يكون أهل يثرب من العرب أول من احتضن الاسلام وعمل على نصرته فيما بعد(٧). وفي هذا يذكر أن أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد القيس كانـا أول من قدم بالاسـلام المـدينـة، وكـانـا قد خرجا إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة فسمعا برسول الله (ص) فأتياه فعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما القرآن فأسلما ولم يقربا عتبة ورجعا إلى المدينة(٨).

وهنـــاك عوامـل عدة ساعـدت على جعـل الأوس والخـزرج أول من تفهم حقيقـة دعـوة الاسـلام وعمـل على مؤازرتها. ومن تلك العوامل ما حل بالأوس والخزرج من ضعف وافتراق بعد يوم بعاث، الذي قضى على كثير من

---

(١) الذهبي: تاريخ، جـ ١، ص ١٧٠ - ١٧١،
الديار بكري: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣٠٦،
ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٦٤.
(٢) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٨٩،
الذهبي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٠ - ١٧١.
(٣) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٨٩ - ٢٩٠،
الذهبي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٠، ١٧١.
(٤) الذهبي: نفس المكان.
(٥) الذهبي: نفس المكان. وقد ذكر في الاستيعاب أبو الحنيس بدلا من أبي الحيسر. (انظر: ابن عبد البر، هامش كتاب الاصابة، جـ ١، ص ١٠٣)، وقيل أنه أبو الجيش، أنس بن رافع. (انظر: الطبري: جامع البيان، جـ ٤، ص ٣٤). وهو تصحيف ظاهر، ومن غير المستبعد أن يكون في هذا التعدد شيء من الصحة لاحتمال أن ما ذكر هو فعلا أسماء متعددة لابنائه.
(٦) ابن اسحاق: المصدر السابق. جـ ٢، ص ٢٩١.
(٧) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٩٢،
الديار بكري: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣٠٦.
(٨) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ ١، ص ٧١.

زعمائهم(١). وقد اعتبر يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله (ص) فى دخول الأوس والخزرج فى الاسلام(٢)، مما سهل مهمة الرسول (ص)، فقدم المدينة وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم(٣).

والعامل الثانى جاء نتيجة تشبع الأوس والخزرج بالفكرة الدينية وطقوسها بحكم مجاورتهم لليهود وتأثرهم بهم(٤). وقد كان اليهود يستفتحون عليهم بخروج نبى سيتبعونه ويقتلون به الأوس والخزرج(٥)، الذين غلبوهم على أمرهم. فكان إذا وقع بينهم شيء تقول اليهود: إن نبيا سيبعث إلا وقد أظل زمانه فنقتلكم معه(٦).

وفكرة ظهور نبى جديد لم تكن شائعة فى يثرب فحسب بل إنها كانت منتشرة فى الشام واليمن(٧). فقد ذكر أن عبد المطلب بن هاشم لما وفد على سيف بن ذى يزن الحميرى لتهنئته بانتصاره على الحبشة قال سيف لعبد المطلب: إنى أجد فى العلم السابق أن يثرب استحكام ملكه وأهل نصره (أى محمد، صلى الله عليه وسلم(٨)). ولهذا كان دخول الأوس والخزرج فى الاسلام بهذه السرعة لا يمانهم ببعثته أولا، ولخوفهم أن تسبقهم يهود إليه ثانيا(٩).

والعامل الثالث الذى أسرع بدخول الأوس والخزرج فى الاسلام ونصرة نبيه هو التنافس والتفاخر القبلى بين الحيين. ذلك أن خوف الخزرج ـ فيما يبدو ـ من أن تسبقهم الأوس إلى دخول الاسلام ونصرة محمد (ص)، جعلهم يقطعون الطريق على إخوانهم من الأوس ويعلنون استعدادهم لمحالفة الرسول(١٠)(ص)، ويطلبون منه أن يهاجر

---

(١) السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٢٢، ٢٢٣،
ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٦٤.
(٢) الذهبى: **تاريخ**، جـ ١، ص ١٧١.
(٣) الذهبى: نفس المكان.
(٤) الذهبى: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٧٢،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٦٥، جـ ٣، ص ٣٧٨،
الاصفهانى: **الاغانى**، جـ ٤، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٥) الذهبى: **تاريخ**، جـ ١، ص ١٧٢،
السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٢٣،
العدوى: **أحوال مكة والمدينة**، جـ ٢، ورقة ١١٤.
(٦) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٢٩٢،
ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٦٤ (انظر الهامش، نفس المكان).
(٧) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ١١٦ ـ ١١٩،
العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ورقة ١١٤.
(٨) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ١١٦ ـ ١١٩.
العدوى: المصدر السابق، جـ ٢، ورقة ١١٤.
(٩) الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٢.
السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٢٢.
(١٠) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٢.
الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧١ ـ ١٧٢،
السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

إليهم ليدعو قومهم إلى أمر الله وإلى الاسلام(١).

وقد سبق أن عرفنا قدم العلاقات الطيبة بين قريش، قبيلة الرسول محمد (ص)، وبين الأوس. وذلك لما قدم أبو الحيسر مكة ومعه فتية من بنى عبد الأشهل يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج(٢). ولذا فإن الأوس مهيأون أكثر من غيرهم من الخزرج لمحالفة الرسول (ص)، على اعتبار أنهم أسبق من الخزرج فى الاتصال بالرسول (ص) فى مكة ومعرفة حقيقة دعوته.

على أن عامل التنافس ذلك لم يكن مجردا فى نفوسهم بل إن هناك عوامل دينية وقومية كانت تدفعه وتذكيه. ولهذا فإن الخزرج حين تشاوروا فيما بينهم قال بعضهم لبعض: تعلمون أنه النبى الذى توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه(٣). فهم بهذا مؤمنون بنبوة محمد (ص)، ومصدقون ببعثته. ثم إنهم قالوا للرسول محمد (ص): إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا إلى بلادهم ليدعوا قومهم وقد آمنوا وصدقوا(٤).

وهم بهذا يؤكدون غيرتهم القومية ورغبتهم فى عودة الصفاء بينهم على دين الاسلام. كما يظهرون حاجتهم إلى رجل يقتحم الخصام الذى قسمهم إلى معسكرين، ويقضى على الفوضى السائدة بينهم خصوصا وأنه كان رجلا حياديا لم يغمس بالخصومة المحلية القائمة بينهم(٥).

وقد كان من ثمار تلك الدعوة أنه لم يبق دار من دور قومهم إلا وفيها ذكر رسول الله (ص)(٦). فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأوس والخزرج اثنا عشر رجلا فلقوا رسول الله (ص)، بالعقبة، وهى البيعة الأولى(٧)، أو بيعة

(١) الذهبى: تاريخ، جـ ١، ص ١٧٢.
(٢) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٩١،
ابن الاثير: الكامل، جـ ١، ص ٤١٥،
الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٢،
(٣) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٢،
الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٢،
السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ٢٢٢.
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٢،
السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٢٢.
(٥) فلهاوزن: الدولة العربية (الترجمة العربية للدكتور يوسف العش، دمشق، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦م)، ص ١٣ - ١٤.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٣، ص ١٥٩،
الذهبى: تاريخ، جـ ١، ص ١٧٢،
ابو القاسم: المبعث والمغازى، ورقة ٥٦.
(٧) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٩٤،
ابن عبد البر: الاستيعاب، (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)، ص ٨٣ - ٨٤،
الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٢.

النساء[(١)] . وقد يسمون أهل العقبة الثانية[(٢)]، على اعتبار أن النفر الستة من الخزرج الذين وافوا الرسول (ص)، فى العام السابق كانوا أهل العقبة الأولى ولم يكن يومها بيعة[(٣)] .

وذكر أن بيعة النساء إنما كانت على السمع والطاعه فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى أن ينصروه إذا قدم عليهم يثرب فيمنعونه مما يمنعون به أنفسهم وأهلهم ولهم الجنة[(٤)] . ثم رجعوا إلى المدينة وكان رأس الدعاة أسعد بن زراره[(٥)]، وقد زاد عدد المسلمين على الاربعين فكان أسعد بن زرارة يجمع بهم[(٦)] . ثم أرسلوا إلى رسول الله (ص) وطلبوا منه معلما يعلمهم القرآن . فبعث اليهم مصعب بن عمير[(٧)] . وكان الأوس والخزرج قد كتبوا بذلك إلى رسول الله كتابا يطلبون إرسال من يعلمهم ويفقههم فى الاسلام[(٨)] . وقيل أن الرسول (ص)، بعث مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين، حال انصرافهم[(٩)] . فنزل على أسعد بن زرارة وكان يصلى بهم[(١٠)]. وقد أسلم على يدى مصعب خلق كثير من الأنصار، وكان يدعو الناس سرا[(١١)]، إلى أن أسلم سيد الأوس سعد بن معاذ وابن عمه أسيد بن حضير[(١٢)]. وقد ترتب على اسلام هاتين

---

(١) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٤،

ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٦٥ . وقيل بيعة النساء، أى وفق بيعة النساء التى نزلت بعد فتح مكة وهى أن لا نشرك بالله ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتر يه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثره علينا وأن لاننازع الأمر أهله.

(انظر: الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣١٦ - ٣١٧) .

(٢) ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٦٥،

الديار بكرى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣١٦ .

(٣) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ٢٢٢ - ٢٢٣،

الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٤) الذهبى: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٧٢ - ١٧٣،

ابو القاسم: المصدر السابق، ورقة ٥٦ .

(٥) الذهبى: تاريخ، جـ ١، ص ١٧٣ - ١٧٤،

ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٦٥ .

(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)، ص ٨٤،

ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٦٥،

الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٣ - ١٧٤،

(٧) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٩٦،

ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٦٥ .

(٨) ابو القاسم: المبعث والمغازى، ورقة ٥٦ .

(٩) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٦ .

(١٠) ابن اسحاق: نفس المكان .

(١١) الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٤ .

(١٢) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٧ - ٢٩٩،

ابن اسحاق: المصدر السابق، ورقة ٦٥،

ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٦٥ .

ابو القاسم: المصدر السابق، ورقة ٥٦ .

الشخصيتين أن تبعهما فى يوم واحد جميع بنى عبد الأشهل الرجال والنساء تقريبا(١)

وقد سجل بنو عبد الأشهل بدخولهم الجماعي فى الاسلام وبجهرهم بدعوة الرسول (ص)، فى المدينة سبقا على الخزرج بعد أن فاتتهم فضيلة السبق فى دخول الاسلام. وهو ما أثار - فيما يبدو - غيرة وغضب عامة بنى النجار، ممن لم يدخلوا بعد فى الاسلام ترقبا للنتائج الأخيرة. فأخرجوا مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد بن زرارة صاحبهم الذى كان ينزل عنده مصعب. فانتقل مصعب إلى سعد بن معاذ، سيد الأوس، يدعو آمنا ويهدى إلى الله(٢).

ويظهر أن تلك المنافسة كانت من القوة بحيث أننا نجد لها ذيولا حتى بين المسلمين من الأوس والخزرج أنفسهم، حتى قيل أن مصعب بن عمير كان يصلى بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض(٣).

وقد انتشر الإسلام فى يثرب بسرعة كبيرة جدا، وفى مدة وجيزة، حتى قيل أنه لم تبق دار من دور الأنصار إلا وبها رجال ونساء مسلمون(٤). إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد وخطمه ووائل وواقف وتلك أوس الله وهم من الأوس بن حارثة. فلم يزالوا على ذلك حتى مضت بدر وأحد والخندق(٥).

وقد جدد الأوس والخزرج دعوتهم لمحمد (ص)، أن يقدم عليهم يثرب وذلك بعد أن كثر المسلمون فى يثرب وفشا الاسلام بين دورهم(٦). يقول جابر بن عبدالله: واجتمعنا سبعين رجلا منا فقلنا: حتى متى نذر رسول الله (ص)، يطوف فى جبال مكة ويخاف؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه فى الموسم فواعدنا شعب العقبة فاجتمعنا من رجل ورجلين حتى توافينا عنده فقلنا: يارسول الله علام نبايعك؟ قال: على السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى أن تقولوا فى الله لا تأخذكم فيه لومة لائم وعلى أن تنصرونى إذا

---

(١) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٩،
الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٤ - ١٧٥.
(٢) الذهبى: تاريخ، جـ ١، ص ١٧٥.
(٣) الذهبى: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٧٣.
(٤) الذهبى: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٧٦ - ١٧٧.
(٥) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٩٩،
الذهبى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٦ - ١٧٧.
(٦) الذهبي: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٧٧. ويذكر الديار بكرى أنه في السنة الثالثة عشرة من النبوة قدم مكة في موسم الحج قريب من خمسمائة نفر وفي رواية ثلاثمائة نفر من الأوس والخزرج وخرج معهم مصعب بن عمير إلى مكة واتفق منهم سبعون رجلا. قال ابن سعد: يزيدون رجلا أو رجلين وامرأتان: نسبة بنت كعب أم عمارة وأسماء بنت عمرو. وقال ابن اسحاق: ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وقال الحاكم خمس وسبعون نفسا لاقوا رسول الله (ص) فواعدهم أن يحضروا شعب العقبة في الليلة الثالثة من ليالي التشريق للمبايعة. (انظر: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣١٧).

قدمت عليكم يثرب تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم ولكم الجنة(١).

وقد أكد الأوس والخزرج تأييدهم لدعوة الاسلام وايواء الرسول محمد (ص)، وأصحابه ومنعتهم مما يمنعون منه أنفسهم بعد هجرته (ص)، وأصحابه(٢).

وقد بلغ من حرص الأنصار على لقاء الرسول (ص)، أنهم لما سمعوا بهجرته صاروا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه فما يردهم إلا حر الظهيرة(٣). فلما نزل يثرب تدافعوا إليه كل يطلب منه أن ينزل بدارهم وكانوا يأخذون بخطام ناقته فيقول خلوا سبيلها فإنها مأموره(٤). ثم حط رحاله في دور بني النجار فنزل على بيت ابى أيوب الانصارى النجاري(٥). وكان أبو أيوب يقول: كنت في العلو فلما خلوت إلى أم أيوب قلت لها: رسول الله (ص)، أحق بالعلو منا. فما بتنا تلك الليلة، فلما أصبحنا قلت: يارسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب، والذى بعثك بالحق لا أعلو على سقيفة أنت تحتها أبدا(٦).

ولقد صح ايمان الأنصار وسمى على كل معنى لحلف أو عقد. ولذا فقد أصروا على أن يشركهم رسول الله (ص)، في غزوة بدر، وهي أول مرة يخرجون معه لقتال، وذلك لاشتراطهم في بيعة العقبة أن ينصروه بالمدينة فقط(٧). وقال قائلهم: لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعه لك، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك(٨).

وقد تعددت مواقف الانصار التي تبين مدى تغلغل الايمان في قلوبهم فمن ذلك ما كان يفعله أبو طلحه يوم أحد حين تطاول يحمي رسول الله من النبل ويقول: نحرى دون نحرك(٩). وقد اعتبر بعضهم التخلف عن غزوة تبوك

---

(١) الذهبي: تاريخ، جـ ١، ص ١٧٧.
(٢) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ١٩٥.
(٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٤١،
ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٦٨.
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٤١،
ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٦٨، ٦٩.
(٥) ابن الحاج: نفس المصدر، ورقة ٦٩.
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٠٥.
(٦) ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٦٩،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٠٥.
(٧) ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٧٤.
(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، م ٢، جـ ٣، ص ٢٦٢،
ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٧٥.
(٩) ابن قدامه: الاستبصار، ورقة ٩.

جرما يستحق عليه ربط نفسه فى سارية من سوارى المسجد حتى يكفر عن ذنبه[١]. وحتى صغارهم كانوا يعملون ما أستطاعوا عمله، حتى يبدو كبارا ويجيزهم رسول الله فى الغزوات إذ كان يرد من استصغر إلا من كان راميا[٢]، أو كان قوى البنية مصارعا[٣].

وكانوا يتحببون إلى رسول الله (ص)، بالهدايا رجالهم ونساؤهم، وكانت أم سليم، إمرأة من الأنصار، تتأسف على ذلك وما كان لها شيء، فجاءت بابنها أنس بن مالك وقالت: يخدمك أنس يارسول الله[٤].

وكأى مجتمع فيه الخير والشر وجد بين الأوس والخزرج ومعهم نفر من العرب[٥]، جماعة عرفوا بالمنافقين[٦]. وهم من أظهر الاسلام تقية، وكان رأسهم عبدالله بن أبى بن سلول الخزرجى[٧]. وقد وصفهم الله بقوله تعالى: «وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية[٨]». ولم يكن هوى المنافقين وكلمتهم مع المسلمين فكانوا يكيدون لهم ما وسعهم الكيد[٩]. وقد احتمل الرسول كل مايصدر عنهم من ايذاء وعاملهم فى الظاهر معاملة المسلمين[١٠]. ولم يسمع نصيحة من قال: ألا تقتلهم؟ لأن وجهة نظر الرسول (ص) كانت تستهجن أن يتحدث الناس بأن محمد ايقتل اصحابه[١١]. وهى وجهة نظر يتجلى فيها عمق التفكير وبعد النظر. فإذا لم يكن للمرء أن يقتل أصحابه خشية حديث الناس. فكيف يكون عليه الأمر إذا كان المقتولون أهله وبنى عمومته؟ ولهذا فقد دارى الانصار ولم يقتل من المنافقين أحد لأن فيهم الكثيرين من أبنائهم وآبائهم[١٢].

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٦٣١،

(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ٧٠.

(٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٢، ص ٧٨، ٧٩.

(٤) مجهول: **فى سيرة الرسول**، ورقة ٩،
الديار بكرى: **تاريخ الخميس**، جـ١، ص ٣٥٠،
المقريزى: **امتاع الاسماع**، جـ١، ص ٤٧.

(٥) قال تعالى: «وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم» براءة: ١٠١. ومردوا على النفاق، أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون. (انظر: الطبرى: **جامع البيان**، جـ١١، ص ٩، جـ٢٦، ص ٧٦ - ٧٧، ابن اسحاق: **السيرة**، جـ٢، ص ٣٧٣، ابن حجر: **الاصابة**، جـ١، ص ٣٥٧، جـ٢، ص ٣١٦).

(٦) قال تعالى: «واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الاغرورا». الأحزاب: ١٢. وانظر أيضا: ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٧٣ وما بعدها.

(٧) ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٧٢،

(٨) آل عمران: ١٥٤. وانظر ايضا: الطبرى: المصدر السابق، جـ٤، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٩) قال تعالى: «إن تمسسكم حسنة تسوءهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط». آل عمران: ١٢٠.

(١٠) ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٧٢.

(١١) ابن الحاج: نفس المكان.

(١٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ١، ١٥٠، ٥٦٤ - ٥٦٥، جـ٢، ص ٣٦٦.

والذى نرى أن المنافقين - وهم فى معظمهم من الأوس والخزرج لما يدخل الايمان فى قلوبهم - كانوا رجالا غلبت عليهم روحهم الوطنية والعصبية القبلية وحسدوا هذا الرجل الغريب فى المدينة، الذى خطف منهم الأنظار وحاز على النفوذ بمدينتهم. بعد أن كانوا قبيل الهجرة يستعدون لاحياء مناسبة وطنية هى تتويج عبد الله بن أبى بن سلول ملكا على يثرب[١].

ولا ريب أن الخزرج - خاصة - سيتيهون عجبا لو تم لهم ذلك وسيعدون تلك المناسبة من مناقبهم ومفاخرهم. ولا أدرى هل كان هناك علاقة بين هذه وبين قول القائل أنه لا يوجد فى بنى عبد الاشهل، (وهم من الأوس) منافق واحد[٢]؟، لأنه ربما أن الأوسيين، وهم الذين لم يمانعوا أن يحكمهم خزرجى بعد يوم بعاث على ما كان بينهم من عداوة، قد راجعوا أنفسهم فى أمر تنصيب خزرجى عليهم، فلم يجدوا غضاضة أن يحكمهم رجل محايد لا أعز منه وقد جمعهم الله عليه[٣].

وقد وجد اليهود فى المنافقين، ومعهم عبد الله بن أبى، خير عضيد لهم لمواجهة الرسول محمد (ص)، بيثرب[٤]. وربما أنهم علقوا الأمل فى استمرار نفوذهم على تمكن عبد الله بن أبى من أن يصبح ملكا على أهل يثرب[٥].

وكان من المبادىء الوطنية التى نادى بها المنافقون واعتبروها حقا من حقوقهم، طلبهم أن يكون الأمر لهم وليس لمحمد ومن معه[٦]، الذين ما فتئوا يثبتون أقدامهم فى المدينة، يشد أزرهم تتابع أعداد المهاجرين من كل القبائل وهو ما جعل الأنصار يمتلكون أكثرية ضئيله[٧]. ولهذا السبب كان انشقاق عبد الله بن أبى بمن معه من المنافقين يوم أحد وكان عددهم ثلاثمائة رجل[٨].

وكما أسلفنا - كانت مشكلة المنافقين الأولى هى عدم صحة إيمانهم[٩]، وإلا لتغلبت روحهم الاسلامية على سلوكهم القبلى الجاهلى.

---

(١) يقول ابن اسحاق: وأما عبد الله بن أبى فكان قومه نظموا له الخرز ليتوجوه، ثم يملكوه عليهم، فجاء الله تعالى برسوله (ص)، وهم على ذلك. (انظر: السيرة، جـ ٢، ص ٤٢٣).

(٢) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٠٦.

(٣) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ٢٢٢،
ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٦٤.

(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٨،
ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٧٢.

(٥) **Holt, P.M.;** ***The Cambridge History of Islam.*** **vol. 1. pp. 43 – 44.**

(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٣، ص ٥٨٤،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٤٤٣.

(٧) فلهاوزن: الدولة العربية، ص ٣٦.

(٨) ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٨١.

(٩) قال تعالى: «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين». البقرة: ٨.

وبإمكاننا أن نتعرف على مدى إيمانهم وشكهم من قول أحدهم (حصين بن نمير الانصارى)، لما أغار على تمر الصدقة فسرقه فقال له الرسول (ص): ويحك ما حملك على هذا؟ قال: حملنى عليه أنى ظننت أن الله لا يطلعك عليه فأما إذ أطلعك الله عليه وعلمته فإنى أشهد اليوم أنك رسول الله. وإنى لم أومن بك قط قبل هذه الساعة يقينا(١).

وقد قام المنافقون، إرضاء لعصبيتهم الوطنية والقبلية الجاهلية، ببناء مسجد عرف بمسجد الضرار مضاهاة لمسجد بنى عمرو بن عوف بقباء ولمسجد رسول الله(٢)، وكانوا يجتمعون فيه ويعيبون النبى (ص)، ويستهزئون(٣). وكان الذى بناه اثنا عشر رجلا هم: خدام بن خالد من بنى عبيد بن زيد، وثعلبه بن حاطب من بنى أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد أبو حبيبة بن الأذعر وعباد بن خيف من بنى عمرو بن عوف وجابر بن عامر وابناه مجمع وزيد، وفتيل بن الحارث ومخرج ومجاد بن عثمان سبعتهم من بنى ضبيعة، ووديعة بن ثابت من بنى أمية بن زيد(٤).

وكان المنافقون يشتركون مع المسلمين فى الغزوات، إنما كان دافعهم هو المغانم والأسلاب. ولذا قال أحدهم يوم الخندق (مغيث بن بشير): أوعدنا محمد أن يفتح قصور فارس والروم واليمن ولا يتبرز أحدنا إلى الخلاء من رحله، والله لغرور. وتابعه على ذلك رهط من المنافقين(٥).

وظل الرسول (ص)، يتبع مع المنافقين سياسة المداراة واللين فكان أن آمن معظمهم وأعلن توبته(٦). وكان الله تعالى قد أطلع الرسول (ص) على أسرارهم وعرفه اياهم فى سورة براءة(٧).

ومن خلال تتبعنا بالدراسة فى كتب التراجم كابن حجر (الاصابة) وابن قدامة (الاستبصار) لتراجم الصحابة من الانصار، تجلت لنا ميزة انفرد بها الأنصار أكثر من غيرهم، وتلك اتجاههم لطلب العلم وحرصهم على التفقه فى الدين. وهى ميزة جبلوا عليها نتيجة معايشتهم الطويلة لليهود، أصحاب العلم والكتاب، ورغبتهم الصادقة أن يتفوقوا عليهم ويبذوهم فى ذلك.

وقد بدأت هذه الرغبة فى طلب العلم والتفقه فى الدين منذ أن كان الرسول صلى الله عليه وسلم بمكه حين طلبوا

---

(١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٣٩.
(٢) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٦٦، السمهودى: الوفاء، جـ ٣، ص ٨١٥ - ٨١٩.
(٣) السمهودى: نفس المكان.
(٤) السمهودى: الوفاء، جـ ٣، ص ٨١٦ - ٨١٧.
(٥) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٣، ص ٧٠٦، الواقدى: المغازى، ص ٢٩١ (الطبعة الاولى).
(٦) ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٤٩١، جـ ٣، ص ٥٤٩.
(٧) انظر: الطبرى: جامع البيان، جـ ٢٦، ص ٦٠.

منه أن يرسل معلما يعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين(١). وقد اهتم منهم كثير بدراسة القرآن وجمعه على عهد رسول الله(٢).

وكان الرسول (ص) يرسل منهم إلى القبائل العربية أفرادا وجماعات يفقهونهم فى الدين ويقرئونهم القرآن(٣). وقد لاقوا عنتا ومشاق كثيرة فى مهمتهم تلك كيوم بئر معونه ويوم عضل والقارة قبله(٤).

ويعد أبى بن كعب الانصارى أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله تعالى(٥)، كما كان أسيد بن حضير بن سماك الأشهلى من أحسن الناس صوتا بالقرآن وهو أحد العقلاء والكملة من أهل الرأى(٦).

وقد عرف فى الأنصار جماعة وهبوا أنفسهم لدراسة القرآن، عرفوا بالقراء(٧). ولم يكن عملهم الديني هذا واهتمامهم العلمي ليشغلهم عن كسب عيشهم بأيديهم، فقد كانوا يحتطبون بالنهار ويتدارسون القرآن بالليل(٨).

كما أن اتجاه الأنصار العلمي لم يصرفهم عن خدمة رسول الله ودين الاسلام بأفكارهم وأعمالهم. فقد كان شعراء الانصار وخطباؤهم خير منافح عن الرسول والاسلام. وقد شهد وفد تميم لاولئك بالتفوق والمقدرة العظيمة فقالوا: إن خطيب القوم أخطب من خطيبنا وشاعرهم أشعر من شاعرنا(٩).

---

(١) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٢٩٦،
الذهبي: **تاريخ**، جـ ١، ص ١٧٣،
ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٦٥،
المراغي: **تحقيق النصرة**، ص ٣٠.
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٢٥٠،
ابن قدامة: **الاستبصار**، ورقة ٧.
(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٦٦.
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٧٤، ١٨١، ٣٦٢، ٤٠٢، ٥٦٦،
ابن قدامة: المصدر السابق، ورقة ٢١
ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٨٧.
(٥) ابن الأثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ٧١ - ٧٢،
ابن قدامة: المصدر السابق، ورقة ٨.
(٦) ابن عبد البر: **الاستيعاب، (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)**، ص ٥٤.
(٧) ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٨٧.
(٨) ابن الحاج: نفس المكان.
(٩) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ٩٩١،
ابن قدامة: **الاستبصار**، ورقة ٢٥.

وكان عبد الله بن رواحة الانصارى، الشاعر المشهور، يكتب للنبى (ص)، وشهد كثيرا من الغزوات وبعثه الرسول (ص) فى ثلاثين راكبا إلى خيبر، وكان نعم الرجل(١). كما بعث بشير بن سعد الانصارى إلى فدك فى سرية(٢).

واشتهر بعضهم بشجاعته واقدامه وقت القتال(٣). ولقد حذق الأنصار فنون الحرب وآلتها، وأدرك الرسول (ص) تلك الموهبة وقدرها فيهم(٤). كما كان لهم أيضا معرفة بالطرق كأدلاء فى مواقع القتال وغيرها(٥).

وتكملة لحديثنا عن الانصار، سنتحدث عن حلفائهم من العرب فهم يعتبرون أفرادا من الأوس والخزرج بالحلف(٦).

وأصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق على أن يكون الأمر واحد بالوفاء(٧). وهو علاقة اجتماعية قل أن ترفضه قبيلة ما لأنه يعبر عن قوتها. فطالب الحلف كثيرا ما كان قد أصاب دما فى قبيلته فهرب إلى القبيلة الأخرى يطلب حلفها وحمايتها(٨). كما أن الحلف يعبر عن قوة القبيلة ويظهر استقلالها. فقد قيل أن حارثة الأوقص كان رجلا متعبدا يطوف حول بيت فيه صنم لهم. فقيل له إن بيتا بمكة يتعبد له أهله وكل من جاء من العرب. قال: فهو أولى من هذا البيت لأخرجن إليه. قالوا: إنك لا تستطيع أن تقيم به إلا أن تحلف أهله، فخرج حتى قدم فحالف أمية بن عبد شمس(٩).

وقد يسمى الحليف باسم حلفائه كما حصل لوالد حذيفة بن اليمان العبسى كان قد أصاب دما، فهرب إلى المدينة، فحالف بنى عبد الاشهل، فسماه قومه اليمان لكونه حالف الأوس وهم من اليمن(١٠).

وقد تكون المصاهرة خارج القبيلة، إحدى دواعى المحالفة، كما هو الحال لدى سمرة بن جندب بن هلال الفزارى قدمت به أمه بعد موت أبيه فتزوجها رجل من الأنصار فصار حليفا لهم(١١).

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٥٨.
(٣) ابن الأثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ١٧٢.
(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٨٦.
(٦) إبن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣١٧. والحلف: بكسر الحاء وبفتحها أحيانا: القسم. يقال: حلف يحلف حلفا وحلفا ومحلوفا والحلف بالكسر: العهد يكون بين القوم لأنه لا يعقد إلا بالحلف والجمع احلاف، وقد حالفه محالفة وحلافا وهو حلفه وحليفة. أى عاهدة، وتحالفوا: تعاهدوا. وحالف الرجل بين جماعتين آخى بينهم. (انظر: ابن سيدة: **المحكم**، جـ ٣، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١، ابن منظور: **لسان العرب**، جـ ٩، ص ٥٣، طبعة دار صادر، بيروت).
(٧) ابن منظور: **لسان العرب**، جـ ٩، ص ٥٣ ـ ٥٤.
(٨) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٣١٧.
(٩) ابن حبيب: **المنمق**، ص ٢٨٥.
(١٠) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣١٧.
(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٨.

ثم إن علاقات الجوار والرغبة في طلب فرص معيشية أفضل تعد إحدى الدوافع لمحالفة أفراد قبيلة ما لقبيلة أخرى. وهذا ما يمكن ملاحظته في كثرة حلفاء الأوس والخزرج من بلى وجهينة، وقد ذكر منهم ابن حجر(١) حوالى خمسين صحابيا بلويا وجهنيا. فمن بلى أكثر من العشرين ونحو ذلك العدد من جهينة.

وكان ابن زبالة قد ذكر أن ممن كان من العرب مع يهود بيثرب، قبل الأنصار هم بنو أنيف، حي من بلى(٢)، وقيل أن بني أنيف من ولد جشم بن تميم بن عوذ مناة بن تاج من بلى(٣). وقد عد بنو أنيف في الأنصار لمحالفتهم لهم(٤).

ويلتقى نسب جهينة مع بلى في الحافي بن قضاعة(٥). وتقع مساكنهم على ساحل البحر الأحمر من جنوبي ديار بلى حتى ينبع(٦).

ويلى بلى وجهينة في كثرة الحلفاء، قبيلة أشجع، فمنهم ما يقارب العشرين صحابيا(٧). وأشجع من غطفان بن قيس عيلان(٨). وتقع منازلهم بضواحي المدينة(٩).

وقد ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة(١٠)، بعض أسماء القبائل العربية التي كان منها أفراد حالفوا الأوس والخزرج هم: مزينة، عبس، تميم، بجيلة، فزارة، أزد شنوءة، أسد بن خزيمة، غطفان، جذام، سليم، بهران، كندة، خزاعة، قضاعة، أسلم، حمير، حضرموت، قريش، سعد العشيرة، عكل. ولم يتعد ماذكره ابن حجر من كل قبيلة العشرة أشخاص تقريبا.

---

(١) الاصابة، في أماكن متفرقة من الأجزاء الأربعة. وبنو بلى هم من ولد بلى بن عمرو بن الحافي بن قضاعة. (انظر: ابن حزم الجمهرة، ص ٤٤٢). وتقع مساكنهم بين المدينة ووادى القرى من منقطع دار جهينة إلى حد دار جذام بالنبك، على شاطىء البحر الأحمر. ثم لها ميامن البر إلى حد تبوك ثم إلى جبال الشرارة، ثم إلى معان، ثم راجعا إلى أيله. (انظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٧٣، كحالة: معجم قبائل العرب، جـ١، ص ١٠٥). والنبك: هو المعروف الآن باسم المويلح. (انظر: الحربي: كتاب المناسك، ص ٦٥١، تحقيق حمد الجاسر، الهامش رقم (١)، نفس المصدر، ص ٢٧٣).

(٢) السمهودي: الوفاء، جـ١، ص ١٦٢.

(٣) ابن حزم: المصدر السابق، ٤٤٢.

(٤) ابن حزم: نفس المكان.

(٥) ابن حزم: نفس المصدر، ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

(٦) كحالة: المرجع السابق، جـ١، ص ٢١٤.

(٧) ابن حجر: المصدر السابق، في أماكن متفرقة من أجزاء الكتاب الأربعة.

(٨) ابن حزم: المصدر السابق، ص ٢٤٩.

(٩) كحالة: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٩.

(١٠) انظر الأجزاء الأربعة في أماكن متفرقة.

**٣ ـ الموالى والعبيــد**

يشكـل المـوالى فى مجتمـع المدينة فى العهد النبوى، طبقة اجتماعية كبيرة[١]. وقد روى عن النبى (ص) أنه قال: يامعشر الموالى شراركم من تزوج فى العرب[٢]. ونحن وإن كنا لا نجزم بصحة ذلك الحديث أو ضعفه، إلا أنه يعطى فكرة واضحة عن تميز طبقة الموالى فى مجتمع المدينة. وأن غالبيتهم كانت من غير العرب. كما أنه ـ فى نظرنا ـ لا يخرج عن كونه تنظيما اجتماعيا اقتضته ظروف تلك الفترة، ولسد أبواب الذرائع، فهو لا يحمل معنى النهى بداعى العصبية أو العنصرية. فقد قيل للرسول (ص): إن فلانا المولى تزوج فى الانصار. فقال: أرضيت؟ قال: نعم، فأجازه[٣]. كما أن القرآن الكريم كان يؤكد على انعدام الطبقية فى المجتمع المسلم بمعناها البشع ومفهومها الضيق العام[٤].

على أن ذلـك لا يعني عدم وجـود فئـات في المجتمـع الاسلامي لم تقف أمام تلك المساواة محاربة لها. فقد ذكر أن الأقـرع بن حابس التميمي، وعيينـه بن حصن الفـزازي وغـيرهم جاءوا فوجدوا النبي (ص) قاعدا مع بلال الحبشي وصهيب الرومي وعمار بن خباب في أناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم. فأتوا النبي (ص) فقالوا: إنـا نحب أن تجعـل لنـا منـك مجلسـا تعرف لنا العرب به فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد[٥].

وكان الرسول (ص) قد خطب زينب بنت جحش ابنة عمته، لزيد بن حارثة، وهو مولى فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسبا[٦].

ووجود الموالي في مجتمع المدينة كان ضرورة اجتماعية لا غنى عنها[٧]، للاعتماد الكبير عليهم لقيامهم بكثير من الأعـمال والخـدمـات التي يصعب على المجاهدين القيام بها لانشغالهم بأمر الغزوات ونشر الاسلام[٨]. على أن هناك من الموالي من شارك في كثير من الغزوات وأظهر براعة فائقة في القتال بين يدي رسول الله[٩] (ص). وقد شهد منهم

---

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤٥٤.

(٢) ابن حجر: نفس المكان.

(٣) ابن حجر: نفس المكان.

(٤) قال تعالى: «وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة»، الأنعام: ٩٨. وروى أن الرسول (ص)، قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه». (انظر: الدولابي: **الكني والاسماء**، جـ ١، ص ٢٥.

(٥) الطبري: **جامع البيان**، جـ ٧، ص ٢٠١.

(٦) الطبرى: نفس المصدر، جـ ٢٢، ص ١١ ـ ١٢.

(٧) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٧٥، جـ ٢، ص ٥٨.

(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٣١، ٣٦٢. ويذكر أن الاعتماد على الموالى قبل الاسلام كان كبيرا جدا وقد أوكلت إليهم أعـمالا متنوعـة حتى ليكـاد يخيـل للبـاحث فى ذلك العصر أن الرقيق هم قوام العمل فى الحياة الجاهلية، وهو ما رآه بعضهم. (انظر: الاسد، د. ناصر الدين: **القيان والغناء فى العصر الجاهلى**، ص ٣٣).

(٩) الواقدى: **المغازى**، ص ٢٠٤، (الطبعة الأولى)،
ابن الأثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ٧٦.

بدار عشرون مملوكا[١]. وكان من شقران، وهو مملوك للنبي (ص) ولم يسهم له بشيء، وكان على الأسرى فأجزاه كل رجل له أسير، فأصاب أكثر مما أصاب رجل من القوم[٢].

وكان السبي أحد أسباب وجود الأرقاء في المدينة على عهد النبي (ص). وهم في الغالب، من القبائل العربية ممن أفاء الله على رسوله [٣]. ولم يكن أسر هؤلاء العرب لمجرد استرقاقهم بقدر ما كان يستهدف تحريرهم من ضغوط ربما كانت تمنعهم من دخول الاسلام داخل قبائلهم. ولذا نجد أنهم يعاملون معاملة إنسانية عالية، فلم يكن يفرق بين المرأة وابنها[٤]، أو بينها وبين زوجها إذا كانت تريده ويريدها[٥].

وكان النبي (ص) ومعظم الصحابة كثيرا ما يمنون على هؤلاء الأسرى بالعتق بعد وصولهم إلى المدينة[٦].

وكانت السبايا العربيات يمهرن مهور نساء العرب، على عهد أبي بكر[٧]. وربما كان هذا جاريا أيضا في عهد الرسول (ص)، لقرب الفترة الزمنية، بالاضافة إلى حرص الصحابة على الاقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد يكون البيع أحد أسباب الرق في العرب، وهو أكثر شيوعا، قبيل الهجرة، حيث كان الرجل يقدم بقريبته فيبيعها على من يتسررها[٨]. وكان من هؤلاء عدد كبير في المدينة[٩].

وفي المدينة فئة من الموالي كانوا يعرفون باسم المولدين، ينسبون إلى بلدانهم أو قبائلهم فيقال: مولدي

---

(١) الواقدي: **المغازي**، جـ ١، ص ١٥٣ (طبعة اكسفورد)،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٦٠١.
(٢) الواقدي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٥٣ (طبعة اكسفورد).
(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢١٤، ٣٦٧، جـ ٣، ص ٤٦٦ - ٤٦٧.
(٤) ابن حجر: نفس المكان.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٥٢.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤٨٩ - ٤٩٠، جـ ٢، ص ٣٦٧.
(٧) ابن حبيب: **المنمق**، ص ٥٠٥.
(٨) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٣٠٢.
(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٤٣، ٤٨٦،
البلاذري: **الأنساب**، جـ ١، ص ٤٨٤ (تحقيق حميد الله).

حسمى[١]، ومولدي مكة[٢]، ومولدي السراة[٣]، ومولدي مزينة[٤]، وكانوا يباعون مثل أي رقيق آخر[٥]. كما أن منهم أفرادا قدم منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عبيدا كهدية[٦].

وكان للرقيق مصادر رئيسية تغذي مرافق العمل في المدينة وتساعد على تسيير عجلة الحياة فيها. ومن أشهر هذه المصادر: الحبشة[٧]، وفارس[٨]. وكان وجود الموالي الفرس في المدينة يرجع إلى الفترة السابقة للهجرة[٩]. وكان الاختطاف أحد أسباب رقهم حين يأتون بلاد العرب لأغراض تجارية أو دينية فيؤسرون ثم يباعون بالمدينة[١٠].

أما الموالي القبط فقد عرفوا في الحجاز قبيل الهجرة[١١]. ومن أولئك أبو رافع القبطي، كان مولى العباس بن عبد المطلب وأسلم قبل بدر ولم يشهدها. وشهد أحدا[١٢]، ويعقوب القبطي مولى بني فهر القرشيين. وقيل إنه كان ممن بعثه المقوقس مع مارية للنبي، صلى الله عليه وسلم[١٣].

وتعد بلاد النوبة إحدى هذه المصادر المشهورة لمد المدينة بالرقيق[١٤]. ويبدو أن النوبيين كانوا معروفين لدى كثير

(١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٥٤٣، ٤٨٦،
البلاذري: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٨٤. والمولد: اسم مفعول. ورجل مولد أي عربي غير محض. (انظر: البستاني: **محيط المحيط**، جـ ٢، مادة ولد، بيروت، ١٨٧٠م). وقيل المولد من ولد عند العرب ونشأ مع أولادهم وتأدب بآدابهم. (انظر: البستاني: نفس المكان).
(٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٤ - ٣٥.
(٣) ابن عبد البر: **الاستيعاب (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)**، ص ١١٣،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٧٥، جـ ٣، ص ٥٥٢.
(٤) البلاذري: المصدر السابق، ص ٤٨٣.
(٥) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٤.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣١، جـ ٣، ص ٣٩٤.
(٧) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٤٩،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣١.
(٨) الواقدي: **المغازي**، ص ٢٠٤، (الطبعة الاولى)،
مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ١٠ - ١١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٩، جـ ٢، ص ٥٨.
(٩) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقه ١٠ - ١١،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٢٣٩.
(١٠) مجهول: المصدر السابق، ورقة ١٠ - ١١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦٢ - ٦٣.
(١١) ابن الأثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ٦٣،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٦٧.
(١٢) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ١، ص ٦٣،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٦٧.
(١٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٦٨.
(١٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٥٦١، جـ ٣، ص ٢٩٣، جـ ٤، ص ٣٨٧ - ٤٦٤.

من القبائل العربية، كبني ثعلبة[١]، وبني حنيفة. وكان هوذة بن علي الحنفي قد أهدى نوبيا لرسول الله (ص) فاعتقه[٢]. وقد أخدم النبي (ص) أبنته فاطمة جارية نوبية تشاطرها الخدمة فكانت تعجن وتحتطب لها[٣].

ومن ضمن الموالي في المدينة جملة العبيد الذين نزلوا على النبي (ص) من حصن الطائف لما حاصرها فأسلموا فاعتقهم وعدتهم بضعة عشر رجلا[٤]. كما كان في المدينة موالي من أهل اليمن[٥].

والمولى هو العبد المملوك[٦]. كما يراد به أيضا العبد المعتق[٧]، وكان الرسول (ص) يقول: الولاء لمن أعتق[٨]. وقد استحب أهل المدينة استعمال لفظ مولى فلان وفضلوه على قولهم: عبد فلان[٩]. كما كان يقال للعبد أيضا: غلام فلان[١٠]. وقد يكون المولى، مولى اصطناع وحلف، وهو غير مولى الرق[١١].

وقد أعتبر مولى القوم منهم له مالهم من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات[١٢]، شريطة أن يكون السيد مسلما. ولذا فقد رد الرسول (ص) لغيلان بن سلمة الثقفي، لما أسلم، ولاء عبد له كان قد فر إلى رسول الله (ص)، وغيلان مشرك[١٣]. وكان الرسول (ص) قد أنكر على رشيد الفارسي، مولى بني معاوية من الأنصار، في إحدى الغزوات حين ضرب أحد المشركين، قوله: خذها وأنا الغلام الفارسي. فقال رسول الله (ص): ألا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري[١٤]؟. ومما يظهر أيضا، مدى قوة رابطة الولاء بين السيد ومولاه ماذكر من أن ولاء العبد، بعد وفاة سيده، إنما

---

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٥٦١.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢٩٣.
(٣) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٣٨٧.
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٠١، ٦٤٩، ٦٦٧.
(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٤٠ ـ ٤٦،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٠٨.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٤٨،
الفيروز آبادي: **القاموس**، جـ ٤، ص ٤٠٤.
(٧) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٥٦٢،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٦٢، جـ ٣، ص ٤٦٧،
الفيروز آبادي: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٤٠٤.
(٨) مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٦٢.
(٩) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٦٢، جـ ٢، ص ١٧٤، جـ ٣، ص ٥٧٦.
(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٦٢، جـ ٢، ص ١٧٤.
(١١) ابن خلدون: **تاريخ**، جـ ١، ص ١١٤ (طبعة بولاق، ١٢٨٤ هـ).
(١٢) ابن عبد البر: **الاستيعاب** (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)، ص ٤٨٣،
مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٥١٨،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٦٠١، ٤٦٧. جـ ٤، ص ٢٦.
(١٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٤٨.
(١٤) الواقدي: **المغازي**، ص ٢٠٤ (الطبعة الاولى). وروى أن الرسول (ص) قال: «من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرفا ولا عدلا». (انظر: ابن عبد البر: **الانباه**، ص ٤٣).

يعود إلى ورثة السيد ضمن ممتلكاته الأخرى[١]. ومما تجد الإشارة إليه أيضا، أن بعض أهل الإسلام كان يعتق عبده سائبه، فلا ينتفع به ولا بولائه[٢].

وإلى ما قبيل الهجرة كانت تجارة الرقيق مشهورة في بلاد الحجاز. وكانت أسواق العرب المشهورة تعد أفضل مكان يعرض فيه العبد للبيع[٣]. وكان ثمن الغلام ـ حينذاك ـ يصل إلى مبلغ أربعمائة درهما[٤].

وتعد منطقة يثرب ـ في تلك الفترة ـ منطقة جذب لبيع الرقيق. وقد وصل ثمن الغلام الفارسي حوالى ثلاثمائة درهما[٥].

وفي العهد النبوي حافظت تجارة الرقيق على ازدهارها في المدينة وأصبح لهذه التجارة متعهد بيع عرف بصاحب الرقيق[٦]. وكان النبي (ص) يشتري منهم العديد ويمن عليهم بالعتق[٧]. كما كان الصحابة يقتدون برسول الله في شراء الرقيق وعتقهم[٨].

وقد وصل ثمن العبد في العهد النبوي إلى مبلغ ثمانمائة درهما[٩]. وبقي على هذا الرقم حتى عهد عثمان بن عفان فوصل ثمن العبد، الصحيح المعافى، إلى مبلغ ألف وخمسمائة درهما[١٠].

وكان يحق للمولى أن يشتري مملوكا إذا كانت لديه القدرة على ذلك[١١]. وكان لرسول الله (ص) مولى اشترى أخا له مملوكا. فقال رسول الله (ص): قد عتق عليه حين ملكه[١٢]. وقد يباع العبد للحاجة إلى ثمنه أو لوفاء دين قد حل[١٣].

---

(١) ابن عبد البر: المصدر السابق (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)، ص ٨٥.
(٢) الطبرى: جامع البيان، جـ ٧، ص ٨٨.
(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٦٣.
(٤) ابن حجر: نفس المكان.
(٥) ابن حجر: الاصابة، جـ ٤، ص ٢٨٦.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٣٢ ـ ٣٣.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٥٢، ٦٠١.
(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٥٨، جـ ٣، ص ٤٦٦، ـ ٤٦٧، ٥٠٤.
(٩) ابن الاثير: أسد الغابة، جـ ١، ص ٤٣،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٩٦.
(١٠) مالك: الموطأ، جـ ٢، ص ٦١٣.
(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٧٤.
(١٢) ابن حجر: نفس المكان.
(١٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٩٦، جـ ٣، ص ٦٦٨.

وكـان المـوالى يزاولـون بعض المهن والحـرف الوضيعة والتى كان العربى يأنف أن يقوم بها [(١)] . وكانت الحجامة إحدى تلك الحرف [(٢)] . وقد حجم أبو طيبة، مولى بنى بياضة، رسول الله (ص) فأمر له بصاعين من طعام وكلم بنى بياضة أن يخففوا عنه من ضريبته [(٣)] .

وزاول بعض المـوالى حرفـا خفيفـة كعمل السيوف [(٤)] ، وبرى النبال [(٥)] . وقد نسب كثير من الموالى إلى مهنته أو حرفته مثل يحنس النبال [(٦)] ، ومحرز بن القصاب [(٧)] ، وأبى رافع الصائغ [(٨)] ، وميثم التمار [(٩)] ، وسعد القرظ، كان يتجر فى القرظ [(١٠)] ، وإبراهيم النجار [(١١)] .

ولم يكن للموالى تأثير كبير فى المجتمع المدنى خلال العهد النبوى، سوى ما نجده فى استحباب خدمة المخصيين فى البيوت بين النساء [(١٢)] ، وقد جلبت تلك العادة ـ كما يبدو ـ من مصر وشاعت فى المدينة . إذ كان المقوقس قد أهدى لرسول الله (ص) مارية القبطية وكان معها مخصيا يدخل عليها ويحدثها ويخدمها [(١٣)] .

ومما يبدو لنا أن سبب استحباب خدمة المخصيين فى مجتمع المدينة وقلة استخدام الجوارى أو القيان فى البيوت، مع أنهن كنا عماد الخـدمـة فى المنـازل قبل الاسلام [(١٤)] ، يرجع إلى الرغبة فى تقليص مهمتهن تلك، سدا لأبواب الفساد التى قد تنشأ، نتيجـة وجـودهن بين الـرجـال . فقد ذكر أن من سنتهم فى الجاهلية أنهم كانوا يكسبون بفروج امائهم .

---

(١) ابن خلدون: **تاريخ**، جـ ١، ص ٣٣٧ (طبعة بولاق، ١٢٨٤هـ).
(٢) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٤٤ .
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .
(٣) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٤٤ .
(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٤١٦ .
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٤٩ .
(٦) ابن حجر: نفس المكان .
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٨٦ .
(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٧٤ .
(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٠٤ .
(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٩ . والقرظ: بالتحريك، وآخره ظاء معجمة، هو ورق شجر يقال له السلم، يدبغ به الأدم، أي الجلود. (انظر: ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٤، ص ٣٢٥، مادة قرظ، **المعجم الوسيط**، جـ ٢، ص ٧٣٤).
(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦ .
(١٢) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٧٦٧ .
(١٣) البلاذرى: **الانساب**، جـ ١، ص ٤٤٨ ـ ٤٥٠ ،
الديار بكرى: **تاريخ الخميس**، جـ ٢، ص ٣٨ .
(١٤) الاسد (د. ناصر الدين): **القيان والغناء فى العصر الجاهلى**، ص ٤٠ ـ ٤٣ .

وكاق لبعضهم راية منصوبة فى أسواق العرب فيأتيها الناس فيفجرون بها[(١)]. وذكر أيضا إنه كان لكلب فى سوق دومة الجندل قن كثير في بيوت أو حوانيت من شعر، وكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء[(٢)].

كما ذكر أن عبد الله أبن ابى كان يملك جاريتين وكان يكرهن على البغاء ولذلك أنزل الله تعالى قوله: «ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، ومن يكرههن فإن الله من بعد اكراههن غفور رحيم»[(٣)].

وقد كان لوجود الموالى فى المدينة بعض التأثير فى مجال الغناء. فقد كان الغناء أحد ألوان الفن الذى يتقنه الموالى فى المدينة قبيل الهجرة[(٤)]، وخاصة القيان[(٥)]. ولما قدم الرسول (ص) المدينة ذكر أن الحبشة، يعنى الموالى من الحبشة، لعبت بحرابها فرحا بقدومه[(٦)]. كما خرج جوار من بنى النجار يضربن الدفوف ويغنين[(٧)].

ويظن بعض الباحثين المحدثين، أن يهود المدينة استخدموا الغناء فى عباداتهم كما استخدموه عند سقى الزروع وفى الحصاد[(٨)].

غير أن إتجاه المسلمين، فى العهد النبوى إلى أمر الغزوات ونشر الاسلام، جعل تأثير الموالى - فى مجال الغناء - فى المدينة منعدما، تقريبا. ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان ينهى عن الغناء، ويصفه بمزامير الشيطان[(٩)].

وقد ظلت بذرة هذا التأثير فى كمون شبه تام حتى العهد الأموى، فانطلقت من مكمنها[(١٠)]. واعتبر معبد، مولى بنى مخزوم - حينذاك - فحل المغنين وإمام أهل المدينة فى الغناء[(١١)]. وكان معبد أحسن الناس غناء وأجودهم صنعة وأحسنهم حلقا[(١٢)].

---

(١) ابن حبيب: المحبر، ص ٣٤٠.
(٢) ابن حبيب: نفس المصدر، ص ٢٦٣ - ٢٦٥.
(٣) النور: ٣٣، الطبري: جامع البيان: جـ ١٨، ص ١٣٢ - ١٣٣.
(٤) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ٢٦٤.
(٥) ضيف (د. شوقى): الشعر والغناء، ص ٦٦ - ٦٧.
(٦) السمهودى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٦٢.
(٧) وكان من ضمن كلامهن: «نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار». (انظر: السمهودى: نفس المكان).
(٨) Farmer, A.; *History of Arabian Music* (London, 1929) p. 17.
(اقتبسه شوقى ضيف: المرجع السابق، ص ٥٦، الهامش رقم ١، نفس المكان).
(٩) البلاذرى: الأنساب، جـ ١، ص ٤٥١ (تحقيق حميد الله).
(١٠) ضيف: الشعر والغناء، ص ٤١.
(١١) الاصفهانى: الاغانى، جـ ١، ص ٤٨ - ٥٠.
(١٢) الاصفهانى: نفس المكان.

وكان قد بلغ من شهرة أهل المدينة بالغناء وقوة تأثيره أن الوليد بن يزيد الأموى كان يقول: ما أقدر على الحج، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: يستقبلنى أهل المدينة بصوت معبد: القصر فالنخل فالجماء بينهما[١].

أما ما قد نعتبره من تأثيرات الموالى فى مجال اللغة، ما نجده فى القرآن الكريم من ألفاظ كانت أعجمية، حتى عربت. ومن هذه الألفاظ، لفظة: كفل، أى ضعف بلسان الحبشة[٢]، وقسورة، أى أسد، بلسان الحبشة[٣]، وسجيل، أى جهنم، فارسية عربت[٤].

أما بالنسبة لتأثير الموالى فى اللباس، فقد ذكر الطبرى فى تفسير قوله تعالى: «يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين[٥]». ما نصه: «ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، لاتتشبهن بالاماء فى لباسهن إذا خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن، ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن، لئلا يعرض لهن فاسق إذا علم أنهن حرائر بأذى من قول[٦]». ونستدل من ذلك أنه قبل نزول تلك الآية كانت بعض النساء فى المدينة يتشبهن بالاماء فى لباسهن وهيئتهن عند الخروج من بيوتهن أى كاشفات عن شعورهن. وأن الأمر واضح وكبير ا، مما استدعى نزول هذه الآية لتصحيح الوضع القائم ـ حينذاك.

### ٤ ـ قريش وثقيف

لقد جاء الجمع بين قريش وثقيف فى حديثنا هذا لما بينهم من تلاحم وعلاقات قديمة أسهمت فى تكوين شخصية تكاد تكون واحدة.

وترجع تلك العلاقات إلى ما قبل الاسلام. وكان أول حلف دخل فيه قريش، حلف ابنى علاج وهما شريق وعمر أبناء علاج من ثقيف[٧].

ولم تقف هذه الصلات على المجالات السياسية إذ تعدتها إلى النطاق الاجتماعى والاستيطانى أحيانا، فكان لكبار قريش فى الطائف أموالا، للحرث والزرع والانتجاع[٨]. كما أن المصالح الاقتصادية والتجارية بين ثقيف وقريش

---

(١) الاصفهانى: نفس المصدر، جـ ١، ص ٥١.
(٢) الطبرى: جامع البيان، جـ ١، ص ٨.
(٣) الطبرى: نفس المكان.
(٤) الطبرى: نفس المكان.
(٥) الأحزاب: ٥٩.
(٦) الطبرى: جامع البيان، جـ ٢٢، ص ٤٥ ـ ٤٦.
(٧) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤.
(٨) ابن حبيب: نفس المصدر، ص ٩٨ ـ ٩٩.

كادت أن تكون واحدة ومتفقة فى كثير من المجالات[١].

وكان أبرهة الحبشى، حينما هم بغزو الكعبة بمكة، أشكل عليه الأمر ولم يستطع أن يفرق بين مكة والطائف حتى خرج عليه مسعود بن معتب الثقفى وقال له: إن هذا البيت ليس بالبيت الذى تريده إنما البيت الأعظم الذى تريد هو الذى صنع أهله ما صنعوا أمامك[٢]. وذلك يعطى فكرة عن تشابه الدور الدينى والسياسى لثقيف وقريش وإلى أى حد كانت عليه منزلتهم بين العرب[٣].

وكانت قريش تنظر إلى الطائف على أنه امتداد طبيعى لنفوذها، كما كانت ثقيف تعد الحرم ملكا للجميع[٤]. فقد ذكر أن قريشا حين كثرت رغبت فى وج، وهو وادى الطائف، فقالت لثقيف: نشرككم فى الحرم واشركونا فى وج، فقالت ثقيف: كيف نشرككم فى واد نزله أبونا وحفره بيده فى الصخر. وأنتم لم تجعلوا الحرم إنما جعله إبراهيم عليه الصلاة والسلام[٥].

وقد تأصلت تلك العلاقات بعد ظهور الاسلام بداعى محاربته ودحره، وكان يوم أحد شاهدا على ذلك حين خرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضوى إليهم، وكان فيهم من ثقيف مائة رجل[٦].

وأحداث التاريخ الإسلامى، أظهرت إلى أى حد كانت ثقة الرسول بمقدرة وكياسة رجال قريش وثقيف للقيام بدورهم فى بناء المجتمع الاسلامى، ولهذا كان يؤمل هدايتهم ودخولهم فى الاسلام[٧]. ولم يحمل لهم حقدا، رغم عداوتهم. وهى صفات حازوا عليها نتيجة انفتاحهم الواسع على العالم - حينذاك - ومعاشرتهم لأهل العلم والكتاب من اليهود والنصارى ومعاملاتهم مع التجار سواء فى بلادهم أم خارجها[٨].

---

(١) ذكر أن أبا سفيان خرج فى نفر من قريش ومن ثقيف فوجهوا بتجارة إلى العراق فقال لهم أبو سفيان: إنا نقدم على ملك جبار لم يأذن لنا فى دخول بلاده، فأعدوا له جوابا. فقال غيلان بن سلمه الثقفى: أنا أكفيكم. فرضوا به. (انظر: ابن حجر: **الأصابة**، جـ ٣، ص ١٨٩ - ١٩١).

(٢) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ١، ص ٣٠ - ٣١،
ابن حبيب: **المنمق**، ص ٧٣.

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٧.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٥) ابن حبيب: نفس المكان.

(٦) الواقدى: **المغازى**، جـ ١، ص ٢٠٣ (طبعة اكسفورد).

(٧) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٤٧٠ - ٤٧١،
ابن حبيب: **المنمق**، ص ٩ - ١٠،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٤٤٩.

(٨) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ٨٨ - ٩٠، جـ ٢، ص ٢٩٢.

وقد بدأت هجرة الأوائل من قريش[١] وحلفائهم ومواليهم، إلى المدينة قبل العقبة الكبرى بسنة تقريبا[٢]. وكانت الرغبة فى كسب ملجأ أمين وبعيد عن أذى قريش والتفرغ لنشر دعوة الاسلام، إحدى العوامل الظاهرة لهجرة هذه العناصر من مكة إلى المدينة بعد أن سبقتها هجرتان إلى الحبشة[٣].

ولم تكن قريش تجهل ما سوف تسفر عنه نتائج هذه الهجرة إلى المدينة فكانت تتخوف من التحاق الرسول (ص) ببقية المهاجرين، فيأتيهم بما لا طاقة لهم به[٤]. ولذا فقد عملت، ما وسعها الجهد، على عرقلة هذه الهجرة وإبطالها. غير أن عملها حبط أمام اصرار المهاجرين وصدق عزيمتهم[٥]. ويذكر أنه لم يكن مع أم سلمة حين خرجت إلى المدينة إلا بعيرها وابنها فى حجرها[٦]. وذلك يعطى صورة عظيمة عن مدى إيمان المهاجرين وقوة عزائمهم وإصرارهم على الهجرة إلى الحد الذى جعل تلك المسلمة تهاجر وليس معها إلا ابنها فى حجرها. وقد نزل عدد من هؤلاء المهاجرين الأوائل، على بعض الأنصار في قباء، لعدم وجود مساكن أو موارد عيش لهم[٧].

وبعد هجرة النبى (ص)، بدأت هجرة جماعية إلى المدينة[٨]. فقد ذكر أن آل مظعون الجمحيين، وآل أبى البكير، وحلفاء بنى عدى، وغيرهم، كانوا ممن أوعب فى الخروج إلى المدينة رجالهم ونساؤهم ولم يبق منهم بمكة أحد حتى غلقت دورهم[٩].

---

(١) وقريش خمسة وعشرون بطنا، وهم: بنو هاشم بن عبد مناف، بنو المطلب ابن عبد مناف، بنو الحارث بن عبد المطلب، بنو أمية بن عبد شمس، بنو نوفل ابن عبد مناف، بنو الحارث بن فهر، بنو أسد بن عبد العزى، بنو عبد الدار بن قصى - وهم حجبة الكعبة - وبنو زهرة بن كلاب، بنو تيم بن مرة، مخزوم، بنو يقظة، بنو مرة، بنو عدى بن كعب، بنو سهم، بنو جمح، ويقال لهؤلاء قريش البطاح وسواهم قريش الظواهر وهم: بنو مالك بن حنبل، بنو معيط بن عامر بن لؤى، بنو نزار بن عامر، بنو سامة بن لؤى، بنو الأدرم، وهو تيم بن غالب، بنو محارب بن فهر، بنو الحارث بن عبد الله بن كنانه، بنو عائذه، وهو خزية بن لؤى، بنو نباته، وهو سعد بن لؤى.
(انظر: المسعودى: **مروج الذهب**، جـ ٢، ص ٢٦٩).

(٢) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٢٦٩ - ٢٧٢،
الذهبى: **تاريخ**، جـ ١، ص ١٨٥،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٣٥.

(٣) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ١، ص ٢١٣ - ٢٢٠، جـ ٢، ص ٣٢١ - ٣٤٦،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٢٣٣ - ٢٣٥، ٣٣٥، ٤٦٤، جـ ٣، ص ٤٧.

(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٣١ - ٣٣٢،
ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٦٦.

(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٢٦٩ - ٢٧٢،
الذهبي: **تاريخ**، جـ ١، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٦) الذهبي: نفس المكان.

(٧) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٧١، ٣٨٦،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣١٥.

(٨) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٨٨، ٣٩٣ - ٣٩٧،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٨٣.

(٩) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٢٤،
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٨٨، ٣٩٣ - ٣٩٧.

وقد ترتب على هذه الهجرة الجماعية وجود مشكلة توفير مساكن لايوائهم وطعام لأفواههم. ولذا فقد عمد الرسول (ص) إلى انزالهم أفرادا وجماعات على بعض دور الأنصار(١). إلى أن خطت منازلهم(٢). وكان العزاب، من المهاجرين، ينزلون على سعد بن خيثمة فى بيته القريب من مسجد قباء(٣).

وقد شهد معظم المهاجرين الأوائل مع رسول الله (ص) بدرا وسائر المشاهد(٤). وقد كان لشعورهم بالضعف لقلتهم، حافزا لهم على مضاعفة الجهد وسد النقص. فكان رسول الله (ص) يوم أحد لا يرمى ببصره يمينا ولا شمالا إلا رأى أفرادهم فى ذلك الوجه يذب بسيفه(٥). وقد شارك صغارهم فى الغزوات، رغم أن الرسول (ص) كان لا يجيز اجازتهم لصغرهم(٦).

وقد كان لهذا الاخلاص من قبل رجال قريش أن اعتمد الرسول (ص) عليهم موليهم ثقته، فكان يؤمرهم على كثير من السرايا والبعوث(٧).

وقد كانت الخطوات السلمية والحربية التى قام بها الرسول (ص) ضد القبائل المحيطة بيثرب قبل وبعد معركة بدر، عاملا كبيرا فى كسب اعترافهم بسيادة المسلمين فى المدينة(٨).

وقد شعر المضطهدون فى مكة، من قريش وغيرهم، بعد هذا الموقف المتحسن لوضع المسلمين فى المدينة، أنهم فى مأمن إذا ما هاجروا، خصوصا وأنه قد كان منهم أناس فتنوا فى دينهم ومنعهم أهلوهم من الهجرة(٩). ولما كانت غزوة

---

(١) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠،
ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ١٢٣، ٣٩٣ ـ ٣٩٦، ٤٠٣.
(٢) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢٧٢،
السمهودى: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧١٧ ـ ٧٤٧.
(٣) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٣٠.
(٤) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٥٠٠ ـ ٥٠٧، جـ ٣، ص ٦٣٥ ـ ٦٣٦،
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣ فى اماكن متفرقة،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٤٥٦، جـ ٢، ص ٢٣٣، ٤٠٢، وفى اماكن متفرقة
(٥) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٤٦،
(٦) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ٣، ص ١٥٠،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٥ ـ ٣٦.
(٧) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٣١ ـ ٤٤٠،
الواقدى: **المغازى**، جـ ١، ص ١ ـ ١٩ (طبعة اكسفورد)،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٦، ٣٣٥.
(٨) الواقدى: **المغازى**، ص ٣ ـ ٤، (الطبعة الاولى)،
ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٧٢ ـ ٧٣.
(٩) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٤٠٦،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣٢٣.

بدر خرج عدد منهم مع المشركين فلما تراءى الجمعان انحازوا إلى المسلمين[١]. كما أن من المشركين من أظهر إسلامه بعد المعركة[٢].

وأثناء فتح خيبر قدم مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة كثير من قريش ممن كانوا قد هاجروا إليها فرارا بدينهم[٣]. وقد كان قدوم أولئك تنفيذا لأمر رسول الله (ص). فهو الذى طلب قدومهم، وكانت تحملهم سفينتان[٤].

وقد حرص الرسول (ص) على قدوم من هاجر إلى الحبشة لما كان يتوسمه فيهم من عزيمة لسبقهم فى دخول الاسلام، وصدق إيمانهم، وقوة تحملهم وصبرهم على الشدائد[٥]. فكان يقول عن عبد الله بن جحش، أحد المهاجرين إلى الحبشة: لا بعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش[٦].

وخلال الفترة، التى كانت بين عام خيبر وفتح مكة، أسلم عدد من قريش وهاجروا إلى المدينة. وكان منهم جماعة عرفوا باسم السبعين. وكانت هجرتهم عام خيبر[٧]. وقد جاءت تسمية أولئك باسم السبعين نسبة إلى عددهم. إذ كانوا سبعين رجلا جميعهم من بنى عدى بن كعب. والذى ذكر منهم: مسعود بن سويد بن حارثة العدوى، ومسعود بن الاسود بن حارثة العدوى، والحارث بن عمرو بن مؤمل العدوى[٨]. وقبيل الفتح هاجر خالد بن الوليد وخرج معه فتية من قريش قدموا المدينة فأسلموا[٩].

---

(١) الواقدى: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٥٦ - ١٥٧ (طبعة اكسفورد)،
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٠٦،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٣٧.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣١١، جـ ٢، ص ٢٦١.
(٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٣، ص ٨١٨ - ٨٢٦،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٢.
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٨١٨،
ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٧١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٣٧، جـ ٢، ص ٢٨٩، ٣٥٦ - ٣٥٧، ٤٦١.
(٥) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٢٣٧، ٢٩١، جـ ٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧، ٤٧٥، جـ ٣، ص ٣١ - ٣٢، وفي أماكن متفرقة.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٨٥، جـ ٣، ص ٤٠٩ - ٤١١.
(٨) ابن حجر: نفس المكان.
(٩) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٧٤٨ - ٧٤٩،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٣٧.

وبعد الفتح أسلم جميع قريش[١] . وقد حرص الرسول (ص) على تآلف كبارهم باعطائهم من غنائم حنين[٢] وكان قد هاجر معظمهم وسكن المدينة[٣] .

أما بالنسبة للثقفيين فقد اقتفت هجرتهم أسلوب القرشيين تقريبا . فقد كانت هناك هجرات فردية نتيجة ما يلاقيه المسلم فى قومه من أذى وفتنة فى دينه[٤] . كما كان لقوة الايمان وعمق المبدأ وصدقه دافعا لبعض شباب ثقيف على الهجرة إلى المدينة مضحين بما كانوا عليه فى الطائف من ثراء وغنى بين أهليهم[٥] .

وأسلم معظم ثقيف بعد الفتح وشهدوا مع رسول الله (ص) بعض غزواته ولزموه فى مجالسه ومسجده[٦] .

وقد حظيت قريش فى مجتمع المدينة بمنزلة كبيرة فكانت فيهم القيادة والزعامة[٧] . وقد شهد لهم بذلك رسول الله (ص) ومعه الصحابه . فقد ذكر أن الرسول (ص) لما رجع من غزوة بدر منصرفا إلى المدينة تلقاه الأوس والخزرج يهنئونه بفتح الله عليه فقال سلمه بن سلامه بن وقش الأنصارى: بما تهنؤنا؟ فوالله إن قتلنا إلا عجائز صلعا، كالابل المعلقة، فقال رسول الله (ص): أما لو قد أسلموا، ثم رأيتهم لهبتهم ولو أمروك لاطعتهم ثم لحقرت أفعالك مع فعالهم . قال: فلقد رأيتنى فى المدينة وأنى لألقى الرجل منهم فى الطريق فأتنحى عن طريقه هيبة له حتى يمر[٨] . ويقول ابن اسحاق عن تلك الحادثة ما ملخصها: أن الرسول (ص) حين سمع مقالة سلمه بن سلامة، تبسم، ثم قال: أى ابن أخى، أولئك الملأ[٩] .

وتتجلى مما سبق فى تقديم قريش، حكمة الرسول (ص) وبعد نظره، وهو الذى لا ينطق عن الهوى . فمع أن الظروف فى تلك اللحظات لم تكن مناسبة وكان بمقدور الرسول (ص) أن يصدق على ما قاله سلمه بن سلامة أو يتجاهله، خصوصا وأن المنهزمين كانوا ممن طردوه من بلده وأذوه، وأن المهنئين، كانوا ممن نصره وآواه . إلا أن الرسول

---

(١) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٨٦٧ ـ ٨٨٤،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ١، ص ٩، جـ٢، ص ٥١ ـ ٥٢، ٤٠٠ ـ ٤٠١ .

(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ . يقول ابن اسحاق. «وأعطى رسول الله (ص) المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافا من أشراف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، اعطى ابا سفيان بن حرب مئة بعير واعطى الحارث بن الحارث بن كلدة ـ اخا بني عبد الدار ـ مئة بعير . واعطى الحارث بن هشام مئة بعير واعطى سهيل بن عمر مئة بعير واعطى حويطب بن عبد العزي بن ابي قيس مئة بعير . (انظر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٩٢٩).

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٩، ٨٤، جـ ٢، ص ٨٩ .

(٤) ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٢٧٥ .

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٥١٢ .

(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤٣، ١٥٢، ٣٤٤، ٥٤١، ٥٦٨، جـ ٢، ص ٤٩، ٤٤١، ٥٤٠

(٧) ابن حبيب: المنمق، ص ٩ ـ ١٠،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٤٤٩ .

(٨) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٩ ـ ١٠

(٩) السيرة، جـ ٢، ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ .

(ص) رأى أن من المصلحة عدم شحن نفوس الانصار بكراهية قريش، لما كان يعهده فيهم من مواهب وقدرات حال دون الاستفادة منها تأخر إسلامهم. وكان الطبرى قد أشار إلى ذلك الحرص من الرسول (ص) على صلاح قومه ومحبته مقاربتهم ما وجد إلى ذلك سبيلا، ليس فى المدينة فحسب وإنما منذ أن كان بمكة. وكان يتمنى فى نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبينهم(١).

ومما تجدر ملاحظته أن شهادة الرسول (ص) فى قريش لم تكن صادرة عن عاطفة قبلية أو عصبية، إذ أن معظم قبائل العرب فى الجزيرة العربية كانت تعترف لقريش بتلك المنزلة. وكانوا فى الجاهلية يسمون أهل الله وسكان الله وأهل الحرم، وقطان بيت الله(٢). وقال عنهم عز وجل فى كتابه: «أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون(٣)».

وقد ذكر أن أبا سفيان بعد إسلامه، كان يمازح رسول الله (ص) فى بيت بنته أم حبيبة، زوج رسول الله (ص) ويقول: والله إن هو إلا أن تركتك فتركتك العرب فما انتطحت جماء ولا ذات قرن. ورسول الله (ص) يضحك ويقول: أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة(٤). ويذكر ابن اسحاق أن العرب كانت تربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله (ص) ودلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت والحرم وصريح ولد اسماعيل بن إبراهيم وقادة العرب وكانوا لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله (ص)، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش، ودوخها الاسلام، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله (ص)، ولا عداوته. فدخلوا فى دين الله أفواجا، يضربون إليه من كل فج(٥).

وقد ذكر أن وفد بنى عبيد بن عدى بن الدئل، لما وفدوا على رسول الله قالوا: إنا لا نريد قتالك ولو قاتلت غير قريش لقاتلنا معك(٦). وهذا يظهر إلى أى حد كانت قلوب العرب مع قريش، ويبين مقدار الاحترام الذى كانت تحظى به قريش لدى القبائل العربية لما كانت تتمتع به من مواهب قيادية فى مجالات الاقتصاد والدين(٧). فقريش

---

(١) تاريخ، جـ ٢ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.
(٢) ابن حبيب: المنمق، ص ١٠.
(٣) القصص: ٥٧.
(٤) الاصفهاني: الأغاني، جـ ٦، ص ٣٢٣.
(٥) السيرة، جـ ٤، ص ٩٨٥.
(٦) ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٤٧.
(٧) ابن حبيب: المنمق، ص ١٠ ـ ١٢. ومما نراه أن نظام الحمس، الذى كان يميز قريش وخزاعه وكل من ولدت قريش من العرب وكل من نزل مكه من قبائل العرب عن القبائل العربية الاخرى بعادات خاصة خلال الاحرام، كان أهم العوامل التى ربطت القبائل بدين قريش ونفوذها إلى الحد الذى جعل أحدهم وهو زهير ابن جناب الكلبى يهاجم غطفان بعد أن قررت ان تنشىء حرما مثل مكة. ولعل مما زاد ذلك النظام قوة وأهمية أن قبائل الحمس عاشت فى مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، فقد سكنت ثقيف فى جنوب شرقى مكة، وكنانة فى الجنوب حيث تسيطر على طريق مكة ـ اليمن، وعامر بن صعصعه فى شمال شرقى مكة، وقضاعة (كلب) على طريق الحيرة وفارس. (انظر: ابن حبيب: المحبر، ص ١٧٨ ـ ١٧٩، وانظر ايضا: دائرة المعارف الاسلامية، مادة حمس، الترجمة العربية، الاصفهانى: الاغانى، جـ ١٢، ص ١٢١، كستر: مكة والحيرة، ص ٦٣).

كانت هى المهيمنة على أمور الكعبة وما يتعلق بها من شئون الحج وشعائره، وهى المسؤلة عن تقديم الخدمات للحجاج العرب فى الجاهلية(١)، كالرفادة والسقاية وحمل المنقطع به من الحاج ومعونته على بلاغ منزله(٢).

كما أن مواهب قريش السياسية وبراعتهم فى شئون التجارة جعلهم يحصلون على الالاف من ملوك الفرس والروم واليمن لضمان التبادل التجارى بين تلك البلدان وقبائل الجزيرة العربية(٣). وهذا أكسبهم أيضا محبة واحترام القبائل، إذ أن تلك المهمة قد ساعدت على ازدهار النشاط التجارى لديهم وحفظت رؤوس أموالهم وارباحهم نتيجة قيام قريش بمهمة الوكالة فى ذلك. والألاف كان يعنى دفع مبلغ من المال يمنح من قبل هاشم إلى رؤساء القبائل كأرباح ويتعهد بنقل بضائعهم مع بضائعه، ويسوق إبلهم مع أبله، كى يريحهم من مشاق الرحلة ويضمن سلامة تجارتهم، كما أنه يريح قريشا من شر الاعداء، بمعنى أنه كان مفيدا للجانبين(٤).

ويذكر أن الرسول (ص) يوم بدر قد رفض مشورة من رأى ضرب أعناق الأسرى القرشيين وقبل إجابة ابى بكر الصديق بقبول الفداء منهم(٥). ثم أنه - فيما ذكر - كان يبعث بمال إلى أبى سفيان بن حرب فى فقراء قريش وهم مشركون يتألفهم(٦).

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد إلى أن الرسول (ص) كان من الممكن الا تتغير نظرته تلك تجاه قريش، حتى لو لم تكن قريش من قومه وعشيرته، فقد ذكر أن الرسول (ص) بعث نميلة بن عبد الله الليثى إلى بنى ضمرة فرجع إلى رسول الله (ص)، فقال: يارسول الله قالوا: لا نحاربه ولا نسالمه ولا نصدقه ولا نكذبه، فقال الناس: يارسول الله أغزهم. فقال: دعوهم فإن فيهم عددا وسؤددا، ورب شيخ صالح من بنى ضمرة غاز فى سبيل الله(٧).

ومن ذلك نرى أن تعامل الرسول (ص) مع بعض القبائل كان مبنيا على المرونة والرفق بهم، لما يتوسمه فيهم من خير وصلاح للاسلام وأهله، حتى وإن لم يسلموا بعد.

---

(١) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ٨٤،
كستر: المرجع السابق، ص ٥٥.
(٢) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ٨٤،
ابن حبيب: المنمق، ص ١١.
(٣) انظر: السهيلى: **الروض الأنف**، جـ ١، ص ٧٦،
كستر: **مكة والحيرة**، ص ٥٦ - ٥٩. ويقول ابن اسحاق: «ايلاف قريش: ايلافهم، يعنى الخروج إلى الشام، وكانت لهم خرجتان، خرجة فى الشتاء، وخرجة فى الصيف». (انظر: السيرة، جـ ١، ص ٣٦).
(٤) **O'Leary**; *Arabia before Muhammed*, pp. 182, 184.
كستر: المرجع السابق، ص ٤٦.
(٥) الواقدى: **المغازى**، جـ ١، ص ١٠٧ - ١١٠ (طبعة اكسفورد)،
ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٧٨.
(٦) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٥٠٥.
(٧) اليعقوبى: **تاريخ**، جـ ٢، ص ٧٣.

وقد أثبتت الاحداث صدق حدس الرسول (ص) وبعد نظره بضرورة ادخار قريش لزمانهم. فقد كان الاعتماد عليهم كبيرا في المدينة. وكانت أول راية عقدها رسول الله (ص) لعبيدة بن الحرث المطلبي القرشي، أرسله في سرية قبل وقعة بدر[1]. كما أن أول لواء عقد كان لحمزة بن عبد المطلب[2]. ويذكر أنه لم يكن مع الرسول (ص) يوم بدر من الفرسان إلا فارسان، الزبير بن العوام على الميمنة والمقداد بن الاسود على الميسرة[3].

وقد أظهر الكثير من رجال قريش مواهب فذة في السلم والحرب[4]. وذكر أن الرسول (ص) كان يقول: اللهم أيد الاسلام بأحب الرجلين إليك، عمر بن الخطاب أو عمر بن هشام[5]. وكان عمر بن الخطاب ملازما لرسول الله (ص) في مشاهده كلها، وخرج في عدة سرايا وكان أميرا على بعضها[6]. وذكر أن النبي (ص) رأى أبا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر[7].

وفضل الرسول (ص) استعمال قريش على الأمصار المفتوحة البعيدة عن المدينة، كاليمن والبحرين وخيبر[8]. وقد يرجع سبب ذلك إلى ضمان عدم خروج تلك الأمصار أو ارتداد أهلها والتفافهم على زعمائهم.

وذكر أن خالدا وابانا وعمرا أبناء سعيد بن العاص لما بلغتهم وفاة النبي (ص) رجعوا عن أعمالهم. فقال لهم أبو بكر: ما أحق بالعمل منكم[9]. واستخلف النبي بعضهم على المدينة في عامة غزواته[10]. كما كان يستكتب منهم من يجيب عنه الملوك، حتى قيل أنه استكتب عبد الله بن الأرقم الزهري وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويختم ولا يقرأه لأمانته عنده[11].

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٣ ـ ٤ (الطبعة الاولى)،
ابن سعد: الطبقات، جـ ٣، ص ٥٠ ـ ٥١،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٤٤٩.

(٢) الواقدي: المصدر السابق، ص ٣ ـ ٤،
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٥١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٣) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٠٣،
الذهبي: سيرة أعلام النبلاء، جـ ١، ص ٢٩.

(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢.

(٥) ابن سعد: الطبقات، جـ ٣، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٩،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٥١٨ ـ ٥١٩.

(٦) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٩.

(٧) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٩.

(٨) كان خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، على اليمن، وأبان أخوه، على البحرين، وعمرو بن سعيد بن العاص، على سواد خيبر. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٥٣٩).

(٩) ابن حجر: نفس المكان.

(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٥٢٣.

(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٧٣، ٣١١.

وقد تعددت مواهب القرشيين، في المدينة، فجمعوا بين صفات الشجاعة والحرب وفضائل العلم والتفقه في الدين[١]. كما تولى منهم جماعة، على عهد رسول الله (ص)، أمور الفتيا[٢]. وكان يبعث رجالا منهم إلى البلدان لتعليم الناس السنة وأصول الاسلام[٣].

وكان لرجال ثقيف مشاركة بارزة في إدارة شئون المجتمع المدني على عهد النبي (ص) كالمغيرة بن شعبة، وكان يقال له مغيرة الرأي، لدهائه وحسن تدبيره[٤]. وللثقفيين أيضا نصيب كبير في مراكز القيادة والمشاركة في الغزوات[٥]. فقد أصبحوا عصب كثير من البعوث والسرايا. ولدينا نص يذكر أنه قد أصيب منهم يوم الجسر مع أبي عبيدة ثلاثمائة رجلا[٦]، مما يعطي فكرة عن مدى مشاركتهم بأعداد كبيرة في الغزوات على عهد النبي (ص). على اعتبار أن نسبة المصابين كانت كبيرة مما ينبيء عن كثرة المشتركين منهم في تلك السرية. كما أنه قد تعني كثرة المصابين فيهم، أنهم كانوا على جانب كبير من الشجاعة والجرأة والاقدام، مما عرضهم لتلك الاصابات أكثر مما قد تدل على كثرتهم. إلا أنه مهما كان الأمر فإن الثلاثمائة أنفسهم الذين شاركوا في سرية جسر أبي عبيدة وأصيبوا، يعدون نسبة كبيرة بحد ذاتها.

وقد ضم المجتمع المدني، عددا من حلفاء قريش ممن دخل في الاسلام عن إعجاب وايمان[٧]. وهم من كانت لهم سابقة في دخول الاسلام والهجرة إلى الحبشة[٨]. ثم الهجرة إلى المدينة، مع المهاجرين الأوائل، الذين شهدوا مع رسول الله مشاهده[٩].

ويبلغ عدد حلفاء قريش ممن سكن المدينة وصحب رسول الله (ص)، حسب ما ذكره ابن حجر، حوالى ٣٩ صحابيا، وكان أغليهم من خزاعة وبلى وعذرة، وجعفى، وأسد خزيمة، ومزينة، وهذيل، وسليم، وتميم، وكندة، والازد، والليث، وعنز، وهوس، وقضاعة، وحضرموت، وعنس، وثقيف، ومازن، وعجل، والقارة[١٠]. وقد شارك

---

(١) ابن سعد: **الطبقات**: جـ٣، ص ١٠٢ - ١٠٤، ١١٦ - ١١٨،
الذهبي: **سيرة أعلام النبلاء**، جـ١، ص ٢٧ - ٣٠،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٢، ٣٣٠ - ٣٣١.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٢، ص ٤١٦.
(٣) ابن سعد: المصدر السابق، جـ٣، ص ١١٦ - ١١٨، ٤١٠ - ٤١١.
(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٤٥٢ - ٤٥٣.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٢، ص ٣٥٧.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٢ - ٣، جـ٤، ص ٤٥.
(٧) ابن حجر: **الاصابة**، جـ١، ص ٤٥٨، جـ٢، ص ٥٢١.
(٨) ابن سعد: **الطبقات**، جـ٣، ص ٢٦٥، ٣٨٦ - ٣٨٧، ٣٩٠،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٨٧.
(٩) ابن سعد: المصدر السابق، جـ٣، في أماكن متفرقة،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ١، ص ١٣٩، ٤٨٦، جـ٢، ص ٥١٢ وفي اماكن متفرقة.
(١٠) انظر كتاب **الاصابة**، في أماكن متفرقة من الاجزاء الاربعة، ابن سعد: المصدر السابق، جـ٣، ص ٨٩ وما بعدها.

هؤلاء الحلفاء في حياة المدينة السياسية والدينية والأمور العامة. فكان منهم أمراء السرايا وعمال البلدان وعمال الأخماس والسفراء إلى الملوك[١].

ومما يجدر ذكره أنه ـ حسب علمنا ـ لم ينضم إلى ثقيف، بعد هجرتهم إلى المدينة، حلفاء كما هو الحال بالنسبة لقريش، التي انضم إليها حلفاء جدد من سائر القبائل[٢].

## ٥ ـ المهاجرون من قبائل وأفناء العرب

نقصد بالمهاجرين من قبائل وأفناء العرب، بقية المهاجرين من القبائل العربية ممن لم نتحدث عنهم تفصيلا، رغبة في الاختصار وأملا أن يكون في ذلك تيسيراً لمن أحب المقارنة السريعة بين جموع تلك الأمة في المجتمع المدني.

وينتسب معظم هؤلاء المهاجرين الى القبائل العربية التالية: بلي، جهينة، حنيفة، تميم، الأزد، ذهل، عجل، ثمالة، هلال، كنانه، هوازن، خثعم، مزينة، الليث، غطفان، ضبة، غفار، غافق، عقيل، جشم بن سعد، عامر، ثعلبة، جعل، مذحج، بكر، أحمس، عنز، قضاعة، أسلم، دوس، خزاعة، أشعر، باهلة، طيء، عذرة، مراد، محارب، عبد القيس، بجيلة، غنم بن دودان، نهد، جرم، ذبيان، قشير، أنمار، أسد خزيمة، نمير، جذام، كلاب، النخع، مُرة، جعفي، همدان، كندة، هذيل، فزارة، سدوس، ضمرة، لخم، تنوخ، عبس، أشجع، حضرموت، سليم، حمير، غنو[٣].

ومن المهاجرين من لم تعرف قبائلهم على وجه التأكيد، وهم في الغالب يرجعون إلى القبائل العربية التالية: مجمع، الحارث بن كعب، عكل، ثعلبة بن عتبان، إياد، يشكر، عك، شيبان، مدلج، عنس، بهران، سلول، ثعلبة بن ذبيان، سُعد بن هديم، النكر، القارة، جرهم، البهز، مازن، تغلب بن كعب[٤].

---

(١) ابن سعد: نفس المصدر، جـ٣، ص ٩٢، ٩٥ ـ ٩٨،
ابن حبيب: المحبر، ص ٧٦ ـ ٧٧،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٩٧، جـ٣، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧، ٣٨٨.

(٢) ابن حجر: المصدر السابق، (انظر الأجزاء الاربعة، في اماكن متفرقة).

(٣) انظر: ابن حجر: الاصابة، (الأجزاء الأربعة في أماكن متفرقة).
**Watt; *Muhammad at Medina*, pp. 82 – 130 (Oxford, 1977).**

(٤) ابن حجر: المصدر السابق (الاجزاء الاربعة في اماكن متفرقة). وللمستزيد في معرفة انساب تلك القبائل، انظر: القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، (تحقيق على الخاقاني، بغداد، ١٣٧٨ هـ) في أماكن متفرقة.

وقد ينسب بعض المهاجرين إلى بعض البلدان مثل: اليمامة، اليمن، الطائف، فارس، مكة، الربذة، نجران، زبيد[١]. أما من كان نزاع من هنا وهناك، ممن لا يعلم ممن هم. فأولئك هم من عنينا بالقول أنهم من أفناء العرب[٢].

**الاحصاء التقريبي لعامة المهاجرين فى المدينة**

وقد حاولنا فى هذه الدراسة معرفة الاحصاء التقريبي للمهاجرين فى المدينة، وهو لا يعنى ادعاء المقدرة على إعطاء إحصاء كامل ودقيق عن عددهم. بقدر ما أردنا به تقريب الصورة وتوضيحها فى ذلك. وما ذلك إلا لأننا لم نجد بين أيدينا نصوصا متكاملة أو صريحة عن تعداد القبائل العربية المهاجرة إلى المدينة. وهى معضلة واجهت الكتاب المسلمين عند حديثهم عن الصحابة فقال ابن حجر: «فجمعت كتابا كبيرا فى ذلك ميزت فيه الصحابة من غيرهم ومع ذلك لم يحصل لنا من ذلك جميعا الوقوف على العشر من أسامى الصحابة بالنسبة إلى ما جاء عن أبى زرعة الرازى قال: توفى النبى (ص) ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف انسان من رجل وامرأة كلهم روى عنه سماعا أو رؤية»[٣].

والعدد الذى ذكره أبو زرعة يشمل عدد الصحابة فى المدينة وغيرها، وذلك من واقع النص السابق. واستنادا إلى بعض الروايات التاريخية يمكننا القول بأن المسلمين فى المدينة مع بدء الهجرة كانوا قليلا[٤]، لم يصلوا - فيما يبدو - إلى سبعين ألفا، على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[٥]. وكان الاحصاء التقريبي للمسلمين، سواء فى المدينة أم فى غيرها، يوم تبوك، حوالى خمسين ألف رجلا[٦].

ولو أخذنا بالتقدير النسبي لتزايد سكان المدينة معتمدين فى ذلك على تناول الاعداد المذكوره للمقاتلة المسلمين منذ غزوة بدر، لخرجنا بنتيجة شبه مقنعة، وهى أن تزايد أعداد المسلمين فى المدينة نتيجة الهجرة، على عهد النبى، كان بطيئا أول الأمر، ثم سريعا وكبيرا جدا منذ غزوة الخندق. فعدد مقاتلة المسلمين يوم بدر كان حوالى ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا[٧]. ويوم أحد كانوا حوالى سبعمائة رجلا[٨]. ويوم الخندق بلغ عدد المسلمين حوالى ثلاثة آلاف رجل[٩]. وحين خرج الرسول (ص) فى آخر سنة ست، معتمرا، كان الناس سبع مائة[١٠]. وحضر مع الرسول صلى

(١) ابن حجر: **الاصابة**، (انظر الأجزاء الأربعة فى أماكن متفرقة).
(٢) ابن حبيب: **المنمق**، ص ٢٤.
(٣) المصدر السابق، جـ ١، ص ٣ - ٧.
(٤) قال تعالى: «واذكروا إذ كنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس». الآية: الأنفال: ٢٦.
(٥) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٠٩.
(٦) عن منجاب بن راشد الضبي قال: قدم علينا كتاب النبى (ص) عام تبوك، فاستنفرنا إلى تبوك فنفرت إليه تيم والرباب وأخواتها، فكنا ربع الناس، وكانوا ثمانية وأربعين ألفا. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٤٥٨ - ٤٥٩).
(٧) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٥٢٤، الواقدى: **المغازى**، جـ ١، ص ١٥٢ - ١٥٦، طبعة اكسفورد).
(٨) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٥٨٦.
(٩) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٧٠٥.
(١٠) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٧٧٤.

الله عليه وسلم يوم فتح خيبر أقل من ألفي رجل[١]. وبلغ عددهم يوم الفتح، أواخر سنة ثمان، حوالي عشرة آلاف من أهل المدينة[٢]. وبلغ عددهم يوم الطائف حوالي اثني عشر ألفا، منهم ألفان من أهل مكة[٣].

والمعروف، أنه بعد فتح مكة تزايد عدد الذين دخلوا في دين الله أفواجا[٤]. وهذا يجعلنا نميل إلى ترجيح ما رآه بعضهم، من أن الرسول (ص) قبض والمسلمون ستون ألفا بالمدينة وثلاثون ألفا في قبائل العرب وغيرها[٥]. وكان يغذي هذا الجمع المتزايد من المسلمين في المدينة، تتابع المهاجرين أرسالا إليها، حتى ذكر أن من القبائل من أوعبوا جميعا إلى المدينة رجالهم ونساءهم وأطفالهم حتى أغلقت دورهم[٦].

وتجد في الملاحق إحصاء تقريبيا عن أعداد بعض القبائل العربية المهاجرة إلى المدينة والذين شاركوا في الغزوات. مؤملين أن يساعد ذلك في إلقاء الضوء على حجم الكثافة العددية للقبائل المهاجرة، وأن يبين مقدار التناسب بين أعدادهم. كما أوردنا إحصاء آخر عن عدد الصحابة من سائر القبائل ممن روى عن النبي (ص)، تجده في الملاحق أيضا.

وقد ظلت معدلات السرعة في تتابع الهجرة إلى المدينة مستمرة إلى ما قبيل وفاة النبي[٧] (ص). وكان قد بلغ بالنبي (ص) حدا، بعد تكاثر الناس في المدينة على صغرها[٨]، أنه صار من المتعذر عليه ـ في بعض الاحيان ـ التعرف على كثير من الصحابة[٩].

---

(١) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٧٩١ وما بعدها.
البلاذري: فتوح البلدان، جـ ١، ص ٢٩ ـ ٣٢.

(٢) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٨٥٩. وذكر أن من بني سليم سبع مئة رجلا. وقال بعضهم الف رجلا، ومن بني غفار أربع مئة، ومن أسلم أربع مئة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد. (انظر: ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٨٧٧).
الواقدي: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٨٨٩ (طبعة اكسفورد).

(٣) الواقدي: نفس المكان،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٩.

(٤) قال تعالى: «إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا». النصر: ١ـ٣.

(٥) انظر الكتاني: التراتيب الادارية، جـ ٢، ص ٤٠٧.

(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٢٤،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ١٤.

(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٧٥، جـ ٢، ص ١١٨.

(٨) ذكر أن الرجل قد يستغني عن ركوب الدابة فيها، وذلك يدل على قرب المسافات بين مواضعها. (انظر: العدوي: أحوال مكة والمدينة، جـ ٢، ورقة ١١٧. وكان بعضهم قد ذكر ان المدينة كانت في مقدار نصف مكة، أي انها لم تكن كبيرة، حيث أن مساحة مكة كانت محصورة بين الجبال على شكل وادي ضيق. (انظر: ياقوت: معجم البلدان، جـ ٥، ص ٨٢).

(٩) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٤٣.

والظاهر أن الرسول (ص) رأى ضرورة الحد من استمرار هذه الهجرة الكبيرة غير المنظمة، والتى إذا ما استمرت على معدلها، فسوف تفقد المدينة قدرتها على استيعاب المهاجرين وتوفير ضروريات المعيشة لهم. ولذا نجد أن الرسول (ص) قد حرم مساحة محدودة من المدينة لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها(١)، وقدرت تلك المساحة، على أنها بريد فى بريد(٢). وحدود هذا الحرم، ما بين جبل أحد أوثور شمالاً إلى جبل عير جنوبا، وما بين لابتى المدينة، أى حرة واقم شرقا إلى حرة الوبرة غربا(٣). وقد طلب الرسول (ص)، ممن كانت له غنم، أن ينأى بها عن المدينة فإنها أقل أرض الله مطرا(٤).

وكان لتلك الاجراءات فى تحريم المدينة، أثر كبير فى الحفاظ على ثروتها الحيوانية والزراعية. فكان أبو هريرة يقول: والذى نفسى بيده لو أجد الظباء ببطحان ما عاينتها(٥). وقد رأى بعض المؤرخين المسلمين أن حرم المدينة ليس كحرم مكة فى أحكامها(٦). فتحريم المدينة ـ كما أسلفنا القول ـ كان اجراء اقتضته ضرورة الحد من تدفق المهاجرين وتزايدهم فوق قدرة المدينة الاستيعابية.

ويبدو أن مشكلة التفكير فى نتائج تدفق المهاجرين الكبير، قد بدأت فى الظهور، سنة خمس من الهجرة، حين أمر الرسول (ص) برجوع بعض القبائل المهاجرة إلى أموالهم وبلادهم(٧). ومنذ ذلك التاريخ كان الرسول (ص) يحرص عند استقبال وفود القبائل، على سؤالهم عن بلادهم ويدعو لهم بنزول الغيث ثم يجيزهم منصرفين عن المدينة إلى بلادهم(٨). ولم يكن ذلك يتم إلا بعد أن يبقوا فى ضيافة النبى (ص) مددا، لا تتعدى الشهر، ينالون خلالها قسطا من تعاليم الاسلام وفاتحة القرآن وما يتيسر منه(٩). ولم نجد ما يدل على أنه كان يشجعهم على البقاء فى المدينة أو الهجرة إليها، خلال تلك الفترة، من سنة خمس حتى فتح مكة، حيث أعلن ذلك صراحة بقوله: لا هجرة بعد الفتح(١٠). ثم ميز القادرين على القتال بأحقية الهجرة دون غيرهم، مادام العدو يقاتل(١١).

---

(١) البلاذرى: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ٦ ـ ٧.

(٢) كبريت: **الجواهر الثمينة**، ورقة ٨. والبريد، أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع، بذراع اليد. (انظر: السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٠٣).

(٣) البلاذرى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٦ـ ٧،
كبريت: المصدر السابق، ورقة ٨.

(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣١٤.

(٥) البلاذرى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٧،
المطرى: **التعريف**، ص ١٥ ـ ١٦.

(٦) كبريت: المصدر السابق، ورقة ٨.

(٧) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٢٩١.

(٨) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٩) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٥٣، ٧٨، ١٥٦، جـ ٣، ص ٣٤٢، ٤٣٥.

(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٠٣.

(١١) روى عن الرسول (ص)، قوله: «لا تنقطع الهجرة مادام العدو يقاتل». (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٥٢٠).

وقد ساعد قفل باب الهجرة، على انتشار الاسلام بين القبائل فى اليمن والشام وغيرها من أنحاء الجزيرة العربية. وذلك لكثرة ممن وفد على النبى (ص)، وتفقه فى الدين ثم رجعوا إلى قومهم يحدثونهم عن الاسلام ويدعونهم إليه[١]. وكان الرسول (ص) يكتب لبعضهم كتبا تذكر أن حامليها مبعوثون إلى قومهم عامة ومن دخل فيهم، يدعونهم إلى الله ورسوله[٢].

ولعل الدارس لفئات أولئك المهاجرين، يلاحظ أن المهاجرين من أهل نجد يشكلون نسبة ليست بالكبيرة فى المجتمع المدنى. قياسا لما كانت تتمتع به تلك البلاد من إمكانات بشرية واقتصادية مرموقة فى العصر الجاهلى[٣]. وقد كانت بلاد الحجاز تعتمد فى غذائها من الحبوب، على ما يأتيها من نجد، حتى قيل أن اليمامه مريف أهل مكة[٤]. وكان يضرب بمنتوجاتها الحيوانية والزراعية المثل فى الجودة[٥]. كما أن نجدا تعد المصدر الرئيسى للخيول العربية الأصيلة[٦]، حيث تربى فى سهوبها ووديانها أحسن الخيول[٧]. وكان الرسول (ص) يحرص على جلبها إلى المدينة[٨].

ويبدو أن اكتفاء نجد المعيشى وازدهارها الاقتصادى قد قلل من هجرتهم بشكل ملحوظ. ولهذا اتسمت علاقاتهم واتصالاتهم، بالمدينة ـ بادىء الأمر ـ بطابع سياسى، فى الغالب. وهذا ما نجده فى إرسال وفد بنى تميم بهدف المفاوضة لفك أسرى بنى العنبر من تميم[٩]، أو البعثات التى يرسلها مسيلمة إلى المدينة لمناظرة الرسول (ص) ومحاجته[١٠] وقد أسلم معظم من وفد على الرسول (ص)، وبقى فى المدينة[١١]. ومنهم من رجع إلى اليمامة[١٢].

---

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢١١، جـ ٣، ص ٤٤١، ٤٣٥.

(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤١٣، ٤٤١.

(٣) الهمذانى: **مختصر البلدان**، ص ٢٩ ـ ٣٠،

كستر: **الحيرة ومكة**، ص ٤٠. وفى هذا المجال يذكر كستر أن لتاريخ تميم فى العصر الجاهلى أهمية خاصة. وأن المعلومات حول تميم فى المصادر العربية تشير بوضوح إلى العلاقات الوثيقة بين زعماء تميم وملوك الحيرة. وهنالك مركز آخر ارتبطت به تميم بعلائق وثيقة مع مكة، ويذكر كستر أيضا، أنه من الممكن القول أن تميما لعبت دورا ذا أهمية فى تاريخ مكة فى العصر الجاهلى وكانت تساهم كثيرا فى دعم نفوذ هذه المدينة فى المجتمع القبلى لشبه الجزيرة العربية. (انظر: نفس المكان).

(٤) يذكر أن ثمامه بن أثال الحنفى، أحد رؤساء نجد، قد هدد قريشا حين أسلم، بقطع حبوب نجد عنهم إذا ما تمادوا فى عنادهم ومعاداتهم للاسلام. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٠٣، حسن، حسن إبراهيم: **تاريخ الاسلام**، جـ ١، ص ٥، ط ١، القاهرة، ١٩٦٤م).

(٥) الهمذانى: المصدر السابق، ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٨.

(٧) حسن، حسن إبراهيم: المرجع السابق، جـ ١، ص ٥.

(٨) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٣، ص ٧٢٥،

ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٨.

(٩) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٥٨ ـ ٥٩.

(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٣٠.

(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢١، ٥٨ ـ ٥٩، جـ ٣، ص ٦٣٠.

(١٢) ابن خياط: **الطبقات**، ص ٦٥ ـ ٦٦.

ومن غير المستبعد ـ فى رأينا ـ أن يكون من عوامل قلة وجود النجديين فى المدينة وتفضيلهم البقاء فى بلادهم، إنما يرجع إلى طبيعة نفسياتهم، الميالة للغلظة والعجرفة وحب المفاخرة، وهو طبع لا يتفق والروح السمحة السائدة بين الصحابة. وقد وصفهم الله، بأن أكثرهم لا يعقلون[(١)]. وذلك بعد أن دخل وفد بنى تميم مسجد الرسول (ص) ونادوا من وراء حجراته أن أخرج إلينا يا محمد. فآذى ذلك من صياحهم النبى، صلى الله عليه وسلم[(٢)].

وكان الرسول (ص) يفرح باسلام أهل نجد ويؤمل قدوم سادتهم إلى المدينة[(٣)]، وقد وصف أحد سادتهم بأنه سيد أهل الوبر[(٤)]. ويبدو أن لحرص الرسول (ص) على تواجد سادة أهل نجد فى المدينة ما يبرره، فهم على ما اتصفوا به من جلافة فى الطبع والسلوك[(٥)]، إلا أنهم كانوا أصحاب شجاعة وفروسية، يشهد لهم بها. وهى صفات كانت عند المسلمين تعد الغاية وعدة الجهاد مع طاعة الله وصدق الايمان[(٦)]. كما ذكر أن لبعض أهل نجد دراية جيدة بفنون البناء، على عهد النبى (ص)، ويبدو أنهم قد تركوا بصمات واضحة على طريقة وفن العمارة فى المدينة بعد الهجرة. وربما قبل ذلك. فقد حكى أن طلق بن على الحنفى، بنى مع الصحابة مسجد رسول الله (ص). وقال النبى (ص): قربوا له الطين فإنه أعرف[(٧)]. ولهذا يعد وجودهم فى المدينة نافعا ومفيدا.

ومن الأسباب، التى حدت من هجرة النجديين الى المدينة بالشكل الكبير، ما سبق أن ذكرناه عن ازدهار نجد الزراعى الذى سيعود نفعه على المسلمين بشكل أكبر وأضمن إذا ما دخل أهل نجد فى الاسلام وصار هواهم مع المسلمين. وقد عمل الرسول (ص) على تشجيع وتنمية قطاع الزراعة فى نجد باقطاعه بعض النجديين أرضا فى نجد كان بعضها يغل أربعة آلاف ومائتين أردبا[(٨)].

---

(١) قال تعالى: «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون». الحجرات: ٤.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)، ص ٩٦.

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٤.

(٤) ابن حجر: نفس المكان.

(٥) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٥٨ ـ ٥٩.

(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢٣٩.

(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣،
مجهول: فى سيرة الرسول، ورقة ٥.

(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٨٩، جـ ٣، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١. ونحب أن ننوه هنا، الى أن ابن حجر لم يذكر نوع الوحدة حين ذكر أن الارض كانت تغل أربعة آلاف ومائتين. وقد اثبتناها هنا أردبا لأنها كانت وحدة القياس الشائع استعمالها فى تلك الفترة. فقد ذكر أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص، والى مصر، أن يحمل طعاما في البحر يكفي عامة المسلمين حتى يصير به إلى ساحل الجار (ميناء المدينة سابقة) فحمل طعاما إلى القلزم، ثم حمله في البحر في عشرين مركبا في المركب ثلاثة آلاف أردب. (انظر: اليعقوبي: تاريخ، جـ ٢، ص ١٥٤).

## نشاط طوائف المهاجرين

يجد الباحث المتتبع لنشاط سائر المهاجرين فى المدينة أن ذلك النشاط كان كبيرا وواسعا جدا، إلا أن ذكره كان نتفا هنا وهناك فى بطون الكتب التاريخية. وخاصة كتب الطبقات والسير والتراجم. ولعلها المأثرة البارزة لابن حجر فى كتابه الاصابة - كما رأينا - أنك تجد فى ثنايـاه إشارات وافية وموجزة عن رجال مجهولين قاموا بدور طيب ومفيد فى المجتمع المدنى على عهد النبى (ص) وبعده. وكان أبرز نشاطهم اهتمامهم بالرواية عن الرسول (ص). وقد جاء ذلك نتيجة ملازمتهم له، سواء فى المسجد، لحرصهم على أداء الصلاة معه[١]، أوفى مجلسه[٢]، أوعلى طعامه[٣]. وكانت المباسطة وانعدام الوحشة بين الرسول (ص)، وأصحابه، هى أساس العلاقة الحميمة القائمة بينهم. فقد ذكر أن النبى (ص) مر بمخارق الهلالى، وهوكاشف عن فخده ولم يواره حتى قال له النبى (ص) وار فخذك فإنها عورة[٤]. ولم يؤنبه على سواها. وقد روى أن أبا هريرة، وكان أحفظ الصحابة لاخبار رسول الله (ص)، كان جريئا على أن يسأل رسول الله عن أشياء لا يسأله عنها غيره[٥].

ولقد تميزت روايات أولئك المهاجرين عن الرسول (ص)، نتيجة تلك الملازمة الحميمة والدائمة، بمعلوماتها الدقيقة وأحيانا بالخصوصية مما لم يكن بعض الرواة من الصحابة يأتى على ذكرها، لعدم ملاحظته الدقيقة أولعدم تقديره لما تحويه من معانى منظمة للحياة والسلوك العام. ومن ذلك: الروايات الخاصة بآداب الطعام. ذكر أبو خميصة المزنى. أنهم حضروا طعاما مع رسول الله وهو يشتغل بحديث رجل أو إمرأة فجعلوا يأكلون ويقصرون فى الأكل. فأقبل عليهم النبى (ص)، فأكل معهم ثم قال: كلوا كما يأكل المؤمنون، فأخذ لقمة عظيمة ثم قال: هكذا لقما خمسا أو ستا إن كان مع ذلك شىء وإلا شرب[٦]. وروى نعامة الضبى قال: كان رسول الله (ص) إذا قرب إليه الطعام قال: سبحانك ما أحسن ما ابتليتنا، سبحانك ما أكثر ما أعطيتنا، سبحانك ما أعظم ما عافيتنا[٧].

ومن أمثلة تلك المعلومات الدقيقة، التى حرص صحابة رسول الله (ص) من المهاجرين على حفظها وذكرها لما تشتمل عليه من صور صادقة لعادات المجتمع المدنى، الذى كان فيه الرسول (ص) القدوة الحسنة، ما ذكرته بنت مشرح الأشعرى، أن أباها مشرحا قص أظفاره فجمعها ثم دفنها ثم قال: هكذا رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم[٨]. أو مارواه أحدهم، واصفا نعلى رسول الله (ص)، وكيفية شدهما[٩].

وقد اتخذ الرسول (ص)، من بعض المهاجرين أدلاء على الطريق[١٠]. وكان للكثير منهم خبرة فى ذلك المجال.

---

(١) ابن حجر: الاصابة، جـ٣، ص ٢٣٨، ٢٧٨، ٤٠٢، ٤٢٠.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ١٩٧، جـ٣، ص ٢٧٧.
(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، (هامش كتاب الاصابة، جـ١)، ص ٦٣.
(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٣٨٩.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٤، ص ٢٠٦.
(٦) ابن حجر: الاصابه، جـ٤، ص ٤٧.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٥٥٨.
(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٤٢١.
(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٤٦٦.
(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٤٢٥.

ولم تكن تلك الخبرة مقتصرة على معرفة طرق مرابعهم ومنتجعاتهم القريبة فحسب، فقد ذكر ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر الأسلمي، إنهم كانوا بالغميم فجاء رسول الله (ص) خبر قريش أنها بعثت خالد بن الوليد، جريدة خيل يتلقى رسول الله (ص)، فكره رسول الله (ص) أن يلقاه، وكان لهم رحيما، فقال: من برجل يعدلنا عن الطريق؟ فقلت: أنا بأبي أنت وأمي يارسول الله، قال: فأخذت بهم في طريق قد كان بها فدافد وعقاب فأستوت لي الأرض حتى أنزلته على الحديبيه[1]. كما وصف أحد المهاجرين، بأنه كان من أهدى الناس بالطريق[2].

وقد شاركت طوائف المهاجرين في الغزوات والبعوث كجنود مجهولين على الرغم من أن أحدهم ذكر أنه قتل تسعة وتسعين من المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]. وكان صدق الايمان أعظم دافع لهؤلاء المهاجرين على أقدامهم وحرصهم على خدمة الاسلام والذود عن حياضه. ومن ذلك ما ذكر أن محرز بن نضلة الأسدي ويعرف بالأخرم، جاء يتخلل الشجر مع فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أولهم، وذلك في غزوة ذي قرد. فأخذ أحد الصحابة بعنانه فقال: يا أخرم أحذرهم لا يقتطعونك قبل أن تلحق رسول الله (ص)، وأصحابه. فقال: إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة[4]. وهنا نجد أن ايمانهم الصادق ورغبتهم في الشهادة في سبيل الله، كان هو الباعث القوي على اخلاصهم واندفاعهم لنصرة الاسلام، زاهدين فيما سوى ذلك من مركز أو سمعة.

وقد ساهم عدد كثير من طوائف المهاجرين، جنبا إلى جنب مع الانصار أثناء الغزوات، على تنطس أخبار العدو وتتبع حركاته[5].

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٥٤١.

الغميم: بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناه من تحت ميم أخرى، وهو الكلأ الأخضر تحت اليابس. والغميم، فعيل بمعنى مفعول أي مغموم وهو الشيء المغطى. والغميم هنا موضع له ذكر كثير في الحديث والمغازي، وهو قرب المدينة بين رابغ والجحفه. وهناك موضع آخر بين مكة والمدينة يقال له: كراع الغميم. (انظر: ياقوت: **معجم البلدان**، جـ٤، ص ٢١٤).

الحديبيه: بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنه وباء موحدة مكسورة: قرية متوسطة، ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة، التي بايع رسول الله (ص) تحتها. وبينها ومكة مرحلة. وبينها وبين المدينة تسع مراحل. (انظر: ياقوت: نفس المصدر، جـ٢، ص ٢٢٩).

(٢) هو فرات بن حيان بن ثعلبة بن عبد العزى اليشكري ثم العجلي، حليف بني سهم. (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٠٠ - ٢٠١).

(٣) والمهاجر المذكور، هو لقيط بن أرطاة السكوني. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٢٥٩، ٣٠٦، ٣٢٩، وفي أماكن متفرقة، جـ٤، ص ٤٨، ٥٣).

(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٣٦٨.

ذي قرد: بفتح القاف، ويقال قرد بضمتين، والقرد في اللغة الصوف الرديء. (انظر: السهيلي: **الروض الأنف**، جـ٤، ص ١٤). وغزوة ذي قرد، سببها هجوم عيينه بن حصن الفزاري في خيل من غطفان على لقاح لرسول الله (ص) بالغابة. (انظر: ابن اسحاق: **السيرة**: جـ٣، ص ٧٥١ - ٧٥٢).

(٥) ابن عبد البر: **الاستيعاب**، (هامش كتاب الاصابة، جـ١). ص ٦١، ٦٣، ٧٤.

وتعد مساهمة بعض المهاجرين فى مجال الطب بالمدينة، مساهمة كبيرة ورائدة، حيث ذكر أن أبا رمثة التميمى كان طبيبا على عهد رسول الله (ص) مزاولا لأعمال اليد وصناعة الجراح[١]. كما كان على أيامه، الحارث بن كلدة الثقفى، وكان قد تعلم الطب بناحية فارس وتمرن هناك. وعرف الداء والدواء، وبقى أيام رسول الله (ص)، وأيام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية[٢]. كما كان فى أيام رسول الله (ص)، أطباء من حى قبيلة أنمار، يداوون الجراح ويجتهدون فى ذلك[٣].

---

(١) ابن ابى اصيبعة: عيون الأنباء، جـ ٢، ص ٢٣.
(٢) ابن جلجل: طبقات الاطباء والحكماء، ص ٥٤ (القاهرة، ١٩٥٥م)،
ابن ابى اصيبعة: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٣.
(٣) ابن جلجل: المصدر السابق، ٥٤.

# الفصل الثالث

# الأوضاع العامة للسكان في المدينة بعد الهجرة

- أولا: النواحي الاجتماعية العامة
- ثانيا: العلاقات الاجتماعية بين السكان

## أولا: النواحى الاجتماعية العامة

### الدعوة إلى الهجرة

يجد المطلع فى كتب الحديث، أن الرسول (ص)، بعد هجرته إلى المدينة، كان يرغب فى الهجرة ويجعلها شرطا مهما فى المبايعة على الاسلام، وتمامه[1]. وكان أيضا يحط من جدوى أسلوب البداوة والترحل فى تلك المرحلة[2]. ومن ذلك ما نجده فى القرآن الكريم كقوله تعالى: «الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله[3]». ويذكر أنه شاع بين الناس فى المدينة على عهده (ص)، أنه قد نهى عن قبول هدايا الأعراب أو طعامهم[4]. وقد أريد بالأعراب هنا، كل منقطع فى البادية، لا يتصل بالمسلمين فى المدينة ولا يجيب داعى الجهاد والدين[5]. ويبدو أن ذلك قد حدث بعد أن أهدى له أعرابى ناقتين، فعوضه لم يرض مما حمله على القول: لقد هممت ألا أتهب إلا من قرشى أو أنصارى أو ثقفى[6]. وذلك يعطى فكرة عن وجود محاولة لتهجير الأعراب وربطهم بالحاضرة، وإظهار ما كانوا عليه من تخلف فى أدب المعاملة وجفوة فى الطبع، حين قرن أسباب ذلك بالعزلة والانقطاع فى البادية. مستنتجين كل ذلك من المقارنة بينهم وبين قبائل قريش والأنصار وثقيف، وهى قبائل عربية مستقرة ومتحضرة، ويروى أن الرسول (ص)، حين سئل عن قول الله تعالى: «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات»[7].

---

(١) مالك: الموطأ، جـ ١، ص ١٩٦ - ١٩٧،

ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٣٠٢، جـ ٣، ص ٤٤٠.

(٢) ذكر أن الرسول (ص)، لما نزل بتبوك أشار بيده فقال: الايمان يمان والجفاء وغلظ القلوب فى الفداديد، أهل الوبر. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٥، جـ ٤، ص ٤٦٣). والفداديد أو الفدادين: جمع فداد، وهو من الفديد، أى الصوت الشديد، فهم الذين تعلوا أصواتهم فى إبلهم وخيلهم ونحو ذلك. (انظر: مسلم: الصحيح، جـ ١، ص ٧١، الهامش رقم ٢، نفس المكان).

(٣) براءة: ٩٧.

(٤) روى عن عائشة «رضى الله عنها» أنها قالت: «أهدت أم سنبله الأسلمية لرسول الله (ص)، لبنا فدخلت عليه فلم تجده. فقلت لها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد نهى أن نأكل ما تهديه الأعراب، فدخل رسول الله (ص)، وأبو بكر، فقال: يا أم سنبله ما هذا معك؟ قالت: لبن أهديته إليك. قال: اسكبى يا أم سنبله، فناولته رسول الله فشرب. فقالت عائشة: يارسول الله قد كنت حدثتنا أنك نهيت عن طعام الأعراب؟ فقال: يا عائشة، ليسوا بأعراب، هم باديتنا ونحن حاضرتهم، إذا دعوناهم أجابوا فليسوا بأعراب». (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٤٦٣).

(٥) ابن حجر: الاصابة، جـ ٤، ص ٤٦٣.

(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٤١.

(٧) قال تعالى: «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون». الحجرات: ٤.

قال: هم الجفاة من بنى تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للأعور الدجال لدعوت الله أن يهلكهم[١]. وهنا نرى أن الذى شفع لأولئك الأعراب الجفاة عند رسول الله (ص)، هو تميزهم بالشدة فى القتال، والا استحقوا غضب الله ورسوله، لأنهم سيكونون عالة - ولا ريب - على دولة الاسلام بتعطل قدراتهم الفكرية والاقتصادية، إذا ماطال انقطاعهم فى البادية. وذلك النص يعبر عن وضع دولة الاسلام، عند قيامها فى المدينة، وحاجتها إلى احتياطى كبير من الجنود الذائدين عن حياضها. ولهذا فإن وجود الأعراب، ذوى الشدة القتالية، فى المدينة سوف يجعل مهمة استنفارهم للجهاد سهلة وميسرة. ولذلك قيل: «لاتنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»[٢].

ومما سبق يمكننا استنتاج أن الدعوة الى الهجرة كانت تستهدف أولا تكوين مجتمع الامة الاسلامية الجديد، القائم على أسس قوية من الاستقرار والتحضر، والبعد ما أمكن عن الفردية والانعزالية، كما استهدفت ثانيا، إعداد النواة القوية الأولى للجيش الاسلامى لممارسة مهامه فى الجهاد ومقاتلة الكفار.

### الاستعداد النفسى والسياسى لنشر الاسلام

وبعد أن اطمأن الرسول (ص) على نجاح خطته لتكوين المجتمع الاسلامى القوى فى المدينة، بدأ فى تنفيذ مرحلة أخرى لبناء المجتمع الاسلامى الكبير وتوسيع نفوذه ليشمل العالم أجمع. وقد استنتجنا ذلك مما كان يتناقله المسلمون على عهده (ص)، من أحاديث كقوله: يظهر المسلمون على جزيرة العرب وعلى فارس والروم وعلى الأعور الدجال[٣]. وقوله: إن الأرض ستفتح عليكم، وتكفون المؤونة فلا يعجز أحدكم أن يلهو بسهمه[٤]. ثم أن الرسول (ص)، كان يحث الناس على الاكثار من النسل ويقول: لاتزوجن عجوزا ولا عاقرا، فإنى مكاثر بكم الأمم[٥]. والنص السابق أيضا، يصور حالة دولة الاسلام فى المدينة وحاجتها إلى زيادة عدد سكانها لمواجهة التحديات التى كانت تحيط بها من أعدائها، أعداء الاسلام. فهذه المرحلة التى نتحدث عنها تعد مرحلة تهيؤ واستعداد نفسى وسياسى استهدف رفع معنويات المسلمين وبث الثقة فى نفوسهم ليكونوا أكثر قدرة وجدارة لنشر الاسلام وتوسيع نفوذه.

وقد بدأت تلك الجهود بإرسال السرايا حول المدينة بغية تأمين سلامة حدودها وتأكيد قوة المسلمين وسيادتهم فيها، وذلك بموادعة القبائل المحيطة بالمدينة، على أن لا يغزوهم ولا يغزون المسلمين ولا يعينوا عليهم أحدا[٦]. كما أن من

---

(١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٠.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٣٧٣.
(٣) ابن حجر: الاصابة، جـ٣، ص ٥٩٣.
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٧.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ٣٢١، جـ٣، ص ٥٠.
(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ٢، ص ٤٢٧ - ٤٢٨، جـ٣، ص ٢٩٢،
ابن حبيب: المحبر، ص ١١٠ - ١١١،
البلاذرى: الأنساب، جـ١، ص ٢٨٧،
ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٧٢.

أهداف تلك السرايا، إخضاع من يظهر تحديا أو مقاومة لنفوذ الرسول (ص) فى المدينة من القبائل العربية[١].

ولأن الخطر العظيم على الاسلام فى المدينة كان يأتى من قبل قريش، لذا فقد وجهت ضدها حملات حربية مركزة استهدفت - بادىء الأمر - قطع طرق تجارتها مع الشام[٢]، ومع العراق[٣]. حتى حصرتهم تلك الحرب وأنهكت أموالهم[٤]. وقد أجبرهم ذلك على توقيع صلح الحديبية مع المسلمين[٥]، والاعتراف بسلطانهم فى المدينة[٦]، ثم انتهت تلك المجابهة بعد فتح مكة سنة ثمان، بإسلام جميع قريش[٧].

وعلى المستوى الدولى أو الخارجي بالنسبة لمنطقة نفوذ المدينة، وحدود الجزيرة العربية، بدأت مرحلة الاتصال بدول العالم، سياسيا، بإرسال الرسل إلى الملوك، يدعون إلى الاسلام. وكتب إليهم رسول الله (ص)، كتبا. واتخذ خاتما من فضة وختم به تلك الكتب[٨]. وكان خرج ستة نفر منهم فى يوم واحد، وذلك فى المحرم سنة سبع[٩]. ويعد ذلك الاتصال بالعالم، تحولا في مجريات السياسة العالمية، لظهور سلطة منظمة في الجزيرة العربية لها من القوة والسلطان ما يجعلها تكاتب الملوك والعظماء من منبر الدعوة والارشاد. حتى أن بعض العرب - حينذاك - كانوا ينظرون إلى الرسول (ص) على أنه ملك يثرب[١٠]، وحامى العرب في الجزيرة، وملكهم[١١].

### التكيف فى المجتمع المدنى بالنسبة للمهاجرين

كانت أولى الصعوبات التى واجهت المهاجرين، هى محاولتهم التكيف مع المناخ السائد فى المدينة، والذى وإن كان لا يختلف كثيرا عن مناخ الجزيرة العربية، إلا أن كثرة الزراعة فى المدينة وقلة الأيدى العاملة - فيما يبدو - وهى اللازمة لاصلاح التربة وتصريف المياه[١٢]، قد جعل من هواء المدينة - حينذاك - وبيئا. فاشتكى المهاجرون من الحمى

---

(١) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٣٥، جـ ٣، ص ٦٩٢،
الواقدى: المغازى، ص ٤ - ٥. (الطبعة الاولى).
(٢) الواقدى: نفس المصدر، ص ١١. (الطبعة الاولى).
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٣، ص ٢٤١ - ٢٤٨.
(٣) ابن كثير: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢٤٨ - ٢٥٢.
(٤) الاصفهانى: الأغانى، جـ ٦، ص ٣٢٥.
(٥) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٨٥٥،
الاصفهانى: المصدر السابق، جـ ٦، ص ٣٢٥.
(٦) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٨٥٥.
(٧) البلاذرى: فتوح البلدان، جـ ١، ص ٤١،
ابن كثير: المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٦٤ - ١٦٩.
(٨) ابن سعد: الطبقات، جـ ١، ص ٢٥٨ - ٢٦١،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٣٧٧، جـ ٣، ص ٤١١، ٤٩٥.
(٩) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٥٨.
(١٠) البلاذرى: فتوح البلدان، جـ ١، ص ٢٦ - ٢٧.
(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٣.
(١٢) ذكر أن المربد، الذى بنى على أرضه مسجد الرسول (ص)، كان فيه ماء مستنجل. فسيروه حتى ذهب، والمستنجل ممشى ماء المطر. (انظر: الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ١، ص ٣٤٣).

ومرض كثير منهم[١] . وكان أهل البادية أكثر المهاجرين تضايقا وشكوى من هواء المدينة ومنهم من استأذن الرسول (ص) في سكنى البادية[٢] . وذكر أن رهطا من عكل وعرينة ، أتوا النبي (ص) فقالوا : يارسول الله إنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، وإنا استوخمنا المدينة ، فأمر لهم النبي (ص)، بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها[٣] .

على أننا نجد ـ فيما بعد ـ أن المهاجرين أصبحوا أكثر تكيفا وتعودا على جو المدينة ، وذلك بعد اتساع العمران في أرجائها وطول الاقامة بها، بالاضافة إلى ما ورد من دعاء عن الرسول، بأن يحبب الله إليهم المدينة ويصححها، وأن تنقل حماها إلى الجحفة[٤] . ولذلك ألف الناس ذلك الطقس واستطابوا هواءه وفضلوه على ما سواه[٥] . ونذلل على ذلك بما حصل لأحد المهاجرين بعد أن نفاه ابن الزبير مع من نفاه من بني أمية عن المدينة إلى الشام . فلما طال مقامه بها قال أبياتا يحن فيها لربوع المدينة[٦] .

وقد صاحب ذلك التكيف مع المناخ تكيف اجتماعي وتمثيل شبه تام شمل سكان ذلك المجتمع المتعدد الألوان والأشربة . وكان للرسول (ص) دور كبير في حصول ذلك التكيف، فهو المعلم وهو الموجه والعامل على صهر عادات

---

(١) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ،
ابن كثير : **البداية والنهاية**، جـ ٣، ص ٢٢١ .
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ١٣٩ .
(٣) وكان بعضهم يقول: هم ناس من سليم، ومنهم عرينة وناس من بجيلة .
(انظر الطبري : **جامع البيان**، جـ ٦، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧).
(٤) ابن كثير : المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٢١ ،
المطري: **التعريف**، ص ١٥ ،
السمهودي: **الوفاء**، جـ ١ ، ص ٥٦ . ومما يدلل به أيضا على أثر العمران في تصحيح هواء المدينة ، ما ذكر عن عائشة «رضي الله عنها» أنها قالت: «وقدمنا المدينة ، وهي أوبأ أرض الله . قالت: فكان بطحان يجري نجلا، يعني ماء» . (انظر: **المطري**: المصدر السابق، ص ١٥) . ويبدو أن اهتمام المهاجرين بنظافة المدينة جعلهم يكثرون من إحراق البخور في أجوائها . وفي ذلك ذكر انه قدم على عمر بن الخطاب بسقط عود فلم يسع الناس، فقال: جمروا به المسجد، ينتفع به المسلمون . (انظر: ابن رسته: **الاعلاق النفيسة**، جـ ٧، ص ٦٦) . وقد ذهب بعضهم في قوله حدا، بأن العطر والبخور من الرائحة الطيبة إذا كان في المدينة ، أضعاف ما يوجد له في غيرها من البلدان .
(انظر: ابن رسته: نفس المصدر، جـ ٧، ص ٥٩) .
**الجحفة** : منزل بالقرب من مكة . واشتق اسمها من الجحف، وهو اقتلاعك الشيء، واستئصالك إياه . وسميت الجحفة، لأن السيل جحف أهلها، أي اقتلعهم فذهب بهم . (انظر: ابن دريد: **الاشتقاق**، ص ٣٠٨) .
(٥) الاصفهاني: **الأغاني**، جـ ١، ص ٣٩ .
(٦) ومما قال :

| | |
|---|---|
| ألا ليت شعري هل تغير بعدنا | قباء وهل زال العقيق وحاضره |
| وهل برحت بطحاء قبر محمد | أراهط غر من قريش تباكره |
| لهم منتهى حبي وصفو مودتي | ومحض الهوى مني وللناس سائره |

(انظر: الأصفهاني : نفس المكان). على أن ذلك لا يعني في الواقع، أن هواء المدينة قد نقي تماما . فقد ذكر وجود للحمى بالمدينة، حتى سنة تسع من الهجرة . (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٥٧٢ ـ ٧٣).

الجميع فى قالب إسلامى واحد[١] . وقد ظهر ذلك فى دعوته إلى توحيد آداب المائدة[٢] ، وآداب السلوك والمجالس[٣] ، وغير ذلك من العادات والتقاليد الاسلامية . وبإمكان من أراد الزيادة والاطلاع أن يرجع إلى كتب الفقه والحديث كالموطأ لمالك، وصحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن أبي داوود وغيرها، ففى أبوابها أحاديث كثيرة يستنتج من دراستها صورة ما كان عليه المجتمع المدنى من تقاليد وعادات، على اعتبار أن الرسول (ص)، كان هو القدوة الحسنة فى ذلك المجتمع وما كان يأمر به كان يتبع بصفة عامة . كما أننا سنشير إلى بعض هذه العادات، خلال البحث.

ولو تناولنا حديثا لعائشة ـ كنموذج لما ذكرنا ـ روت فيه عن رسول الله قوله : «عشرة من الفطرة، قص الشارب واعفاء اللحية والسواك، والاستنشاق بالماء وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء به[٤] »، لأمكننا تتبع ذلك التطور فى التقاليد وحقيقة التكيف الاجتماعى على عهد رسول الله (ص)، فالذى نعرفه أن عادة الغسل بالماء بعد قضاء الحاجة كانت عادة شائعة فى أهل المدينة قبل الهجرة[٥] . ويقال إنهم اكتسبوها عن جيرانهم اليهود[٦] .

## الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن الهجرة

أولى الصعوبات الاجتماعية، التى واجهت المهاجرين، كانت مسألة الحصول على مساكن ملائمة للسكنى . وقد نزل بعضهم على بيوت الأنصار بقباء[٧] . ثم ضرب الرسول (ص)، فى المدينة الخيام، فى صحن المسجد لسكنى الوفود خلال تلك الأزمة[٨] . وعمل على تشجيع البناء ودعى بالبركة لمن باع عقارا أو دارا، وجعل ثمنها فى مثلها[٩] .

---

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٥٤.
(٢) ابن حجر: نفس المكان.
(٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٤١.
(٤) ابوداوود: السنن، جـ ١، ص ١٤. (القاهرة، ١٣٥٤هـ).
(٥) ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٩١.
(٦) عن عويم بن ساعدة أن النبى (ص)، قال لاهل قباء: «إن الله قد أحسن الثناء عليكم فى كتابه العزيز. فقال: فيه رجال يحبون أن يتطهروا إلى آخر الاية. ما هذا الطهور؟ فقالوا: ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا.» (انظر: المطرى: التعريف، ص ٤٩).
(٧) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٢٨ ـ ٣٤١،
ابن سعد: الطبقات، جـ ٣، ص ٢٣٢،
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٣، ص ١٧٣ ـ ١٧٤،
السهيلى: الروض الأنف، جـ ٢، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١،
البلاذرى: فتوح البلدان، جـ ١، ص ١.
(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٥ ـ ٤٦.
(٩) ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٤٥ ـ ٤٦.

كما حلت مشكلة النقص في وجود مساكن ملائمة لكثير من الشباب العزاب بايجاد سكن خاص بهم كان يسمى بيت العزاب[١]، وقيل بيت الغرباء[٢]. ويقول ابن سعد: ونزل العزاب من أصحاب رسول الله (ص) على سعد بن خيثمة[٣]. أما الصعوبات الاقتصادية، فقد كانت أعضل حلا، وقد تمثلت في ضرورة توفر الطعام الكافي للمهاجرين. حيث كانت تمر على أهل المدينة أوقات لم يكن طعامهم فيها سوى التمر والماء، وأحيانا خبز الشعير[٤]. وهي أوقات كانت بمثابة الابتلاء والاختبار من الله تعالى لمعرفة قدرة المسلمين ومدى تحملهم. كما قال تعالى: «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين[٥]».

وقد أشرك الرسول (ص)، أهل المدينة في مسئولية العمل على تخفيف حدة ما كان يمر على المدينة من أيام يشتد فيها الجوع وتنقص الثمرات، وذلك حين نهى، في وقت من الاوقات، عن ادخار لحوم الأضاحي لأكثر من ثلاث ليال، وأمر بالتصدق بما بقي من لحومها[٦]، وذلك من أجل مساكين قدموا المدينة، وقت الأضاحي، ورأى ضرورة كفالة معيشتهم وسد حاجتهم[٧].

ولما كثر الناس بالمدينة، قال الرسول (ص): «يرحم الله رجلا كفانا قومه. فقام سبيع بن نضر فقال: من كان ههنا من مزينة فليقم، فقامت حتى خفت المجالس. فقال رسول الله (ص) يرحم الله مزينة[٨]. «وقد أنب الرسول (ص)، صاحب حائط في المدينة، دخله أحد المهاجرين، وكان جائعا، فأكل منه فضربه صاحب الحائط، فقال له الرسول (ص): «ما علمته إذ كان جاهلا ولا أطعمته إذ كان جائعا[٩]. ومع ذلك، فإن الصحابة كانوا يتفقدون بعضهم البعض، ولا يألون جهدا في سبيل تقديم ما يستطيعون تقديمه لاخوانهم إذا عرفوا حالتهم[١٠]. كما أن معظم أصحاب النخيل، من أهل المدينة، كانوا يهبون شيئا معلوما من نخليهم، يعرف باسم العرايا، وهي قد تكون نخلة أو نخلتين[١١].

(١) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٣٠، ٣٤١ ـ ٣٤٢،
ابن كثير: **البداية والنهاية**، جـ ٣، ص ١٩٧.
(٢) الديار بكري: **تاريخ الخميس**، جـ ١، ص ٣٣٦.
(٣) **الطبقات**، جـ ٣، ص ٢٢٩. والعزاب أو العزب: يقال تعزب الرجل، ترك النكاح وكذلك المرأة. (انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، جـ ٢، ص ٧٦٣).
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٧٠٣ ـ ٧٠٤،
ابن كثير: المصدر السابق، م ٢، جـ ٤، ص ٩٩ ـ ١٠٠،
ابن النجار: **الدرة**، ص ٤٩ ـ ٥٢.
(٥) البقرة: ١٥٥.
(٦) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥.
(٧) مالك: نفس المكان.
(٨) ابن خياط: **الطبقات**، ص ٦٤ ـ ٦٥.
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ١٥.
(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٦٥.
(١٠) يروى أن رجلا من الانصار يكنى أبا شعيب قال لغلام له قصاب: أجعل لي طعاما يكفي خمسة فاني أريد أن أدعو النبي، (ص)، خامس خمسة. فإني قد عرفت في وجهه الجوع، وقد فعل الغلام ما أمر به فدعاهم الرجل وشاركهم أحد الغرباء طعامهم فكفاهم جميعا. (انظر: البخاري: **الصحيح**، جـ ٣، ص ٥١).
(١١) البخاري: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٦ ـ ٦٧.

وكان الرسول (ص)، قد رأى أفضلية الحد من تدفق المهاجرين، لمواجهة تلك الصعوبات. فقد ذكر أنه حين قدم وفد مزينة، سنة خمس من الهجرة، وعددهم أربعمائة، جعل لهم الرسول (ص)، الهجرة في دارهم. وقال: أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم، فرجعوا إلى بلادهم(١). وبعد فتح مكة أسقط الرسول (ص)، وجوب الهجرة إلى المدينة وقال: «لا هجرة بعد الفتح(٢)». بمعنى أن الرسول (ض)، لم يقفل باب الهجرة كلية، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم، في حديث آخر: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار(٣) أو كما قال: لا هجرة، ولكن جهاد ونية، فإذا استنفرتم فانفروا(٤).

**تضافر الجهود في العمل**

كان لتعدد الكفاءات والمواهب في المدينة على عهد الرسول (ص)، ميزة عظيمة، حظيت بها دون سواها من المدن، مما أعطاها قدرة كبيرة على الحركة والتفاعل السريع مع الأحداث. وقد حرص الرسول (ص)، على توظيف جميع تلك الطاقات والاستفادة منها في مجالات خارجية وداخلية، تخدم أمور الدولة السياسية والاجتماعية.

ونجد أن الرسول (ص) في المجال السياسي، عند اختياره لمبعوثيه السياسيين إلى ملوك العالم، لم يقصر تلك المهمة في رجال قبيلة ما أو في قبائل معروفة، حتى ولو شهد لتلك القبيلة أو غيرها بالتجربة السياسية، كقريش(٥)، أو ثقيف(٦)، مثلا. بل عمد (ص) إلى انتقاء رجاله من بين عدة قبائل منها قريش وضمرة، وكلب، ولخم، وأسد خزيمة، وبجيلة، وحضرموت، وبني عامر وغيرهم(٧).

وقد أظهر أولئك المبعوثون، استعدادا جيدا لانجاح مهامهم. فذكر أن كل رجل منهم أصبح يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم(٨).

---

(١) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٢٩١.
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.
(٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٣٧٣.
(٤) ابو داوود: **السنن**، جـ ٣، ص ٧.
(٥) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٣٩.
(٦) انظر سليمان (حسين محمد): **ثقيف من صدر الاسلام حتى سقوط الخلافة الأموية**، (رسالة لنيل درجة الماجستير ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ١٩٧٢م)، ص ٣٠ ـ ٣٥.
(٧) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٦،
ابن حبيب: **المحبر**، ص ٧٥ ـ ٧٦.
(٨) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٥٨.

كما حرص الرسول (ص)، أيضا، على أن تكون وظائف الشئون الداخلية، كالامارة على المدن، والاقاليم والصدقات والغنائم وغيرها، حقا مشاعا بين جميع القبائل والطبقات[١].

وكان المجتمع المدنى يقدر ذلك الحرص من رسول الله (ص)، بأن يفسح المجال فى العمل لكل قادر أيا كانت طبقته أو جنسه، ذكر أن الرسول (ص) أراد أن يعمل له منبرا من الخشب فقال العباس بن عبد المطلب: إن لى غلاما يقال له كلاب، أعمل الناس. فقال: مره أن يعمل[٢].

**الترابط والتعاون فى المجتمع المدنى ومظاهر ذلك**

اتسمت الحياة الاجتماعية بين أفراد المجتمع المدنى، بترابط وتعاون وثيق، سداه ولحمته الاسلام، الذى استطاع - فى مدة وجيزة - أن يجمع بين المهاجرين والأنصار، مع تعدد ميولهم وتقاليدهم فى إطار واحد.

وكان من مظاهر ذلك الترابط والتعاون، الاحترام المتبادل. فكان على المسلم أن يتزحزح لأخيه المسلم إذا دخل عليه، حتى ولو كان فى المكان سعة[٣]. كما أنه لم يكن للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال[٤]. وكانت صلة الرحم من أبرز الخلال الحميدة فى ذلك المجتمع. واعتبر بر الوالدين ورعايتهما، إذا ما كانوا فى حاجة إلى تلك الرعاية، أعظم من الجهاد فى سبيل الله[٥]. وكان الرسول (ص)، قد رد بعضّ الصحابة من أجل أمهاتهم وأسقط عنهم الجهاد[٦].

ولقد كانت عوامل المحبة والتصافح فى ذلك المجتمع وبعده عن الغل والشحناء، كثيرة[٧]. ولعل العامل الرئيسى فى انتشار المحبة وقلة ما كان يعانيه من مشاكل سلوكية اجتماعية، أنه لم يكن ينظر إلى الأخطاء فى المعاملات بمنظار الحقد والكراهية، فتضخم على حساب قطع دابرها.

ولدينا بعض المواقف السلوكية التى تلقى بعض الضوء على ما ذكرنا. منها ما ذكر أن أعرابيا دخل المسجد فكشف عن عورته ليبول فصاح الناس به، حتى علا الصوت، فقال الرسول (ص): اتركوه فتركوه، فبال. ثم أمر رسول الله (ص)، بذنوب من ماء، أى دلو، فصب على ذلك المكان[٨]. وفى هذا الصدد ماذكر أن الرسول (ص)، يوم بدر،

---

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ١٢٥ - ١٢٨،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٢٨، جـ ٣، ص ٤١٢.
(٢) السمهودي: **الوفاء**، ص ٣٩٣.
(٣) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٦٢٦ - ٢٧.
(٤) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٩٠٧.
(٥) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٣٩، جـ ٤، ص ٩.
(٦) ابن حجر: نفس المكان.
(٧) مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٩٠٧ - ٩٠٨.
(٨) مالك: نفس المصدر، جـ ١، ص ٦٤ - ٦٥.

كان يعدل صفوف أصحابه فمر بسواد بن غزية، وكان خرج عن الصف، فطعنه فى بطنه بالقدح وقال: استو ياسواد. فقال: يارسول الله أوجعتني. فكشف رسول الله (ص) عن بطنه فى الحال فقال: استقد(١).

ومن المظاهر العديدة الأخرى لترابط مجتمع المدينة، المشبع بروح التعاليم النبوية التى اعتبرت المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد، حرص الناس على إعادة المريض والدعاء له(٢).

وكان تبادل الهدايا، فيما بينهم، يعد تعبيرا عن مدى ما بينهم من محبة واحترام. ولم يكن ينظر إلى ثمن أو قيمة الهدية(٣). وهى قد تكون لباسا(٤)، أو فاكهة(٥)، أو طعاما(٦).

ومع أن يوم الخندق، كان يوما عصيبا على أهل المدينة، لدرجة أنهم كانوا يشدون الحجارة على بطونهم من الجوع، أثناء حفر الخندق(٧)، إلا أن ذلك لم يكن يمنع الشخص منهم عن أن يقتسم مع رفاقه ما كان يأتيه به أهله من تمر أو خبز على قلته(٨). وكان أحد الصحابة قد رأى ما برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه من أثر التعب والجوع فاستأذن إلى بيته وطلب من امرأته أن تذبح عناقا صغيرة، كانت كل ما عندهم، وأن تعد ما بقى عندهم من خبز الشعير. ففعلت ثم أتى به وقدمه لرسول الله فأكل منه ودعى أصحابه عليه، ليأكلوا(٩).

وقد أصبح لدعوات الطعام والولائم فى المجتمع المدنى، معنى يعبر به عن المحبة والتقدير. وكان الرسول (ص) يلبى كثيرا من هذه الدعوات مع أصحابه(١٠). وكان أفضل شيء يقدمه صاحب البيت لزائره هو الطعام(١١). وكان بعض الأنصار يحملون كل يوم قصاع الثريد إلى النبى (ص) يتناوبون ذلك بينهم، إلا سعد بن عبادة فإنه ما كان يقطع جفنته فى كل ليلة إلى دار أبى أيوب فيدعو النبى (ص)، أصحابه فيأكلون(١٢).

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية**، م ٢، جـ٣، ص ٢٧١.
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ١، ص ١٤٤، ٤٨٨، جـ٢، ص ٢٦، جـ٣، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.
(٣) مالك: **الموطأ**، جـ٢، ص ٩٠٧ ـ ٩٠٨، ٩٩٦،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٤١٧،
ابن قدامة: **الاستبصار**، ورقة ٢٣.
(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٤٣، ٣٠٦، ٤١٧.
(٥) ابن قدامة: المصدر السابق، ورقة ٢٣.
(٦) مالك: المصدر السابق، جـ٢، ص ٩٩٦.
(٧) ابن كثير: المصدر السابق، م ٢، جـ٤، ص ٩٩ ـ ١٠٠.
ابن النجار: **الدرة**، ص ٤٩ ـ ٥٢.
(٨) ابن كثير: المصدر السابق، م ٢، جـ٤، ص ٩٩ ـ ١٠٠،
ابن النجار: المصدر السابق، ص ٤٩ ـ ٥٢.
(٩) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ٣، ص ٧٠٣،
ابن كثير: **البداية والنهاية**، م ٢، جـ٤، ص ٩٧.
(١٠) مالك: **الموطأ**، جـ١، ص ١٥٣.
ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٣٢٣.
(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٣٦٨.
(١٢) ابن النجار: **الدرة**، ص ٥٦.

## ثانيا: العلاقات الاجتماعية بين السكان

### علاقات المصاهرة بين قريش والأنصار

من أبرز الروابط الاجتماعية بين قريش والأنصار بالمدينة رابطة المصاهرة، وقد كان لها ارهاصات فى الجاهلية. فقد ذكر أن هاشم بن عبد مناف، كان يختلف إلى الشام فى التجارة، فإذا مر بيثرب نزل على عمرو بن زيد بن لبيد، وكان صديقا لأبيه وله، فنزل به فى سفره وقد انصرف من متجره فرأى ابنته سلمى بنت عمرو، فأعجبته، فخطبها، فأنكحه اياها(١). وقد كان من الأوس والخزرج فى الجاهلية من قدم مكة وتزوج بها وحالف قريشا(٢). وقد نمت رابطة المصاهرة تلك بعد الهجرة، واتسع نطاقها بين القبيلتين. وقد شملت بنى هاشم مع بنى عمرو ابن عوف من الأوس(٣)، وبنى عبيد بن ثعلبه بن غنم بن مالك بن النجار(٤)، وبنى تميم مع بنى امرىء القيس بن الخزرج(٥)، وبنى الحبلى مع بنى عدى(٦). كما شملت كثيرا من البطون غير ماذكرنا(٧).

### علاقات المصاهرة بين قريش والقبائل المهاجرة

كان لقريش صلات قديمة ومحالفات واسعة مع بعض القبائل العربية. وتعد قبيلة تميم فى مقدمة القبائل العربية التى لها علاقات وثيقة وقوية مع قريش(٨). ويرجع سبب ذلك إلى دور تميم المرموق المرتكز على قوة بنى تميم وخدماتها

---

(١) البلاذرى: الأنساب، جـ ١، ص ٦٤.

(٢) وممن ذكر من أولئك: عبيد بن عمرو بن بلال بن أبى الحرباء بن قيس بن مالك ابن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، وكان قدم مكة فى الجاهلية وأقام بها وتزوج أم أيمن، أخو أسامة بن زيد لأمه. ثم نقلها إلى يثرب فولدت له أيمن، ثم مات عنها فرجعت إلى مكة فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة. (انظر: ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٩٢ - ٩٣). وكان أبو جابر وجنادة وهو سفيان، من بنى زريق، قد حالف معمر بن حبيب الجمحى، وأقام بمكة ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة ثم قدم هو وأبناه جابر وجنادة فى السفينتين من أرض الحبشة. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢١١). وانظر أيضا: ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣١٨ - ٣١٩، ابن حبيب: المنمق، ص ٣٢٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات، جـ ٣، ص ٨،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٦٧٢.

(٤) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٨،
ابن قدامة: الاستبصار، ورقة ١٠ - ١٢.

(٥) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٦٩،
ابن قدامة: المصدر السابق، ورقة ٢٤.

(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٨٠.

(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٣٢، جـ ٣، ص ٦٦٢.

(٨) ابن سعد: الطبقات، جـ ٣، ص ١٦٤،
ابن حبيب: المحبر، ص ١٦٩،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٦١١، ٦١٢، ٦٦٨ - ٦٦٩. جـ ٤، ص ١١ - ١٢.

لحماية تجارة قريش الخارجية[١]. وقد ذهب كستر إلى القول بأن فريقا من رجال تميم كانوا يعدون ضمن سياسى مكة، يساهمون فى إدارتها كما ساهموا فى ازدهار نفوذها وهيبتها فى المجتمع القبلى، وكان ذلك وفق نظام خاص، وذلك النظام هو نظام الحمس[٢].

والذى نراه، أن قريشا كانت تحافظ على صلاتها مع بنى تميم لما كان لهم من منزلة لدى الفرس، إذ كان لهم الحق فى الانتجاع والميرة فى بلاد الفرس[٣] وقد شعرت قريش، بحاستها التجارية، أن من مصلحتها أن تكون علاقاتها مع فارس جيدة لضمان تجارتها بين الشام واليمن ولفتح أسواق فارس أمام تجارتها.

وكما كان لتميم ذلك الدور فى حياة قريش، فإن غفارا تعد إحدى القبائل التى كانت قريش، قبيل الاسلام، تحافظ على أن تظل العلاقات القائمة فيما بينهم، قوية وسلمية، حيث أن غفارا كانت من طريق تجارة قريش إلى الشام[٤].

ومما سبق نرى أن علاقات قريش مع القبائل العربية، فى الجاهلية، كانت تقوم ـ بالدرجة الاولى ـ على مصالح اقتصادية. وندلل أيضا على ذلك، بما نجده عند دراسة محالفات قريش فى الجاهلية. مثل حلفها مع الأحابيش، وهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو المصطلق، والحيا بن سعد بن عمر، وبنو الهون بن خزيمة. إذ نجد أن دوافع ذلك الحلف كانت الرغبة فى دعم قوة قريش والحفاظ على هيبتها، لما لها من أهمية وثقل تجارى، فى المنطقة[٥]. ويدخل فى هذا الباب أيضا، حلف الفضول. فقد ذكر أن من أسبابه أن لميس بن سعد البارقى، من الأزد، قدم مكة بتجارة له فاشتراها أبى بن خلف الجمحى ثم ظلمه، فتداعت قبائل قريش إلى حلف فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم، ممن دخلها من سائر الناس إلا أقاموا معه فكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته[٦].

---

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥،
كستر: **مكة وتميم**، ص ١٧ (ترجمة الجبورى، بغداد، ١٩٧٥م).

(٢) المرجع السابق، ص ١٧. والحمس لغة: من فعل حمس الرجل فى الدين، أى تشدد. والحمس: قبائل من العرب منهم قريش كلها، وخزاعه وكل من ولدت قريش من العرب، وكل من نزل مكة من قبائل العرب. وقد شددوا على أنفسهم فى دينهم وخاصة فى مناسك الحج. (انظر: ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٧٩ ـ ١٨٠، وانظر ايضا: **المعجم الوسيط**، جـ ١، ص ١٩٦).

(٣) ابن خلدون: **تاريخ**، جـ ٢، ص ١٦٨ (تحقيق الأمير شكيب أرسلان).

(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٦٢ ـ ٦٤.

(٥) ويمكننا استخلاص ذلك من قول ابن حبيب: بأن الذى بدأ حلف الأحابيش رجل من بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة، هبط مكة فباع سلعة له ثم أوى إلى دار من دور بنى مخزوم فاستسقى، فخرجت إليه امرأة من قريش، فقال: هلا كنت أمرت بعض الحفدة؟ فقالت: تركنا بنو بكر نعاما. فخرج الرجل حتى أتى بني الحارث بن عبد مناة فقال: يابني الحارث أذلت قريش لبني بكر، فإن كان عندكم نصر فنصر. فقالوا: ادعوا أخوانكم بني المصطلق والحيا بن سعد بن عمرو. فركبوا إليهم فجلوا بهم، وسمعت بهم بنو الهون بن خزيمة فركبت معهم. . فخرجوا حتى اجتمعوا بذنب حبشي، وهو جبل بأسفل مكة على ستة أميال منها، فتحالفوا بالله قائلين: إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسى حبشي. (انظر: المنمق، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧).

(٦) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ١، ص ٨٧،
ابن حبيب: **المنمق**، ص ٣٤٣.

ومما نراه، أن حلف قريش مع ثقيف ودوس كان من أسبابه، رغبة قريش فى بسط نفوذها الاقتصادى على الطائف[١].

وكان لتلك العلاقات بين قريش والقبائل العربية فى الجاهلية دور كبير فى سرعة حدوث عملية التمثيل والانصهار فى المجتمع المدنى، إذ اتسعت دائرة مصاهرة قريش، فشملت عددا كبيرا من القبائل المهاجرة، فعمل ذلك - ولا شك - على ايجاد تلاحم أكثر بين أفراد المجتمع المدنى، لما لصلة الرحم من أهمية كبرى فى الرابطة الأسرية، إذ كان ابن أخت القوم يعتبر منهم[٢]. وكان ينظر إلى الخال على أنه بمنزلة الوالد[٣].

ومن القبائل التى تم بينها وبين قريش صلات مصاهرة بعد الاسلام فى المدينة، هى كل من: بنى أسلم[٤]، وبنى خثعم[٥]، والأشعريين[٦]، وطىء[٧]، وبنى هلال[٨]، بلى[٩]، وبنى حنيفة[١٠]، وبنى عبد القيس[١١]، ومزينة[١٢]، وبنى تميم[١٣]، وبنى الدئل[١٤]، وثقيف[١٥]، وسليم[١٦]، وهمدان[١٧]، وضمرة[١٨]، وبنى غفار وغيرهم[١٩].

---

(١) ابن حبيب: نفس المصدر، ص ٢٨٠.
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٤٢١.
(٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٣٧.
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٤، ص ٩٥.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ٧٢ - ٧٣، جـ٣، ص ٤٧٢، ٤٨٠، ٤٨١.
(٦) ابن سعد: **الطبقات**، جـ٣، ص ٤٠٨،
ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٣٠١ - ٣٢٥.
(٧) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.
(٨) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٢٣٥ - ٢٣٦،
مجهول: **فى سيرة الرسول**، ورقة ٢،
(٩) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٣٨١.
(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.
(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٤٤١.
(١٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٥٤٥ - ٥٤٦.
(١٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٤٧٣.
(١٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٦٥٩.
(١٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ٤٧٨.
(١٦) ابن حبيب: **المنمق**، ص ٣٠١ - ٣٢٥.
(١٧) ابن حبيب: نفس المكان.
(١٨) ابن حبيب: نفس المكان.
(١٩) ابن حبيب: نفس المكان.
ابن حجر: المصدر السابق، جـ١، ص ٥٧١.

## العلاقات الاجتماعية بين الأنصار وسائر المهاجرين

لم تكن علاقة الأنصار بغيرهم من المهاجرين وليدة الهجرة فحسب، إذ سبق ذلك قيام علاقات نسبية وسياسية مع كثير من القبائل العربية [١] . وقد اعتبر الزبيرى، بنى ساعدة، وهم من الخزرج، من أبناء مجربة بن كنانه بن خزيمة [٢] ، وهوزعم، وإن لم نسلم بصحته، إلا أنه يعطى فكرة عن وجود قرابة قد تكون مصاهرة بين بنى كنانة بن خزيمة وبنى ساعدة، وهى قرابة وإن شابها شيء من الغموض، إلا أنها، ـ فيما يبدو ـ كانت وثيقة وعميقة.

وقد قامت بين الأنصار وأفراد القبائل المهاجرة فى المدينة علاقات نسبية ومحالفات فردية[٣]. كالعلاقات مع بنى الليث[٤]، وبني تميم[٥]، وجهينة[٦]، وبلى[٧]، وسدوس[٨]، ومع بني عبس بن بغيض من غطفان[٩].

ونحب أن نشير هنا إلى أن علاقة الحلف فى المدينة لم تكن تعنى الرغبة فى الحصول على سند قوى يكون بديلا لقبيلة الحليف البعيدة عنه، ذلك أن كثيرا ممن ذكرنا على أن لهم علاقة مصاهرة أو حلف مع الأنصار فى المدينة، بعد الهجرة، كان لقبائلهم وجود قبلى فى المدينة نفسها، بل إننا نجد أن أحد الخزرجيين، من بنى جشم بن الخزرج، قد حالف بطنا آخر من الخزرج، هم بنى بياضة[١٠].

## المجالس والأندية العامة

لقد عايش الرسول (ص)، فى مجتمعه السابق بمكة، نظما وتقاليد متطورة، كانت ثمرة اتصال أهل مكة التجارى بالعالم الخارجى، كالحبشة واليمن وغيرها[١١]. ولعل أبرز تلك التأثيرات كان بناء دور خاصة تعرف باسم النادى أو الندوة[١٢]، تناقش فيها أمورهم، فيما ينوبهم، وفيما أرادوا من نكاح أو حرب[١٣] . وقد اتخذ الرسول (ص)، مع مبدأ

---

(١) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠،
العدوى: **أحوال مكة والمدينة**، ورقة ١١٣، ١٢٠،
الزبيرى: **نسب قريش**، جـ ١، ص ١٠.
(٢) نفس المكان.
(٣) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٤٧٢.
(٤) ابن حجر: نفس المكان.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٨٦.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٤٧.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٢٤٥.
(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٧١ ـ ٤٧٢.
(٩) ابن خياط: **الطبقات**، ص ٤٨ ـ ٤٩.
(١٠) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦٦.
(١١) ابن حبيب: **المنمق**، ص ١٨.
(١٢) ابن حبيب: نفس المكان.
(١٣) ابن حبيب: نفس المكان.

هجرته إلى قباء، مجلسين، أحدهما لسكنه والآخر يجلس فيه إلى الناس[١]. ولما انتقل إلى المدينة من قباء، صرنا نسمع بمجلس رسول الله[٢]. وكان مقره هذه المرة في المسجد، إذ يعقد ليلاً، لتفقد أحوال الصحابة[٣].

وقد يجلس الرسول (ص)، مع أصحابه أوقاتا، يباسطهم ويمازحهم[٤]. وكان من الصحابة رجل يلقب حمار، كان يضحك رسول الله (ص)، يهدى له العكة من السمن أو العسل، ثم يجيء بصاحبها فيقول: اعطه الثمن يارسول الله[٥].

وكان للأنصار مجالس للسمر والترويح[٦]، تعرف بهم[٧]. وقد أقرها الرسول (ص)، على أن تكون بعيدة عن البذاء ومسابة الناس[٨]. وكان حسان بن ثابت، يجلس إلى أطمه، فارع، ويجلس معه أصحاب له ويضع لهم بساطا يجلسون عليه، يتطارحون شجون الحديث ويتبادلون فنون الشعر[٩].

كما كان للأنصار أمكنة خاصة لتداول الرأي والمشورة في الأمور الهامة والعظيمة، وتسمى السقيفة[١٠]. كما كان لسائر المهاجرين من القبائل مجالس خاصة للسمر وتطارح الحديث، وكان الرسول (ص)، يقف عليها ويمازحهم ويضحك معهم[١١].

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية**، جـ ٣، ص ١٩٧.
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٦٨، ٢٤٣.
(٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٣.
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤٨٣.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٥١ - ٣٥٢.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢١.
(٧) الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٢٠١.
(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢١.
(٩) الاصفهاني: **الاغاني**، جـ ٤، ص ١٦٠.
(١٠) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ١٠٧١،
ابن كثير: المصدر السابق، جـ ٦، ص ٣٠١. السقف، بالفتح، غماء البيت، والجمع سقف. والسقيفة. كل بناء سقفت به صفة أو شبهها، مما يكون بارزا. (انظر: ابن سيدة: المحكم، جـ ٦، ص ١٤٧).
(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٥٧.

# الباب الثاني

# التنظيم السياسي الإداري والاجتماعي للقبائل خلال العصر النبوي

- مراحل التنظيم
- تخطيط المدينة ومنازل القبائل فيها خلال العصر النبوي

# الفصل الأول

## مراحل التنظيم

- مقدمة عن مراحل التعليم
- التنظيم العشائري
- التنظيم الجماعي
- عصبية الموطن أو الأرض

## مقدمة عن مراحل التنظيم

ذكر أن النبى (ص)، لما نزل على كلثوم بن الهدم بقباء، بعد هجرته، نادى كلثوم غلامه نجيحا، فتفاءل النبى (ص) باسمه وقال: أنجحت يا أبا بكر[1]. والعبارة التى جاءت عن الرسول (ص)، توحى بما كان فى ذهنه من عمل على توطيد أمز الاسلام وتأسيس كيانه فى المدينة، وهو الذى لا ينطق عن الهوى. ولذلك فإن الرسول (ص) - بمكة - كان رسولا فحسب، ولكنه بعد أن انتقل إلى المدينة، أصبح كذلك رئيس دولة، يطبق ما يسنه الله من الأنظمة المالية والقانونية والادارية والعسكرية[2].

ومن أهم النظم التى أوجدها الرسول فى المدينة، تنظيم القبائل العربية، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا[3]. وقد قامت تلك التنظيمات فى أساسها، على القبيلة كوحدة رئيسية وفعالة فى النشاط العام، وخاصة فى الأمور السياسية والحربية. وهذه التنظيمات كانت على شكل مراحل ثلاث، بدت بصفة عامة، وكأنها مراحل انتقالية تتدرج بالقبائل العربية فى نقلات معروفة ومدروسة، كان هدفها النهائى وضع العرب أمام مسئولية تأسيس الدولة الاسلامية[4]. غير أنها كانت، في الواقع، تتداخل مع بعضها، حسب الظروف والأحوال. وذلك معناه أن الهدف من تطبيق تلك التنظيمات، بذلك الشكل، كان تعويد القبائل عليها، وجعلها فى محل اختبار وامتحان، لمعرفة مدى تقبل المجتمع لها ولمراقبة رد الفعل لديهم[5]. ومن أجل ذلك لم يصل إلى علمنا أن الرسول كان يفرض تلك الأنظمة ويلزم الآخرين باتباعها. وندلل على هذا، بما حصل من أحداث اجتهادية فى غزوة ذات السلاسل سنة ثمان من الهجرة، حين أمر

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٥٥٢.

(٢) انظر: القرآن الكريم، فى أماكن متفرقة وخصوصا السور المدنية. وانظر أيضا: على (سيد أمير): **مختصر تاريخ العرب**، ص ١٨ (الترجمة العربية لعفيف البعلبكى، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧م)، وانظر أيضا: متولى (د. عبد الحميد): **مبادىء نظام الحكم فى الاسلام**، جـ ١، ص ٤٥١ (القاهرة، ١٩٦٦م).

(٣) للنسابة تعاريف عامة فى تقسيمهم للقبائل، ومفردها قبيلة، ويقولون فى ذلك: الشعوب هى الجماهير التى تفرقت منها العرب ثم تفرقت القبائل من الشعوب، ثم تفرقت العمائر من القبائل، ثم تفرقت البطون من العمائر، ثم تفرقت الافخاذ من البطون، ثم تفرقت الفصائل من الافخاذ. وليس دون الفصائل شىء. وفصيلة الرجل هى رهطه الادنى وبنو أبيه. وقد قيل بعد الفصيلة: العشيرة، وليس بعد العشيرة شىء. (انظر: ابن عبد البر: **الانباه على قبائل الرواه**، ص ٤٥).

(٤) متولى: **مبادىء نظام الحكم فى الاسلام**، جـ ١، ص ٤٤٨.

(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٢٥٣.

النبى (ص)، عمرو بن العاص على بلى ونحوهم من قضاعة، ثم أمده بعدد من المهاجرين أمر عليهم أبا عبيده بن الجراح، فلما قدموا عليه قال: أنا أميركم. فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيده أمير المهاجرين. فقال: إنما أنتم مددى. فلما رأى ذلك أبو عبيدة، وكان حسن الخلق متبعا لأمر رسول الله (ص) وعهده. فقال: تعلم ياعمرو أن رسول الله (ص) قال لى: إن قدمت على صاحبك فتطاوعا. وإنك إن عصيتنى أطعتك[١].

ولعل كلمة «فتطاوعا» الواردة فى النص السابق، تغنى عن التوضيح، فهى تبين طبيعة التعامل مع تلك الأنظمة وكيفية أو مقدار استجابة الناس للسير على منهاجها، كما أنها تظهر إلى أى حد كان تطبيقها مرنا.

وقد عرضنا تلك التنظيمات ـ فى هذا البحث ـ حسب التسلسل الزمنى، ما أمكن ذلك، مع مراعاة ما سبق أن ذكر عن تداخل تلك المراحل مع بعضها. وعليه فإن المراحل التنظيمية التى اتبعت فى التنظيم السياسى كانت على النحو التالى:

### ١ ـ التنظيم العشائرى

وهو تنظيم قبلى يقدم البطون والأفخاذ والعشائر على أنها وحدات أو فصائل لها شخصيتها واعتبارها فى المجتمع من خلال استقلالها الادارى التابع لسلطة الرسول صلى الله عليه وسلم[٢]. ويقصد من مرحلة التنظيم العشائرى توزيع المهام والمسؤليات على العشائر، وتولى عدة أعمال ووظائف اجتماعية، لم يكن فى مقدور الدولة فى المدينة أن تقوم بها. بحكم حداثة تكوينها وانصرافها لأمور نشر الاسلام. وذلك التنظيم فى طابعه العام، يعد تنظيما اجتماعيا أكثر مما هو عسكرى أو سياسى. وقد راعى ذلك التنظيم احترام أو مسايرة ما كانت عليه القبائل العربية من اعتزاز وافتخار بقبيلها وحمية له[٣]. ولم يكن الرسول (ص) يؤاخذ الناس ـ فى هذه المرحلة ـ على حميتهم أو فخرهم بقومهم. ذكر أن عكرمة بن أبى جهل، قتل صخرا الأنصارى، فبلغ النبى فضحك. فقال الأنصار: يارسول الله، اتضحك أن قتل رجل من قومك رجلا من قومنا؟ فقال: ما ذاك أضحكنى ولكنه قتله وهو معه فى درجته[٤]. كما ذكر أن أحد الصحابة سأل رسول الله (ص): أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ قال: لا، ولكن من العصبية أن يعينهم على الظلم[٥].

---

(١) ابن حجر: نفس المكان.

(٢) ذكر أن الرسول (ص) قال على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل بلغنى أذاه فى أهلى، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيرا... فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال: أنا أعذرك منه يارسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. (انظر: الطبرى: **جامع البيان**، جـ١٨، ص ٩١).

(٣) روى أن أحد الصحابة كتب لأهله فى مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله (ص) إلى أهل مكة. وقد اعتذر هذا الصحابى ـ فيما بعد ـ بأن ليس لأهله عشيرة تدفع عنهم، فقبل عذره. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ١، ص ٣٠٠). كما روى أيضا عن الرسول حديثا يؤكد حقيقة وجود تلك الحمية، وتحكمها فى سلوك معظم الناس، إن تركها طائفة يفعلها آخرون. (انظر: مسلم: **الصحيح**، جـ٢، ص ٦٤٤).

(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٢، ص ١٨١.

(٥) ابن خياط: **الطبقات**، ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

وقد ظلت روح التماسك بين المشتركين فى النسب داخل العشيرة أو القوم، باقية إلى عصور متأخرة[١].

٢ ـ التنظيم الجماعى

وهو تنظيم قام على أساس قبلى ودينى، ويعد مرحلة ثانية فى التنظيم القبلى. وعرف هذا التنظيم بوسائله التى استهدفت أولا الوصول إلى جمع عدة بطون أو عشائر ينتسبون إلى قبيلة واحدة، فى تنظيم خاص، له استقلاله المحدود، كمرحلة أولية أو تمهيدية، وفى النهاية الوصول إلى جمع عدة قبائل تحت راية واحدة.

ووظائف التنظيم الجماعى أو وسائله أكثر مساسا بالمصلحة العليا، وتمثلت فى عمارة المسجد الجامع وعقد المؤاخاة والتنظيمات الحربية أو الرايات. ولقد كان أبرز إنجاز لهذا التنظيم، المستهدف إلغاء كل تمييز قبلى، هو جمع الأوس والخزرج تحت اسم واحد هو الأنصار، وسائر من هاجر إليهم بالمهاجرين[٢].

وتجد أن التنظيم الجماعى، إلى جانب كونه تنظيما اجتماعيا، فهو فى نفس الوقت تنظيم حربى أو عسكرى، لاشتماله على ما عرف بتنظيم الرايات.

وكان سعد بن أبى وقاص قد عمل، عند تقسيمه القبائل، فى سكنى الكوفة بمثل ذلك التنظيم، فى مرحلته الأولية، والتى سنتحدث عنها فى موضوع عصبية ذوى الارحام. إذ جمع بين القبائل المشتركة فى النسب أو المرتبطة بروابط القربى فى خطة واحدة من خطط الكوفة المعروفة بالاسباع[٣].

٣ ـ عصبية الموطن أو الأرض

وهذا التنظيم هو قمة النضج والاكتمال فى تلك التنظيمات. وميزته أنه كان، فى ظاهره، تنظيما قبليا تغلب عليه النزعة الدينية وحب الأرض. ويعتمد على صهر الوحدات الجماعية، أى مجموع القبائل، فى بوتقة واحدة توجه كل اهتمامها وعصبيتها لحب الأرض التى يعيشون عليها ويمارسون فوقها نشاطهم الدينى والعلمى والثقافى، وغير ذلك من أمور الحياة.

ويعد الفصل الثانى فى هذا الباب وهو تخطيط المدينة ومنازل القبائل فيها، تكملة للحديث عن التنظيم الادارى والاجتماعى للقبائل، إذ أنه يتعرض لذكر خطط القبائل ومنازلها من وجهة نظر إدارية واجتماعية فى نفس الوقت. كما يتناول البحث الأسس التى بنى عليها توزيع القبائل فى المدينة.

(١) فلهاوزن (يوليوس): تاريخ الدولة العربية، ص ٣ ـ ٤ (الترجمة العربية لمحمد أبوريدة، القاهرة، ١٩٥٨م).
(٢) على (سيد أمير): مختصر تاريخ العرب، ص ١٨ (الترجمة العربية لعفيف البعلبكى، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧م).
(٣) انظر: الطبرى: تاريخ، جـ ٤، ص ٤٥،
ماسنيون: خطط الكوفة، ص ١٠،
الزبيدى (د. محمد حسين): الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الكوفة، ص ٤٢ ـ ٤٣ (القاهرة، ١٩٧٠م).

## ١ ـ التنظيم العشائرى

### أ ـ وظائف التنظيم العشائرى

ألمحنا فى المقدمة عن التنظيم الاجتماعى والادارى أن من الأهداف الرئيسية للتنظيم العشائرى، هو إشراك القبائل فى مسؤ ولياىت الدولة للقيام بعدة أعمال ووظائف كان يتعذر على الدولة ـ حينذاك ـ الاضطلاع بها وحدها، خصوصا وأنها فى مراحل تكوينها.

ومن أهم وظائف التنظيم العشائرى، حصر القبائل، بالحفاظ على انتماءاتها وأنسابها. وهناك أحاديث تروى عن الرسول (ص) تحث على الاهتمام بالنسب، والحفاظ عليه. منها قوله صلى الله عليه وسلم: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم[١]. وذكر أن الاشعث بن قيس قال: قدمت على رسول الله (ص) فى وفد كنده فقلت: ألستم منا يارسول الله؟ فقال: لا. نحن بنو النضر بن كنانه لا نقفو أمنا ولا ننتفى من أبينا[٢]». وفوق كل ذلك ما ذكره الله تعالى، مبينا الحكمة فى تقسيم الناس إلى شعوب وقبائل[٣]. وقد كان الرسول (ص) يهتم بمعرفة أعداد القبائل وأحوال أهلها[٤]. فكان يسأل الناس عنهم، على علمه بهم. ذكر أن صعصعة بن ناحية المجاشعى، دخل على رسول الله (ص) فقال: كيف علمك بمضر؟ قال: يارسول الله أنا أعلم الناس بهم. تميم هامتها وكاهلها الشديد، الذى يوثق به ويحمل عليه، وكنانة وجهها، الذى فيه السمع والبصر، وقيس فرسانها ونجومها وأسد لسانها. فقال النبى (ص): صدقت[٥].

وقد جزأ الرسول (ص)، الولاية على القبيلة، فكان يولى على العشيرة[٦]. مما يجعلنا نعتقد أن الرسول أراد بذلك تحديد المسؤليات وحصرها فى وحدات صغيرة لتسهل معرفة جميع أحوال القبائل وسائر شئونها العامة والخاصة، بالاضافة إلى أن تعدد الزعامات سيخلق روح المنافسة فى المجال الدينى، بين العشائر لاستباق صالح الأعمال والخيرات العائد نفعها ـ ولا ريب ـ على المجتمع كله.

ولقد أثمرت تلك الخطة الحكيمة، فكان من ذلك أن شاعر جهينه عام الفتح جعل معرض افتخاره بين القبائل، فى الاطار الاسلامى وحدوده، حيث افتخر بما قدمته جهينة من عمل لنصرة الاسلام والجهاد دونه[٧]. وكانت همدان

---

(١) ابن عبد البر: **الأنباه على قبائل الرواه**، ص ٤٢ ـ ٤٣.
(٢) ابن عبد البر: نفس المصدر، ص ٦٦ ـ ٦٧.
(٣) قال تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» الحجرات: ١٣.
(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٦٦٢.
(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ١٨٦.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١ ص ٥٥٩.
(٧) يقول بشرة بن عرفطة بن الخشاش الجهني:
ونحن غداة الفتح عند محمد * * * طلعنا أمام الناس ألفا مقدما
(انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٥٢).

حين علمت بوفاة النبى (ص) همت بالخروج على سلطة المدينة، فنهاهم مران الهمدانى، فقال: يا معشر همدان إنكم لم تقاتلوا رسول الله ولم يقاتلكم فاصبتم بذلك الحظ، ولبستم العافية، ولم يعمكم بلعنة أوائلكم أو تقطع دابركم. وقد سبقكم قوم إلى الاسلام وسبقتم قوما، فإن تمسكتم لحقتم من سبقكم وإن أضعتموه لحقكم من سبقتموه. فأجابوه إلى ما أحب[(١)].

وكان من مزايا التنظيم العشائرى، أن باستطاعة السلطة أو الدولة أن تعرف جميع أفراد العشيرة وتتصل بهم عن طريق كبيرهم أو عريفهم. وقد استغلت تلك الميزة، فى دعوة القبائل إلى الاسلام، حيث كان الرسول يكتب لواحد من أبناء العشيرة، حين يقدم عليه باسلامه، يؤمره على قومه[(٢)]، يدعوهم إلى الاسلام[(٣)]. وقد أسلم على أيدى أولئك الأمراء، كثير من البطون والعشائر[(٤)].

وبالاضافة إلى سهولة انتشار الاسلام بين تلك الوحدات الصغيرة، فقد كان انتشار العلم ودراسة القرآن والسنة بينهم أكثر سهولة. وقد تولى ذلك الأمر أئمة المساجد، وكان اختيارهم ـ فى الغالب ـ من أبناء العشيرة[(٥)]. وكانوا يقرءونهم القرآن ويشرحون لهم مبهمه[(٦)]. وقد عمل بعضهم على التعمق فى دراسة القرآن وجمعه على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[(٧)].

وبالاضافة إلى جهود أئمة العشائر والقبائل، كان فى المدينة عدد كبير من كبار الصحابة عملوا على نشر العلم والفقه بين الناس، على عهد الرسول (ص)، كأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وأبى بن كعب وعبد الله بن عوف وعبد الله بن مسعود وغيرهم[(٨)].

وكان للمسجد دور عظيم فى توجيه حياة القبائل. حيث كان لكل بطن، أو عشيرة مسجد، ينسب إليها[(٩)]، تؤدى فيه شعائر دينها، وتناقش فيه أمورها الدينية والدنيوية. وقد ذكر أن معاذ بن جبل، كان إمام قومه فى حياة النبى

---

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٤٨٨.
(٢) البخارى: **تاريخ**، جـ٣، ص ٢٧٧.
(٣) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٢، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ٦٠. جـ٢، ص ٢٦، ٢٢٥ ـ ٢٦، ٢٦٧ ـ ٦٨.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٢، ص ٣٥٤ ـ ٥٥، ٤٥٢، جـ٣، ص ٣٣ ـ ٣٤.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ٤٩٩، جـ٣، ص ٢٩١، ٣٣ ـ ٣٤.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٣٦٦.
(٨) ابن سعد: **الطبقات**، جـ٢، ص ٣٣٥ ـ ٤٣.
(٩) ابن حجر: المصدر السابق، جـ١، ص ٤٩٩، جـ٣، ص ٣٨٧،
الكلاعى: **الاكتفاء**، جـ١، ص ٤٦٠،
السمهودى: **الوفاء**، جـ٢، ص ٧٥٧.

صلى الله عليه وسلم، فكان يصلي معه، حرصا على ألا يفوته شيء من القرآن والسنة، ثم ينصرف إلى قومه فيصلي بهم[١].

ولأن المسجد كان مركز حياة القبيلة الديني والاجتماعي، لذا فقد عمل الرسول (ص)، على تأسيس مسجد قباء في بني عمرو بن عوف، مع أن إقامته بينهم لم تكن طويلة[٢]. كما أنه شرع في بناء مسجد المدينة حال وصوله من قباء[٣]. وكانت أوامر الرسول (ص) لوفود القبائل، حين يرجعون إلى بلادهم مسلمين، أن يهتموا ببناء مساجدهم ويولوها عظيم عنايتهم[٤].

ومن وظائف التنظيم العشائري المناطة بالعشيرة ذات الطابع العسكري، واجب إمداد الجيش الاسلامي بعدد من الرايات والألوية[٥]، وكانت الراية تجمع عددا من المقاتلة أقلهم عشرة رجال[٦]، وحدهم النهائي ألف رجل تحت كل راية، أو لواء[٧]. وقد حددت هذه الوظيفة الحربية للتنظيم العشائري مسؤلية القبائل أمام واجبها الديني والقبلي. إذ أن في تجزئة القبائل إلى عشائر لها اعتبارها ووظيفتها، يعد في رأينا، مراعاة حكيمة من الرسول (ص)، لجانب مهم في السلوك القبلي وهو العصبية القبلية والافتخار بالعشيرة[٨]. حتى أن الرجل منهم قد يقاتل مع من هم ضد دينه أو مبدأه طالما أن مشاركته تلك دفاع عن حسبه[٩].

---

(١) ابن قدامة: الاستبصار، ورقة ٢٩.
(٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار، ص ١٢٧،
الكلاعي: الاكتفاء، جـ ١، ص ٤٦٠.
(٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥.
(٤) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٦٠، جـ ٢، ص ٣٥٥.
(٥) الواقدي: المغازي، جـ ٢، ص ٨٠٠ ـ ٨٠١ (طبعة اكسفورد).
(٦) ابن سعد: الطبقات، جـ ٣، ص ٢١٩.
(٧) الواقدي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٨٠٠ (طبعة اكسفورد).
(٨) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٤، ص ٩٢٥،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٤٣ ـ ٤٤. وفي هذا المجال يذكر، أن وفد هوازن قال للرسول (ص)، بعد معركة حنين: إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك. فامنن علينا. (انظر: ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٩٢٥).
(٩) ذكر أن قزمان بن الحرث، حليف بني ظفر، كان منافقا وكان عزيزا في بني ظفر، وحافظا لهم، ومحبا لهم، وكان شجاعا يعرف بذلك في الحروب. فلما كان يوم أحد، قاتل قتالا شديدا فقتل ستة أو سبعة حتى أصابته الجراحة، فقيل له: هنيئا لك بالجنة يا أبا الغيداق. قال: جنة من حرمل. والله ما قاتلنا إلا على الأحساب. (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٣٥). وذكر أيضا: أن أحد الصحابة وهو عبد الله ابن قيس من بني نصر بن رياب، زعموا أنه قال: «يارسول الله هلكت بنو رياب، لما استحر القتل فيهم، فذكروا أن الرسول (ص) قال: اللهم أجبر مصيبتهم. قالها رسول الله (ص) مراعاة لعاطفة ذلك الصحابي نحو قبيلته التي كانت على شركها. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٦١).

وقد أبقى الرسول (ص) - شكليا - على النظم القبلية الاجتماعية والعسكرية، فكان لكل عشيرة أورهط - حسب كثرتهم - راية أولواء[١]، أورايتان[٢]، أوراية ولواء[٣]، أولواءان[٤]، أوأربعة ألوية[٥]. وكان يحمل كل راية، أو اكثر، زعيم أوعدة زعماء، حسب عدد الرايات، وكان لاولئك الزعماء كامل الحرية فى تصريف أمورهم، إلا فيما يتعارض مع خطة المعركة العامة[٦]. وكان الرسول (ص) يشاور أفراد العشيرة فيمن يحمل رايتهم[٧]. ولكل عشيرة شعار، ينادون به فى الحرب ويعرفون به[٨].

أما عن تجهيز العشيرة أثناء الحرب، فهو أمر ملقى على عاتق أفرادها أنفسهم، فكان على الرجل، عرفا، أن يعد سلاحه ويربط خيله فى سبيل الله[٩]، ويؤمن طعامه وشرابه[١٠]. ولم يأمر الرسول الناس بأن يجهزوا أنفسهم، إلا عام تبوك، وكان عام عسرة ومحل، وقد سمى ذلك الجيش باسم جيش العسرة[١١]. فقد حض الرسول (ص)، أهل الغنى - فى ذلك العام - على النفقة والحملان فى سبيل الله. فأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها، تقدر بألف دينار[١٢]. ولم يفرض الاسلام على المؤمنين أن ينفقوا أموالهم في سبيل الله - بادىء الأمر - إلا أننا نجد في القرآن الكريم ثناء على من يفعل منهم ذلك، ووعدهم أجرهم عند ربهم[١٣]. وفى بعض الآيات ورد أمر من الله للمسلمين بأن ينفقوا فى مغازيهم، فى سبيل الله[١٤].

---

(١) النووى: **تهذيب الأسماء واللغات**، جـ ١، ص ٢٠٣،
ابن الاثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ٦١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٥٢، جـ ٣، ص ٢٣٧، ٢٤٧، ٣٤٤، جـ ٤، ص ٤١٦،
ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة رقم ١٥، ٢٩، ٣٦.

(٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٤٦.

(٣) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٢٦ - ٢٧، جـ ٤، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٦٤، ٢٤٧، جـ ٣، ص ٥٦٥.

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤٩٩، ٥٦٥، جـ ٢، ص ٩٩، ٢٨٠، ٤٣٩.

(٦) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ٩٢٦،
النووى: **تهذيب الاسماء واللغات**، جـ ٢، ص ٢٤٣،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٢٥، ٥٦١.

(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٠٤.

(٨) يذكر أنه حين بعث الرسول (ص) طلحة، سرية فى عشرة. قال: شعاركم، «ياعشرة». (انظر: ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٢١٩، ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٥١).

(٩) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

(١٠) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٧٠٣.

(١١) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٩٤٥.

(١٢) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ٩٤٥.

(١٣) قال تعالى «الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون». البقرة: ٢٦٢. والانفاق فى سبيل الله يعنى هنا. إعانة المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم وفى حمولاتهم وغير ذلك من مؤنهم. (انظر: الطبرى: **جامع البيان**، جـ ٣، ص ٦٢).

(١٤) قال تعالى: «وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين». البقرة: ١٩٥، وأنظر أيضا: الطبرى: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

وكانت أعطيات المقاتلة - بادىء الأمر - عبارة عن ما يحصلون عليه من طريق الأسلاب والانفال. ذكر أن منادى الرسول (ص)، يوم بدر، نادى في الناس: «من قتل قتيلا فله سلبه، ومن أسر أسيرا فهو له. وأمر بما وجد في العسكر وما أخذوا بغير قتال فقسمه بينهم[١]».

ويعد أمر جباية الصدقة وشئون المعاقلة، من أجل الوظائف الاجتماعية للتنظيم العشائري. فالعشيرة هي المسؤلة عن جباية صدقتها وذلك عن طريق استعمال أحد أبنائها على ذلك[٢] أو استعمال من يمت لها بصلة قرابة، كإبن الأخت[٣]. وهو في رأينا تدبير محكم ورشيد[٤]، لأنه جعل من المستبعد حدوث تذمر قبلي بسبب جباية الصدقة، على اعتبار أنهم لم يعتادوا بعد على دفعها، مما يجعلهم ينظرون إليها، على أنها نوع من الضريبة أو الأتاوة. أما وقد كان الجابي أحد أبنائها فلم يبق في الأمر ما يمس الكرامة أو يثير الحفيظة. ثم إن استعمال أحد أبناء القبيلة يعتبر أمرا مفيدا جدا للقبيلة نفسها ولبيت مال المسلمين. إذ أن الجابي في هذه الحاله، يفترض فيه معرفته لكل فرد في العشيرة، مما يبعد إمكانية حصول ظلم على الفقراء أو محاباة الأغنياء، وذلك لانتفاء عامل الجهل أو قلة الفطنة، وكان الرسول (ص) قد كتب لخزيمة بن عاصم ابن قطن العكلي، حين ولاه على صدقات قومه، يذكره فيه ألا يظلم أو يضيم أحدا، بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لخزيمة بن عاصم، إني بعثتك ساعيا على قومك فلا يضاموا ولا يظلموا[٥]». وكان الرسول (ص) يستعمل على صدقات القبيلة، كلما كانت كثيرة العدد، أكثر من عامل[٦].

وكما أن القبيلة ملزمة عرفيا برعاية أفرادها[٧]. كذلك ألزم دستور المدينة، جميع العشائر، أن يتعاقلوا بينهم معاقلهم الأولى، وهم يفدون عانيهم بالمعروف[٨]. ومن أجل ذلك فإن الذى نرجحه حول دواعي اسناد أمر جباية الصدقة إلى العشيرة، هو للتيسير عليها في الشئون المالية بعد أن اسندت إليها مسؤولية المعاقلة، أى دفع الديات عن أبنائها المعسرين[٩]. وقد ذكر أن النبي (ص) أتي بامرأتين كانتا عند رجل من هذيل يقال له حمل بن مالك، فضربت

---

(١) الواقدي: **المغازي**، ص ٧٣ (الطبعة الاولى).

(٢) النووي: **تهذيب الأسماء واللغات**، جـ ١، ص ١٩٣،

ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٥١، ٣٠١، ٣٥٥، جـ ٢، ص ٦٦، ٢٩٨، جـ ٣، ص ٢٧ - ٢٨، ٤٠٠، ٦١٥، جـ ٤، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٣) استعمل النبي (ص)، يزيد بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، على صدقات بني فراس، وكانوا أخواله. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٥٦ - ٦٥٧).

(٤) وقد سار على هذا الأمر عمر بن الخطاب، في خلافته إلى درجة أنه استعمل على صدقات طيء، أبوزيد الطائي، الشاعر وكان نصرانيا. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٨٠).

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤٢٨.

(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٩٠، ١٣٦، ١٨٧،

الاصفهاني: **الاغاني**، جـ ١٤، ص ٦٦ - ٧٢.

(٧) ذكر أن طلحة بن عبيد الله التيمي، وكان كثير الغنى، كان لا يدع أحدا من بني تيم، عائلا، إلا كفاه مؤنته ومؤنة عياله، وزوج اياماهم وأخدم عائلهم وقضى دين غارمهم. (انظر: ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٢٢١).

(٨) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٤٨ - ٣٤٩. (انظر نص الدستور كاملا في الملاحق).

(٩) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٤٨ - ٣٥١،

ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٥٣٥، جـ ٣، ص ٢٧ - ٢٨.

إحداهما الأخرى بعمود خباء فألقت جنينها ميتا. فأتى مع الضاربة أخ لها يقال له عمران بن عويم، فقضى عليه رسول الله بالديه. فقال عمران: يانبي الله إن لها اثنين (أي ولدين) هما سادة الحى، وهما أحق أن يعقلا عن أمهما. قال: أنت أحق أن تعقل عن أختك من ولدها. فقال: يا نبي الله مالى شيء اعقل منه. عندئذ قال النبى (ص): يا حمل، وكان على صدقات هذيل، اقبض من تحت يدك من صدقات هذيل عشرين ومائة شاه. ففعل(١). وإلى جانب قيام العشيرة بأمر المعاقلة كانت تتكفل برعاية أفرادها فى حالات عسرهم(٢)، متأسية بحديث الرسول (ص) حين قال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته(٣)».

وقد تطلب وجود كل تلك المهام المناطة بالعشيرة، ضرورة وجود عريف أو سيد توكل إليه مهمة رئاسة العشيرة لضمان تنفيذ تلك المهام.

### ب ـ رئاسة التنظيم العشائرى وعمل النقيب

كان على كل عشيرة فى المدينة المنورة، عريف أو سيد، وهو دون الرئيس يختاره الرسول (ص) ويعينه بنفسه أحيانا(٤). ذكروا أن الرسول (ص) سأل بنى سلمة، من الأنصار، من سيدكم؟ فقالوا: الجد بن قيس، على بخل فيه. فقال الرسول (ص) وأى داء أدوا من البخل، بل سيدكم الجعد الابيض(٥). ومن ذلك نرى ان اختيار عريف العشيرة أو سيدها كان يتم من قبل العشيرة نفسها، وقد يرشحه الرسول (ص) ويعينه(٦). وتلك الحالة متبعة بشكل واضح فى عشائر المدينة. أما إذا كانت القبيلة أو العشيرة خارج المدينة، فإن الرسول (ص) يختار بنفسه العامل، وهو اللفظ المستعمل فى تلك الحالة(٧). وقد يضيف الرسول (ص) إلى مهام العامل أمور الحرب وجباية الصدقة(٨)، وأحيانا تفصل أمور الولاية أو العمالة، عن أمر جباية الصدقة والحرب. فقد ذكر أن سعير بن خفاف التميمي، كان

---

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٢، ص ٩٩، جـ٣، ص ٦٥٧ ـ ٦٥٨.
(٣) مسلم: **الصحيح**، جـ٣، ص ١٤٥٩.
(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ١، ص ٤٩٦، ٢٥١،
الخزاعى: **الدلالات السمعية**، ورقة ٧٤. وقد ظلت لفظة عريف تستعمل فى زمن الحجاج. (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ١، ص ١٨١).
(٥) قيل إن المراد بالجعد الأبيض، عمرو بن الجموح، وقيل بشر بن البراء. (انظر: ابن اسحاق: **السيرة**، جـ٣، ص ٣١٦، ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة ٣١، ابن حجر: المصدر السابق، جـ٢، ص ٥٢٩.
(٦) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣١٦،
ابن قدامه: المصدر السابق، ورقة ٣١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٥١، جـ٢، ص ٥٢٩.
(٧) ابن عبد البر: **الاستيعاب**، (هامش كتاب الاصابة، جـ١)، ص ١٠٧.
(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

عامــلا للنبى على بطــون تميم[١]. والمعلوم لدينــا أن على كل بطن من بطــون تميم - تقــريبــا - كان يوجـد جابيـا للصدقة[٢]. وكانت تولية العامل تعقد بكتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

وقد روعى فى شخصية العريف أو السيد توفر عدة مقومات أساسية تجعل منه كفؤ للرئاسة. منها أن يكون له شرف وسؤدد قديم فى الجاهلية[٤]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: خياركم فى الجاهلية، خياركم فى الاسلام، إذا فقهـوا[٥]. وكـان الـرسـول (ص) قد سأل الأزد، يوم الطـائف، عمن يريـدون أن يحمل رايتهم، فقالوا: من كان يحملها فى الجاهلية[٦]. كما يجب أن تتوفر فى السيد عدة خلال منها الكرم[٧]، والعلم[٨]، والتواضع[٩].

أمـا بالنسبـة للنقيب، فقـد كانت بدايـة ظهور مهمته فى ليلة العقبة الأخيرة، حين وافى رسول الله (ص)، بمكة سبعـون رجـلا من الأوس والخـزرج، وبايعوه على أن ينصروه بالمدينة، فاختار منهم اثنى عشر نقيبا[١٠]. وكانت وظيفة

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٥٣.

(٢) وكان ممن ولى جباية صدقات بطون تميم هم: شبر بن صفوان بن عمرو بن الكاتب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمى. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ١٣٦). ومنهم أيضا، سهل بن منجاب التميمى. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ١٨٧). والهيثم التميمى. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦١٥) ومالك بن نويرة التميمى. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٣٦٠). ومنهم أيضـا: قيس بن عاصم بن سنـان بن خالـد بن منقـر بن مقاعس التميمى. (انظر: الاصفهانى: **الاغانى**، جـ ١٤، ص ٦٦ - ٧٢). ومنهم أيضـا، عكراش ابن ذؤيب بن حرقوص بن جعيدة التميمى السعدى. (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٩٦).

(٣) ذكر صيفى بن عامر، سيد بنى ثعلبة، أن النبى (ص) كتب له كتابا، فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لصيفى بن عامر على بنى ثعلبة بن عامر من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأعطى خمس المغتنم وسهم النبى والصفى فهو آمن بأمان الله». (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ١٩٦ - ١٩٧).

(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤١٠، ٦٥٥ - ٦٥٦.

(٥) مسلم: **الصحيح**، جـ ٤، ص ١٩٥٨.

(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٥٦١.

(٧) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣١٦،
ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة ٣١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٢٩.

(٨) ابن قدامة: المصدر السابق، ورقة ١٤.

(٩) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٨٠.

(١٠) وهؤلاء النقباء هم: أسعد بن زرارة، وسعد بن عبادة، وسعد بن الربيع، وسعد بن خيثمة، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، والبراء بن معرور، وأبو الهيثم بن التيهان، واسيد بن حضير، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعبادة بن الصامت، ورافع بن مالك. (انظر: ابن قدامة: المصدر السابق، ورقة ١٠ - ١١). وكان صاحب مخطوطة المبعث والمغازى، قد فصل فى ذكرهم فقال: «فقال رسول الله (ص) - مخاطبـا اسعـد بن زرارة من بنى النجـار - فأنت نقيب على قومـك. واخـذ منهم اثنى عشر نقيبا: فكان نقيبى بنى سلمة، البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام، وكان نقيب بنى ساعدة المنذر ابن عمرو بن خنيس وسعد بن عبادة بن دليم، وكان نقيب بنى زريق، رافـع ابن مالـك بن العجـلان، وكـان نقيبى بنى الحـرث بن الخـزرج، عبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع، وكان نقيب القواقل عبادة بن الصامت، وكان نقيبى بنى عبد الاشهل اسيد بن حضير وابو الهيثم بن التيهان، وكان نقيب بنى عمرو بن عوف سعد بن خيثمة بن الحرث (انظر: أبو القاسم، ورقة ٥٨ - ٥٩). وكان بن هشام قد ذكر نسب سعد بن خيثمة بن الحرث بقوله «ونسبه ابن اسحاق فى بنى عمرو بن عوف وهو من بنى غنم بن السلم، لأنه ربما كانت دعوة الرجل فى القوم ويكون فيهم فينسب إليهم. (انظر ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣١٢).

وقد ذكر النقباء ابن اسحاق إلا أنه لم يعد فيهم أبا الهيثم بن التيهان، وعد فيهم رفاعه بن عبد المنذر بن زبير، من بنى عمرو بن عوف بن مالك. (انظر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٤). وفى ذلك ايضا يقول بن هشام: واهل العلم يعدون فيهم ابا الهيثم بن التيهان، ولا يعدون رفاعة. (انظر: ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٠٤ - ٣٠٥).

والنقيب: فى كلام العرب، كالعريف على القوم، غير انه فوق العريف. (انظر: الطبرى: جامع البيان. جـ ٦، ص ١٤٨).

النقباء تنحصر فى كونهم كفلاء على قومهم بما كان منهم، ككفالة الحواريين بعيسى بن مريم(١). أو كما ذكر ابن اسحاق قول الرسول (ص): «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» يعنى المسلمين(٢). وذلك يدلل على أن مهمة النقيب كانت الانابة عن العشيرة فى عقد وحل الأمور، وأنه بمثابة الضامن والشاهد عليهم(٣). ولذلك لما مات أبو امامة أسعد بن زرارة، وكان نقيب بنى النجار، قالوا لرسول الله: اجعل منا رجلا مكانه، يقيم من أمرنا ما كان يقيم(٤). ثم إن الرسول (ص)، لما أراد أن يؤكد بيعة السبعين، من أهل العقبة، اكتفى بمبايعة النقباء وحدهم. وكان المفروض أن يبايع الجميع لولا الرغبة فى زيادة الحذر لأن الأمر كان سرا عن كفار قريش(٥). وذكر أن أم عمارة قالت: رجعنا من بيعة العقبة إلى رجالنا فلقينا رجلين من قومنا وهما سليط بن عمرو وابو داوود المازنى، يريدان أن يحضرا البيعة، فوجدا القوم قد بايعوه، فبايعا بعد ذلك، أسعد بن زرارة، وكان رأس النقباء(٦). وكان ذلك تطبيقا عمليا لمهام النقيب الرئيسية التى توخاها الرسول (ص)، حين نقبهم، بأن يكونوا كفلاء على قومهم بما كان منهم، فبايعوا الناس فى المدينة على الاسلام باسم رسول الله (ص). ومما يؤكد أن مهمة النقباء كانت تمثيل الرسول فى المدينة والانابة عن العشيرة عند الرسول، ما رأيناه من عدم تنقيب نقباء جدد بعد نقباء أهل العقبة، بدليل أنه لما توفى أسعد بن زرارة، والمسجد يبنى، أى فى الأشهر الأولى للهجرة(٧)، جاء بنو النجار إلى الرسول (ص)، فقالوا: قد مات نقيبنا فنقب علينا. فقال الرسول (ص): أنا نقيبكم. ولم ينقب عليهم أحدا(٨).

ونخلص من ذلك كله إلى أن التنظيم العشائرى فى مجتمع المدينة كان عبارة عن مؤسسة قبلية، تقوم بعدة مهام تخدم العشيرة كوحدة من وحدات المجتمع. ومهام العشيرة كانت تنحصر فى الأمور الاجتماعية الممثلة فى رعاية أفراد العشيرة وتفقد أحوالهم، وتمتد إلى الأمور الدينية القائمة على نشر الاسلام والعلم، بين العشيرة، وإلى النواحى المالية مثل جباية الصدقة وصرفها على مستحقيها، وإلى النواحى العسكرية أو التعبئة العامة، بجمع العشيرة تحت راية واحدة. كما نستخلص مما سبق ذكره، أن عريف العشيرة أو سيدها، كان ينتخب من أبناء العشيرة نفسها، ويكون العريف ـ عادة كما أشرنا ـ ممن حاز على عدة خلال ومناقب حميدة، أهلته للرئاسة. وأن وظيفة النقيب كانت مهمة وقتية تلاشت قيمتها بعد هجرة الرسول (ص)، إلى المدينة. لأن النقيب إنما كان كفيلا على قومه، بأخذ بيعتهم على الاسلام وايواء الرسول (ص)، وأصحابه ونصرتهم فى المدينة.

---

(١) ابو القاسم: المبعث والمغزى، ورقة ٥٨ (مكتبة كوبريلى، استانبول).
(٢) السيرة، جـ ٢، ص ٣٠٥.
(٣) الطبرى: جامع البيان، جـ ٦، ص ١٤٨.
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٤.
(٥) ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٦٥.
(٦) ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٧٢، جـ ٤، ص ٥٨.
(٧) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤.
(٨) ابن اسحاق: نفس المكان،
ابن قدامه: الاستبصار، ورقة ١١.

## ٢ ـ التنظيم الجماعى

اهتم الاسلام كثيرا بأمر الجماعة واتحاد الكلمة(١). وروى عن الرسول (ص)، أنه قال: «إن أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة، كلهم فى النار إلا واحدة، قال: فقيل يارسول الله وما هذه الواحدة؟ قال: فقبض يده، وقال: الجماعة(٢).

### وسائل ووظائف التنظيم الجماعى

### أولا: إقامة المسجد الجامع وسط المدينة

كان للمسجد فى المدينة، إلى جانب وظائفه الدينية، وظائف اجتماعية. فهو لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والليلة الشاتية(٣). وقد شرع الرسول (ص)، حال قدومه المدينة، فى بناء المسجد الجامع(٤)، وحرص على أن يكون موقعه فى وسط حرم المدينة(٥)، المحدود بمقدار بريد فى بريد ما بين جبل عير إلى جبل ثور، من الجنوب إلى الشمال، وما بين لابتيها، أى حرتيها الشرقية والغربية(٦). وقد يسر موقع المسجد المتوسط هذا على جميع المسلمين مهمة الاتصال بالرسول (ص)، واللقاء به فى كل الأوقات فقد ذكر عن أنس أنه قال: كنا نصلى العصر ثم يذهب الذاهب إلى قباء، فيأتيهم والشمس مرتفعة(٧). وقيل أن الرسول (ص)، كان يأتى قباء راكبا وماشيا(٨). كما أن بنى سلمة، وكانوا فى الطرف الشمالى الغربى للمدينة، يحرصون على أداء الصلاة جماعة فى المسجد النبوى(٩). ومن ذلك نستدل على سهولة الاتصال بأطراف المدينة من مركزها وهو المسجد النبوى.

وقد رأى الرسول (ص)، ألا يكون لأحد من القبائل فضل التفرد ببناء المسجد، أو تملك أرضه. ولذلك طلب من بنى النجار أن يثامنوه بحائطهم، لبناء المسجد عليه، ولم يقبل عرضهم، فى أن يعطوه الحائط بدون ثمن. فابتاعه بعشرة دنانير(١٠). وقيل عوضهم رسول الله (ص)، عنه بنخل فى بنى بياضة(١١). وكان الصحابة لما كثروا قالوا لرسول:

---

(١) قال تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا». آل عمران: ١٠٣.
(٢) الطبرى: جامع البيان، جـ ٤، ص ٣٢ ـ ٣٣.
(٣) الطبرى: نفس المصدر، جـ ١١، ص ٢٢ ـ ٢٣.
(٤) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٥.
ابن فضل الله: مسالك الابصار، جـ ١، ص ١٢٣،
الكلاعى: الاكتفاء، جـ ١، ص ٤٦١.
(٥) الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣٤١.
(٦) كبريت: الجواهر الثمينة، ورقة ٨.
(٧) مالك: الموطأ، جـ ١، ص ٩.
(٨) مالك: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٦٧.
(٩) السمهودى: الوفاء، جـ ١، ص ٢٠٣.
(١٠) البلاذرى: فتوح البلدان، جـ ١، ص ٥،
العصامى: سمط النجوم العوالى، جـ ١، ص ٣١٢.
(١١) الذهبى: تاريخ، جـ ١، ص ٢٠٢.

اجعل لنا مسجدا[١]، وكانت تلك رغبة الرسول في أن يكون للمسلمين مسجد جامع، يجمع بالاسلام، الأحمر والأسود[٢]. ولهذا حرص أن يعمل جميع الصحابة في بنائه[٣]، ووزعهم جماعات ووحدانا، في العمل لحمل الماء من الآبار القريبة[٤]، ولعجن الطين وضرب اللبن[٥]، ومنهم من كان ينقل الصخور ويحمل اللبن[٦]. وقد شارك الرسول (ص)، الصحابة في نقل اللبن، احتسابا وترغيبا في الخير، ليعمل الناس كلهم ولا يرغب أحد بنفسه عن نفس رسول الله، صلى الله عليه وسلم[٧].

وعرف المسجد النبوى، على عهد النبى (ص)، باسم مسجد المدينة[٨]، مما يؤكد أن الغرض من بنائه، هو أن يكون مسجدا جامعا للمسلمين في المدينة. وكانت القبائل تحرص على أن تؤدى الصلاة فيه، حتى ولو كانت منازلها بعيدة ـ بعض الشيء ـ عنه، مثل بنى سلمة، الذين فكروا في بيع بيوتهم والنزول قرب المسجد، لولا أن الرسول (ص)، أمرهم بأن يلزموها[٩]، وفى هذا أيضا، يذكر أن رجلا من الانصار كان بيته أقصى بيت في المدينة. ومع ذلك لم يكن تخطئه الصلاة مع رسول الله (ص)، في المسجد النبوى[١٠]. ومما يظهر أهمية المسجد ودوره الاجتماعى، في حياة أهل المدينة، ما ذكر من أن الرسول (ص)، أمر بضرب فسطاط، وهو الخيمة الكبيرة، في المسجد، لسعد بن معاذ بعد أن أصيب يوم الاحزاب. فكان يعوده في كل يوم حتى توفى سنة خمس من الهجرة، وكان مصرعه بعد الخندق، وبعد يوم بنى قريظة بليال[١١].

ولم يكن المسجد عند تأسيسه كبيرا، إذ كان طوله سبعين ذراعا في عرض ستين أو يزيد قليلا[١٢]. ثم زيد عليه، لما

(١) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٥.

(٢) يذكر أن رجلا من الانصار، يقال له أبيض، لما دخل المسجد ورأى الناس يصلون قال: «الحمد لله الذى جمع بالاسلام الأحمر والأسود». (انظر: ابن الاثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ٤٦).

(٣) ابن كثير: **البداية والنهاية**، م ٢، جـ ٣، ص ٢١٧،
مجهول: **المصدر السابق**، ورقة ٥.

(٤) مجهول: **نفس المكان**.

(٥) مجهول: **نفس المكان**.

(٦) ابن كثير: **المصدر السابق**، م ٢، جـ ٣، ص ٢١٧،
مجهول: **المصدر السابق**، ورقة ٥.

(٧) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٥.

(٨) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٥٦٠، جـ ٣، ص ٤٣٠.
مجهول: المصدر السابق، ورقة ٤.

(٩) مسلم: **الصحيح**، جـ ١، ص ٤٦١ ـ ٤٦٢،
السمهودى: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٠٣.

(١٠) مسلم: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٦١.

(١١) ابن عبد البر: **الاستيعاب**. (هامش كتاب الاصابة، جـ ٢)، ص ٢٨.

(١٢) العدوى: **أحوال مكة والمدينة**، جـ ٢، ورقة ١٣٥،
ابن فضل الله: **مسالك الابصار**، جـ ١، ص ١٢٤،
السخاوى: **التحفة اللطيفة**، جـ ١، ص ٣١.

ضاق على أهله، فبلغ أقل من مائة فى مائة[١]. وقد وصفه العجيمى بقوله: «فكان فى ابتدائه غير مربع، وكان مقداره فيها بين جهتى الجنوب، وهى القبلة، والشهال، وهى الشامية المقابلة لها، سبعين ذراعا من الجانبين، ومقداره فيها بين جهتى المشرق، وهى التى فيها الحرة الشرقية، والمغرب، المقابلة لها، ستين ذراعا من الجانبين. ثم زاد فيه صلى الله عليه وسلم، فى جهاته كلها، وجعله مربعا كل جهة مئة ذراع. وكان جداره من جهة المشرق داخلا لجهة القبر الشريف. وكانت سواريه من جذوع النخل، وسقفه من جريد النخل مع قليل من الطين بحيث لا يمنع ماء المطر، قريبا من رأس المصلى بحيث لو رفع يده لمسه، وكان له درجة فى وسطه، وكان جدرانه مبنية بلبن مضروب من بقيع الغرقد، قبل جعله مقبرة. وكان جعل فى أساسه عند البناء الثانى نحو ثلاثة أذرع من الحجر. وكان له ثلاثة أبواب إحداها شرقى، فى محاذاة باب النساء الآن، ويقال له باب آل عثمان. وثانيها غربى فى مقابل باب الرحمة الآن، ويقال له باب عاتكة. وثالثها جنوبى، فى الجهة القبلية أقرب الى الجهة الغربية. ثم لما حولت القبلة سده وجعل بابا فى مقابلته من الجهة الشامية[٢]». وكان خلوا من الزخرفة والنقوش[٣]. وارتفاعه فى نحو سبعة أذرع أو خمسة[٤]. وقد رفض الرسول (ص)، أن يطين السقف، لأن الأمر أعجل من ذلك[٥]. أو كما قيل أقرب من ذلك[٦]. والجملة السابقة الواردة فى النص، بأن الأمر أعجل من ذلك ـ أى من تطيين السقف ـ تعبر عن الوضع القائم فى المدينة، عند بناء المسجد، فإنه من غير المعقول أن يصرفوا كثيرا من الوقت فى أشياء غير ضرورية. ثم أن المسلمين جميعهم كانوا يشاركون فى بناء المسجد. والأحرى بهم أن يجندوا جميع جهودهم للأمر العظيم وهو نشر الاسلام وحمايته من المتربصين به.

وكان الرسول قد أشرك كثيرا من أهل الخبرة والمعرفة فى صنعة البناء، من معظم الأقطار، فاستعان برجل من حضرموت، وكان يحسن عجن الطين[٧]، وبرجل من اليمامة، يقال له طلق من بنى حنيفة. قال: بنيت المسجد مع رسول الله (ص)، فكان يقول: قربوا اليمامى من الطين فإنه أحسنكم له مسكا وأشدكم له منكبا[٨].

ومما سبق نرى أن المسجد الجامع فى المدينة، على عهد الرسول (ص)، كان رمزا لاجتماع المسلمين واتحاد كلمتهم، وكانت مشاركة جميع الصحابة فى بنائه دليلا عمليا على تعاونهم وتوادهم. على أن ذلك التعاون والتواد كان عاما، ثم خصص بين المسلمين بما عرف باسم المؤاخاة، وهى الوسيلة التالية للتنظيم الجماعى فى هذا البحث.

---

(١) السخاوى: التحفة اللطيفة، جـ ١، ص ٣١.
مجهول: فى سيرة الرسول، ورقة ٦.
(٢) مكة والمدينة، ورقة ٣٧ ـ ٣٨. وانظر أيضا: السخاوى: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣١.
(٣) مجهول: المصدر السابق، ورقة ٦.
(٤) السخاوى: نفس المكان،
مجهول: المصدر السابق، ورقة ٦.
(٥) مجهول: فى سيرة الرسول، ورقة ٦.
(٦) السخاوى: التحفة اللطيفة، جـ ١، ص ٣١.
(٧) مجهول: المصدر السابق، ورقة ٥.
(٨) مجهول: نفس المكان.

**ثانيا: المؤاخاة**

بدأ تنظيم المؤاخاة في السنة الأولى من الهجرة، بعد خمسة أشهر أو ثمانية من قدوم النبى (صلى الله عليه وسلم) المدينة[١]. على أن المتفق عليه أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كانت قبل معركة بدر[٢]، حيث دعا الرسول (ص)، أصحابه من المهاجرين والأنصار إلى اجتماع في مسجد المدينة، حدد فيه أسماء نخبة من المسلمين[٣]، قيل إنهم تسعون، وقيل بل مئة[٤]. وهناك روايات أخرى تذكر أن جملتهم ثلاثمائة[٥].

وذكر أنهم كتبوا في أمر المؤاخاة كتابا، في دار أنس[٦]. وبين الرسول لهم، أثناء ذلك الاجتماع، أنه اصطفاهم وأحب أن يؤاخى بينهم[٧].

وكانت صفة صحة عقد المؤاخاة، تتم بأخذ أحد الأخوين، الذين عينهما الرسول (ص)، بيد الآخر مرددين أنهما أخوان في الله[٨]. وترتب على تلك الأخوة الاسلامية حقوق ميزتها عن أخوة ذوى الأرحام، وسمت بها كثيرا. فالأخ في الله هو المقدم على ذوى الأرحام في الميراث[٩]، إذ كانوا يتوارثون بهذا الاخاء في ابتدائه، إرثا مقدما على القرابه[١٠]. والواقع أن ذلك البند الخاص بالميراث، كان يتعارض - شكلا - مع الأعراف والتقاليد السائدة، حينذاك. ولذلك لم يدم كثيرا إذ أعقبه نزول آية المواريث ناسخة له بقوله تعالى: «والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله... الاية[١١].

---

(١) مجهول: في سيرة الرسول، ورقة ١١. وقد سبق تلك المؤاخاة، التى عقدت بين المهاجرين والأنصار، مؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم. (انظر: ابن سعد: **الطبقات**، جـ١، ص ٢٣٨، وابن سيد الناس: **عيون الأثر**، جـ١، ص ١٩٩، مجهول: **المصدر السابق**، ورقة ١٢). وكانت هذه المؤاخاة بين المهاجرين على نطاق محدود ولم تفرض على الجميع. (انظر ابن اسحاق: **السيرة**، جـ٢، ص ٣٥١، ابن سعد:المصدر السابق، جـ٣، في أماكن متفرقة). ويعتقد أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يؤاخ بين المهاجرين بعضهم لبعض، الا بعد قدومه المدينة. (انظر: ابن سعد: نفس المصدر، جـ١، ص ٢٣٨). والذي نميل إلى ترجيحه، هو أن المؤاخاة، بين المهاجرين، ربما أنها حصلت قبل الهجرة - بشكل نظري - ولم يعرف أمرها الا بعد قدوم النبي (ص)، المدينة.

(٢) ابن سعد: نفس المكان،
ابن حبيب: **المحبر**، ص ٧١ - ٧٢.

(٣) الحلبى: **السيرة الحلبية**، جـ٢، ص ٩٦ - ٩٧.

(٤) ابن سعد: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٣٨،
مجهول: المصدر السابق، ورقة ١١.

(٥) العامرى: **بهجة المحافل**، جـ١، ص ١٦٩.

(٦) مجهول: المصدر السابق، ورقة ١١.

(٧) الحلبى: المصدر السابق، جـ٢، ص ٩٦ - ٩٧.

(٨) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ٣، ص ٣٥١،
ابن كثير: **البداية والنهاية**، جـ٣، ص ٢٢٦. ويذكر ابن اسحاق هذه الصفة بقوله: وآخى رسول الله بين اصحابه من المهاجرين والأنصار فقال، فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل: تآخوا في الله أخوين أخوين. ثم اخذ بيد على بن ابى طالب فقال: هذا اخى». (انظر: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٥١).

(٩) ابن سعد: **الطبقات**، جـ١، ص ٢٣٨،
ابن حبيب: المحبر، ص ٧١.

(١٠) المقريزى: **امتاع الاسماع**، جـ١، ص ٥٠.

(١١) **الانفال**: ٧٥.

ويبدو أن الرسول (ص)، كان يريد بذلك، حين جعل الأخ فى الله مقدما على القرابة فى المواريث، التنبيه إلى أهمية وعظم أمر المؤاخاة لما سيترتب عليها من أمور عظيمة فى صالح الاسلام وقيام مجتمع إسلامى ليس للعصبية القبلية الجاهلية مكان فيه. فالمؤاخاة بذلك المعنى كانت عملا مثاليا لما يجب أن يكون عليه المسلمون، ولم تكن نظاما يجب أن يفرض على الجميع، إذ أن باب الخيار، كان مفتوحا لمن أراد أن يتبعه أو عكس ذلك. ولعل مما يدلل على ذلك ما وجد من عناية فائقة اتبعت عند اختيار المتآخين من الصحابة.

وقد أظهرت الدراسة المقارنة والتحليلية لعينات كافية من الصحابة، ممن آخى الرسول (ص)، بينهم، أن المؤاخاة قد راعت العوامل النفسية والعلمية والفكرية، وتوخت تقارب المستوى الاجتماعى والفكرى بين المتآخين، بغية توفير كل الأسباب لنجاحها وتقويتها(١). وحتى يكون فى تشابه مشاربهم وطباعهم، ما يذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة(٢).

ويجد الباحث أمثلة كثيرة عن المراعاة فى المستوى العلمى والفكرى بين المتآخين. فمن ذلك المؤاخاة بين جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل. فهما متفقان فى الطباع والسلوك. فكلاهما يهتم بالعلم، حتى عدا من فقهاء الاسلام وعلمائه، فقيل عن جعفر بن أبى طالب: إنه أفضل الناس بعد النبى(٣) (ص). وقالوا عن معاذ بن جبل: إنه المقدم فى الحلال والحرام(٤). وإلى جانب توفر تلك الصفة العلمية بين جعفر ومعاذ فإنهما من الناحية الفكرية والاجتماعية، متقاربان فى الدرجة. فجعفر يعد خير الناس للمساكين(٥)، أما معاذ فوصف بأنه كان سمحا من خير شباب قومه(٦).

ويجد الدارس لحياة كل من سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبى بن كعب من الناحية العلمية، أنهما قد اجتمعا أيضا فى درجة علمية واحدة. فسعيد بن زيد كان مهتما ومعنيا بالفقه والحديث، وروى عنه كثير من الصحابة(٧). كذلك فأن أبى بن كعب، كان سيد القراء وكان عالما وأول من كتب للنبى(٨) (ص). كما أنه يعد من فقهاء الصحابة المعدودين(٩).

---

(١) يقول الغزالى: «الأخاء الحق لا ينبت فى البيئات الخسيسة فحيث يشع الجهل والنقص والجبن والبخل والجشع، لا يمكن أن يصبح أخاء أو تترعرع محبة، ولولا أن اصحاب رسول الله (ص)، جبلوا على شمائل نقية واجتمعوا على مبادىء رضية، ما سجلت لهم الدنيا هذا التآخى الوثيق فى ذات الله». (انظر: فقه السيرة، ص ١٩٣).

(٢) السهيلى: **الروض الأنف**، جـ ٢، ص ٢٥٢.

(٣) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٣٧.

(٤) ابن عبد البر: **الاستيعاب (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)**، ص ٥٠،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٣٧.

(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٧) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٤٦.

(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ١٩.

(٩) ابن عبد البر: **الاستيعاب (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)**، ص ٤٨.

وقد جمعت الصفة العلمية والفقهية، بين مصعب بن عمير بن هاشم وبين أبي أيوب. إذ كان مصعب أول من بعثه الرسول (ص)، مع أصحاب العقبة من الأنصار، إلى المدينة، ليفقههم في الدين[١]، وكان يسمى المقرىء بالمدينة[٢]. أما أبو أيوب، فقد كان، بحكم نزول الرسول عليه، أول مقدمه المدينة، كثير الاهتمام بسماع أحاديث الرسول (ص)، ولذلك روى عن النبى (ص)، وعن كثير من الصحابة[٣].

وكذلك نجد أن سلمان الفارسي، قد اشترك مع أبي الدرداء عويمر بن ثعلبة في الاهتمام الفقهي والعلمي، ويبدو أنه قد كان بينهما تنافس شريف وكبير لتنمية تلك الصفة، لاستحصال أكبر قدر ممكن من العلم والفقه. ونستنتج ذلك من ممازحة الرسول (ص)، لأبي الدرداء بقوله: «سلمان أفقه منك»[٤].

ومن أمثلة الاتفاق في الطباع بين المتآخين، ما يجده الباحث في مؤاخاة عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع. فهما مجبولان على الكرم ومحبان للبذل في وجوهه. حتى أن سعد بن الربيع، وكان أكثر الأنصار مالا، عرض على عبد الرحمن، بعد أن آخى الرسول بينهما، أن يقاسمه ماله[٥]. فأبى عبد الرحمن بن عوف أن يأخذ منه شيئا. مدللا على كرمه وامتلاء قلبه بالقناعة، وقال: دلني على سوق المدينة[٦]. وكان له ما أراد، فعمل بالتجارة حتى كثر ماله، فتصدق بشطره في سبيل الله، وكان ذلك المال يحمل على خمسمائة فرس مع أربعين ألف درهم[٧].

أما الزبير بن العوام وسلمه بن سلامه بن وقش فكانا شجاعين وجريئين وكثيرا ما انتدبا للمهمات الصعبة في الحروب[٨].

وصفة الشجاعة والفتوة يجدها الباحث أيضا تجمع بين كل من على بن ابى طالب[٩]، وسهل بن حنيف، ولعل أبرز مثال عليها فدائية على ليلة هجرة الرسول حين رقد في فراشه غير عابىء بما كانت قريش تبيته لصاحب ذلك الفراش[١٠]. وقد كانت لسهل بن حنيف مواقف بطولية وفدائية في الذب عن الرسول صلى الله عليه وسلم[١١]. وقد بلغ من جرأته في الأيام الأولى للهجرة، أنه إذا أمسى، عدا على أوثان قومه فكسرها غير عابىء بما يتربص به[١٢].

(١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٢١.
(٢) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٢٩٦.
(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٠٥.
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٦٢.
(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٢٦.
(٦) ابن كثير: **البداية والنهاية**، جـ ٣، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٧) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤١٦.
(٨) النووي: **تهذيب الاسماء واللغات**، جـ ١، ص ١٩٥،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٤٥ ـ ٥٤٦، جـ ٢، ص ٦٥.
(٩) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٢٣.
(١٠) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٣٣.
(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٨٧.
(١٢) الطبري: **تاريخ**، جـ ٢، ص ٣٨٢.

وكما أخذ العامل النفسي والفكري في الاعتبار، لما لذلك من أثر كبير في تعزيز الصلة وتقويتها بين المتآخين، كذلك روعيت ناحية التكافؤ في السلم الاجتماعي والوظيفي لابعاد الوحشة بين المتآخين بسبب ما قد يظهره أحدهما من أنفه بحكم تفوقه أو علو مكانته الاجتماعية. لذلك نجد أن الرسول (ص)، حين آخى بين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجي، راعى ناحية التكافؤ تلك وأخذ بعين الاعتبار منزلتهما الاجتماعية، فكان عمر، وهو أمير المؤمنين ـ فيما بعد ـ الرجل المقدم في قومه، وكان إليه السفارة في الجاهلية[١]. أما عتبان بن مالك فقد كان إمام قومه بني سالم[٢].

وروعي التكافؤ الاجتماعي كذلك، عند المؤاخاة بين أبي عبيدة بن الجراح، وهو من السابقين ومن علماء الاسلام وأمين الأمة[٣]، وسعد بن معاذ، وكان سيد الأوس والمطاع فيهم، واسلامهم تم على يديه[٤].

وتتجلى تلك المراعاة بوضوح أكثر، عند المؤاخاة بين عمار بن ياسر، حليف بني مخزوم وأمه مولاة لهم[٥]، وبين حذيفه بن اليمان، حليف بني عبد الأشهل[٦]. وكذلك نجد أن حاطب بن أبي بلتعه اللخمي، وحليف بن أسد من قريش[٧]. آخى الرسول (ص)، بينه وبين عويم بن ساعدة البلوى، وحليف بني أمية من الأوس[٨]. أما بلال بن رباح، وكان عبدا حبشيا، فقد آخى الرسول (ص)، بينه وبين أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي، وقد كان مملوكا، فاعتق[٩].

أما وقد استعرضنا، نظام المؤاخاة، بدايته وأهدافه، فإن هناك نقطة جديرة بالبحث يحسن بنا تتبعها، وهي تتعلق باستمرارية المؤاخاة وانقطاعها. ومن خلال دراستنا عن المؤاخاة، رأينا أنها قد انقطعت كنظام قانوني. ذلك أننا لم نعد نسمع بأن الرسول (ص)، قد أمر أو الزم اثنين بأن يتآخيا، وخاصة بعد يوم بدر[١٠].

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٥١٨ ـ ٥١٩.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤٥٢.
(٣) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٥٢،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٥٢.
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٢،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٧.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٥١٢.
(٦) ابن عبد البر: **الاستيعاب** (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)، ص ٢٧٧،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣١٧.
(٧) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٢،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٠٠.
(٨) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٤٤. وعويم، بصيغة التصغير، ليس في آخره راء: قيل إنه من بني أمية من الأوس، وقيل أنه بلوى حالف بني أمية من الأوس. (انظر: ابن حجر: نفس المكان).
(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٧٢.
(١٠) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٢٣٨،
مجهول: في سيرة الرسول، ورقة ١٢.

وقد ذكر ابن حجر أن عوف بن مالك أسلم عام خيبر، وآخى النبي بينه وبين أبي الدرداء[١]. وذكر أيضا أن ربيعة بن السكن قال: أتيت النبي (ص)، وهو يؤاخي بين الناس فآخى بينهم وبقيت. فقدم رجل من الحبشة فآخى بيني وبينه. وقال: أنت أخوه وهو أخوك[٢]. والمعروف أن قدوم مهاجري الحبشة كان عام خيبر، سنة سبع من الهجرة تقريبا[٣].

ويبدو أن موآخاة كل من عوف بن مالك مع أبي الدرداء، وموآخاة ربيعة بن السكن مع المهاجر الذي قدم من الحبشة، ربما قد حصلت بناء على طلب منهم أنفسهم وبعد إلحاح كبير، إذ لم يكن هناك إلزام أو أمر من الرسول (ص)، بأن يتآخوا. إنما الذي يمكن ترجيحه، هو أن المؤآخاة قد استمرت كسنة، يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، وذلك بعد نسخ أساسها، المعتمد على أن يرث الأخ أخاه في الله بعد الممات[٤]، بنزول آية المواريث بعد وقعة بدر[٥]. فنسخ التوريث كبند من بنود المؤآخاة، لا يعني انقطاعها، بمعنى أن المتآخي في الله، غير ملزم بأن يورث أخيه، وإلا فإن له مطلق الحرية إذا أراد أن يوصي إلى أخيه بعد وفاته، كما أوصى حمزة بن عبد المطلب، يوم أحد إلى زيد بن حارثه، حين حضر القتال[٦]. ثم أن عمر بن الخطاب في عهده، حين دون الدواوين بالشام، قال لبلال بن رباح، وكان قد خرج إلى الشام فأقام بها مجاهدا: «إلى من تجعل ديوانك يا بلال؟ قال: مع أبي رويحة، لا أفارقه أبدا للأخوة التي كان رسول الله (ص)، عقد بينه وبيني. فضم إليه وضم ديوان الحبشة إلى خثعم، لمكان بلال منهم[٧]». وذلك يعني أنه حتى عهد عمر كان للمؤآخاة منزلة معتبرة وإن لم يكن هناك إلزام باتباعها أو فرضها.

وقد نحا بعض المؤرخين المسلمين، إلى الاعتقاد بأن الغرض من المؤآخاة، كان تحقيق منافع اقتصادية لمواجهة الضائقة المالية التي كان عليها المهاجرون بعد هجرتهم إلى المدينة[٨]. والذي يبدو لنا، ونرجحه في نفس الوقت، أن الرسول، لم يكن في حاجة إلى وجود من يلتزم بمصالح أصحابه من المهاجرين، لأنه سبق أن أكد على تلك الناحية، في بيعة العقبة الأخيرة، وجعل الالتزام بمصالح أصحابه شرطا لصحة عقد البيعة، حيث جاء فيه: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهليكم، واشترط لاصحابي المؤاساة في

---

(١) المصدر السابق، جـ٣، ص ٤٣.

(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩.

(٣) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ٣، ص ٧٧٤، ٧٩١، ٨١٨، ٢١.

(٤) ابن سعد: **الطبقات**، جـ٣، ص ٢٢.

(٥) قال تعالى: «والذين أمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم، فاولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.. الآية». الأنفال: ٧٥.

(٦) ابن سعد: المصدر السابق، جـ٣، ص٩.

(٧) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ٢، ص ٣٥٣.

(٨) يقول ابن كثير: «.. إلا أن النبي (ص)، لم يجعل مصلحة علي إلى غيره، فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله (ص)، من صغره في حياة أبيه ابي طالب، كما تقدم عن مجاهد وغيره. وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد ابن حارثة فاخاه بهذا الاعتبار. والله اعلم». (انظر: **البداية والنهاية**، جـ٣، ص ٢٢٧، وانظر ايضا: البقري (عبد الله ابو العطا): **الانصار والاسلام**، ص ٨٠، القاهرة، ١٩٦٤ م).

ذات أيديكم[١]». ومن ذلك نرى أن الضمان المالي لصالح المهاجرين كان بندا رئيسيا في بيعة العقبة، وقد التزم الأنصار به وقبلوه على أن لهم الجنة[٢]. ولو كان الغرض من المؤاخاة اقتصاديا، يجعل مصلحة الفقراء إلى الاغنياء، لما وجدنا أن كثيرا من الصحابة لم يدخلوا في المؤاخاة، مع أنهم كانوا فقراء ومن السابقين إلى الاسلام. مثل آنسة مولى رسول الله (ص)، وابي كبشه مولى رسول الله (ص)، وصالح شقران غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣]، ومثل يزيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر، وعكاشة بن محصن بن حرثان، وأبي سنان بن محصن بن حرثان، وسنان بن أبي سنان، ومالك بن عمرو، وسعد مولى حاطب وغيرهم[٤]. فلو كان الهدف جعل مصلحة الفقراء إلى الاغنياء، لكان أولئك أولى من غيرهم بالمؤاخاة. واضافة إلى ذلك فإن عددا من الأنصار، كانوا شديدي الفقر، ومع ذلك آخى الرسول بينهم وبين المهاجرين، ومنهم سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف بن مالك من الأوس، وأبو دجانه سماك بن خرشه من بني ساعدة من الخزرج. فقد قيل أن رسول الله (ص)، لم يعط من أموال بني النضير أحدا من الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانه سماك بن خرشة، وكانا فقيرين[٥]. كما أن من الانصار، ممن آخى الرسول بينه وبين أحد المهاجرين، من كان لا يجد ما يأكله[٦].

وقد رأى بعضهم أن المؤاخاة إنما هي تسمية إسلامية لنظام الحلف المعروف عند العرب قبل الاسلام[٧]، والمراد بالحلف هنا قبول فرد ما محالفة قبيلة، غير قبيلته والدخول في عهدها. وهو رأي من الصعب التسليم به، لأن التحالف قبل الاسلام، بذلك المعنى، كان يمثل نظاما طبقيا ينظر فيه إلى الحليف على أنه أقل منزلة من حليفه أو سائر أفراد القبيلة التي دخل في حلفها، حتى أن ديته بينهم كانت النصف[٨]. بينما نجد أن المؤاخاة الاسلامية كانت تجعل للأخ المسلم منزلة تقدمه على أخوة ذوي الأرحام، في ناحية الميراث بعد الممات[٩]. ثم إن المؤاخاة لو كانت كأحلاف الجاهلية، لاقتضى ذلك ضرورة تواجد المتحالفين وطلب أحدهما من الآخر محالفته. بينما في المؤاخاة، كنظام عام يمكن فرضه، نجد أنها تتم حتى ولو كان أحد المتآخين في سفر بعيد، كما حصل بالنسبة لجعفر بن أبي طالب، الذي كان مقيما في الحبشة بعد هجرته إليها حين آخى الرسول بينه وبين معاذ بن جبل وكان موجودا مع الرسول (ص)، في المدينة[١٠]. ولذلك نجد في تأويل قول الله تعالى: «ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت

---

(١) ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة ١١،
الدولابي: **الكنى والاسماء**، جـ ١، ص ١٣.
(٢) ابن قدامه: المصدر السابق، ورقة ١١.
(٣) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٤٨ ـ ٥٠.
(٤) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٩١ ـ ٩٧، ١١٥.
(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٤٧٢.
(٦) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٤٧.
(٧) الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٨٦.
(٨) جاد المولى (وآخرون): **أيام العرب**، ص ٦٢ ـ ٦٤.
(٩) يقول ابن سعد: «آخى بينهم على الحق والمؤاساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام». (انظر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٣٨).
(١٠) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٥٢.

ايمانكم فأتوهم نصيبهم[١]»، ما ذكره الطبري حين قال: «والذين عاقدت ايمانكم على المحالفة وهم الحلفاء وذلك أنه معلوم عند جميع أهل العلم بأيام العرب وأخبارها بأن عقد الحلف بينهما كان يكون بالايمان والعهود والمواثيق. وكانت مؤاخاة النبي بين من آخى بينه من المهاجرين والأنصار لم تكن بينهم بأيمانهم[٢]». ولربما أن من أهداف المؤاخاة، أن تصبح بديلا للحلف الجاهلي، إلا أنها تختلف عنه في طريقة التعاقد. وكان الرسول (ص)، حين سئل عن الحلف قال: لا حلف في الاسلام[٣].

والمرجح لدينا أن الهدف الرئيسي للمؤاخاة، هو الرغبة في ربط القبائل، عن طريق أفرادها في أخوة إسلامية[٤]، من شأنها التخفيف من حدة العصبية القبلية. وذلك يعني أن عدم تمثيل أي بطن أو عشيرة في المؤاخاة، إنما قصد به الضغط، بطريق غير مباشر، على القبائل واشعارهم بطريقة عملية بأن العصبية القبلية أو الافتخار بصلة الدم والقرابة، لم تعد ذات شأن عظيم في هذا المجتمع الاسلامي القائم على المحبة والتعاون والتضحية بين أفراده[٥]. ولذلك يتوجب عليهم أن يذعنوا لرأي الأمة الاسلامية ويدخلوا في عصبيتها السامية. وندلل على ما ذكرنا بما لوحظ من عدم دخول بعض بطون الأوس في المؤاخاة مثل بني حارثة الذين كانوا رغم إسلامهم. متمسكين بعصبيتهم القبلية، كثيرا. فكانوا يبدون شيئا من النفور تجاه بني عبد الاشهل، لما كان بينهم من عداء قديم في الجاهلية[٦]. وذلك يعني أن الأسرة أو العشيرة ملزمة بأن تتنازل للأمة عن حق النظر في النزاع المدني، أي النزاع الذي يحدث بين أسر المدينة، حيث أن أول مهمة للأمة هي أن تمنع القتال بين ذويها[٧]. ولا ريب، أن التخلي عن العصبية القبلية أو إضعافها سوف يجرد القبيلة من بعض تقاليدها الجاهلية، وخاصة تلك التي تعد إحدى وظائف الدولة، كالاجارة. حيث كان الرجل يضطر بدافع من عصبيته إلى التمسك بها. أما وقد ضعف تأثير العصبية، ولم تعد ذات قيمة، لأن كل المسلمين أخوة، فانه بالتالي سوف لا يكون للاجارة قيمة أو معنى.

ومبدأ العهد والجوار كان يحق للفرد بموجبه أن يتدخل لحماية من له عهد وجوار لديه، دون أن يكون للسلطة حق الاعتراض[٨]. ذلك أن المجير يكون ملزما أدبيا بتنفيذ بنود الاجارة، وإلا لحقه العار، حتى وإن كان من يجير على غير دينه أو معتقده[٩].

---

(١) النساء: ٣٣.
(٢) جامع البيان، جـ ٥، ص ٥٤ - ٥٥.
(٣) ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ١٧٢.
(٤) Arnold; *The preaching of Islam*, p. 33.
(٥) ابن سعد: الطبقات، جـ ١، ص ٢٣٨.
(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٢٩٨.
(٧) قال تعالى: «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول». النساء: ٥٩.
وانظر أيضا: فلهاوزن: الدولة العربية، ص ١٨.
(٨) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٠٨،
Arnold; *The preaching of Islam*, pp. 31, 32.
الشريف: مكة والمدينة، ص ٣٢ - ٣٤.
(٩) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٠٨.

والمعروف أن بين قريش والخزرج علاقات قديمة في مجالات التجارة[١]، والسياسة[٢]. إلى جانب ما كان بينهم من صلات المصاهرة[٣]. وقد ازدادت ـ ولا شك ـ تلك العلاقات قوة، بمبدأ المؤاخاة، الذي ربط بين كثير من الخزرج وقريش[٤]. وذلك سوف يسقط أي محاولة قد تقوم بينهم ، لاحياء مبدأ الاجارة.

وقد أقر دستور المدينة، أو ما عرف باسم الصحيفة[٥]، نظرية سيادة الدولة وليس القبيلة. فكانت بنود تلك الصحيفة تنص على أن مجتمع الاسلام ليس مجتمع العصبية القبلية، وإنما هو أمة واحدة من دون الناس[٦]. وأكدت الصحيفة على أن ولاء الناس ، إنما هو للدولة وحدها، فهي صاحبة السيادة والسلطة. ولذا فإنه لا يحق للمؤمن أن ينصر كافرا على مؤمن، كما لا يحل له أن ينصر محدثا أو يؤويه، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن[٧]. كما أوضحت الصحيفة، أن تصريف أمور الناس في مجتمع المدينة، إنما مردها إلى الله وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٨].

ومما سبق نرى أن الرسول (ص) كان يخطط لعمل يخفف من حدة العصبية القبلية باقرار مبدأ المؤاخاة، تمهيدا لبناء مجتمع جديد يقوم على رابطة العقيدة دون رابطة النسب والعصبية القومية[٩]. كما أنه يمهد لقيام الدولة بمفهومها العام، المرتكز على وجود مؤسسة قادرة وذات سلطة وتصرف حر.

### ثالثا : رابطة ذوي الأرحام

وهي تنظيم يجمع عددا من البطون والعشائر، التي تنتسب إلى قبيلة واحدة، كبطون قريش مثلا أو بطون الأوس والخزرج، تحت راية واحدة في محيط رابطة القرابة. ومما يجدر ذكره في هذا المجال، الاشارة إلى أن الفخر بالمناقب الدينية والحمية للقربى أو صلة الدم، لم يكن أمر ذلك مستهجنا بين المسلمين في المدينة، كما هو الحال في نظرتهم

(١) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٠٨.
الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ٣٦١.
(٢) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٠٨،
الطبري: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٦٨،
العصامي: سمط النجوم العوالي، جـ ١، ص ٣١١،
(٣) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٠٨،
ابن قدامه: الاستبصار، ورقة ٣.
(٤) انظر: ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٥١٨ ـ ٥١٩.
(٥) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٤٨ ـ ٣٥١.
(٦) ابن اسحاق: نفس المكان.
(٧) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.
(٨) ابن اسحاق : نفس المكان.
(٩) فلهاوزن: الدولة العربية، ص ١٧،
حسن ( حسن ابراهيم ): تاريخ الاسلام، جـ ١، ص ١٠٤.

للعصبية القبلية. ولذلك رأينا أن الرسول (ص)، لم ينكر على صفية بنت حيي بن أخطب قولتها، حين بلغها أن اثنتين من أزواج النبي، قالتا: نحن أكرم على رسول الله (ص)، منها. نحن أزواجه وبنات عمه، فقالت صفية: وكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى[(١)]. ونجد أن القرآن الكريم، قد بين طبيعة العلاقة بين ذوي الأرحام، وجعل بعضهم أولى ببعض من غيرهم[(٢)].

ويبدو أن بداية ذلك التنظيم، كان حين أمر الرسول (ص)، بتعويض اليتيمين من بني غنم بن النجار، عن مربدهما بنخل في بني بياضة، وليس في بني غنم، إذ نجد في هذا الاجراء شيء من المراعاة لصلة القربى. لأنهما كانا بطنين من الخزرج[(٣)]. وبالامكان أن نستدل، من ذلك، على وجود رغبة لجمع بطون كل قبيلة على راية واحدة، وعلى الخصوص، في تنظيمات الرسول الحربية، يوم بدر. إذ كان يوجد يومها رايتان، إحداهما جمعت بطون الأوس والخزرج وعرفت براية الأنصار، والأخرى كانت لبطون قريش وحلفائها ومن انضم إليهم من المهاجرين[(٤)]. وقيل «إنه كان لرسول الله (ص)، في المواطن كلها، رايتان، مع علي راية المهاجرين، ومع سعد ابن عبادة راية الأنصار[(٥)]. وفي بعض الأحيان، قد يجعل لبطون الأوس لواء خاصا، ولبطون الخزرج لواء آخر. ذكر ذلك البلاذري بقوله إن لواء رسول الله (ص)، يوم بدر مع مصعب بن عمير، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر[(٦)]. والظاهر من تلك الروايات أن الرسول (ص)، كان يغير القيادات وتشكيل الوحدات، أكثر من مرة في نفس المعركة الواحدة، حسب الظروف والأحوال[(٧)].

ولم يقتصر تنظيم رابطة القرابة أو ذوي الأرحام، على قريش والأنصار، وهم الغالبية بين السكان في المدينة، فإنه شمل سائر القبائل العربية، حيث راعى صلة الرحم ورابطة القربى في حالات عديدة حين بعث الرسول (ص)، بعضهم في سرايا أو حين استعمل عليهم[(٨)]. وأمثلة ذلك، سرية الأزد والأشعريين[(٩)]، وتولية عامل واحد على مراد ومذحج وزبيد كلها[(١٠)].

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٣٤٧.

(٢) قال تعالى: «والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا منكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.. الآية». الانفال: ٧٥.

(٣) الذهبي: **تاريخ**، جـ ١، ص ٢٠٢،
ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة ٣ ـ ٤٤.

(٤) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٤٤٥.

(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣٠، ٢٤٩.

(٦) **الانساب**، جـ ١، ص ٢٩٣.

(٧) الواقدي: **المغازي**، جـ ٢، ص ٨٠٠ وما بعدها (طبعة اكسفورد).

(٨) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٢٩، جـ ٣، ص ٢٠٥.

(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٢٩.

(١٠) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢٠٥.

وكان النبي (ص)، قد عقد يوم أحد ثلاثة ألوية أحدهم للأوس بيد أسيد ابن حضير، والثاني للخزرج بيد الحباب بن المنذر، وكان لواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب[١]. وقيل كان لواء المهاجرين بيد مصعب بن عمير بن هاشم[٢].

ومما سبق رأينا أن الرسول (ص) حاول جمع بطون القبيلة الواحدة، أو من كان ينتمي لها بالولاء أو الحلف، بتنظيم تحت راية واحدة كالمهاجرين، وغالبيتهم من قريش أو حلفائها ومواليها، وكالانصار وهم الأوس والخزرج. وكان لبعض الظروف السياسية يد في فصلهم إلى قيادتين في بعض الغزوات، كما رأينا في معركة أحد، حيث أن الظروف السياسية ـ حينذاك ـ لم تكن مواتية لجمع الفرعين، الأوس والخزرج، وذلك لوجود حركة انشقاق وخروج على رأي المسلمين من قبل بعض الخزرج بقيادة عبد الله بن أبي الخزرجي[٣].

**رابعا : االرابطة العامة بين المسلمين**

وهذه الرابطة تعني توحيد عامة القبائل في تنظيم حربي واجتماعي، تحت راية واحدة. وسبق أن رأينا عند تناول موضوع رابطة ذوي الأرحام، وجود اتجاه غرضه جمع البطون التي بينها صلة رحم وقربى، تحت لواء واحد، على اعتبار أنها نقلة في مراحل تنظيمات الرسول (ص)، للقبائل، المستهدفة ضم جميع القبائل تحت راية واحدة باسم الأخوة أو الرابطة العامة بين المسلمين.

ويمكن القول بأن العمل قد بدأ بتطبيق ذلك التنظيم، أو عرضه للامتحان، يوم أحد، حين دمج الرسول (ص)، قيادات المسلمين الثلاث[٤] في قيادة واحدة عرفت باسم راية المسلمين[٥]. ومنذ ذلك الوقت، عرضت لنا النصوص التاريخية عدة تطبيقات عملية أخرى، هدفها دمج مجموعات القبائل في قيادة واحدة. منها ما ذكر أن أحمس، أتوا الرسول في أكثر من خمسمائة ومعهم مائتين من قيس فتنادوا عند النبي (ص)، فبعث معهم ثلاثمائة من الأنصار وغيرهم من العرب. فأوقعوا بخثعم باليمن[٦]. وكان اللواء، يوم خيبر، واحدا، هو لواء المسلمين تعاقب على حمله عدد من الصحابة[٧]. ولا نستبعد أن اللواء كان واحدا ـ يوم الفتح ـ لوجود الرسول (ص)، على رأس المسلمين[٨].

---

(١) ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٨١.
(٢) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ٣، ص ٥٨٦، ابن حجر:
ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢.
(٣) ابن الحاج: المصدر السابق، ورقة ٨١.
(٤) وتلك القيادات هي: لواء الأوس، ولواء الخزرج، ولواء المهاجرين. (انظر:
ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٨١).
(٥) النووي: **تهذيب الاسماء واللغات**، م ١، جـ٢، ص ٩٦،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٥٦٣.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٢٥٦.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٣٨٧.
(٨) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ٤، ص ٨٥٩،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٥٤١.

إلا أن كثرة المسلمين[١]، قد دعت ـ فيما يبدو ـ إلى تغيير التشكيل في التعبئة العامة، فعقد الرسول (ص)، لوائين، أعطى أحدهما ناجية بن الأعجم والآخر بريدة بن الحصيب[٢]. وقد كان هذا اللواء، أو اللواءان، الموحدان، يوم الفتح، يجمعان شتى القبائل والبطون والكتائب على راياتها[٣]. وكما سبق أن أشرنا، كان تشكيل الوحدات والقيادات يخضع للظروف. ولهذا نجد أن الرسول (ص)، حين هم بدخول مكة، فرق جيشه، فأمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء[٤].

ومما سبق اتضح لنا مجمل الخطوط الرئيسية لأهداف التنظيم الجماعي، الذي هومرحلة ثانية في التنظيم العام للقبائل في المدينة. ومن خلال البحث تتبعنا وسائله التي تدرجت بالقبائل، بغية الوصول بها في النهاية إلى تقبل التنظيم الجماعي و الذي جمع عدة قبائل تحت راية واحدة وقيادة واحدة في الغزوات. ولعل النقطة الهامة التي نستخلصها، من بحث التنظيم الجماعي، هي أن الرسول (ص)، كان يدرك أن من الصعوبة إلغاء العصبية القبلية أو نزعها من نفوس القبائل، في برهة قصيرة. ولذلك أقر الرسول (ص)، تلك الوسائل وجعل المرونة طابع التعامل بها ومعها.

ولقد بلغ من تحكم روح العصبية القبلية في نفوس القبائل المسلمة، أن أحد الصحابة (هوزيد بن عمير الكندي) عبر عما كان يعتمل في صدره من صراع قوي، بين واجبه الديني وتقاليده القبلية، فسأل النبي: هل أغير مع قومي؟ فقال النبي: ذهب ذاك بالاسلام، وذهبت نخوة الجاهلية، المسلمون أخوة[٥]. ونرى من ذلك كله، أن الهدف الأول للتنظيم الجماعي، كان يرمي إلى العمل على التخفيف من حدة العصبية القبلية، ولذلك جعل للمسلمين مسجدا جامعا كان يسمى مسجد المدينة، ثم ربط بين أفراد القبائل في أخوة اسلامية سمت على أخوة ذوي الأرحام ـ بادىء الأمر ـ حين جعل الحق في التوريث، بعد الممات، للأخ في الله دون ذوي الأرحام. ومن الناحية العسكرية، وحدت قيادات البطون التي ترتبط مع بعض بصلة رحم أو قربى، تحت راية واحدة، بحيث تجعل من القبيلة وحدة متكاملة. وفي النهاية جمعت رايات القبائل تحت راية واحدة، عرفت براية المسلمين، وكانت قيادتهم موحدة وتنافسهم وافتخارهم موجه لنواح دينية، لصالح الاسلام والمسلمين[٦]. وأصبح مبعث فخر القبائل في مجالسهم القبلية، إذ ذكروا، أن يقال عنهم: إنهم من أتقى الناس لله في الدنيا والآخرة[٧].

---

(١) كان عدد جيش المسلمين يوم الفتح حوالي عشرة آلاف رجل. (انظر ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٨٥١، ٨٥٩). وقد زادوا بعد فتح مكة وقبل فتح الطائف إلى حوالي اثني عشر الف. (انظر الواقدي: المغازي، جـ ٣، ص ٨٨٩ «اكسفورد»، ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٩).

(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٥٤١.

(٣) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ٨٦٣.

(٤) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٨٦٥.

(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٥٧٠.

(٦) ذكر أن النعمان بن عجلان الزرقي الانصاري قال في معرض فخره على قريش:

فقل لقريش نحن اصحاب مكة ... ويـوم حنين والفـوارس في بدر
نصرنـا واوينا النبي ولم نخف ... صروف الليالي والعظيم من الامر
وقلنا لقوم هاجروا مرحبا بكم ... واهـلا وسهلا قد امنتم من الفقر
نقـاسمكم اموالنـا وديـارنـا ... كقسمة ايسار الجزور على الشطر

(انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٦٢).

(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

## ٣ ـ عصبية الموطن أو الأرض

هذا التنظيم، المرتكز على توجيه العصبية للتعلق بحب الوطن. يعد مرحلة النضوج النهائية في مراحل التنظيمات القبلية في المجتمع المدني، الرامية الى تعويد القبائل على التخلي ـ تدريجيا ـ عن العصبية القبلية ـ كما استعرضنا ذلك في الفقرات السابقة ـ والهادفة في النهاية إلى توجيه الطاقة العصبية نحو اهتمامات أكبر وأعظم مثالية، كالاعتزاز بالأرض، والافتخار بأهلها والتعصب للمدينة ـ بادىء الأمر ـ والتي أصبحت مع ظهور الأسلام، تجمع شتى القبائل والأجناس، كما هو الحال في المدينة المنورة[١]، أو الكوفة والبصرة، اللتين حوتا إلى جانب ذلك، كثيرا من النحل والأديان[٢]، وأصبح أهل كل منهما يتفاخرون بالعلم والعلماء ويتعصب أهالى كل مدينة لعلمائهم وفقهائهم وأدبائهم[٣].

وسوف نتعرف على طبيعة ذلك التطور أو التحول لدى القبائل والذي صرف حماسهم التعصبي، من التعصب للقبيلة إلى الأرض أو المدينة. وذلك من خلال التعرض بالبحث لمظاهر التنظيم الوطني الذي قام على أسس يمكن إجمالها فيما يلي:

### أ ـ نسبة القبائل إلى مواطنهم

لقد أظهر الرسول (ص) مواقف إدارية وسياسية برهنت ـ بما لا يدع للشك مكانا ـ أنه خير من كان يعرف طباع العرب وعصبيتهم للقبيلة. ومن أجل ذلك سايرهم وتألف زعماؤهم بالحلم والمال، وعاملهم، مراعيا مفهومهم الذي يرى أن العصبية القبلية أقوى رباطا من المواطنة والمشاركة في الدار والمال ونحو ذلك[٤]. على أنك تجد ـ فيما بعد، لدى المسلمين في العهد النبوي ـ تحولا عن تلك النظرة للعصبية، إلى دعوة لجعل الأرض في منزلة حب القبيلة أو أزيد من ذلك. فقد ذكر أن أحد موالى الرسول (ص) وقع من عذق فمات. فقال الرسول (ص): انظروا رجلا من أرضه فاعطوه ميراثه[٥]. وذلك توجيه من الرسول (ص)، يبين ما للأرض من عظيم القدر والتفضيل، إلى درجة أن أهلها يتوارثون إذا لم يكن للميت عصبة أو أهل. وكذلك فعل الرسول (ص)، حين قدم رجل من حمير ثم مات ولم يجدوا له وارثا مسلما فدفعوا ميراثه إلى رجل من أهل اليمن، من همدان[٦]، ولم يدفعوه إلى رجل من الشام أو اليمامة مثلا.

---

(١) انظر: الباب الأول، عناصر السكان.
(٢) الزبيدي (د. محمد حسن): **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة**، ص ٣٩ (القاهرة، ١٩٧٠ م).
نافع (عبد المنعم صالح): **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق الاسلامي**، ص ١٥٧. (رسالة ماجستير لم تطبع).
(٣) نافع (عبد المنعم صالح): نفس المكان.
(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٤٠٤.
(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٦٣٣.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٥٥١ ـ ٥٥٢.

ومما يظهر رغبة الرسول (ص)، في أن يوجه الناس حبهم وعصبيتهم إلى الأرض أو المدينة وليس للقبيلة، ما نجده فيما ذكره ابن حجر: أن أصيل الغفاري قدم على رسول الله (ص) من مكة فقالت عائشة (رضي الله عنها: كيف تركت مكة؟ قال: اخضرت أجنابها وابيضت بطحاؤها وأعذق اذخرها، وانتشر سلمها. فقال رسول الله (ص): حسبك يا أصيل، لا تحزنا[١]. ومن ذلك نجد أن الذي أثار حزن الرسول (ص)، ليس فراقه قبيلته قريش، وإنما بعده عن تراب بطحاء مكة وما فيها من اذخر وخضرة، وقد كانت مراتع صباه.

ويجد الباحث، خلال قراءته للنصوص التاريخية الاسلامية، إشارات تظهر حرص الرسول (ص) على أن تنسب القبائل، إذا جاء ذكرها، إلى مدنهم أو أقاليمهم كأن يقال: أهل قباء[٢]، وأهل المدينة[٣]، وأهل مكة، وأهل الطائف[٤].

### ب ـ الاستخلاف على المدن أو الأقاليم

لم تكن التولية على الأمصار الاسلامية، على عهد الرسول (ص)، نظاما متبعا، إلا في أضيق الحدود، إذ كان الاستعمال ـ في الغالب ـ على القبائل، مع مراعاة ناحية القرابة بين القبائل في حالة تعددهم[٥]. وقد بدأ نظام الاستخلاف على الأمصار بالاستخلاف على المدينة المنورة، حين يخرج الرسول غازيا[٦]. وقد تستدعي الحاجة لضبط الأمور، تقسيم المدينة إداريا إلى قسمين، على كل منهما عامل مستقل عن الآخر[٧].

ونظرا لاتساع مساحة اليمن، كان النبي (ص)، يستعمل على بعضها، كزبيد وعدن، وأعمالهما[٨]، واستعمل على نجران عمارة بن حزم الأنصاري[٩]، وعلى صدقات صنعاء، المهاجر بن أبي أمية المخزومي[١٠].

(١) نفس المصدر، جـ ١، ص ٥٤.
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٩١، جـ ٣، ص ٢٥.
(٣) قال تعالى: «ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله». براءة: ١٢٠. وعن خالد بن خلاد الانصاري عن النبي (ص)، انه قال: من أخاف أهل المدينة أخافه الله. (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٠٤). وذكر الواقدي ان النبي (ص) دعا فقال: اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة واني محمد عبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم. (انظر: المغازي، ص ١٣. الطبعة الاولى).
(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٣١. وروى أن النبي (ص)، قال: إن أول من أشفع لهم من أمتي أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف. (انظر: ابن حجر: نفس المكان).
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤٣، ٣٥١، ٤٣٦، جـ ٣، ص ٣٥٢.
(٦) ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٧٣،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٤، ص ٣٨٣، جـ ٤، ص ٧٠ ـ ٧١.
(٧) كان النبي (ص)، قد استخلف على المدينة يوم بدر، كما استخلف على عالية المدينة. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٤٦).
(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٥٩.
(٩) ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة ١٥.
(١٠) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٤٦٥.

وممـا تجدر ملاحظتـه، أن اختيـار العـمال على الأمصـار الاسلامية، لم يعد - غالبا - يخضع للتقليد القبلي السابق، بمعنى أن يكـون العـامـل أحـد أبنـاء القبيلة أو حلفـائهـا. إذ نجـد أن أحـد من استخلف على المدينة كان من قبيلة غفار[١]. وكان العامل على صدقات صنعاء، قرشيا[٢]. وقد يستعمل على اليمن جهني[٣]، أو خزرجي[٤]. وكان عامـل البحـرين من قبيلة حضـرمـوت[٥]. ومما تجدر ملاحظته - ايضا - ما رأينا، من أن العامل على اليمن أو البحرين كان من غير أبناء المنطقة المستعمل عليها، بمعنى أن اليمني لم يعد يولى على الأجزاء الكبرى في اليمن[٦]، وكذلك الحال بالنسبة لأهل البحرين[٧]. وقد يفسر ذلك بأنه كان إجراء وقائيا واحترازيا، نظرا لكون تلك الأمصار بعيدة جدا عن المدينة، مما قد يغري بالخروج على السلطة فيها، مادام العامل يجد له سندا في قومه.

ولعـل ظاهـرة التخلي عن اختيـار العـامـل من بين أبنـاء الاقليم أو القبيلة، برزت بعـد استفحال ظهور حركات الارتداد في اليمن، والخروج على سلطة المدينة، مثل حركة العنسي[٨]. وقد عبر أهل اليمن - بالفعل - عن رغبتهم في الخروج على سلطة المدينة والاستقلال في حكم أنفسهم، حال سماعهم بوفاة الرسول (ص)، فتكلم سفهاء همدان بما كرهه حلماؤهم[٩]. ثم كثر ارتداد وخروج أهل اليمن في السنة الحادية عشرة من الهجرة[١٠]. وخرج معهم في تلك السنة أهل البحرين، والتفوا حول زعمائهم ضد المدينة[١١].

ثم إنك ترى في نفس الوقت، أن العمال على مكة أو الطائف، كانوا يختارون من نفس القبائل القاطنة تلك المدن أي من قريش وثقيف أنفسهم[١٢]. وقد يعود سبب ذلك إلى أن تلك المناطق كانت قريبة من مركز السلطة في المدينة، بالاضافة إلى أن معظم - إن لم يكن جميع - زعماء وكبراء قريش وثقيف، كانوا يشكلون عنصرا كبيرا من عناصر السكان في المدينة، مما يبعد إمكانية نقض أهل تلك المدن للأمر أو الارتداد عن الاسلام.

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٧٠ - ٧١.
(٢) الطبري: **تاريخ**، جـ ٣، ص ١٤٧،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٦٥.
(٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٨٢.
(٤) ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة ١٥، ٢٩ - ٣٠،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٢٧.
(٥) الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٤٧،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٩٧ - ٤٩٨.
(٦) كان الرسول (ص) - في السابق - يستعمل على قبائل اليمن من أحد أبنائها. (انظر: الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٣٠، ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٥٨ - ٢٥٩).
(٧) كان الرسـول (ص) - بادىء الأمر، أيضـا - قد أقر على أهـل البحـرين، الجارد ابن المعلى، بعد أن تفقه في المدينة. (انظر: الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٠١ - ٣٠٥).
(٨) الطبري: **تاريخ**، جـ ٣، ص ١٤٧.
(٩) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٤٨٨.
(١٠) الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣١٣ - ١٦، ٣٢٣ - ٢٨.
(١١) الطبري: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٣٠١ - ١٣.
(١٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٥١، ٤٦٠، جـ ٣، ص ٥٩٩.

ويمكن الاستنتاج مما سبق، أن القبائل العربية بدأت تتفهم وتستوعب فكرة الانتماء للأرض أو الوطن، وبدأت تقلل من عصبيتها القبلية، وتخفف من حدتها. وانك لتجد - فيما بعد - أن أهل الكوفة والبصرة، وهم في أساسهم ومعظمهم من قبائل المدينة والجزيرة العربية التي هاجرت مع الفتوحات، أصبحوا يتعصبون تعصبا شديدا لمدنهم، ويتفاخرون بعلمهم وعلمائهم وفقهائهم وأدبائهم[1].

(١) نافع (عبد المنعم): الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق الاسلامي، ص ١٥٧، الزبيدي (د. محمد حسن): الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص ٣٩.

## الفصــل الثاني

# تخطيط المدينة ومنازل القبائل فيها خلال العصر النبوي

- أولا: العمران في موضع المدينة وذكر خطط الانصار قبيل الهجرة وبعدها
- ثانيا: عوامل اختيار موضع المدينة وأصالة تخطيطها
- ثالثا: التطور في تخطيط المدينة وسكنى المهاجرين مع الإشارة لمساحة المدينة
- رابعا: لمحة عن أثر تخطيط المدينة على مدن الأمصار

### أولا ـ العمران في موضع المدينة وذكر خطط الأنصار قبيل الهجرة وبعدها

كانت المدينة المنورة منذ القدم ـ كما سبق أن رأينا ـ آهلة بالسكان، إلى الوقت الذي فيه اتخذها الرسول (ص)، أول مدينة إسلامية ظهرت فيها طريقة التخطيط الاسلامي للمدن. إذ أصبح تخطيطها نموذجا احتذى عند تخطيط مدن الأمصار الاسلامية، كالبصرة والكوفة، اللتين كانتا ـ خلاف ما كان يعتقد ـ آهلتين بالسكان قبل تمصيرهما في الاسلام[1].

وكانت عناصر السكان في المدينة المنورة، قبل تخطيطها في الاسلام، مكونة من اليهود والعرب، ومعظم هؤلاء من الأوس والخزرج، وهم الأنصار[2].

ومما تجدر ملاحظته على خطط الأنصار وقراهم، أنه لم يطرأ عليها تغيير جذري بعد الهجرة، عدا ما سنتناوله في بحثنا عن نزول المهاجرين باطن المدينة، على قرى الأنصار، وما أحدث ذلك من تعديل بسيط على تنظيم الخطط وتحويل فعالية النشاط العام إلى مركز المدينة، حيث يوجد المسجد. ولذلك سنمهد للحديث عن خطط المدينة بعد الهجرة بذكر خطط الأنصار كإطار رئيسي ومتكامل، لخطط القبائل بعد الهجرة.

وكما أسلفنا القول ـ فإن الأوس والخزرج نزلوا بعد هجرتهم إلى يثرب بين اليهود، لأن الثروة كانت فيهم[3]. ولما

---

(١) يذكر أن مواضع البصرة والكوفة كانت ولايات ساسانية عامرة بالأديرة والضياع أو الدساكر. (انظر: الطبري: تاريخ، جـ ٣، ص ٥٩٠ ـ ٥٩١، حـ ٤، ص ٤١). ويقول لويس ماسنيون عن تاريخ البصرة، قبل تمصيرها في الاسلام: «وكانت دساكرها السبع القديمة مأهولة وذات منازل ثابته من قبل». (انظر: **خطط الكوفة وشرح خريطتها**، ص ١٠، الترجمة العربية للمصعبي، ط ١، صيدا، ١٩٥٨ م). والدساكر: جمع دسكرة، وهي الضيعة أو المزرعة المسكونة بالفلاحين. فكانت البصرة، قبل تمصيرها، سبع دساكر قريبة من بعض. (انظر: ماسنيون: نفس المكان، الهامش رقم ١، نفس المكان). وكذلك الحال بالنسبة لتمصير الكوفة، فقد كانت أراضيها عند الفتح الاسلامي، تطابق لثلاث مناطق أوطسوج مالية ساسانية. (انظر: ماسنيون: نفس المرجع، ص ٧). والطسوج: تقسيم إداري ساساني. إذ أن الممالك والأقاليم الساسانية، كانت تنقسم إداريا إلى أقسام تسمى الأستانات، وكان الأستان ينقسم إلى طساسيج، والطسوج ينقسم إلى رساتيق، والرستاق يتألف من القرى والضياع. (انظر: ماسيون: نفس المكان، هامش رقم ٤، نفس المكان)

(٢) العدوي: **أحوال مكة والمدينة**، جـ ٢، ورقة ١١٢ ـ ١١٣،

(٣) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٧٧.

قوي جانبهم وأصبح لهم مركز سياسي في المنطقة، اتخذوا الديار والأموال وتفرقوا في عالية المدينة وسافلها، فمنهم من جاء عفا من الأرض لا ساكن فيه فنزله، ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها واتخذ الأموال والأطام (١).

وتعد تلك المواضع التي سكنها كل من الأوس والخزرج واليهود، وخصوصا الأجزاء الجنوبية في نواحيها الشرقية والغربية، وهي المعروفة بالعوالي وقباء والعصبة، من أكبر مناطق المدينة في الكثافة السكانية وفي وفرة المياه والمزارع (٢)، إذ يتخللها شبكة جيدة من الأودية ـ كما مر بنا ـ مثل وادي مهزور، من الشرق ووادي مذينيب، من الجنوب الشرقي، ووادي رانوناء من الجنوب وجزء من وادي بطحان، حيث يلتقي بتلك الأودية في اتجاهه نحو الشمال الغربي للمدينة (٣). ولا ريب أن وجود تلك الأودية والآبار في جهات العوالي وقباء والعصبة، كان من العوامل الرئيسية في تركز معظم السكان هناك وممارستهم للزراعة، بشكل كبير (٤).

وقد ذكر أن خطط المدينة، حين قدم الرسول (ص)، مهاجرا، كانت تبلغ تسعا، كل دار مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها، وكل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم، وهي كالقرى المتلاصقة (٥). ووصفت أيضا بأنها أبيات مجتمعة، تجاوز حد القرى كثرة وعمارة، ولم تبلغ حد الأمصار (٦).

وتمشيا مع ما نعتقده أنه يمثل التجمعات الكبيرة للأنصار وخططهم، سنرتب دورهم حسب ذلك، مبتدئين بالجهات الشرقية ثم الجنوبية، وأخيرا الجهات الغربية. وعلى ذلك يكون تفصيل دور الأنصار المذكور على النحو التالي:

١ ـ دار بني عبد الاشهل، وتشمل منازل بني عبد الاشهل بن جشم بن الحارث، ومنازل بني حارثة بن الحارث، ومنازل بني ظفر. وجميعهم من الأوس.

(١) العدوي: **أحوال مكة والمدينة**، جـ ٢، ورقة ١١٣،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩٠.

(٢) المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٦٠ (مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة)،
الديار بكرى: **تاريخ الخميس**، حـ ١، ص ٣٣٦،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٣) أورد المطري في وصفه لبعض أودية المدينة نصا يقول فيه: «وادي رانوناء يأتي من شمالي جبل عير المذكور إلى غربي مسجد قباء موضع يعرف بالعصبة. وهي منازل بني جحجبا من الأوس، ينتهي إلى مسجد الجمعة، منازل بني سالم بن عوف من الخزرج، ثم يصب في بطحان، ثم وادي جفاف وهو أعلى موضع بالعوالي شرقي مسجد قباء، ثم وادي مذينيب وهو شرقي جفاف فوق مسجد الشمس المعروف قديما بمسجد الفضيخ، ثم يصبان في بطحان يلتقيان هما ورانوناء ببطحان، فيمران بالمدينة غربي المصلى، ويصلان إلى مساجد الفتح سيلا واحدا، ويلتقي هو والعقيق عند بئر رومة. ثم وادي مهزور وهو أيضا شرقي العوالي شمال مذينيب ويشق الحرة الشرقية إلى العريض». (انظر: **التعريف**، ص ٦٣).

(٤) لوحظ أن الطابع التجاري والصناعي يكاد يميز الجهات الشرقية للمدينة عن غيرها. إذ توجد هناك معظم أسواق المدينة ومحلات الصاغة. (انظر: المطري: نفس المصدر، ص ١٩ ـ ٢٠، وانظر أيضا: الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٢٨٨).

(٥) ابن كثير: **البداية والنهاية**، م ٢، جـ ٣، ص ٢٠٣.

(٦) كبريت: **الجواهر الثمينة**، ورقة ٧.

٢ ـ دار بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف من الأوس أيضا.

٣ ـ دار كل من بني واقف والسلم أبناء أمرىء القيس بن مالك، وبني وائل بن زيد بن قيس، وبني أمية بن زيد بن قيس، وبني عطية بن زيد بن قيس وبني خطمة بن جشم بن مالك وجميعهم من الأوس.

٤ ـ دار بن عمرو بن عوف من الأوس.

٥ ـ دار بني جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف من الأوس.

٦ ـ دار كل من بني الحارث بن الخزرج وبني سالم وغنم أبناء عوف بن عمرو وحلفاؤهم من بني غصينة، حي من بلى، وبني الحبلى بن سالم بن غنم ابن عوف وجميعهم من الخزرج.

٧ ـ دار كل من بن بياضة وزريق أبناء عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب، وبني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب، وبني عذارة، وهم بنو كعب بن مالك بن غضب، وبني اللين، وهم عامر بن مالك بن غضب، وبني أجدع وهم بنو معاوية بن مالك بن غضب، وجميع أولئك من الخزرج.

٨ ـ دار بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وبني مالك بن النجار، وفيهم بنو غنم بن مالك وبنو عدي بن عمرو بن مالك، وبنو حديلة بن عمرو بن مالك وبنو مبذول بن عامر بن مالك، وبنو مازن بن النجار وبنو دينار بن النجار، وجميعهم من الخزرج.

٩ ـ دار بني سلمة وتشمل منازل بني سلمة بن سعد وبن سواد بن غنم، وبني عبيد بن عدي بن غنم وبني حرام بن كعب بن غنم، وبني مر بن كعب بن سلمة، وحلفائهم، وهم من الخزرج(١).

ونحب أن ننوه هنا، إلى أن خطط الأنصار ـ تلك ـ قد تحكم في وجودها ـ إلى حد ما ـ ثلاثة عوامل طبغرافية ساهمت في عملية توزيع السكان. وأول هذه العوامل: أولا خصوبة التربة، الغنية بالمادة البركانية والمتوفرة في خطط الانصار على الطرف الغربي للحرة الشرقية. وثانيا كثرة الأودية في مناطق العوالى، في قباء والعصبة، إضافة الى منطقة مجمع الأسيال من رومة، في سند الحرة الغربية أي شمال غرب المدينة. وثالثا غزارة المياه المستخرجة من الآبار المتوفرة في باطن المدينة حول المسجد النبوي. وسنتناول ما ذكرناه تفصيلا، خلال البحث، إن شاء الله.

أما الآن، فسيكون الحديث عن خطط الأنصار وشرح خريطة المدينة، بذكر الخطط الموجودة في الجهات الشرقية ثم الجنوبية فالوسطى حيث ينتهي بنا الحديث إلى ذكر الخطط الشمالية الغربية من جبل سلع والمدينة.

وكانت منازل بني حارثة وبني عبد الاشهل وبني ظفر، تشغل معظم الطرف الغربي لحرة المدينة الشرقية(٢)، وهي المعروفة بواقم(٣). ويبدو أن بني ظفر كانوا يمثلون النسبة الكبرى للسكان ـ في تلك الدار ـ ولذلك استحوذوا على

(١) انظر: السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ١٩٠ ـ ٢١٥.

(٢) العجيمي: مكة والمدينة، ورقة ٤٩.

(٣) حرة واقم: سميت برجل من العماليق اسمه واقم، وقيل: واقع اسم أطم من آطام المدينة، إليه تضاف الحرة، وهو من قولهم: وقمت الرجل عن حاجته، إذا رددته، فأنا واقم. (انظر: ياقوت: معجم البلدان، جـ ٢، ص ٢٤٩، مادة حرة).

مساحة أكبر. فكانوا يكونون طوقا، أحاط ببني عبد الأشهل، من الشمال والغرب والجنوب[١]. بعد توسع تدريجي، اقتضته ظروف تكاثرهم. والذي ذكرناه هو استنتاج من الروايات التي ذكرها المطري، من أن دار بني عبد الأشهل، قبلي دار بني ظفر مع صرف الحرة الشرقية[٢]، ومن رواية السمهودي، التي ترى أن منازل بني عبد الاشهل، كانت قريبة من منازل بني ظفر، في شاميها[٣]. بالاضافة إلى الرواية التي تجمع على أن مسجد بني ظفر، وهو المعروف بمسجد البغلة، كان شرقي البقيع مع طرف الحرة الشرقية[٤]، أي أن منازل بني ظفر كانت تمتد أيضا إلى الجهات الغربية لمنازل بني عبد الأشهل. وهو وضع حدا ـ ببعض الرواة ـ إلى الاعتقاد، أن دار بني ظفر وبني عبد الأشهل إنما هي دار واحدة متداخلة الأموال والمنازل. وذلك حين ذكر أن الرسول (ص) «مر بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر[٥]».

أما بنو حارثة، فكانت منازلهم تتسع إلى الشمال من منازل بني عبد الأشهل ومنازل بني ظفر إلى وادي قناة شمالي المدينة[٦]. وقد ذكر أنهم تحولوا من داره هذه إلى غربي مشهد سيدنا حمزة في الموضع المعروف بيثرب من المدينة، لنزاع بينهم وبين بني عبد الأشهل وبني ظفر[٧].

وتمتد منازل بني معاوية ويقال لها أيضا قرية بني معاوية[٨]، غربي منازل بني عبد الأشهل، وبني ظفر[٩]. ويقع مسجد بني معاوية، وهو مسجد الاجابة، شمالي البقيع على يسار طريق السالك إلى العريض.

(١) المطري: **التعريف**، ص ٧٨،
السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٩٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٨.
(٣) المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩٠.
(٤) المطري: المصدر السابق، ص ٥٢،
العجيمي: **مكة والمدينة**، ورقة ٤٧.
(٥) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٣، ص ٦١٣.
(٦) المطري: المصدر السابق، ص ١٩ ـ ٢٠،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩٠ ـ ١٩٢.
(٧) المطري: **التعريف**، ص ١٩ ـ ٢٠،
المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٥٩،
السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٩٠ ـ ١٩٢.
مشهد حمزة: في محاذاة جبل أحد، من جنوبه.
(انظر: الانصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ٢٣٧).
(٨) العجيمي: **مكة والمدينة**، ورقة ٤٧.
(٩) المطري: المصدر السابق، ص ٥٣.
(١٠) المطري: نفس المكان.

**مسجد الاجابة**: وهو ـ كما شاهدته ـ في شمال شرقي البقيع. وقد حاولت قياس المسافة بينه وبين البقيع، فظهر أنها تبلغ أكثر من خمسمائة متر تقريبا، حين تسلك شارع عبد العزيز ثم تنعطف يسارا مع أول طريق فرعي لعمارة السبيعي. حيث تسير مسافة تزيد على مائتين وخمسين مترا تقريبا في طريق متعرج ثم ترى على يسارك المسجد المذكور وهو اليوم مبني على الطراز الحديث البسيط بالحديد والأسمنت والطوب الاسمنتي، ويقع وسط بيوت شعبية بين كثير من الأراضي غير المعمورة.

**العريض**: تصغير عرض، وادي بالمدينة، في شمالها الشرقي وبه آثار كثيرة ونخيل. (انظر: العباسي: **عمدة الاخبار**، ص ٣٧٠، العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ٣٦٧).

وإلى الجنوب مما ذكرنا ـ من منازل بعض الأوس ـ تقع منطقة العالية، جنوبي المدينة، ويجري فيها ـ أيام الأمطار ـ عدة شعاب وأودية ـ سبق أن مررنا على ذكرها ـ كان من أشهرها واديي، مدينيب ومهزور، وكان عليهما منازل بني قريظة وبني النضير(١). إذ نزلت بنو النضير مذينيب، ونزلت بنو قريظة على مهزور(٢). ونزل، بين اليهود على هذين الواديين، بعض بطون الأوس والخزرج مثل بني أمية بن زيد بن قيس، ودارهم كانت بالحرة الشرقية قريب العهن(٣). كما نزل بينهم بنو وائل بن زيد ودارهم شرقي مسجد الفضيخ(٤)، ونزل أيضا بنو عطية بن زيد، وبنو واقف والسلم ودارهم قبلي مسجد الفضيخ المذكور(٥). كما نزل في تلك الجهة بنو خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس(٦). ولم تحدد مواضع منازلهم تماما. فقد ذكر المطري أن منازلهم لا يعرف مكانها. إلا أن الأظهر، أنهم كانوا بالعوالي شرقي مسجد الشمس، لأن تلك النواحي كلها ديار للأوس وما سفل من ذلك إلى المدينة ديار الخزرج(٧). بينما يرى السمهودي أن لبني خطمة أطما كان موضعه مال الماجشون الذي يلي صدقة أبان بن أبي حدير(٨).

والذي يبدو لنا، أن ما ذكره المطري هو القريب إلى الصحة، على اعتبار أن قصبة دارهم كانت هناك، ثم تفرقوا عنها وبنوا خارجها. وقد أشار السمهودي إلى تلك الحادثة بقوله: وكان بنو خطمة متفرقين في آطامهم، لم يكن في قصبة دارهم منهم أحد، فلما جاء الاسلام اتخذوا مسجدهم، وابتنى رجل منهم عند المسجد مسكنه، فكانوا يسألون عنه كل غداة مخافة أن يكون السبع عدا عليه، ثم كثروا في الدار حتى كان يقال لهم غزة(٩). ونستدل من قول السمهودي، أن الناس كانوا يسألون كل غداة عن الرجل، الذي بنى عند مسجد بني خطمة في قصبتهم، أن تلك المنازل كانت في

---

(١) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٦١ ـ ١٦٤. (وانظر أيضا: الفصل الخاص بعناصر السكان، موضوع اليهود).
(٢) ابن رسته: **الأعلاق النفيسة**، جـ ٧، ص ٦١.
(٣) المطري: **التعريف**، ص ٧٨ ـ ٨١،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩٥ ـ ١٩٨،
العجيمي: **مكة والمدينة**، ورقة ٥٠.
**العهن**: بئر بمنطقة العالية، يزرع عليها حتى أيام المطري. وهي غزيرة الماء، لا تكاد تنزف أبدا. انظر: المطري: المصدر السابق، ص ٦٢).
(٤) المطري: نفس المصدر، ص ٧٨ ـ ٨١،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩٥ ـ ١٩٨،
العجيمي: المصدر السابق، ورقة ٥٠.
(٥) المطري: المصدر السابق، ص ٧٨ ـ ٨١،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩٥ ـ ١٩٨،
العجيمي: المصدر السابق، ورقة ٥٠،
العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ٢٤٦ وما بعدها.
(٦) المطري: المصدر السابق، ص ٨٠.
(٧) **التعريف**، ص ٨٠.
(٨) **الوفاء**، جـ ١، ص ١٩٧.
**مال الماجشون**: ويقال الماجشونية. أوكما تعرف اليوم: المدشونية: نسبت إلى الماجشون، علم معرب: وهو موضع بوادي بطحان من المدينة، عند تربة صعيب، وهو موضع بطريق وادي بطحان مع ركن الماجشونية الشرقي، وهو على مقربة من ديار بني الحارث بن الخزرج. (انظر: العباسي: **عمدة الاخبار**، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤، ٤٠٨).
(٩) المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩٨.

أطراف العوالي من جهة الشرق. وهو ما سيجعل من غير المستبعد أن تعدو السباع على أهلها لابتعادها عن ازدحام العمران.

أما بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، فقد احتلوا منطقة قباء، كثيرة المياه والزروع، فهي ـ كما أسلفنا القول ـ تطوقها عدة أودية، هي مذينيب من جهة الشرق، وبطحان في الشمال، ورانوناء في الغرب(١). ومما تجدر ملاحظته هنا أن قبـاء تعـد ـ طبغـرافيـا ـ جزءا من العالية، ولا تختلف عنها كثيرا(٢)، إضافة إلى منطقة العصبة(٣)، فهي تعد أيضا امتـدادا طبيعيـا لمنطقـة قباء نحو الغرب. ولذلك، حين خاصم بنو جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف، بني عمومتهم عمـرو بن عوف، وكـانـوا يسكنـون معهم في قبـاء، خرجـوا فسكنوا العصبة(٤). وكانت العصبة أيضا غنية بالمزارع والآبار(٥).

ونخلص مما سبق إلى أن منـازل الأوس الـواقعـة في شرق المـدينـة وجنـوبهـا تعد من أفضل مناطق المدينة وأكثرها خصـوبـة. وذلـك عائـد إلى مرور كثير من أودية المدينة خلالها، إضافة إلى اشتغال العرب واليهود في استغلال تلك الموارد لتنمية الزراعة بشكل واسع حتى كان لهم غزار المياه وكرام النخل(٦).

وبعـد أن تتبعنـا منـازل الأوس، التي شملت جهـات المـدينـة الشرقية والجنوبية سيكون حديثنا عن منازل بطون الخـزرج التي تغطي باطن المـدينـة. بالاضـافـة إلى جهاتها الشمالية الغربية. وبالامكان تتبع بعض منازلهم من خلال وصف ابن اسحاق لطريق الرسول (ص)، بعد خروجه من قباء إلى باطن المدينة، حيث يقول: «فأدركت رسول الله (ص)، الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوناء(٧)».

---

(١) السـمهودي: نفس المصدر. جـ ١، ص ١٩٣ ـ ١٩٤،
المطري: المصدر السابق، ص ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) الـديـار بكـري: **تاريخ الخميس**، جـ ١، ص ٣٣٦. ويقـول الـواقدي: «من العالية بنو عمرو بن عوف، أهل قباء». (انظر: **المغازي**، ص ٨٥، ط ١).

(٣) **العصبة**: موضع غربي مسجد قباء. (انظر: المطري: **التعريف**، ص ٦٣، العباسي: **عمدة الأخبار**، ص ٣٧٢).

(٤) المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٦٠،
السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٥) المطري: المصدر السابق، ص ٨٠،
المرجاني: المصدر السابق، ورقة ١٦٠.

(٦) يقـول السمهـودي: أن عمـرو بن النعـمان البيـاضي الخـزرجي قال، قبيـل يوم بعاث: ياقوم إن بياضة بن عمرو، أنزلكم منزل سوء، والله لا يمس رأسي غسل حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير. (انظر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢١٧).

(٧) **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٤٣.
**مسجـد الجمعـة**: ويعـرف ذلـك المسجد أيضا، بمسجد الوادي، وهو على يمين السالك إلى مسجد قباء. (انظر: العباسي: **عمـدة الاخبـار**، ص ١٧٠، العجيمي: **مكـة والمـدينـة**، ورقـة ٤٧). وشمالي مسجد الجمعة أطم خراب يقال له المزدلف، أطم عتبان بن مالك، شرقي وادي رانوناء. (انظر: المطري: **التعريف**، ص ٥١، السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٩٩،
العدوي: **أحوال مكة والمدينة**، جـ ٢، ورقة ١٥٥).

وكانت منازل بني سالم وغنم ابني عمرو بن عوف بن الخزرج، غربي وادي رانوناء على طريق الحرة الغربية(١). وذلك يعني أن منازلهم هي الحرة التي تلي جنوبي وغربي قلعة قباء، التي في طريق المدينة إلى مسجد قباء هذه الأيام(٢).

وكان الديار بكرى قد ذكر أن النبي (ص)، أخذ يمين الطريق حتى جاء بني الحبلى، رهط عبد الله بن سلول(٣). ومقتضى ذلك، أن دار بني الحبلى غير بعيدة من دار بني سالم، فهي كما ذكره المطري: بين قباء وبين دار بني الحارث بن الخزرج، ودار بني الحارث شرقي وادي بطحان(٤). وذلك يعني أن معظم منازل بني الحبلى، كانت غربي وادي بطحان.

ومما تجدر ملاحظته، أن ابن اسحاق قد أغفل ذكر مرور الرسول (ص)، على دار بني الحبلى. وهو ما يجعلنا نعتقد أن منازلهم كانت متداخلة في منازل بني سالم بن عوف. وكما ذكرنا، فإن منازل بني الحارث كانت بالعوالي، شرقي وادي بطحان(٥). وهي على ميل من مسجد الرسول، صلى الله عليه وسلم،(٦) وتسمى منازلهم السنح(٧).

ويقول ابن اسحاق: فانطلقت (أي ناقة النبي صلى الله عليه وسلم) حتى إذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد، وفروة بن عمرو، في رجال من بني بياضة(٨). وكانت دار بني بياضة تشتمل على منازل اخوتهم وبني عمومتهم، من بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج(٩)، وبني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب، وبني عذارة، وهم بنو كعب بن مالك بن غضب، وبني اللين وهم بنو عامر بن مالك بن غضب، وبني أجدع وهم بنو معاوية بن مالك بن غضب(١٠). وكان العدد والعدة في بني بياضة وبني زريق. ولذلك كانت

---

(١) المطري: المصدر السابق، ص ٥١،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩٩،
العباسي: المصدر السابق، ص ١٧٠.
(٢) العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ١٠٠.
**قلعة قباء**: وهي من البناء التركي، قريبة من مسجد الجمعة، إذ لا يبعدان كثيرا، والقلعة قريبة أيضا من مسجد قباء، المسافة بينهما حوالي كيلومتر بالسيارة نحو الشمال للذاهب من مسجد قباء. والمعروف أن مسجد الجمعة ليس بالبعيد عن خط قباء النازل المسفلت، فهو على يمين النازل من قباء على بعد حوالي ثلاثين مترا من الخط المذكور. أما القلعة فهي على الجهة الغربية لهذا الخط، ماثلة للعيان غير بعيدة عن مسجد الجمعة.
(٣) **تاريخ الخميس**، جـ ١، ص ٣٤٠.
(٤) **التعريف**، ص ٧٩. وانظر ايضا: العجيمي: **مكة والمدينة**، ورقة ٥٠.
(٥) المطري: المصدر السابق، ص ٧٩.
(٦) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ١٩٨،
العجيمي: المصدر السابق، ورقة ٥٠.
(٧) السنح: بضم أوله وسكون ثانيه، موضع في طرف من أطراف المدينة. (انظر: العباسي: **عمدة الأخبار**، ص ٣٣٩ ـ ٤٠).
(٨) **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٤٣. وانظر ايضا: المطري: المصدر السابق، ص ٨٠.
(٩) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٤.
(١٠) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٠٤.

البطون الأخرى تعيش حياة خوف وشك، وقد حدث أن رجلا من بنى عذارة قتل قتيلا من بعض بطون بني مالك، فأرادت بنو بياضة اخذ الرجل من بني عذارة ـ عنوة ـ فغاضبوهم وخرجوا حتى نزلوا قباء على بني عمرو بن عوف، فحالفوهم وصاهروهم [١].

وقد رجح السمهودي أن دار بني بياضة كانت في شامي دار بني سالم بن عوف [٢]. وهذا يعني أن دار بني بياضة هي ما كان شمالي قلعة قباء مع ما يليها من الشرق جنوبي دار بني مازن [٣].

ومن ديار بني بياضة: نقيع الخطمات وهزم النبيت من حرتهم [٤]. يقول ابن اسحاق، إن أول جمعة جمعت بالمدينة في هزم بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات [٥]. وذكر من ديار بني بياضة أيضا، قرية بني زريق، قبل سور المدينة وقبل المصلى [٦].

وتجدر الاشارة هنا إلى أن ابن اسحاق، قد قدم ذكر دار بني بياضة على دار بني الحارث عند وصفه لطريق الرسول من قباء [٧]. بينما رأى غيره أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، مر أولا ببني الحارث ثم مر ببني بياضة [٨]. والذي نعتقده أن مسألة التقديم أو التأخير لذكر مرور الرسول (ص)، على بطون قبائل الأنصار حين خروجه من قباء، لا تعني بالضرورة تحديداً لمنازلهم، بقدر ما تظهر حقيقة جديرة بالملاحظة، وهي أن منازل القبائل لم تكن تخضع لحدود مرسومة بالمعنى المفهوم، حتى يمكن الجزم بأن هذه البقعة، هي منازل بني بياضة، وأن تلك هي منازل بني الحارث.

(١) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٠٧.
(٢) نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٠٥.
(٣) المطري: التعريف، ص ٨٠،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٥،
المرجاني: تاريخ هجرة المختار، ورقة ١٦١،
العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، ص ١٠٠، ٢٢٠ ـ ٢٢٤.
(٤) المطري: المصدر السابق، ص ٨١.
(٥) السيرة، جـ ٢، ص ٢٩٦،
الفيروز آبادي: المغانم المطابه، ص ٤١٥ ـ ١٦.
نقيع الخضمات: (والمطري يقول: بقيع الخطمات): بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد المعجمة، والخضيمة: النبات الناعم الأخضر الغضن، والخضيمة أيضا: الأرض الناعمة النبات، جمعوها على خطمات كانهم اسقطوا الياء، تخفيفا لكثرة الاستعمال. والنقيع: لغة، مستنقع الماء، والنقيع: القاع، وهو موضع قرب المدينة يقال له نقيع الخضمات، كما ذكرنا. (انظر: الفيروز آبادي: نفس المكان، العباسي: عمدة الاخبار، ص ٤٣٠).
(٦) المرجاني: تاريخ هجرة المختار، ورقة ١٥٧.
المصلى: هو مصلى العيد، شرقي وادي بطحان. وكان الرسول (ص) يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى، على ناحية الطريق التي كان ينصرف منها، وتلك الطريق والمكان الذي يذبح فيه، مقابل المغرب مما يلي طريق بني زريق. ومن مواضع المصلى اليوم مسجد الغمامة، في جنوب غربي المناخة، غربي المسجد النبوي. (انظر: المطري: التعريف، ص ٥٥، الأنصاري، عبد القدوس: آثار المدينة المنورة، ص ٢٢٢، العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، ص ٩٠).
(٧) السيرة، جـ ٢، ص ٣٤٣.
(٨) الديار بكري: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣٤٠.

إذ أن الأمر كان يخضع ـ ولا ريب ـ لقلة وكثرة تزايد القبيلة، فكلما ازدادت حجما بحثت لها عن متسع من الأرض بأي وسيلة. وذلك يعني إمكانية تداخل منازل القبائل مع بعض، أو على الأقل إحاطة بعضها ببعض من جهة أو أكثر، مثلما مر بنا عند ذكر منازل بني عبد الأشهل.

وقد يكون ما ذكرناه، عن منازل بني بياضة واتساعها شرقا ـ حيث منازل بني الحارث ـ مجرد افتراضات، لولم نستنتج ذلك من مجموعة روايات تحدد منازل بني بياضة وبني الحارث. حيث يقول المطري في هذا: «ودار بني الحارث شرقي وادي بطحان[١]». ثم يحدد منازل بني بياضة بقوله: «ديارهم فيما بين دار بني سالم بن عوف بن الخزرج بوادي رانوناء، عند مسجد الجمعة إلى وادي بطحان، قبلي دار بني مازن بن النجار[٢]».

وما ذكره المطري من أن دارهم قبلي دار بني مازن. يعني أن دار بني بياضة كانت تمتد أيضا إلى الجهات الشرقية لوادي بطحان. لأن دار بني مازن بن النجار قبلي بئر البصة.[٣] والمعروف أن بئر البصة، قريبة من البقيع[٤]، على يسار السالك إلى قباء[٥]

وكان بنو زريق يشغلون الجهات الغربية لمنازل بني مازن والجهات الشمالية لبني بياضة[٦]. وقد حدد المرجاني موضع قرية بني زريق بقوله: أنها قبلي سور المدينة المشرفة وقبلي المصلى، وبعضها كان داخل السور اليوم لموضعها المعروف به ذي أروان (أو ذيحال)، وذي أروان اسم محلة بني زريق وهناك بئر تسمى بئر ذي أروان[٧].

وفي مركز الوسط أو باطن المدينة[٨]، تجد تجمعا سكانيا آخر لبعض بطون بني الخزرج. وهو التجمع الذي شكل ـ فيما بعد ـ ما يشبه الطوق، حول المسجد النبوي.

وفي شمال غرب تلك الدائرة تفرقت بطون بني ساعدة بن كعب بن الخزرج في أربع منازل[٩]. فنزل بنو عمرو وبنو

(١) التعريف، ص ٧٩.
(٢) نفس المصدر، ص ٨٠.
(٣) المطري: نفس المصدر، ص ٨٨.
البصّة: بضم الباء وفتح الصاد المشددة بعدها هاء، من بص الماء بصا، رشح. (انظر: العباسي: عمدة الاخبار، ص ٢٦٢). وقيل في اسمها، البضة، كأنها من بض الماء بضا: رشح. (انظر: الفيروز آبادي: المغانم المطابة، ص ٣٠).
(٤) البقيع: هو بقيع الغرقد، والغرقد هو كبار العوسج، وهو مقبرة أهل المدينة. وهو غير بعيد من المسجد النبوي، بشرقي المدينة، وأصل البقيع في اللغة، كل مكان فيه أصول الشجر من ضروب شتى. (انظر: العباسي: المصدر السابق، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦، الانصاري، عبد القدوس: آثار المدينة المنورة، ص ١٧٥).
(٥) العباسي: المصدر السابق، ص ٣٦٢.
(٦) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٨، ٢١٣ وما بعدها.
(٧) تاريخ هجرة المختار، ورقة ١٥٧.
(٨) ونحب أن ننوه هنا، إلى أن التعبيرين السابقين «وسط المدينة أو باطنها» سبقنا إلى استعمالها بعض المؤرخين المسلمين للمدينة. (انظر: الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣٤١، العدوي: أحوال مكة والمدينة، جـ ٢، ورقة ١٣٤).
(٩) السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ٢٠٨.

ثعلبة أبناء الخزرج بن ساعدة، دار بني ساعدة، التي بين السوق، أي سوق المدينة وبين بني ضمرة، فهي في شرقي سوق المدينة مما يلي الشمال[١].

ويقول المطري في تحديده لدار بني ساعدة: «إن قرية بني ساعدة عند بئر بضاعة، والبئر وسط بيوتهم وشمالي البئر اليوم إلى جهة المغرب، بقية أطم من آطام المدينة نقل أنه في دار أبي دجانه الصغرى التي عند بضاعة[٢]».

ويتفق العياشي (وهو من أهل المدينة المعاصرين ومن المهتمين بآثارها) مع الأقوال المذكورة، عن منزلة بني ساعدة. فيذكر ان لبني ساعدة منزلة في شمالي المدينة بين ثنية الوداع، وهي ثنية الركاب كما هي ثنية السبق[٣]، وهي الطريق بين سفح جبل سلع الشرقي وبين المكان المعروف بالقرين الفوقاني[٤]، وهذا حدهم من الشمال. أما حدهم من الغرب، فهو جبل سلع من مشرقه، وحدهم من الشرق ناحية شارع السحيمي اليوم[٥]، وحدهم من الجنوب مسجد أصحاب العباءة[٦]، ومدفن مالك بن سنان الخدري[٧].

---

(١) السمهودي: نفس المكان.

(٢) **التعريف**، ص ٧٥. وانظر أيضا: المرجاني: المصدر السابق، ورقة ١٥٧.

**بئر بضاعة**: بضم الباء الموحدة وكسرها وفتح الضاد المعجمة والعين المهملة وبعدها، هاء. وهي بئر مليحة طيبة الماء، وسط بيوت بني ساعدة. (انظر. العباسي: **عمدة الأخبار**، ص ٢٦٤). ويعتقد اليوم أن البئر المذكورة توجد في مبنى مدرسة أبي بن كعب لتحفيظ القرآن، الكائنة في الساحة الشمالية لسقيفة بني ساعدة وشارع السحيمي، غير بعيدة عنه كثيرا، إذ تزيد المسافة على المئة متر، كما تسنى للباحث الوقوف على ذلك.

**أطم أبي دجانة**: الأطم الحصن، وأبو دجانة من بني ساعدة، صحابي مشهور. ويرى أحد المؤرخين المحدثين، أن بقية أطم أبي دجانه الساعدي، هو ذلك الطلل الباقي من هذا البناء، والموجود في الناحية الشمالية من الحائط المربع، في وهدة من الأرض، قرب الرقاق الموصل إلى فندق آل المدني بالمدينة، الذي أصبح مدرسة للبنات، ويقع في الشمال العربي من بئر بضاعة. (انظر: الأنصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ٧٥ ـ ٧٨). وقد تسنى للباحث شخصيا، الوقوف على بقية أطلال أطم أبي دجانة المذكور، حلال عام ١٣٩٨ هـ. فوجد أنه محاط من جهاته الشمالية والشرقية، بمنفذين ضيقين يفصلان بينه وبين المنازل المحيطة. أما الجهة الغربية للأطم فإنها ملاصقة تماما لجدار أحد البيوت، بينما تطل جهته الجنوبية على شارع صغير يعرف بصيادة.

(٣) **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ٩٥.

**ثنية الوداع**: الثنية في اللغة، الطريق في الجبل. وهي مكان معروف اليوم في المدينة، في شمالها. (الانصاري، عبد القدوس: المرجع السابق، ص ١٥٩ ـ ١٦١).

(٤) العياشي: المرجع السابق، ص ٩٥.

(٥) **ناحية السحيمي**: هي المعروفة بشارع السحيمي، المتجه شرقا من باب الشامي إلى باب بصرى. (انظر: الانصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ١٥٧، العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ٩٥، ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٦) والمراد بأصحاب العباءة هنا، الذين يبيعون العبي. وذلك المحل من سوق المدينة القديم. (انظر: السمهودي: **الوفاء**، جـ٣، ص ٩٢٣).

(٧) **مدفن مالك بن سنان**: غربي المدينة ملاصقا للسور. ويقع الآن في حي المناخة (وهي أيضا اسم أكبر شارع في غربي المدينة) والمدفن المذكور، يقع في الجهة الشرقية من المناخة. (حافظ، علي: **فصول من تاريخ المدينة**، ص ١٥٨، العياشي: المرجع السابق، ص ٩٥، ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

ومن بطون بني ساعدة، بنو قشبة، واسم قشبة عامر بن الخزرج بن ساعدة[١]، وقد نزلوا قريبا من بني حديلة[٢]. وذلك يعني أن منازل بني قشبة في الجهة الشمالية لدار بني ساعدة، وبالتالي شمال المسجد النبوي. لأن تلك الجهات كانت منازل بني حديلة أو جديلة، وكانت بئر حاء، المعروفة هناك، في وسط دورهم[٣].

ونزل رهط سعد بن عبادة، وهم بنو أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، الدار التي يقال لها: «جرار سعد[٤]». وكان ابن زباله ـ فيما نقله السمهودي ـ قد ذكر أن عرض سوق المدينة، ما بين المصلى إلى جرار سعد بن عبادة[٥]. ويذكر العياشي أن جرار سعد قد أشارت إلى مكانها الدولة العثمانية، فوضعت مكانها سبيلا مجصصا على تلعة صغيرة جدا، انفصلت عن جبل بني الديل الذي كان يقال له: «المستندر الأدنى[٦]».

ويمكن القول أن موقع جرار سعد ـ هذه الأيام ـ في شمالي مستشفى الملك عبد العزيز، حيث يمر عليها الطريق الموصل من خلف المستشفى المذكور من الشمال إلى طريق الشهداء[٧].

ومن بطون بني ساعدة أيضا، بنو وقش، وبنو عنان أبناء ثعلبة بن طريف ابن الخزرج بن ساعدة. وقد نزلوا الدار التي يقال لها: «بنو ساعدة» ويقال لها أيضا: «بنو طريف[٨]». وهي بين الحماضة وجرار سعد[٩]. والظاهر ـ كما يرى

---

(١) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٩.

(٢) السمهودي: نفس المكان. وبنو حديلة: بضم الحاء المهملة، لقب معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. (انظر: المطري: **التعريف**، ص ٧٨، السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٩). ويقال لهم أيضا بنو جديلة، بالجيم. (انظر: المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٥٩). وقيل أيضا في اسمهم: خذيلة، بالخاء والذال. (انظر: العجيمي: **مكة والمدينة**، ورقة ٤٩). ويبدو أن الاشكال في ذكر اسمهم، كان نتيجة النسخ، فصحف لعدم وجود النقاط على الحروف في معظم الكتب القديمة.

(٣) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢١١ ـ ١٢.

**بئر حاء**: نخل وبئر من أموال أبي طلحة الانصاري، وكانت مستقبلة المسجد النبوي. (انظر: المطري: المصدر السابق، ص ٥٨).

(٤) وهي جرار كان سعد بن عبادة يسقي الناس فيها الماء بعد موت أمه. وموضعها يكون مما يلي سوق المدينة من جهة الشمال، ويكون المصلى حده الجنوبي. ( انظر: السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٠٩ ).

(٥) نفس المكان.

(٦) المدينة بين الماضي والحاضر، ص ٨٩ وما بعدها.

**المستندر**: هو الجبل الصغير الذي في شرقي مشهد النفس الزكية، بمنزلة الحاج الشامي. (انظر: السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٦٠). وبالنسبة لمشهد النفس الزكية، فقد انتهى اليوم. فلا وجود له.

(٧) العياشي: المرجع السابق، ص ٨٩ وما بعدها.

**مستشفى الملك**: انشىء في أول عهد الحكومة السعودية، في باب الشامي. (انظر: حافظ، علي: **فصول من تاريخ المدينة**، ص ٢٤٦).

(٨) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢١٠.

(٩) السمهودي: نفس المكان.

**الحماضة**: هي المعروفة اليوم بالحماطة بابدال الضاد طاء، وهي ما بين مدفن مالك بن سنان إلى نهاية السلطانية، البستان المزال اليوم. (انظر: العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، ص ٩٨). ومدفن مالك بن سنان، يقع في غربي المدينة ملاصقا للسور. (انظر: السمهودي: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٩٢٣).

السمهودي ـ أن منازل بني وقش، هي المرادة من القول، أن لبني ساعدة منزلاً في شامي مسجد الراية[١].

ومن بطون بني الخزرج، القاطنين باطن المدينة، بنو النجار، وكانو نهاية المطاف لطريق الرسول (ص)، من قباء، حيث بركت ناقتـه، حين أتت دار بني مالـك بن النجـار واختـط المسجـد، حيث بركت النـاقة[٢]. وبعد بناء المسجد أصبحت دار بني غنم بن مالك بن النجار واقعة شرقية[٣]. ومن أزقتهم في تلك الجهة، مما يواجه باب جبريل، زقاق بني غنم[٤].

وفي غربي المسجد، كانت دار بني عدي بن النجار[٥]. أما دار بني خدرة فكانت عند بئر البصة[٦]. وبئر البصة ـ كما ذكرنـا آنفـا ـ بئـر قريبـة من البقيـع في جنـوبه، على يسار السـالك إلى قباء[٧]، أي أن دارهم واقعة جنوب شرقي المسجـد النبـوي وجنـوبي البقيـع، الـواقع شرقي المسجد. وإلى جوار بني خدرة، كانت منازل بني مازن بن النجار، حيث ذكـر أن منـازلهم جنـوبي بئـر البصـة ودار بني خدرة[٨]. وكانت منازل بني خدارة، وهم أخوة بني خدرة، واقعة جنوبي دار بني ساعدة عند الأطم الذي بجرار سعد[٩]. أي أن منازلهم إلى الشمال من المسجد النبوي. وإلى جوارهم من جهة الشرق، كانت منازل بني حديلة، وقد مر ذكرهم ـ ودارهم عند بئر حاء[١٠]، مستقبلة المسجد أي انها في شماله[١١].

---

(١) نفس المصدر، جـ ١، ص ٢١٠.

مسجد الراية: هومسجد ذباب، وقد صلى النبي (ص)، على جبل ذباب. وضرب قبته عليه. (انظر: السمهودي: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٨٤٥). ومسجد الراية هنا، هو ما كان يعنيه المطري، ولم يكن يعرف اسمه، حين حدد موضعه بقوله: إنه أعلى ثنية الوداع، عن يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام. (انظر: التعريف، ص ٥٥). ويرى السمهودي أن المراد بذلك الوصف الذي أورده المطري، هو المسجد المعروف بمسجد الراية نفسه. وهو مبني بالحجارة المطابقة على صفة المساجد العمرية، أي التي بنيت على عهد عمر بن الخطاب، وكان قد تهدم هذا المسجد. فجدد سنة خمس أوست وأربعين وثمانمائة من الهجرة. (انظر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٨٤٥ـ ٨٤٧).

(٢) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٤٣.

(٣) المطري: التعريف، ص ٧٧،

السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ٢١٠.

(٤) انظر: العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، ص ١٦٨.

(٥) المطري: المصدر السابق، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٦) المطري: نفس المكان.

(٧) العباسي: عمدة الأخبار، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣،

العياشي: المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٨) المطري: المصدر السابق، ص ٧٧.

(٩) المطري: نفس المصدر، ص ٧٩،

السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٩. ومما تجدر الاشارة إليه، أن العجيمي قد ذكر أن مسجد بني خدرة، شامي سوق المدينة بقرب سقيفة بني ساعده (والسقيفة هي المعروفة اليوم في مثلث الحديقة الكائنة في رأس شارع السحيمي من جهة الغرب). والصحيح أن المراد، هم بنو خدارة وليس بني خدرة، لأن ذلك الوصف الذي أورده العجيمي ينطبق على ما سبق ذكره عن منازلهم. (انظر: مكة والمدينة، ورقة ٤٩).

(١٠) المطري: التعريف، ص ٧٨،

السمهودي: الوفاء، جـ ١، ص ٢١١،

العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، ص ١٦٧ ـ ١٧٢.

(١١) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٩٦١.

وقد ذكر المطري، أن دار بني دينار بن النجار، واقعة بين دار بني حديلة وبين دار بني معاوية، أهل مسجد الاجابة[١]. أي أنها تمتد في الجهات الشرقية للمسجد النبوي. وكان السمهودي قد نقل عن ابن زبالة قوله: ونزل بنو دينار بن النجار، دارهم إلى خلف بطحان المعروفة بهم[٢]. وكان ابن زبالة يريد بقوله «خلف بطحان[٣]»، الجهة الغربية لبطحان لأنها خارج باطن المدينة. واعتبر السمهودي ما ذكره ابن زبالة، أقرب وأولى بالاعتماد من قول المطري، أنها شرقي المسجد النبوي[٤].

ومن الآراء التي حاولت التوفيق بين ما ذكر عن دار بني دينار، ما رآه بعضهم، من أن دارهم لا بد وأن تكون وسيعة من المشرق للمغرب، سعتها من الجنوب إلى الشمال. وأن بعضها لذلك في الحرة الغربية، في المواضع المعروفة بالسقيا وجبل أنعم، بالاضافة إلى موضعي نقب بني دينار، ومسجد المنارتين[٥]. وقد ذكر أيضا بأن لمالك بن النضر، والد أنس بن مالك من بني حديلة، دارا في طريق مكة غربي المسجد النبوي شرقي العقيق عند مسجد السقيا[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٨. وقد عدهم المطري من الخزرج. وهو خطأ. والصواب أنهم بنو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف من الأوس. (انظر: نفس المكان، السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩٥).

(٢) نفس المصدر، جـ ١، ص ٢١٣.

(٣) السمهودي: نفس المكان.

(٤) نفس المكان.

(٥) انظر: العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ١٨٥.

**السقيا**: بالضم ثم السكون، تأنيث اسم من سقاه الغيث وأسقاه، وهو اسم بئر بالمدينة يقال لارضها الفلجان، بضم الفاء، في بني حديلة، في دار مالك بن النضر، والد أنس بن مالك، في طريق مكة، غربي المسجد النبوي، شرقي العقيق، عند مسجد السقيا، في بيوت السقيا. (انظر: العباسي: **عمدة الاخبار**، ص ٣٣٦). وبيوت السقيا: هي البقع، والبقع: نقب بني دينار الاتي ذكره. (انظر: الواقدي: **المغازي**، ص ١٢، ط ١).

**جبل أنعم**: بفتح العين. وقيل بضم العين. ويعرف أيضا باسم الجبل الأحمر، وراء مسجد المنارتين. (انظر: العباسي: المصدر السابق، ص ٢٣٨).

**مسجد المنارتين**: من طريق العقيق الكبير. وهو بين السقيا وبركة وبيك، وشرقي البركة جبل أنعم الأحمر. وهذا المسجد مربع، سبع أذرع في سبع طولا وعرضا. وبينه وبين الطريق سبعة أذرع. وما بقي منه (عام ٩٧٢ هـ) الا مكان المنارتين، وشيء من الاحجار، ومن بناء المسجد قدر ذراع باق من كل الجهات. ومحرابه وبابه بين. (انظر: العباسي: نفس المصدر، ص ١٩٧).

**نقب بني دينار**: النقب: الخرق في الجلد أو الجدار أو نحوهما. والمنقب: الطريق الضيق في الجبل. (انظر: مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ ٢، ص ٩٥٢، مادة نقب). ونقب بني دينار: في منطقة السقيا ـ الآنفة الذكر ـ ويقال له: نقب المدينة، وهو في طريق العقيق بالحرة الغربية، وبه السقيا. (انظر العباسي: المصدر السابق، ص ٤٣٢). وقد سلك الرسول (ص)، نقب بني دينار على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة، يوم غزوة ذات العشيرة، يعترض لغيرات قريش حين أبدأت إلى الشام. (انظر: الواقدي: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٢ ـ ١٣، طبعة أكسفورد). وقد إتيحت للباحث، عام ١٣٩٨ هـ فرصة، زار خلالها جهات السقيا. وقد ذكر أن هناك منازل بني دينار، إلا ان الباقي من حصونهم لا يعدو كونه بعض الركام من الاحجار البركانية، التي لا يمكن تمييزها ـ لاول وهلة ـ عما حولها من أرض الحرة. وتلك الاطلال ـ تقوم اليوم ـ جنوب غربي المدينة، وجنوب محطة السكة الحديد على طريق عروة المسفلت، وهذا الخط هو حدها الشمالي. أما الجبل الاحمر، فيقع اليوم جنوب غرب محطة السكة الحديد، على بعد اقل من كيلومتر ـ تقريبا ـ على يسار الخارج من المدينة في طريق عروة. وهو جبل صغير هرمي الشكل، فوقه خزان ماء تابع للعين الزرقاء. وبامكان الواقف ـ فيما يسمى منازل بني دينار، بالسقيا ـ أن يرى هذا الجبل الصغير ماثلا أمام ناظره.

(٦) العباسي: **عمدة الأخبار**، ص ٣٣٦.

ولعلنا من تلك الأقوال ـ عن وجود دور لبني دينار وبني حديلة في جهات متعددة من المدينة ـ نستنتج أن القبائل القاطنة في باطن المدينة، قد يكون لبعضها أموال وتحصينات في أطراف المدينة. وقد تكون تلك الأموال داخل دور قبيلة أخرى، خصوصاً، وأن القبائل ـ حينذاك ـ كانت تتعامل بالحصون والآطام، وكأنها أشياء منقولة. فقد تجعل دية القتيل من القبيلة الأخرى، أطماً في منازلها[١]. ومن ذلك نرى أنه من غير المستبعد أن يكون لبني دينار أموال غربي وادي بطحان ـ كما أسلفنا القول ـ وهي دارهم الأصلية، جوار بني حديلة، حيث تغطي الجهات الشمالية والشرقية، وربما الجنوبية للمسجد النبوي.

وذكر أن دار بني مبذول، واسمه عامر بن مالك بن النجار، كائنة غربي دار بني دينار، في شرقي الدور التي تلي قبلة المسجد النبوي[٢]. أي جنوبي المسجد.

ومن خطط الأنصار في الجهة الشمالية الغربية لجبل سلع إلى سند الحرة الغربية، خطط بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج[٣]، وخطط بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمه[٤]، وخطط بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمه[٥]، وخطط بني حرام[٦]. وجهتهم من أكثر جهات المدينة وفرة في المياه، لمرور أودية العقيق وبطحان وقناة خلالها[٧]. وهذه المنازل تغطي في معظمها الجهات المعروفة قديماً باسم يثرب ـ كما مر بنا ـ وكانت تعد من أهم قرى المدينة[٨].

وكانت دار بني سلمة بن سعد، ما بين مسجد القبلتين[٩]، إلى المذاد، أطم بني حرام في سند الحرة الغربية[١٠].

---

(١) ذكر في هذا المجال، أن أطم الخصى: وهو فعيل من خصاه. ابتناه بنو السلم من الأوس، شرقي مسجد قباء، ثم صار بعد لبني المندر في ديه جدهم. (انظر: الفيروز آبادي: **المغانم المطابة**، ص ١٣).

(٢) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢١٢ ـ ١٣.

(٣) السمهودي: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٠١.

(٤) السمهودي: نفس المكان.

(٥) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٠٢.

(٦) السمهودي: **خلاصة الوفاء**، ص ٣٩١.

(٧) المطري: **التعريف**، ص ٥٣ ـ ٥٤،
السمهودي: **الوفاء**، جـ ٤، ص ١٣٣٢.

(٨) المطري: المصدر السابق، ص ١٩.

(٩) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠١.

**مسجد القبلتين**: يبعد عن مسجد الفتح (القائم على سفح جبل سلع في ناحيته الغربية) من جهة الغرب، على رابية على شفير وادي العقيق، وحوله خراب عتيق على الحرة، ويعرف موضعه بالقاع، وحوله آبار ومزارع تعرف بالعرض في قبلة مزارع الجرف. (انظر: المطري: المصدر السابق، ص ٥٤). أما الجرف: بالضم ثم السكون، موضع على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشمال. وسمي بالجرف لان تبعا مر به فقال: هذا جرف الأرض، وذلك حسب طريقة المؤرخين القدماء في تفسير الاسماء، وكان اسم الجرف قبل ذلك، العرض. (انظر: العباسي: **عمدة الأخبار**، ص ٢٨٨).

(١٠) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠١.

**المذاد**: هي كل ما في غربي مجري وادي بطحان، مما يلي مسجد الفتح. انظر: العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ٤٧).

**مسجد الفتح**: على قطعة من جبل سلع من جهة الغرب. (انظر: المطري: المصدر السابق، ص ٥٣، الأنصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ١٢٥ ـ ٢٧).

وكانت دار بني سلمة هذه، تسمى خربى[١]. وقيل خرابا[٢]. ومنهم من ذكر أن اسمها خزبى بالخاء والزاي على وزن حبلى[٣].

ونزل بنو سواد بن غنم بن كعب بن سلمه، عند مسجد القبلتين المذكور[٤]. ويبدو أن منازلهم كانت تتسع نحو الشرق والجنوب لمسجد القبلتين. ومستدلنا على ذلك، ما ذكره السمهودي من أنه توجد لهم أطاما شرقي مسجد القبلتين على شرف الحرة، وعند منقطع السهل من أرض بني سلمة[٥]. كما توجد لهم أطاما جنوبي المسجد على ظهر الحرة[٦]. ومقتضى ذلك أن منزلة بني سواد تقع في النهاية الشرقية للحرة الغربية من شمالها[٧].

ونزل بنو عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة، عند مسجد الخربة إلى جبل الدويخل[٨]. وإلى الشرق من منازل بني عبيد، كانت توجد منازل بني حرام، في مسجد القبلتين ومسجد الخربة، إلى عهد عمر بن الخطاب[٩]. ولذلك كان السيل يحول بين بني حرام وبين صلاة الجمعة في المسجد النبوي، فطلبوا من الرسول (ص)، التحول إلى أقرب مجال لمنازلهم، فدخلوا شعبا في سفح جبل سلع من جهة الغرب[١٠]. حيث عرف ذلك الشعب ـ فيما بعد ـ باسمهم. فقيل شعب بني حرام[١١]. ويذكر السمهودي أن هناك آثار منازلهم وآثار مسجدهم في غربي جبل سلع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق الجنوبية، وعلى يسار السالك إلى المدينة، وعلى مقربة من محاذاته في جهة المغرب، حصن خل[١٢].

---

(١) وقيل، سماها الرسول (ص)، طلحة. وقيل صلحة بضم الصاد. (انظر: السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٠١).
(٢) المطري: **التعريف**، ص ٥٤.
(٣) العباسي: **عمدة الأخبار**، ص ٣١٦.
(٤) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠١.
(٥) نفس المكان.
(٦) السمهودي: نفس المكان.
(٧) العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ٦٤١.
(٨) السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٢.
**مسجد الخربة**: مسجد لبني عبيد، ومنازلهم عنده. (انظر: العباسي: المصدر السابق، ص ٢٠٧). أما بالنسبة لجبل الدويخل: ويقال له جبل بني عبيد. وقربه جبل صغير آخر لهم، يسمى جبل بحينة، غربي بني حرام في الغرب، جانحا في الشمال. والقاصد إلى مسجد القبلتين، من جهة مساجد الفتح، يمر من منازلهم. (انظر: العباسي: نفس المكان). ويعرف جبل بحينة اليوم، بضلع عقاب. (انظر: العياشي: المرجع السابق، ص ٥٨ ـ ٥٩).
(٩) السمهودي: **خلاصة الوفاء**، ص ٣٩١،
العباسي: **عمدة الأخبار**، ص ٢٠٧.
(١٠) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٠٣. وانظر أيضا **خلاصة الوفاء**، ص ٣٩١.
(١١) السمهودي: نفس المكان.
(١٢) **الوفاء**، جـ ١، ص ٢٠٤.
**حصن خل**: بالخاء المعجمة، وكان يعرف بقصر خل: غربي بطحان. وقد بني على أيام معاوية، أمير المؤمنين، ليكون حصنا لأهل المدينة. وإنما سمي قصر خل، لأنه على الطريق، وكل طريق في حرة أو رمل يقال له: خل. (انظر: السمهودي: نفس المصدر، جـ ٤، ص ١٢٨٩).

## ثانيا : عوامل اختيار موضع المدينة، وأصالة تخطيطها

يرى معظم المؤرخين المسلمين أن نزول الرسول (ص)، في خطة بني مالك بن النجار، إنما كان من قبيل المصادفة وعدم التخطيط المسبق. وأن خروجه، صلى الله عليه وسلم من قباء، كان على غير هدى أو تدبير. والذي ذكرناه، لا يعدو كونه اجتهادا بنيناه على مما أورده المؤرخون المسلمون، من أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، كان يقول للأنصار، كلما اعترضوا طريق ناقته، طالبين منه النزول بينهم: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة[1]». وفي هذا أيضا يقول ابن اسحاق: «حتى إذا أتت ناقته دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجده (وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار، هما سهل وسهيل ابنا عمرو، كانا في حجر معاذ بن عفراء). فلما بركت ورسول الله (ص)، عليها لم ينزل وثبت، فسارت غير بعيد ورسول الله (ص)، واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها، فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه ثم تلحلحت وأرزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله (ص) واحتمل ابو أيوب خالد بن زيد رحله، فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله (ص)، وسأل عن المربد لمن؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه. واتخذه مسجدا[2]».

وليس هناك ما يمنع من اعتبار الرّواية السابقة صحيحة ومقبولة، على اعتبار أن الرسول (ص)، لم تكن لديه فكرة كاملة، عن طبيعة أرض المدينة أو حقيقة طبغرافيتها، لعدم مشاهدته بنفسه تلك البقعة على الطبيعة والواقع، حين قدم مهاجرا. ولذلك لم يعط الأنصار رأيا نهائيا، عن المكان الذي سيتخذ منه مركزا لخطط المهاجرين، تحسبا لما قد يستجد من الأمر، خلال مسيره من قباء، مما يحمله على تغيير ما ارتآه[3].

ومما تجدر الاشارة إليه أن بعض المؤرخين المسلمين، ذكر أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، حينما كان في قباء، أرسل إلى بني النجار، فجاؤا متقلدين السيوف، وطلبوا منه الركوب معهم إلى دارهم آمنا مطاعا[4]. ولعلنا من هذا أيضا، نستدل على أنه ربما كانت لدى الرسول، فكرة أولية، عن طبيعة موضع مسجده - اليوم، كما سبق أن ذكرنا - ولذلك أرسل إلى بني النجار، وكانوا أخوال جده عبد المطلب[5]، وهذا - ولا شك - سيجعل منهم سندا قبليا يعتز به فيما لو احتاج إلى ذلك، خصوصًا وأن بعض زعماء الخزرج، كعبد الله بن أبي، كانوا كارهين لوجود محمد في المدينة[6].

(١) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٤٣.

(٢) نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٣) وقد روى عن النبي (ص)، أنه ركب إلى العقيق، ثم رجع فقال: «يا عائشة جئنا من هذا العقيق فما ألين موطأه وأعذب ماءه. قالت: يارسول الله أفلا ننتقل إليه؟ فقال: كيف وقد ابتنى الناس». (انظر: المطري: **التعريف**، ص ٦٥، ابن النجار: **الدرة الثمينة**، ص ٣٠). وروى عنه أيضا أنه قال: «لو علمنا بهذه أولا لكانت المنزل». (انظر: الهمداني: **مختصر البلدان**، ص ٢٥).

(٤) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٤٢،

الديار بكرى: **تاريخ الخميس**، جـ ١، ص ٣٣٩.

(٥) مجهول: المصدر السابق، ورقة ٤٢.

(٦) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٤٢٢ - ٢٣. وذكر أن شيخا من بني عمرو بن عوف، يقال له أبو عفك، وكان شيخا كبيرا، قد بلغ عشرين ومائة سنة، حين قدم النبي (ص)، المدينة كان يحرض على عداوة النبي (ص). ولم يدخل الاسلام. (انظر: الواقدي: **المغازي**، جـ ١، ص ١٧٤ (طبعة اكسفورد).

وما نظن أن هناك تعارضا، بين القول، أن اختيار موضع المسجد النبوي وخطط المهاجرين، قد كان عن تخطيط أولي، اعتمل في ذهن النبي (ص)، وبين القول: إن الرسول (ص)، كان يقول عن ناقته: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة». فهذا ـ في رأينا يعد أحد دلائل نبوته، حيث بركت الناقة في وسط دور بني النجار، الذين أرسل إليهم النبي (ص)، فجاؤا متقلدين السيوف وطلبوا منه الركوب معهم إلى دارهم آمنا مطاعا[1].

ولو استعرضنا إجراءات هجرة الرسول (ص)، لوجدنا أنها كانت ـ في جميع تفاصيلها ـ تخطيطا محكما، وضع لكل طرف ومفاجأة، حلا وتدبيرا[2]. ولم يحدث أن الرسول (ص)، ألقى بنفسه الى التهلكة، على اعتبار أنه رسول الله ومبلغ دعوته، وبالتالي فإن الله ناصره ومعينه. ومما لا ريب فيه، أن تدبير سكنى المهاجرين في المدينة، كان يحظى بالعناية من قبل الرسول (ص)، ويستأثر على جل اهتمامه. ومن غير المستبعد أن تكون تلك المسألة من ضمن مخطط الهجرة، الذي وضعه الرسول (ص)، منذ أن أجمع الخروج إلى يثرب وأحكم أمره وتدبيره. وقد أطلعنا على رأي للمطري يتفق وما ذهبنا إليه، من أن أمر اختيار موضع مسجد الرسول في بني النجار، كان عن تخطيط مبدئي قديم، أعقبه رغبة في التأكد والتحقق من صلاحية المكان، قبل اختياره الاختيار الأخير. وذلك حين قال «روى الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن بن زباله عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عتبه عن أبيه قال: اختار رسول الله (ص)، على عينه، فنزل منزله وتخيره وتوسط الأنصار. قلت ولا ينافي ذلك ما ورد أنه لما ركب من قباء يوم الجمعة كان كلما حاذى أو مر على دار من دور الأنصار، يدعونه إلى المقام عندهم: يارسول الله هلم إلى القوة والمنعة. فيقول لهم: خلوا سبيلها، يعني ناقته، فإنها مأمورة. وهو قد أرخى لها زمامها وما يحركها[3]».

ولقد رأينا ـ مما سبق ـ أن مناطق قباء والعصبة والعالية كانت من أكثر جهات المدينة اكتظاظا بالسكان، إضافة إلى أن المهاجرين الأولين، لما قدموا إلى المدينة، قبل هجرة النبي (ص)، نزلوا بقباء والعصبة[4]. وكان بإمكان الرسول (ص)، الاستقرار بقباء[5]. غير أن وقوعها في الجنوب من طرف سهل المدينة الذي ينحدر على مهل نحو الشمال[6]، قد جعل منها ـ في رأينا ـ غير مؤهلة أن تكون مركز الفعالية كمدينة إسلامية للأنصار والمهاجرين. إذ يتعذر امتداد ذلك

---

(١) مجهول: المصدر السابق، ورقة ٤٢.

(٢) يقول ابن اسحاق: فلما أجمع رسول الله (ص)، الخروج، أتى أبا بكر بن أبي قحافة، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار ثور ـ وهو جبل بأسفل مكة ـ فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى، بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيره مولاه، أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما، يأتيهما اذا أمسى في الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر، تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما. (انظر: السيرة، جـ ٢، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٣) التعريف، ص ٤٣.

(٤) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٨٥ ـ ٨٧.

(٥) ذكر أن الرسول (ص)، لما خرج من قباء، اجتمعت بنو عمرو بن عوف فقالوا: أخرجت ملالا منا أم تريد دارا خيرا من دارنا؟ قال: إني أمرت بقرية تأكل القرى. (مجهول: في سيرة الرسول، ورقة ٤٢، الديار بكري: **تاريخ الخميس**، جـ ١، ص ٣٣٩). ويبدو لنا أن المراد بقوله «قرية تأكل القرى»، هو تكاثر سكانها وتوسع خططها على ما حولها.

(٦) كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب، ص ١٧٤.

السهل نحو الجنوب أو الشرق، وبالتالي تتعذر امكانية التوسع السكاني معه نحو تلك الجهات المذكورة وسبب ذلك وجود عوائق طبيعية: جغرافية وجيولوجية. وهي التي أعطت للمدينة شكلا فريدا بين المدن الاسلامية، يقرب إلى هيئة الشكل المستطيل (١).

ومما تجدر ملاحظته أن تلك الظروف الجغرافية والجيولوجية، قد ساهمت مساهمة كبيرة، في عملية توفر القناعة، بصلاحية اختيار مركز ذلك الشكل لسكنى المهاجرين. إذ أن تساوى الاتجاهات من مركز الشكل إلى أضلاعه، سيساعد - ولا ريب - على ايجاد توازن للتوسع المرتقب، في خطط القبائل في المدينة. كما أنه سيجعل من عملية التوسع خارج المدينة، نحو الشمال والغرب، حيث وادي العقيق، عملية نافعة اجتماعيا واقتصاديا. فهو من الناحية الاجتماعية سيخفف الضغط السكاني من قبل المهاجرين على خطط الانصار، كلما اتجهوا لسكنى تلك الجهات، كما أنه سيعمل على ازدهارها عمرانيا وزراعيا (٢)، وذلك بالعمل على إحياء معظم تلك الأراضي البور القابلة للخصوبة والزراعة (٣). وبالاضافة إلى ذلك فإن تلك الجهات، من المدينة - كما سبق أن ذكرنا - كانت أكثر تخلخلا سكانيا وقادرة على استيعاب نزلاء جدد لوجود فضل في خطط الأنصار أكثر من غيرها (٤).

وطبقا للمبررات الآنفة الذكر، أختير موقع المسجد الجامع، وهو المسجد النبوي، في مركز وسط من المدينة - تقريبا - أو كما كان يعبر، في باطنها (٥). أو كما قيل في نحو من وسطها (٦). حتى يتيسر على المسلمين الاتصال بالرسول (ص) دون مشقة أو عناء، حيث أصبح المسجد نقطة البداية لخطط المهاجرين والأنصار التي أطافت به من جميع الجهات (٧).

---

(١) والذي ذكرناه، عن شكل المدينة، هو اجتهاد بنيناه على ما ذكره المؤرخون المسلمون، من أن حرم المدينة، كان بريدا في بريد. وذلك ما بين جبليها عير إلى ثور (وهو شمالي أحد) من الجنوب إلى الشمال، وما بين لابتيها، أي حرتيها الشرقية والغربية. (انظر: كبريت: **الجواهر الثمينة**، ورقة ٨).

(٢) هناك أحاديث كثيرة، تروى عن الرسول (ص)، تحبب سكنى وادي العقيق، من ذلك ما سبق ذكره، من حديث عامر بن سعيد بن أبي وقاص قال: ركب رسول الله (ص)، إلى العقيق ثم رجع فقال: يا عائشة جئنا من هذا العقيق فما ألين موطأه وما أعذب ماءه. قالت: أفلا ننتقل إليه؟ قال: وكيف وقد ابتنى الناس. (انظر: المطري: **التعريف**، ص ٦٥). ومن ذلك أيضا ما روى عن عبد الله بن مطيع قال: بات رجلان بالعقيق ثم أتيا رسول الله (ص)، فقال: أين بتما؟ فقالا: بالعقيق، فقال: بتما بواد مبارك. (انظر الحميري: **الروض المعطار**، ص ٤١٧). وقد ابتنى بعض الصحابة بالعقيق، وكانت فيه الأبار العذبة والقصور المشيدة، مثل قصر سعيد بن العاص وقصر عروه ابن الزبير، وقصر مروان بن الحكم وغيرهم. (انظر: الهمداني: **مختصر البلدان**، ص ٢٦، ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٤٦ - ٤٨، ابن النجار: **الدرة الثمينة**، ص ٣١).

(٣) **Holt P.M;** *The Cambridge History of Islam*, vol. 1.p.41.

(٤) البلاذري: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ٥.

(٥) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٤٢، الديار بكري: **تاريخ الخميس**، ص ٣٤١.

(٦) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٢٣.

(٧) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٢٤٠، المطري: **التعريف**: ص ٣٧ - ٤٣، السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧١٧ وما بعدها. وقد كانت عادة بناء المساكن حول أماكن العبادة، معروفة في مكة قديما. حيث جعلت مركز النشاط في الشئون العامة. فقد ذكر أن قريشا وغيرها من قبائل مكة، لم يبنوا - بادىء الأمر - حول الكعبة دورا مشيدة، احتراما لها. وكانوا يسكنون في شعاب مكة. فقال لهم قصي: إن سكنتم حول البيت، هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم. فبدأ هو، أولا وبنى دار الندوة ثم قسم الجهات، بين قبائل قريش. فبنت قريش دورها حول الكعبة. (انظر: الأزرقي: **أخبار مكة**، جـ ١، ص ١٠٣ - ١١٥، باسلامة، حسن عبد الله: **تاريخ عمارة المسجد الحرام**، ص ٥ - ٦، ط ١، جدة، ١٣٥٤ هـ).

وقد لخص العدوي أسباب اختيار باطن المدينة، لاقامة خطط المهاجرين بقوله: وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها[١]

**ثالثا: التطور في تخطيط المدينة، وسكنى المهاجرين مع الإشارة لمساحة المدينة**

كان المسجد النبوي ـ كما رأينا ـ أول شيء اختط في وسط المدينة، بعد قدوم الرسول (ص)، من قباء[٢]. وقد ظلت قواعده الأولى، منذ أن أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم، النواة التي نمت حولها مشاريع تعميره وتوسعته، منذ عهد الرسول (ص)، إلى أيامنا هذه[٣]. ولهذا فإن المسجد النبوي، يعد خير إحداثية يمكن اتخاذها كبداية لتعيين خطط المهاجرين في المدينة بعد الهجرة، والتي كانت ـ في معظمها ـ عبارة عن قطائع أو خطط، تنازل عنها الأنصار للمهاجرين من كل فضل كان في خططهم[٤]، أو كانت في عفا من الأرض ليست لأحد، فيقطعها الرسول لاصحابه[٥].

ولعل من أول ما بنى، في خطط المهاجرين حول المسجد، بيوت نساء النبي (ص)، وهي تسعة أبيات بنيت في أوقات مختلفة[٦]، وكانت عبارة عن مجموعة حجرات، خارجة من المسجد مديرة به من ثلاث جهات. هي أولا

(١) **أحوال مكة والمدينة**، جـ ٢، ورقة ١٣٤. كما روى عن النبي (ص)، حديثا قال فيه: خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحرث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل الأنصار خير. (انظر: ابن قدامة: **الاستبصار**، ورقة ٣). والظاهر، أن الرسول (ص)، يقصد بالدار هنا، المنزل وليس المنزلة. لأنه لو كان يقصد المنزلة لعد معهم قبائل المهاجرين، وكان فيهم من السابقين إلى الاسلام من صدق ايمانه وصحت عزيمته، ولم ينكر دوره الكبير في الجهاد، والالتفاف حول الرسول، صلى الله عليه وسلم، للذود عن الاسلام ونشر دعوته. مثل قبائل، قريش، وثقيف، وغفار، وسليم وغيرهم.

(٢) انظر: ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٤٤،
السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٣٢٢.

(٣) كان المسجد النبوي، على عهد الرسول (ص)، مبنيا باللبن وسقفه جريد، وعمده جدوع النخل. وقال أهل السير: بنى النبي (ص)، مسجده مرتين. بناه حين قدم، أقل من مائة في مائة، وقيل سبعين في ستين ذراعا أو يزيد. فلما فتح الله عليه خيبر، بناه وزاد عليه الدور مثله. وجعل له ثلاثة أبواب، باب في مؤخره أي في جهة القبلة اليوم يدخل منها عامة أصحابه، وباب يدعى بباب عاتكة ويقال له باب الرحمة، وباب يدخل منه النبي (ص)، وهو باب عثمان اليوم المعروف بباب جبريل. وهذان البابان، لم يغيرا بعد صرف القبلة، ولما صرفت، سد الباب الذي كان خلفه وفتح هذا الباب حذاه، أي محاذات المسدود، خلف المسجد، أي اتجاهه. (انظر: مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٥ ـ ٧، المطري: **التعريف**: ص ٣٢، السمهودي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٣٤). وبعد وفاة النبي (ص)، توالت على المسجد عدة زيادات، خلال كثير من العهود إلى أيامنا هذه. (انظر: الأنصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ٩٢ ـ ١١٣، العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ٢٠٨ وما بعدها).

(٤) مجهول: المصدر السابق، ورقة ٤.

(٥) الهمذاني: (ابن الفقيه): **مختصر البلدان**، ص ٢٤ (طبعة ليدن، ١٣٠٢ هـ). السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧١٨.

(٦) انظر: ابن فضل الله العمري: **مسالك الابصار**، جـ ١، ص ١٢٦. وذكر أن لحارثة بن النعمان الانصاري، منازل قرب المسجد حوله. فكلما أحدث رسول الله (ص)، أهلا، تحول له حارثة عن منزله حتى صارت كلها لرسول الله (ص). (انظر: مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٧). وكان النبي (ص)، ينزل، قبل بناء المسجد والبيوت، على أبي أيوب، خالد بن زيد الأنصاري النجاري. (انظر: ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٤٤). حيث أقام عنده سبعة أشهر (انظر: مجهول: المصدر السابق، ورقة ٦). وتقع دار أبي أيوب في الناحية الجنوبية الشرقية للمسجد، وبينها وبين دار عثمان بن عفان، في شرق المسجد، زقاق يعرف بزقاق الحبشة. (انظر: المطري: **التعريف**، ص ٤٣، الأنصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ٢٨ ـ ٢٩).

الجنوبية، حيث بدأ البناء حولها، ثم الشرقية فالشمالية[١]. وهي غير ملتصقة بجدار المسجد، إذ أن أبوابها كانت شارعة[٢] فيه. وكانت فاطمة بنت رسول الله (ص) وزوج علي رضي الله عنه، تسكن أحد البيوت الملاصقة لبيوت أبيها في الجهة الشرقية[٣].

وحين خط الرسول (ص)، الدور، حول المسجد لم يخط ـ باديء الأمر ـ لمعظم المهاجرين الأوائل، فظلوا نازلين في خطط الأنصار بعالية المدينة وبقباء، كل على من نزل عنده[٤]. ويذكر ابن سعد. أن المقداد بن عمرو وخباب بن الأرت، لما هاجرا إلى المدينة، نزلا على كلثوم بن الهدم فلم يبرحا منزله حتى توفي، قبل أن يخرج رسول الله (ص)، إلى بدر بيسير، فتحولا، فنزلا على سعد بن عبادة، فلم يزالا عنده، حتى فتحت بنو قريظة[٥]. وكان أبو بكر الصديق قد نزل على خارجة بن زيد بن أبي زهير، في بني الحارث بن الخزرج بالسنح وتزوج ابنته، ولم يزل فيهم حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦]. كما نزل بعض بني زهرة في بني عمرو بن عوف، في قباء[٧].

---

(١) مجهول: المصدر السابق، ورقة ٧. وكانت أبيات النبي (ص)، بالاضافة إلى ما ذكر متسمة بالبساطة، ومنها أربعة بلبن لها حجر من جريد، وخمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها، على أبوابها مسوح الشعر. وقد ذرع ذلك الشعر فوجد أنه ثلاثة أذرع في ذراع. (انظر: ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠، العدوي: أحوال مكة والمدينة، ورقة ١٣٥ ـ ٣٧).

(٢) العدوي: نفس المكان. ومما يجدر ذكره هنا، أن أحد المهتمين بدراسة العمارة الاسلامية، قد التبس عليه الأمر بشأن طريقة بناء حجرات النبي (ص) فوهم أنها في جهة واحدة، هي الجهة الشرقية فحسب. (انظر: شافعي، د. فريد: **العمارة العربية**، جـ١، ص ٦٤ ـ ٦٧). كما وقع في خطأ جسيم، حين أعتبر المسجد النبوي عبارة عن قصر كبير بناه النبي (ص)، لنفسه ولآل بيته. حيث يتكون ـ كما يرى ـ من حجرات يتقدمها فناء واسع أحاطه بجدران لا تكاد تعلو على قامة الرجل، وجعل في إحدى أركانه صفة أو ظلة، يحتمي بها الفقراء من أصحابه. (انظر: شافعي، د. فريد: نفس المكان). والذي يبدو لنا أنه أراد بهذا التصوير المعتسف، تبرير فكرته، التي تذهب إلى أن بناء المسجد، والبيوت التي حوله، إنما كانت عن تخطيط مسبق. فرأي ـ فيما يبدو ـ أن فكرته تلك، قد لا تستقيم، مالم يؤكد أن البناء قد تم في وقت واحد. على أساس أن الغرض الأول هو بناء دار لنفسه، أما فكرة تحويله إلى مسجد، فأنها لم تظهر إلا بعد تحويل القبلة. (انظر: شافعي، د. فريد: نفس المصدر، ص ٦٥). والشواهد التي بين أيدينا والتي مرت بنا، خلال هذا البحث، تؤكد جميعها، أن الرسول (ص)، فكر في بناء المسجد، بمجرد أن حط رحاله على بني النجار. وكانت بعض النصوص تذكر أن موضع مسجده قد اتخذه بعض الأنصار موضعا لصلاتهم، قبل قدوم الرسول (ص) مهاجرا. (انظر: مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٤).

(٣) مجهول: نفس المصدر، ورقة ٧،
المطري: **التعريف**، ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٤) المقريزي: **امتاع الاسماع**، جـ١، ص ٥٠. ومن هؤلاء المهاجرين، الذين ظلوا نازلين في خطط الانصار، نذكر بعض من نبه ذكره مثل: أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ومولاه سالم. وعتبه بن غزوان بن جابر بن وهب، حليف بني نوفل بن عبد مناف. والزبير بن العوام بن خويلد. وحاطب بن أبي بلتعة، وسعد مولاه، وهم حليفان لبني أسد بن عبد العزي بن قصي، وغيرهم. (انظر: ابن سعد: **الطبقات**، جـ٣، في أماكن متفرقة).

(٥) نفس المصدر، جـ٣، ص ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٦) ابن سعد: **الطبقات**، جـ٣، ص ١٧٤. ويذكر أيضا، أن لأبي بكر، دارا قريبة من بيوت النبي (ص)، في شرقي المسجد، أقطعها الرسول (ص)، أبا بكر. (أنظر: السمهودي: **الوفاء**، جـ٢، ص ٧١٨ ـ ١٩). وموضع دار أبي بكر تلك، في شارع الملك عبد العزيز، اليوم، وقد أدخل جزء منها في الرحبة المقابلة لباب النساء. (انظر: الانصاري، عبد القدوس: آثار المدينة المنورة، ص ٣٧).

(٧) ذكر أن سعد بن أبي وقاص بن عبد مناف بن زهرة وعمير أخوه، لما هاجرا من مكة إلى المدينة، نزلا في منزل لأخيهما عتبة بن أبي وقاص وكان بناه في بني عمرو بن عوف وحائط له. وكان عتبة أصاب دما بمكة فهرب، فنزل في بني عمرو بن عوف، وذلك قبل يوم بعاث. (انظر: ابن سعد: المصدر السابق، جـ٣، ص ١٣٩).

وكان الرسول (ص)، يقطع بعض المهاجرين، في خطط الأنصار. فأقطع ـ فيما بعد ـ المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك القضاعي، حليف بني زهرة، في بني جديلة، شمالي المسجد النبوي، وذلك بعد أن دعاه إلى تلك الناحية، أبي ابن كعب[١]. كما ذكر، أن بالمدينة قوما من الحضرميين ولهم دار تعرف بدار الحضرميين، في بني جديلة[٢]. وقد نزل في بني ساعدة، بعض الكنديين[٣]، وكذلك نزلوا في بني زريق[٤].

ويبدو أن تكوين دار القبيلة أو خطتهم، كان يبدأ على شكل قطيعة فردية لأحد النابهين في القبيلة، حيث تتجمع حولها دور بقية الناس من القبيلة وحلفائها. وقد كانت دار بني زهرة شمالى المسجد، قد بدأت على شكل حشّ (وهو نخل صغار لا يسقى)، أقطع لعبد الرحمن بن عوف[٥]، ثم نمت حولها ـ فيما بعد ـ دور الأفراد والأحياء[٦]. وكانت دور بني زهرة أو خطتهم، تشغل بعض الأراضي الشمالية للمسجد، وقد تنعطف على المسجد من جهة الغرب[٧].

ومما تجدر الإشارة إليه، في هذا الصدد، أن خطط القبائل في المدينة، على عهد الرسول (ص)، لم تكن قبلية خالصة، بمعنى أن الخطة لا يسكنها إلا القبيلة نفسها. فقد لاحظنا ـ مما سبق ـ نزول كثير من المهاجرين في خطط الأنصار. ولما أقطع الرسول (ص)، الدور جعل لأبي سلمة المخزومي موضع داره عند دار بني عبد العزي الزهريين[٨]. ولذلك من النادر أن يقال، خطة بني فلان، حيث كان من الشائع أن يقال مثلا: دار آل عمر[٩]. أو حي من أحياء العرب[١٠].

وقد كونت الدور الشوارع حول المسجد، ما يشبه الخطة الواحدة، حيث جمعت عدة قبائل من المهاجرين، وبعض الأنصار، وهو ما سوف نشير إليه بعد. وكانت تلك الخطة في معظمها قطائع فردية اقتطعت من كل فضل كان

---

(١) ابن سعد: نفس المصدر، جـ٣، ص ١٦١.
(٢) البلاذري: **الأنساب**، جـ١، ص ١٠. وقد ذكر السمهودي: أن هناك زقاقا بالمدينة يعرف بزقاق الحضارمة، في شرقي مؤخر سوق المدينة، مما يلي الشمال. (انظر: المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٦١).
(٣) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٥٦٠.
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٢، ص ١٤٣.
(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ٣، ص ١٢٦،
ابن شبه: **أخبار المدينة**، ورقة ٧٥ ـ ٧٦،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ٢، ص ٣٥٦،
السمهودي: **الوفاء**، جـ٢، ص ٧١٧ ـ ١٨.
(٦) ذكر أن عبد الله وعتبه ابني مسعود الهذليين، وحليفي بني زهرة، جعل لهما خطتهما عند المسجد، في بني زهرة. فقال حي من بني زهرة، يقال لهم بنو عبد بن زهرة، لرسول الله (ص): نكب عنا ابن أم عبد (يعني عبد الله ابن مسعود) فزجرهم الرسول (ص)، بقوله: ان الله لا يقدس قوما لا يعطي الضعيف منهم حقه. (انظر: ابن سعد: المصدر السابق، جـ٣، ص ١٥٢).
(٧) السمهودي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٢٨.
(٨) ابن سعد: المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٤٠.
(٩) السمهودي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٧١٧ ـ ١٨.
(١٠) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٤٦.

في خطط الأنصار(١). وكانت قبل الهجرة، عبارة عن خطة قبلية كان يشغلها عدة بطون خزرجية، مثل بني النجار وبني جديلة وبني خدرة وبني خدارة وبني ساعدة(٢).

ومن تلك الدور الشوارع حول المسجد، دور بني زهره شمالى المسجد، وقد مر ذكرها. ودور بني عدي، ومن أشهرها دار آل عمر بن الخطاب، جنوبي المسجد(٣)، وقد تمتد دورهم إلى البقيع شرقا(٤)، وإلى السوق غربا(٥).

وإلى القرب من بني عدي، في الجهة الجنوبية للمسجد، توجد دور لبعض مهاجري ثقيف(٦). ويلي دار آل عمر، في جنوبي المسجد من غربيها(٧)، دار القضاء، وكانت لعمر بن الخطاب، فبيعت في قضاء دينه، بعد موته(٨). وكان بعض هذه الدار للنحام - يعني نعيم بن عبد الله من بني عدي - وبعضها من دار العباس ابن عبد المطلب(٩). وقرب دور بني عدي، دار عبد الله بن مكحل الزهري(١٠)، وهي شارعة في رحبة دار القضاء(١١)، غربي المسجد(١٢).

ولبني تيم، في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد النبوي، دور عامره، شارعة في المغرب(١٣). وهذه الجهة هي من منازل بني النجار، وخاصة بني مالك بن النجار(١٤). وقد ذكر أن لطلحة بن أبي طلحة الأنصاري، حشا كان ينعطف

---

(١) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٤.

(٢) انظر: السمهودي: الوفاء، جـ ٢، ص ٧٣٢ - ٣٣. (وراجع الحديث عن خطط الانصار).

(٣) المطري: **التعريف**، ص ٣٧ - ٤٠،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧١٨، ٧٢٠.

(٤) مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ٧٢.

(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٤٤٨ - ٤٩. وكانت دار آل عمر، مربدا يتوضأ فيه أزواج النبي (ص)، فلما توفي، استخلصته حفصة بنت عمر، بثلاثين ألف درهم، فورثها عنها عبد الله بن عمر. (انظر: السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧١٨).

(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٢٢.

(٧) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٢٠.

(٨) الفيروز آبادي: **المغانم المطابة**، ص ١٨.

**دار القضاء**: وقد آلت دار القضاء، إلى ملك أمير المدينة، مروان بن الحكم، في أوائل النصف الثاني من القرن الاول الهجري، فعرفت بدار مروان بن الحكم. وكانت ملاصقة للمسجد النبوي، قبل ازالتها في جهته الجنوبية الغربية شرقي باب السلام. وقد ادخل بعض أرضها في الشارع الجديد جنوبي المسجد، وادخل بعض ارضها الآخر في بناء المحكمة الشرعية الكبرى، وذلك أثناء التوسعة السعودية للمسجد النبوي. (انظر: السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٢٠ - ٧٢١، الأنصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ٤٣).

(٩) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٢٠.

(١٠) السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٢٤،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣٧٣.

(١١) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٢٤.

(١٢) السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٢٥.

(١٣) السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٢٦ - ٢٧.

(١٤) السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٢٥،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٢٦.

على المسجد من جهة الشام[١]. ولبني تيم أيضا، دور في زقاق البقيع، شرقي المسجد النبوي[٢].

ومن دور المهاجرين، في الخطة المحيطة بالمسجد، أيضا، دور بني مخزوم، في أول جهة المشرق، مما يلي الشمال، أي أنها في بني جديلة[٣]. وجنوب دورهم، تقع دار عثمان بن عفان[٤]. وكانت تعرف بدار مشيخة الحرم[٥].

ويوجد في الجهات الغربية للمسجد، مما يلي مصلى العيد حتى منازل بني زريق من الأنصار، عدة دور لكثير من القبائل مثل بني مخزوم وبني زهرة وبني عدي وبني عامر بن لؤي وبني أسد، وبني دوس وبعض أهل اليمن[٦].

وكما أسلفنا القول، فإن معظم القطائع في الخطة المحيطة بالمسجد، كانت ـ في معظمها ـ قطائع فردية، بعكس ما أصبح عليه الحال بالنسبة لبعض القطائع الأخرى، ظاهر المسجد، إذ كانت قطائع جماعية قبلية تقطع لمجموعة كبيرة، وقد يشاركهم فيها غيرهم. والمثل على ذلك، خطة بني غفار (وهم بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانه)، وكانت قطيعة قطعها لهم النبي، صلى الله عليه وسلم، في الجهات الكائنة غربي سوق المدينة ومصلى العيد إلى وادي بطحان[٧]. والذي سهل انفرادهم بالمنزل، أنهم كانوا ظاهر المسجد، وأن مساكنهم كانت عبارة عن مجموعة خيام حول مسجدهم[٨]. ويفصل بين خطة بني غفار شمالا، وخطة بني ليث بن بكر، طريق يدعى طريق بني الليث ومن يشركهم في ذلك[٩]. ودور بني ليث، من طرف المصلى الغربي إلى وادي بطحان[١٠]، وقد تمتد إلى شمال شرقي سوق المدينة، وشمال منزلة بني ساعدة[١١]؛ أي شمال غربي المسجد النبوي. وإلى الشمال من بني ليث نزل بنو

---

(١) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٢٧،
العباسي: **عمدة الاخبار**، ص ٣٠٧.

(٢) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ١٧٥،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٣١ ـ ٣٢.

(٣) السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٢٩ ـ ٣٠.

(٤) السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٣٢.

(٥) **مشيخة الحرم**: هي دار كانت مخصصة لاقامة شيخ الحرم النبوي، في عهد الحكومة العثمانية. ويحدها شمالا طريق البقيع، وجنوبا زقاق الحشة (عرضه حوالي مترين) وقد أدخل جزء من الدار في الشارع الجديد الواقع شرقي المسجد بعد التوسعة السعودية. (انظر: الانصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ٣٤ ـ ٣٦). ويذكر المطري أن باب جبريل (وهو باب عثمان بن عفان، وكان يدخل منه النبي، صلى الله عليه وسلم) الكائن في الحائط الشرقي للمسجد النبوي، كان مقابلا لدار عثمان ثم اشترى عثمان ما حولها إلى الجنوب والشرق. وشمالي الدار، الطريق من باب جبريل الى البقيع. (انظر: **التعريف**، ص ٣٨).

(٦) المطري: نفس المصدر، ص ٥٤،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٤٠ ـ ٤٧،
ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٤٩٠، جـ ٢، ص ٤٧١ ـ ٧٢.

(٧) السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٥٧ ـ ٥٩.

(٨) المطري: **التعريف**، ص ٧٦،
المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٥٧.

(٩) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٥٩.

(١٠) السمهودي: نفس المكان.

(١١) العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص ٤١١ ـ ١٢.

ضمرة بن بكر، محلتهم التي يقال لها ضمرة، بثنية الوداع[١]، وإلى الشمال الغربي منهم نزل بنو الديل بن بكر، محلتهم إلى جبل المستندر[٢]. ويبدو أن بني ضمرة وبني الديل، كانوا يكونون خطة واحدة مع أسلم ومالك ابني أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، ويشاركهم أيضا، هذيل بن مدركة. فقد ذكر أن منازل أسلم ومالك، كانت تشمل تلك الجهات الكائنة شمالي ثنية عثعث[٣]، وشرقي مؤخر سوق المدينة مما يلي الشمال[٤]. وكانت منازل هذيل، في السفح الجنوبي الشرقي لجبل سلع، ما بين شمالي منازل أشجع (ابن ريث بن غطفان) إلى جنوبي ثنية عثعث[٥].

وتمتد منازل أشجع من ثنية الوداع إلى جوف شعب سلع والمعروف بشعب أشجع في السفح الشرقي لجبل سلع[٦]

وبالنسبة لمزينة، وهم بنو هدبة بن لاطم بن عثمان بن عمرو[٧]، فتمتد منازلهم، في غربي مصلى العيد إلى عدوة وادي بطحان الشرقية[٨]، وقد تأخذ في اتساعها نحو الجهات الجنوبية للدور التي بالمصلى ثم خطة بني زريق[٩]. وقد نزل معهم في محلتهم، بنو شيطان بن يربوع من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، كما نزل معهم، بنو سليم بن منصور وعدوان بن عمرو بن قيس[١٠]

ويبدو أن كثرة عدد بني مزينة ومن حل معهم، قد اضطرهم إلى التوسع في المنزل نحو الشرق حتى وصلت دورهم إلى قرب البقيع[١١].

---

(١) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٦٠،
العياشي: المرجع السابق، ص ٤١٤.
(٢) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٦٠،
العياشي: المرجع السابق، ص ٤١٥.
(٣) ابن شبة: **أخبار المدينة**، ورقة ٨٥،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٦٠.
**ثنية عثعث**: تنسب إلى الجبيل الذي يقال له سليع ـ مصغرا ـ والثنية بينه وبين جبل سلع في الجنوب الشرقي لسلع، وهي إلى الجنوب من ثنية الوداع، المار ذكرها. (انظر: العياشي: **عمدة الاخبار**، ص ٢٨٤).
(٤) السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٦١.
(٥) السمهودي: نفس المكان.
(٦) قال عروة بن الزبير: قدمت أشجع في سبعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة، فنزلوا شعبهم فخرج إليهم رسول الله (ص) بأحمال التمر. فقال يا معشر أشجع ما جاء بكم؟ قالوا: يا رسول الله جئناك لقرب ديارنا منك، وكرهنا حرب قومنا لقلتنا فيهم. (انظر: السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٦٣، ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٤١٠).
(٧) ابن حزم: **الجمهرة**، ص ٤٨٠ وما بعدها.
(٨) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٦١ ـ ٦٢.
(٩) السمهودي: نفس المكان،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤.
(١٠) ويذكر انهم انما نزلوا جميعا، لأن دارهم في البادية واحدة. (انظر: السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٦١).
(١١) السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٦٢

وقد شكلت منازل جهينة (ابن زيد بن السود بن الحارث بن قضاعة) وبلى (ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة) خطة واحدة تمتد إلى الشمال من خط أسلم، الذي بين أسلم وجهينة، إلى دار بني حرام، في بني سلمة، غربي مساجد الفتح، بمحاذاة السفح الغربي لجبل سلع[١]. وكان النبي (ص)، هو الذي خط المسجد الذي لجهينة ولمن هاجر من بلى، بين خيامهم[٢].

ونزل بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، في محلتهم التي يقال لها بنو جشم[٣]، وهي في بني زريق من الشرق، أي في الجنوب الغربي للمسجد[٤].

أما بنو فزارة (هم من ذبيان بن بغيض من غطفان) فكانت خطتهم إلى الشمال من خطة اشجع في السفح الشمالي الشرقي لسلع. حيث نزلت بنو مالك ابن حماد، وبنو زنيم وبنو سكين من فزارة بن ذبيان، في تلك الجهة[٥].

ويجدر بنا ـ بعد هذا الاستعراض، لخطط الأنصار والمهاجرين ـ أن نشير إلى أن البناء لم يكن منتشرا بشكله الواسع في كل مساحة المدينة المعروفة، والتي تقدر على أنها بريد في بريد[٦]. ولذلك كان الجغرافيون المسلمون يرون أن المدينة أقل مساحة من نصف مساحة مكة[٧].

وقد كان البناء والعمران بالمدينة، منتشرا في جهات، العالية وقباء والعصبة ويثرب القديمة، بالاضافة إلى الاجزاء المحيطة بالمسجد النبوي. بينما لم تحظ بقية أجزاء المدينة الأخرى ـ على عهد الرسول (ص) ـ بتوسع البناء وانتشاره نحو الغرب ـ على وجه الخصوص ـ كما حصل فيما بعد[٨]. وقد استنتجنا ذلك من حديث رواه أبو أسيد بن علي بن مالك الأنصاري قال: قال رسول الله (ص): إذا رأيت البناء قد بلغ سلعا فأتمر بالشام، فإن لم تستطع فاسمع وأطع[٩]. وبصرف النظر عن ضعف الحديث، أو عدمه، فإن المهم أنه يهدينا إلى حقيقة، كانت قائمة على عهد

---

(١) المطري: **التعريف**، ص ٧٦،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٦٣.
(٢) المطري: المصدر السابق، ص ٧٦،
المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٥٧ ـ ٥٨.
(٣) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٦٤.
(٤) السمهودي: نفس المكان.
(٥) السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٦٤ ـ٦٥.
(٦) المطري: **التعريف**، ص ١٥ ـ ١٦، ٦٨،
ابن النجار: **الدرة الثمينة**، ص ٢٨ ـ ٢٩، ٤٠.
(٧) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٢٣.
(٨) ذكر أن سعد بن أبي وقاص مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل إلى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم سنة ٥٥ هـ. (انظر: ابن سعد: **الطبقات**، جـ٣، ص ١٣٩ ـ ٤٩). ويمكننا أن نستدل من هذا النص على مدى اتساع العمران في المدينة بعد عصر النبي (ص).
(٩) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٨.

النبي (ص)، وهي أن البناء لم يكن قد وصل إلى جبل سلع. وذلك على الرغم من أن سلعا لم يكن بعيدا من الخطة المعمورة حول المسجد النبوي، من زاويتها الشمالية الغربية. ولذلك كانت جواري الأنصار يخرجن لرعي غنم سادتهن بسلع(١).

وقد سبق أن أشرنا إلى أن مساكن القبائل في تلك الجهات، حول سلع، كان عبارة عن خيام وأخبية(٢). ولذلك نجد أن المسلمين، يوم الخندق، حين فكروا بحفر الخندق، جعلوه في تلك المناطق المفتوحة والخالية من التحصينات، إذ كان سائر المدينة مشبكا بالبنيان(٣). مما يعني أن خطط القبائل المهاجرة، في هذه الجهات، من غربي المدينة، إنما كانت منشأة، بعد حفر الخندق، وقبيل فتح(٤) مكة، خصوصا وقد روى عن النبي (ص) قوله: لا هجرة بعد الفتح. كما ذكر أن أسلم جاءت رسول الله (ص) وهو في طريقه لفتح مكة، بغدير الأشطاط، جاء بهم بريدة بن الحصيب فقال: يارسول الله، هذه أسلم وهذه محالها، وقد هاجر إليك من هاجر منها وبقي قوم منهم في مواشيهم ومعاشهم فقال رسول الله (ص): أنتم مهاجرون حيث كنتم(٥). أي أن الرسول (ص)، لم يأمرهم أو يشجعهم على الهجرة إلى المدينة في تلك الأثناء. وما نستدل به أيضا على أن هجرة معظم القبائل إلى المدينة، كانت قبيل فتح مكة، ما ذكر من أن الرسول (ص)، قبل الخروج من المدينة، لما أبان الغزو وفتح مكة، أرسل إلى أهل البادية وإلى من حوله من المسلمين يقول لهم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان المدينة. وبعث رسول الله في كل ناحية حتى قدم عليه، أسلم وغفار، وضمرة ومزينة وجهينة وأشجع. وبعث إلى بني سليم. فلقيته بقديد (موضع قرب مكة)، وأما سائر العرب فخرجوا من المدينة(٦).

وقد حفر الخندق طولا، أعلى وادي بطحان غربي الوادي مع الحرة، إلى غربي مصلى العيد ثم إلى مسجد الفتح إلى الجبلين الصغيرين الذين في غربي الوادي(٧).

ويبدو أن من أسباب قلة البناء أو التوسع فيه إلى جبل سلع، واكتفاء معظم المهاجرين بالسكنى في الأخبية أو

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٢٨.

(٢) انظر: المطري: **التعريف**، ص ٧٦،

المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٥٧ ـ ٥٨. وقد تكون تلك الأخبية من الجلود، حيث ذكر أن أم مسلم الأشجعية، قالت: دخل عليّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأنا في قبة من أدم (جلد) فقال: ما أحسنها إن لم يكن فيها ميتة. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٤٩٦).

(٣) الواقدي: **المغازي**، جـ ٢، ص ٤٤٦. (طبعة اكسفورد).

(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

(٥) الواقدي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٨٢. (طبعة اكسفورد).

**غدير الأشطاط**: على ثلاثة أميال من عسفان مما يلي مكة. (انظر: السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٣٥٢).

(٦) الواقدي: **المغازي**، جـ ٢، ص ٧٩٩ (طبعة اكسفورد).

(٧) المطري: **التعريف**، ص ٦٥،

المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١١٦. أما عن الجبلين المذكورين، فهما جبلا بني عبيد. ويقول المطري: يقال لاحدهما رابح، وللاخر جبل بني عبيد. (انظر: المصدر السابق، ص ٦٥).

الخيام، إنما يعود إلى الحالة الاقتصادية التقشفية التي مرت بالمسلمين، مع بداية هجرتهم. فقد ذكر أن أم سلمة (زوج النبي، صلى الله عليه وسلم) لما غزا رسول الله (ص) غزوة دومة الجندل، بنت حجرتها بلبن (وكانت من جريد) فلما قدم رسول اله (ص)، نظر إلى اللبن فدخل عليها أول نسائه، فقال: ما هذا البناء؟ فقالت: أردت يا رسول الله أن أكف أبصار الناس، فقال: يا أم سلمة، إن شر ما ذهب فيه مال المسلمين البنيان[١].

## رابعا: لمحة عن أثر تخطيط المدينة على مدن الأمصار

ويجدر بنا، وقد ألممنا بشيء عن العوامل التي دعت إلى اختيار موضع المدينة، كقاعدة للهجرة، وبناء المسجد في وسطها كأول نقطة لبداية خطط المدينة بعد الهجرة، أن نورد بعض المقارنات بين خطط ونظم المدينة وبين بعض مدن الامصار الاسلامية، للتعرف على أوجهة الشبه أو الاختلاف في ذلك. وستكون عنايتنا، مدن كل من البصرة والكوفة والفسطاط، على اعتبار، أن في عناصر سكانها أعدادا كبيرة من قبائل المدينة التي هاجرت إلى هناك، في جيش الفتوحات الاسلامية، والذين كانوا يشكلون عنصر الزعامة والعدد الكبير في أهل تلك المدن[٢].

وكان الطبري قد أورد نصا يفهم منه أن طريقة تخطيط مدن الأمصار الاسلامية، كانت تأتي للولاة رأسا من المدينة، فيعملون على تنفيذها بحذافيرها[٣]. وعلى هذا يمكن القول بأن تخطيط المدينة ـ بعد الهجرة ـ يعد رائدا في مجاله ونموذجا، سار على منواله مخططوا مدن الأمصار، كالبصرة والكوفة والفسطاط[٤].

وقد أشرنا في مستهل هذا البحث إلى وجود تشابه كبير بين كل من البصرة والكوفة من جهة، وبين المدينة المنورة من جهة أخرى، في النواحي الطبغرافية. اذ أن كل مدينة قبل تخطيطها إسلاميا، كانت آهلة بالسكان ومستوطنا قديما، لا يخلو من العمران والمزارع[٥]. وذلك يعني أن ظروف تخطيط كل من المدينة المنورة أو البصرة والكوفة، كانت متشابهة

(١) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٩٩.

(٢) انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣٣، ٤٧ ـ ٤٨،

المقريزي: **الخطط**، جـ ٧، ص ٣ ـ ٥، ٥٢،

ماسنيون: **خطط الكوفة**، ص ٩ ـ ١٤،

الجنابي: **تخطيط مدينة الكوفة**، ص ١، ٤٢، ٧٨ ـ ٨٠،

دائرة المعارف الاسلامية، الترجمة العربية لمجموعة من المترجمين، جـ ٣، مادة البصرة. وقد ذكر أن عمر كتب إلى عثمان بن حنيف، وكان على الكوفة: أن احمل الى أهل المدينة أعطياتهم، فإنهم شركاؤهم، فكان يحمل ما بين العشرين ألف ألف إلى الثلاثين ألف ألف درهم. (انظر: اليعقوبي: **تاريخ**، جـ ٢، ص ١٥٢).

(٣) يقول، عن تخطيط الكوفة (على يد سعد بن أبي وقاص سنة ١٧ هـ): «وقد بنى سعد في الذين خطوا للقصر قصرا بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم، فشيده، وجعل فيه بيت المال، وسكن ناحيته ثم ان بيت المال نقب عليه نقبا، وأخذ من المال، وكتب سعد بذلك الى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن، مما يلي ودعه الدار. فكتب إليه عمر: أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار واجعل الدار قبلته، فإن للمسجد أهل بالنهار وبالليل، وفيهم حصن لمالهم، فنقل المسجد وأراغ بنيانه». (انظر: **تاريخ**، جـ ٤، ص ٤٦).

(٤) شافعي (د. فريد): **العمارة العربية في مصر الاسلامية**، جـ ١، ص ٦٧ ـ ٦٨.

(٥) يذكر الطبري، أنه كان في الكوفة قبل تخطيطها من قبل المسلمين، ديرات ثلاثة: دير حرقة، ودير أم عمرو، ودير سلسلة، وخصاص خلال ذلك. (انظر: تاريخ: جـ ٤، ص ٤١). وكذلك الحال بالنسبة للبصرة، حين نزلها عتبة بن غزوان، كان بها سبع دساكر (جمع دسكرة وهي الضيعة أو المزرعة المسكونة بالفلاحين) بالزابوقة، والخريبة، وموضع بني تميم والأزد. (انظر: الطبري: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٩٠ ـ ٥٩١، ماسنيون: **خطط الكوفة**، ص ١٠، الهامش رقم ١، نفس المكان).

تقريبا. والذي لوحظ في نواحي الشبه بين المدينة المنورة وبين المدن الاسلامية، من حيث تخطيطها واختيار بقعتها، المراعاة التامة لضرورة توفر الماء والزرع والمرعى بشكل كاف وكبير.

وبالنسبة للمدينة، فقد كانت مشتهرة بوفرة مياهها وكثرة نخيلها(١)، بالاضافة إلى اشتمالها على كثير من البقاع الصالحة للمرعى(٢)، والمحتطب(٣).

ولما نزل عتبة بن غزوان، الخريبة من أرض العراق، كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله إياها: «وأنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا أشتوا، ويكنسون فيه إذا إنصرفوا من غزوهم(٤)» فكتب إليه: «أن اجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريب من الماء والمرعى، واكتب لي بصفته. فكتب إليه أني وجدت أرضا كثيرة العضبة في طرف البر إلى الريف، ودونها مناقع ماء فيها قصباء. فلما قرأ الكتاب قال: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب. وكتب إليه أن انزلها الناس(٥).

وكان أول ما خط في المدينة، بعد الهجرة، مسجدها(٦)، ثم خطت الدور وأنزل الناس(٧). وقد أصبحت تلك الطريقة سنة متبعة عند تخطيط مدن الأمصار الاسلامية ـ فيما بعد ـ حيث كان أول ما يخط مسجدها ودار إمارتها(٨). ثم تختط المنازل من المسجد الجامع، باعتباره مركزا لها(٩). ذكر الطبري أن أول شيء خط بالكوفة وبني، حين عزموا على

---

(١) الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣٢٠.

(٢) وكانت للنبي (ص)، قطعة غنم ترعى بالقف: بالضم وسكون الفاء المهملة: وهو علم لواد من أودية المدينة بالعوالي، شمالي مشربة أم ابراهيم. (انظر: العباسي: عمدة الاخبار، ص ٣٩٨).

(٣) وكان يوجد في الغابة: وهي اسم موضع قرب المدينة على نحو بريد من جهة الشمال بأسفل سافلتها، كثير من الشجر الملتف، لاحتطاب الناس ومنافعهم. (انظر: العباسي: نفس المصدر، ص ٣٨١ ـ ٨٢). وذكر أن بني حارثة، من الانصار قالوا: يارسول الله ههنا ـ يعنون الغابة ـ مسارح إبلنا ومرعى غنمنا (انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣). كما كانت منطقة فيفاء الخبار، غربي الجماوات، موضعا كانت ترعى به إبل الصدقة ولقاح رسول الله (ص). (انظر: العباسي: المصدر السابق، ص ٢٠٤).

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، جـ ٢، ص ٤٢٥. وعتبة بن غزوان: هو عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب من بني مازن، وحليف بني عبد شمس أو بني نوفل. (انظر: ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٤٥٥). وهو مؤسس مدينة البصرة سنة ١٦ هـ/٦٣٧ م أو سنة ١٧/٦٣٨ م، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب. وكان في الموضع الذي شيدت فيه المدينة، معسكر ضرب هناك عام ١٤ هـ/٦٣٥م، ولكنه أخلي ثانية، وقصد من بناء هذه المدينة أن تكون مركزا للجيش العربي. لذلك أختير مكانها في بقعة إلى القرب من النهر عند أطراف السهوب والوادي الخصيب القريب من المشارب والمراعي. (انظر: ابن حجر: نفس المكان، دائرة المعارف الاسلامية، الترجمة العربية، جـ ٣، مادة البصرة).

(٥) البلاذري: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٢٥.

(٦) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٢، ص ٣٤٤،
السمهودي، الوفاء، جـ ١، ص ٣٢٢ وما بعدها،
ابن الحاج: رفع الخفاء، ورقة ٦٩.

(٧) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧١٧ وما بعدها.

(٨) اليعقوبي: تاريخ، جـ ٢، ص ١٥١،
البلاذري: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٣٨ ـ ٣٩، ٤٢٥.

(٩) الطبري: تاريخ، جـ ٣، ص ٥٩٣، جـ ٤، ص ٤٤،
ماسنيون: خطط الكوفة، ص ١٧.

البناء، المسجد[١]. ثم قام رجل في وسطه، رام شديد النزع، فرمى على يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين[٢].

وكذلك الحال بالنسبة للبصرة، إذ كان أول ما اختط بها المسجد الجامع[٣]. واختطت بعد ذلك على نحو من خطط الكوفة[٤]. أما مدينة الفسطاط، فكان تخطيطها على يد عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ أو ٢١ هـ/ ٦٤١ - ٦٤٢ م[٥]. حيث اختط الجامع المعروف بالجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص. واختطت قبائل العرب من حوله[٦].

وسبق أن ذكرنا - آنفا - أن الطبيعة الجغرافية والجيولوجية للمدينة المنورة، قد أعطتها شكلا أقرب ما يكون الشكل المستطيل، حيث تحكم في طريقة خططها - بعد الهجرة - بحيث استلزم أن يكون المسجد في الوسط ليتيسر الاتصال بين عامة المسلمين وبين الرسول (ص)، في مقره، حول المسجد. وقد عمل مخططوا البصرة، على محاكاة طريقة خطط المدينة في الشكل. فذكر أن البصرة كانت مستطيلة[٧]، بينما احتفظت معظم مدن الأمصار الاسلامية، بشكل دائري[٨]، وهي أشكال وجدت نتيجة إقامة المسجد وسط المدينة الاسلامية، كما هو الحال بالنسبة للمدينة المنورة.

ولو تجاوزنا أوجه المقارنة في النواحي التخطيطية إلى النواحي التنظيمية للقبائل - إداريا - لوجدنا أن هناك جملة تأثيرات في تنظيم سكنى الناس في الخطط، مستمدة من التنظيمات القبلية في المدينة، على عهد الرسول (ص). ومن ذلك ما سار عليه سعد بن أبي وقاص، عند إنزاله القبائل في خطط الكوفة، إذ راعى توفر رابطة القربى بين أهل الخطة الواحدة[٩]. وهو تنظيم شبيه لما سبق أن رأيناه، في حديثنا عن مراحل التنظيم السياسي الاداري والاجتماعي للقبائل في المدينة.

وفي مدينة الفسطاط، اتبع أسلوبان، لانزال القبائل في الخطط، وكلاهما شبيهان بما سبق أن أشرنا إليه في تنظيمات

(١) المصدر السابق، جـ ٤، ص ٤٤.
(٢) الطبري: نفس المكان.
(٣) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٤٥٥،
الجنابي: **تخطيط مدينة الكوفة**، ص ١٠١.
(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٥٩٣.
(٥) انظر الجنابي: المرجع السابق، ص ١٠٣.
(٦) المقريزي: **الخطط**، جـ ٧، ص ٥.
(٧) العلي (د. صالح أحمد): خطط البصرة، بحث نشر في **مجلة سومر**، بغداد، ١٩٥٢ م، م ٧، جـ ١، ص ٧٢.
(٨) العلي (د. صالح أحمد): نفس المكان،
ماسنيون: **خطط الكوفة**، ص ١٧. (وانظر أيضا الخريطة القديمة للكوفة رقم ١، نفس المرجع، ص ١).
(٩) الطبري: **تاريخ**، جـ ٤، ص ٤٥،
اليعقوبي: **تاريخ**، جـ ٢، ص ١٥١،
ماسنيون: المرجع السابق، ص ١٠.

القبائل في المدينة، إذ وجد في تنظيمات الفسطاط، لانزال القبائل في الخطط، تنظيم إنزال من تربط بينهم صلة القربى والنسب، في خطة واحدة. مثل خطة مهرة وخطة تجيب وخطة لخم، وخطة غافق، وخطة مذحج، وخطة سبأ، وغير ذلك(١). وكانت بداية هذا التأثير، قد امتدت مع الطلائع الأولى التي فتحت مصر مع عمرو بن العاص، حين عقد له عمر بن الخطاب، على أربعة آلاف رجل كلهم من قبيلة عك(٢). وهو تنظيم، سبق أن رأينا له مثيلا، في تنظيمات القبائل في المدينة، على عهد الرسول (ص)، وعرفناه باسم التنظيم العشائري، وهناك تنظيم للقبائل في الفسطاط، مستمد أيضا، من تنظيمات المدينة، وهو تنظيم يعتمد على جمع عدة قبائل تحت راية واحدة. لهذا عرف في خطط الفسطاط، خطة سميت بخطة أهل الراية(٣)، وهم جماعة من قريش والانصار، وخزاعة، وأسلم، وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة، وثقيف، ودوس وعبس، وبغيض، وجرش من بني كنانة، وليث بن بكر، والعتقاء منهم (٤). كما عرف أيضا، في خطط الفسطاط، خطط اللفيف(٥)، وخطط أهل الظاهر(٦).

ومما تجدر ملاحظته أن تلك التنظيمات، قد ظلت قوية المفعول والسريان، تؤدي وظيفتها في ضبط أمور القبائل وقطع دابر ما قد يشجر بينهم من خلاف أو تنافس في اختيار المنازل والبقاع(٧). وقد ظل الأمر كذلك، حين كانت السلطة قوية. ثم بدأ الضعف يدب في تلك التنظيمات من حيث التنفيذ، بعد توسع الفتوحات الاسلامية في الشرق الاسلامي، حيث ظهر عامل قوة القبيلة في تقرير مصير سكناها واختيار ما تراه صالحا من البقاع لامتلاكه، وحدث ذلك، على وجه الخصوص، مع بداية القرن الثاني الهجري(٨). فكانت قيس، هي الغالبة على غيرها من القبائل في غرب ايران، أما في الشرق، فكانت قبيلتا بكر وتميم في نزاع دائم، حول ملكية بعض الأراضي، حيث تدعى كل قبيلة أنها استولت عليها قبل الأخرى(٩). أما سجستان، المجاورة لايران، فلم تكن أفضل من جارتها من حيث اشتداد المنافسة على المواضع بين القبائل(١٠)

(١) المقريزي: **الخطط**، جـ٧، ص ٥٤ - ٦١. وقد ذكر أن دار بني جمح، بركة يجتمع فيها الماء. فقال عمرو بن العاص: خطوا لابن عمتي إلى جنبي (يريد وهب بن عمير بن وهب الجمحي) فردمت البركة. وخطت. فهي دار بن جمح. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٦٤٣).

(٢) المقريزي: المصدر السابق، جـ ٧، ص ١٥.

(٣) المقريزي: نفس المصدر، جـ ٧، ص ٥٤.

(٤) المقريزي: نفس المكان.

(٥) وإنما سموا بذلك، لالتفاف بعضهم ببعض. وكان عامتهم الأزد من الحجر، ومن غسان، ومن شجاعة. والتف بهم نفر من جذام ولخم والوحاف وتنوخ من قضاعة، فهم مجتمعون في المنزل متفرقون في الديوان. (انظر: المقريزي: نفس المصدر، جـ ٧، ص ٥٦ - ٥٧).

(٦) وهم جماع من القبائل، وديوانهم مع أهل الراية، وكان منهم طوائف من الأزد وفهم. (انظر: المقريزي: نفس المصدر، جـ ٧، ص ٥٧- ٥٨).

(٧) ذكر المقريزي أن عمرو بن العاص، لما رجع من الاسكندرية ونزل، موضع فسطاطه، انضمت القبائل بعضها الى بعض، وتنافسوا في المواضع، فولى عمرو على الخطط معاوية بن حديج التجيبي وشريك بن مسمى القطيفي وعمرو بن مخزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المعافري، وكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبائل. (انظر: **الخطط**، جـ ٧، ص ٥٢).

(٨) نافع (عبد المنعم): **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق الاسلامي**، ص ١٥٩.

(٩) نافع (عبد المنعم): نفس المكان.

(١٠) نافع (عبد المنعم): نفس المكان.

ومما سبق نرى، أن الفكرة القائلة، بأن البصرة تعد أول تجربة لتخطيط المدن الأسلامية[١]، وتتجاهل دور المدينة المنورة وأثر تخطيطها، هي فكرة تفتقر إلى سند قوي وموضوعية تامة، إذ أن تخطيط المدينة المنورة، يختلف اختلافا كبيرا، عما كانت عليه خططها قبل الهجرة. وذلك لدخول فعاليات جديدة، منها المسجد، الذي شكل مركز الوسط في الخطط الاسلامية - فيما بعد - وتحكم بالتالي في تغيير شكل المدينة وتنظيم خططها. وهو الذي أصبح تقليدا اسلاميا متبعا، عند تخطيط مدن الأمصار الاسلامية كالبصرة وغيرها.

(١) الجنابي: تخطيط مدينة الكوفة، ص ١٠٣.

# الباب الثالث

# الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجتمع المدني خلال العصر النبوي

- مظاهر الحياة الاجتماعية
- الحالة الاقتصادية في المدينة المنورة خلال العصر النبوي
- لمحات عن الطابع العام لمجتمع المدينة خلال العصر النبوي في النواحي العلمية والثقافية

# الفصــل الأول

## مظاهر الحياة الاجتماعية

- أولا : مستوى المعيشة مع إشارة موجزة إلى أهل الصفة ومنازل الوفود
- ثانيا : اعتماد الناس في المدينة على الخدم والموالي لقضاء أمورهم

## أولا ـ مستوى المعيشة، مع إشارة موجزة إلى أهل الصفة ومنازل الوفود

لو تساءلنا عن مستوى الحالة المعيشية في المدينة، على عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، لوجدنا أن الحوادث التاريخية، تظهر أن حياة المسلمين كانت بسيطة جدا، وعلى الخصوص في السنوات الأولى التي أعقبت الهجرة، حيث أنها كانت في معظم الأحيان تفتقر إلى أهم ضرورات الحياة اللازمة ـ حينذاك ـ لدرجة أن المسلمين، لم يستطيعوا يوم غزوة بدر، أن يؤمنوا لأنفسهم أكثر من سبعين بعيرا، وكانوا يزيدون على ثلاثمائة قليلا(١). كما حدث أن اشتكى بعض فقراء المهاجرين إلى رسول الله (ص)، من أن التمر أحرق بطونهم، فصعد المنبر فخطب فقال: لو وجدت خبزا ولحما لاطعمتكموه(٢). ويذكر أن الرسول (ص)، دخل المسجد فوجد فيه أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، فسألهما عن سبب خروجهما في غير وقت الصلاة. فقالا: أخرجنا الجوع. فقال الرسول (ص)، وأنا أخرجني الجوع. فذهبوا إلى أحد الأنصار (هو أبو الهيثم بن التيهان) فأمر لهم بشعير، عنده، يعمل. وقام يذبح لهم شاة(٣).

ويبدو لنا، أن تلك الضائقة كانت شديدة الوطأة على المهاجرين في المقام الأول، ثم الأنصار، أكثر من غيرهم. حيث ذكر أن رجلا من الأنصار لقي النبي، صلى الله عليه وسلم، فرأى في وجهه أثر الجوع، فخرج الرجل يعدو، فالتمس في بيته طعاما فلم يجد. فخرج إلى بني قريظة فأجر نفسه كل دلو ينزعة بتمرة، حتى جمع حفنة من تمر وجاء إلى النبي، فوضعه بين يديه(٤).

وقد استمر تعاقب مثل تلك الضائقة الاقتصادية في المدينة، إلى ما بعد يوم الخندق. فقد كانوا، أثناء حفره، يشدون الحجارة على بطونهم من الجوع والبرد(٥). وفي اعتقادنا أن سبب ذلك الجوع ـ أثناء غزوة الخندق ـ لا يعود إلى عدم وجود الطعام، وانما إلى قلته وتقنينه، بسبب ظروف الحرب. فقد ذكر أنهم قد حصدوا الزرع قبل قدوم جيش

(١) الواقدي: **المغازي**، جـ ١، ص ٦٢ (طبعة اكسفورد).
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٢٣١.
(٣) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٩٣٢.
(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٤٠.
(٥) ابن كثير: **البداية والنهاية**، م ٢، جـ ٤، ص ٩٩ ـ ١٠٠،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٥.

الأحزاب بشهر فأدخلوا حصادهم وأتبانهم. في حين كانت المدينة ـ ليالي قدموا ـ جديبة(١).

وبلغ الأمر بالناس ـ حينذاك ـ حدا جعلهم يتساهلون في أكل لحوم الحمر الانسية، حتى أتاهم نهي الرسول (ص)، عن أكلها، والقدور تفور، فكفأوها على وجوهها(٢). وكان ذلك النهي، قد حدث، عام خيبر، سنة سبع من الهجرة(٣).

وكما سبق أن أشرنا، كان مناخ المدينة متقلبا غير مستقر على وتيرة واحدة أو معلومة، وهو ما كان يعرض المدينة لحالات العسرة والجدب. وقد كانت المدينة تعتمد ـ حينذاك ـ في المكان الأول، على ما تنتجه أرضها وما تنبته صحراؤها من كلأ وشجر.

ومما يظهر مقدار تقلب المناخ، ما ذكر من أنه في عام غزوة تبوك، وذلك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة، أمر الرسول (ص)، أصحابه ـ حين طابت الثمار ـ بالتهيؤ لغزو الروم، وكانوا قبل ذلك في زمان من عسرة الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد(٤).

وقد تراجعت معدلات حالات العسرة والتقشف الاقتصادي، بالنسبة للمستوى المعيشي في المدينة، بعد فتح خيبر وتبوك، حيث كثرت في أيدي المسلمين أموال الجزية من أهل الكتاب في المدن التي افتتحها الرسول (ص). بالاضافة إلى ما صالحوا أهل تلك المدن عليه من الثمار(٥).

وقد ازداد تحسن حال المسلمين الاقتصادي بعد فتح مكة وانتهاء معركة حنين(٦). بالاضافة إلى قدوم وفود القبائل العربية إلى المدينة بعشور أموالهم(٧).

---

(١) الواقدي: المغازي، جـ ٢، ص ٤٤٤ (طبعة اكسفورد).
(٢) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٣، ص ٧٩٤،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٩٤ ـ ٩٥.
(٣) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٧٩٤.
(٤) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٤، ص ٩٤٣.
(٥) ومن تلك المدن، التي افتتحها الرسول (ص): تبالة، وجرش، وتبوك، وأيلة، وأذرح. (انظر: البلاذري: فتوح البلدان، جـ ١، ص ٢٨ ـ ٣٢، ٧١ ـ ٧٧، ٨٦ ـ ٩٥). والجزية: هي مال في، يصرف في أهل الفيء. وتجبى بحلول الحول، ولا تستحق قبله. وهي موضوعة على الرؤوس. واسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء على كفرهم، لأخذها منهم صغارا، وإما جزاء على أمان المسلمين لهم، لأخذها منهم رفقا. وكانت تؤخذ من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، ويجري المجوس مجراهم في أخذ الجزية منهم. وكذلك الصابئون والسامرة ومن شاكلهم. ولم تكن الجزية تجب إلا على الرجال الأحرار العقلاء، كما لا تجب على امرأة ولا صبي ولا مجنون ولا عبد. (انظر: الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد: الاحكام السلطانية، ص ١٤٢ ـ ١٤٥، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٦ م). ويبدو أنهم كانوا يأخذون الجزية، على عهد الرسول (ص)، من مجوس هجر ومجوس أهل اليمن، على كل رجل وعلى كل امرأة ايضا. (انظر: البلاذري: المصدر السابق، جـ ١، ص ٨٦).
(٦) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٣٦٤.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٠٨.

ومن مظاهر تحسن المستوى المعيشي في المجتمع المدني، بعد فتح خيبر[١]، تخصيص جرايات سنوية لمعظم أهل المدينة، قوامها التمر والشعير[٢].

ولم يقتصر دخل المدينة على ما سبق ذكره من الأشياء العينية، كالتمر والشعير، ونحوذلك، وإنما دعم ذلك ما تدفق على المدينة من أموال الجزية، بعد فتح خيبر وغيرها من البلدان، سواء ما كان شمال المدينة أو في جنوبها، حيث جعل الرسول (ص)، على كل حالم من أهل تبالة وجرش من أهل الكتاب ديناراً[٣]. وصالح أهل أيلة على أن جعل على كل حالم في السنة ديناراً، فبلغ ذلك ثلاثمائة ديناراً[٤]. أما أهل أذرح، فصالحهم الرسول (ص)، على مائة دينار في كل رجب[٥]. على ربع عروكهم (والعروك خشب يصطاد عليه) وربع كراعهم وحلقتهم، وعلى ربع ثمارهم[٦].

وكان للمدينة مصادر أخرى للدخل، غير ما ذكر. فقد صالح الرسول (ص) وافدي أهل نجران واليمن (وهما السيد والعاقب) عن أهل نجران، على ألفي حلة في شهر صفر، وألف حلة في شهر رجب، ثمن كل حلة أوقية، والأوقية وزن أربعين درهما[٧].

---

(١) أصبح نصف ما خرج من أرض خيبر يدفع للمدينة، كما ذكره البلاذري. (انظر: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ٢٨).

(٢) كان الرسول (ص)، يعطي كل امرأة من نسائه، ثمانين وسقا من تمر، وعشرين وسقا من شعير، من خيبر. (انظر: البلاذري: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٧). وممن أعطى الرسول (ص)، من الصحابة من تمر خيبر: مخرمة بن القاسم بن مخرمة بن عبد المطلب القرشي، أعطاه ثلاثين وسقا. وأعطى ملكان بن عبيدة الانصاري، ثلاثين وسقا. وأعطى جعفر بن عبد يزيد بن هشام بن عبد المطلب القرشي، من خيبر، ثلاثين وسقا، وأطعم أخاه ركانه خمسين وسقا. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٣٩٠، ٣٩٧، ٤٥٧، السخاوي: **التحفة اللطيفة**، جـ ١، ص ٤٠٧).

(٣) البلاذري: المصدر السابق، جـ ١، ص ٧١.

تبالة: بالفتح، موضع بين مكة واليمن. وبين تبالة ومكة نحو مسيرة ثمانية أيام على الابل. وهي شرقي أعراض نجد. (انظر: ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٢، ص ٩، الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، ص ١٦٧، «تحقيق الأكوع». وتبالة معروفة الآن باسمها. (انظر: الحربي: كتاب المناسك، الهامش رقم ٩، ص ٦٤٤).

جرش: بضم الجيم وفتح الراء وشين معجمة، بلد بين مكة واليمن، وتعد كورة نجد العليا، وهي من ديار عنز. ويسكنها ويترأس فيها العواسج ويعرفون اليوم باسم العواشز، في وادي ابن هشبل المضاف إلى أحد رؤسائهم، وهو من روافد وادي بيشة. (انظر: الهمداني: المصدر السابق، ص ٢٥٥، وانظر ايضا، الهامش رقم ١، نفس المكان).

(٤) البلاذري: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ٧١.

أيله: هي اليوم، العقبة، البلد الميناء المعروف على الفرع الشرقي لرأس البحر الأحمر. (انظر: الحربي: **كتاب المناسك**، ص ٦٤٩ ـ ٥٢، انظر ايضا الهامش رقم ١٠، والهامش رقم ٤، نفس المصدر، ص ٦٤٩ ـ ٥١).

(٥) البلاذري: المصدر السابق، جـ ١، ص ٧١.

أذرح: بالفتح ثم السكون وضم الراء والحاء المهملة: وهو اسم بلد في أطراف الشام، من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء، عمان، مجاورة لأرض الحجاز. وهي قبلي فلسطين من ناحية الشراة. وبأذرح إلى الجرباء كان أمر الحكمين بين عمرو بن العاص وأبي موسى الاشعري. وبينهما ميل واحد. (انظر: ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ١، ص ١٢٩ ـ ٣٠). وأذرح من حدود مساكن جذام. حيث ذكر أن جذام بين مدين إلى تبوك وإلى أذرح. (انظر: الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٧٢).

(٦) البلاذري: المصدر السابق، جـ ١، ص ٧١ ـ ٧٢. والكراع هنا، الخيل ونحوها من الماشية. (انظر: الزمخشري: **أساس البلاغة**، ص ٥٤١). والحلقة: اسم للسلاح كله. (انظر: الزمخشري: نفس المصدر، ص ١٣٩).

(٧) البلاذري: المصدر السابق، جـ ١، ص ٧٦.

وكان النبي (ص)، قد أخذ الجزية من مجوس هجر ومجوس أهل اليمن، ففرض على كل من بلغ الحلم من مجوس اليمن من رجل وامرأة دينارا[١]. وكان كتاب الصلح بين عامل الرسول (ص)، على البحرين، العلاء بن الحضرمي، وأهل البحرين، قد نص على أن يكفوا المسلمين العمل، لانشغالهم بنشر الاسلام، على أن يقاسموهم التمر. وأما جزية الرؤوس، فعلى كل حالم دينارا[٢]. ويذكر أنه حين أتى النبي (ص)، مال من البحرين قال: انثروه في المسجد، وكان أكثر مال أتى رسول الله (ص) فخرج الرسول (ص)، إلى الصلاة ولم يلتفت إليه. فلما قضى الصلاة، جاءه وجلس إليه، فما كان يرى أحدا إلا أعطاه[٣]. ويبدو أن الرسول قصد بهذا العطاء، تقديم تعويضات لاصحابه، لقاء ما عانوه، مع بدء الهجرة، من مشقة، وما تحملوه من التزامات وخسائر مادية. ولذلك يروي أن العباس جاءه ـ حينذاك ـ فقال: يا رسول الله أعطني فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا. فقال له الرسول (ص): خذ. فحثا في ثوبه، ثم ذهب يقله فلم يستطع، من كثرة المال حتى نثر منه[٤].

وقد أصبح لزيادة نسبة دخل المدينة مردود ايجابي، على المستوى الاقتصادي والمعيشي، ازداد على أثره المال بين أيدي الناس، بشكل سريع وكبير[٥]. مثلما حصل لأحدهم، حين استدان، ثم جاءه الغنى سريعا، غير أن الموت عاجله قبل القضاء[٦]. وذلك قد أوجد ـ فيما يبدو ـ لصاحب المال منزلة مرموقة في المجتمع المدني، واعتبروا غيره مفلسا أو صعلوكا[٧].

ويبدو أن الناس قد طاب لهم التنافس على جمع المال والمفاخرة في ذلك مما جعل الرسول (ص)، ينهي عن التبقر في الأهل والمال. قيل له وما التبقر؟ قال[٨] الكثرة. ومما ساعد أيضا، على تدفق الأموال في أيدي الناس، اشتغال

---

(١) البلاذري: نفس المصدر، جـ ١، ص ٨٦.

(٢) وكان بالبحرين، خلق كثير من العرب، من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم، مقيمين في باديتها. (انظر: البلاذري: نفس المصدر، جـ ١، ص ٩٥).

(٣) انظر: الخزاعي: الدلالات السمعية، ورقة ١٧٠.

(٤) الخزاعي: نفس المكان.

(٥) ومما نستدل به على تدفق المال في أيدي الناس بشكل سريع بعد عسرة، ماذكر من أن سعد بن الاطول الجهني قال: إن أخاه يسارا مات وخلف ثلاثمائة درهما وعيالا. قال: فأردت أن انفقها على عياله. فقال النبي (ص): إن أخاك محبوس بدينه فاقض عنه. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٦٦٥). وقيل إن رجلا، على عهد الرسول (ص)، من عامة المسلمين، يقال له الهامة، كان يذكر من كثرة ماله. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٩٤). وذكر إن ثعلبة بن عمرو بن عبيد أحد بني مالك بن النجار، وكان بدريا، عاش حتى اعطى عليا، يوم الجمل مائة الف درهما أعانه بها. (انظر: السخاوي: **التحفة اللطيفة**، جـ ١، ص ٣٨٩).

(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٦٦٥.

(٧) مسلم: **الصحيح**، جـ ٤، ص ١٩٩٧. وقد روى أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: أتدرون ما الصعلوك؟ قالوا: الذي لا مال له. قال: الصعلوك الذي له مال لم يقدم منه شيئا. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٥٢). والصعلوك في اللغة أيضا، الذي لا مال له. وقد تصعلك. وفي هذا يقول حاتم طيء:

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى ... فكلا سقاناه بأسهما الدهر

(انظر: ابن سيدة: **المحكم**، جـ ٢، ص ٢٩٥، ط ١، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة، ١٣٧٧ هـ).

(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٤.

معظمهم في التجارة، وخاصة المهاجرين منهم. وكان حاطب بن أبي بلتعة، حليف بني أسد بن عبد العزي بن قصي، تاجرا يبيع الطعام. وقد ترك يوم مات (سنة ثلاثين من الهجرة) أربعة آلاف دينار، ودراهما، ودارا، وغير ذلك(١).

ومن أسس الثروة المعتبرة في المجتمع المدني، غير النقود، امتلاك الأراضي الزراعية، لاستثمارها وبيع ثمرها(٢)، ويعد أبا طلحة (زيد بن سهل بن الأسود ابن حرام من بني النجار) أكثر أنصار المدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه، بئرحاء، وكانت مستقبلة المسجد وكان الرسول (ص)، يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، وقد تصدق بها على أقربائه، فيما بعد(٣)، ويذكر أن أحد الأنصار شكاه أخوته إلى الرسول (ص) فقالوا: إنه يبذر ماله ويبسط فيه. فقال له: ما شأن أخوتك يشكونك؟ قال: يا رسول الله إني آخذ نصيبي من التمر فأنفقه في سبيل الله، وعلى من صحبني. فقال الرسول (ص): انفق قيس (وهو اسم الصحابي الذي شكاه إخوته) ينفق الله عليك(٤). ومن هذا نستدل على أن التمر كان يعد أحد أسس الثروة المعتبرة بين الناس، في مجتمع المدينة، وكان يقوم مقام النقود في المعاملات والانفاق.

وبالاضافة إلى ما ذكر كان للثروة الحيوانية أهمية خاصة، حيث أنها كانت مصدرا هاما للالبان، واللحوم، وهما قوام المغيشة لمعظم السكان. وكانت لرسول الله (ص)، عشرون لقحة، ترعى بالغابة، وهي التي يعيش بها أهل رسول الله (ص)، يراح إليه كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن(٥). وللرسول (ص) ايضا، منائح من الغنم، سبعا، ترعاهن أم أيمن، مولاة رسول الله(٦)، صلى الله عليه وسلم. وربما ملك الشخص العادي من الناس، خمسمائة شاة من أجود أنواع الغنم وأحسنها(٧). وربما ملك أكثر من ذلك(٨).

ومما تجدر الاشارة إليه، أن ذكرنا لمصادر الغنى ومظاهره في مجتمع المدينة، لا يعني ـ بأية حال ـ أن جميع الناس كانوا أغنياء ومكتفين معيشيا، لأن سنة الله في خلقه، أن يكون في كل مجتمع أناس يغلب عليهم الفقر والحاجة. وقد كان المجتمع المدني ـ نسبيا ـ أفضل مجتمع تكاد تتلاشى فيه الهوة بين الأغنياء والفقراء، الذين كانوا يشكلون نسبة قليلة جدا من السكان.

---

(١) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ١١٤ ـ ١٥.

(٢) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، جـ ١، ص ٣١٤ ـ ١٥.

(٣) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٥٦٧،
ابن النجار: **الدرة الثمينة**، ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٤) واسم المذكور كاملا: قيس بن سلع الانصاري. (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٥٠).

(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٩٤، واللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن، والجمع لقاح. (انظر: مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ ٢، ص ٨٤٠).

(٦) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٩٥. والمنائح: مفردها منوح، للأبل والغنم، وهي التي يبقى لبنها بعد ذهاب ألبان مثلها. (انظر: مجموعة من المؤلفين: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٨٩٥).

(٧) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٦.

(٨) قيل أن أحد المهاجرين، أسره العدو، فغفلوا عنه، فاستاق غنمهم، فجاء بها، وهي أربعة آلاف شاة. (انظر ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٥).

## الصفة

وقد اهتم الرسول (ص)، بأمر الفئة الفقيرة من الصحابة، في مجتمع المدينة، فبنى ظلة في مؤخرة مسجده، في جهة الشمال، يأوي إليها المساكين. وكانت تعرف باسم الصفة[١]. ومكانها خارج المسجد، لاصقة به[٢]. ويعرف من يأوي إليها، بأهل الصفة[٣]. أو أصحاب الصفة[٤].

وكان بناء الصفة قد أنجز مع بناء المسجد النبوي في قبلته، لما كانت هذه القبلة في شمالي المسجد، لأنه صلى الله عليه وسلم، صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، إلى بيت المقدس، فلما حولت القبلة بقي حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة[٥].

والغرض الرئيسي من بناء الصفة هو إيواء فقراء الصحابة وتأمين معيشتهم[٦]، خصوصا، وأن الحالة المعيشية كانت في المدينة ـ كما أسلفنا القول ـ رديئة، إلى ما بعد فتح خيبر. وقد وصف أبو هريرة، رضي الله عنه، حال أهل الصفة، وكان أحدهم، يقول: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار، وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته[٧]. كما وصفوا أيضا، بأنهم أهل الحاجة[٨]. وكان أبو هريرة يقول: كنت من أهل الصفة في حياة رسول الله (ص)، وان كان ليغشى عليَّ، فيما بين بيت عائشة وأم سلمة، من الجوع[٩].

ولما جاء الله تعالى بالغنى، أصبح أهل الصفة، مجموعة من أصحاب رسول الله (ص)، لا منازل لهم، ينامون

---

(١) السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٤٥٣. والصفة: بضم الصاد وتشديد الفاء: واحده صفف الدار، وهي مكان مظلل اعد لنزول الغرباء فيه، ممن لا مأوى ولا دارا له. (انظر: مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٧، ياقوت: **معجم البلدان**: جـ ٣، ص ٤١٤).

(٢) المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٣٠ ـ ٣١.

(٣) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٢٥٥.

(٤) مجهول: المصدر السابق، ورقة ٧،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٥٤.

(٥) ابن فضل الله: **مسالك الأبصار**، جـ ١، ص ١٢٤.

(٦) ابن النجار: **الدرة الثمينة**، ص ٧١ ـ ٧٢.

(٧) ابن النجار: نفس المكان.
المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٣٠. وأبو هريرة، صحابي جليل، وكان أحفظ الصحابة لأخبار رسول الله (ص)، وهو من قبيلة دوس، أسلم بين الحديبية وخيبر. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٧).

(٨) قالت أم سلمة، رضي الله عنها: كان أهل الحاجة من الصحابة: ربيعة بن كعب وأسماء وهند ابنا حارثة الأسلميين، وطهينة (وقيل طهيفة، وقيل طخفه الغفاري، وهو المرجح)، وعباد بن خالد الغفاري، وجعيل بن سراقه وعرباض بن ساريه وعمر بن عوف، وعبد الله بن مغفل، وأبو هريرة، وآثلة بن الأسقع. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٣٥، ٢٦٤).

(٩) ابن سعد: **الطبقات**: جـ ١، ص ٢٥٦.

في المسجد، ويظلون فيه ليس لهم مأوى غيره(١). وهم أيضا، أضياف الاسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا أحد(٢). وذكر في هذا المجال، أنه لما كثر المجاهدون بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا مأوى، أنزلهم رسول الله (ص)، المسجد(٣). وكان من قدم المدينة، فكان له بها عريف، نزل على عريفه، ومن لم يكن له بها عريف نزل الصفة(٤).

ومما سبق، نرى أن أغراض ومهام الصفة، قد تطورت كثيرا ولم تعد مهمتها وقفا على إيواء وإطعام الفقراء من الصحابة فحسب، بل أصبحت مع مرور الزمن ومجيء الغنى، أشبه ما تكون بدار الضيافة، تستقبل من لا أهل له ولا دار في المدينة، إلى أن يتدبر أمرّه ويجد له سكنا ومصدر رزق يعيش منه. وهذه الحال التي أصبحت عليها الصفة جعلها تعرف باسم صفة المهاجرين(٥).

وذكر أن الرسول (ص)، كان يجالس أهل الصفة ويوآنسهم(٦). ويتدارس معهم القرآن وأمور دينهم(٧)، كما كان يدعوهم إلى طعامه، ولو في ظلمة الليل(٨)، قبل أن تتطور أحوالهم المعيشية.

وقد نتج عن طول تلك الملازمة، بين أهل الصفة ورسول الله (ص)، أن أصبحوا أكثر من غيرهم حفظا لأخبار رسول الله وأحاديثه وأفعاله(٩). ولعل هذا يعد هدفا من الأهداف التي بنيت من أجله الصفة، إذ عمل على حفظ الصلة الدائمة بين الرسول (ص)، وبين فئة من الصحابة، لم تشغلهم هموم العيال والأهل أو سائر مطالب الحياة، عن تلقي العلم من رسول الله، صلى الله عليه وسلم(١٠). وقد شهد الجميع، لأهل الصفة بهذه الفضيلة. فذكر أن رجلا جاء إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني أعلم بحديث رسول الله (ص) منكم - يعني أبا هريرة - نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم؟ قال: أما أن قد سمع من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما لم نسمع، فلا أشك، وسأخبرك. إنا كنا أهل بيوت، وكنا إنما نأتي رسول الله غدوة وعشية، وكان مسكينا لا مال له، إنما هو على باب رسول الله (ص)،

---

(١) ابن سعد: **الطبقات**، جـ١، ص ٢٥٥.
(٢) ابن النجار: **الدرة الثمينة**، ص ٧١ - ٧٢،
السمهودي: **الوفاء**، جـ٢، ص ٤٥٥.
(٣) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٧.
(٤) السمهودي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٥٦.
(٥) ابن الاثير: **أسد الغابة**، جـ١، ص ٧٣ - ٧٤،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ١، ص ٣٦.
(٦) مجهول: المصدر السابق، ورقة ٧،
السمهودي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٥٤.
(٧) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ١، ص ٧٣ - ٧٤.
(٨) ابن سعد: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٥٥ - ٥٦.
ابن النجار: المصدر السابق، ص ٧١ - ٧٢.
(٩) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٤، ص ٢٠٦.
(١٠) البخاري: **الصحيح**، جـ٣، ص ٤٦.

فلا أشك أنه قد سمع مالم نسمع[(١)]

وقد زاد عدد أهل الصفة على مائة رجل[(٢)] . وقيل أن أهل الصفة كانوا إذا أمسوا انطلق الرجل من الصحابة بالواحد منهم والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة للعشاء . فاما سعد بن عبادة، سيد الخزرج ، فكان يعشي كل ليلة ، ثمانين من أهل الصفة[(٣)] .

ومما تجدر الاشارة إليه ، أن إقامة الصحابة في الصفة ، لم تكن دائمة . فكانوا يكثرون ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر[(٤)] . وكانوا من عدة قبائل عربية ، وكان فيهم بعض الموالي[(٥)] .

**منازل الوفود**

والذي يبدو لنا ، أن الصفة كانت تؤدي خدماتها كاملة ، إلى أن بدأ تتابع الوفود على المدينة ، بالشكل الكبير الذي استلزم - ولا ريب - التفكير في ايجاد مكان واسع يكون بديلا للصفة ويستوعب الاعداد الكثيرة للوافدين والمهاجرين الجدد، ويضمن تقديم واجبات الضيافة لهم . وكانت ارهاصات ذلك التفكير ، قد ظهرت ، فيما رواه أهل السير ، من أن أحد الصحابة (محمد ابن مسلمة الأنصاري) رأى أضيافا عند رسول الله (ص)، في المسجد . فقال : «ألا تفرق هذه الأضياف في دور الأنصار، ونجعل لك من كل حائط (بستان أو نخل) قنوا ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام؟ فقال الرسول (ص) : بلى[(٦)] . وكانت الخطوة الثانية لحل مسألة إنزال وفود وأضياف الاسلام المتزايد

---

(١) الذهبي : **سير أعلام النبلاء**، جـ ١ ، ص ٢٤ . وطلحة ، هو ابن عبد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي . أحد العشرة المبشرين بالجنة . وأحد الثمانية ، الذين سبقوا إلى الاسلام ، مات سنة ست وثلاثين من الهجرة، وله أربع وستون سنة . (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢ ، ص ٢٢٩).

(٢) السمهودي : **الوفاء**، جـ ٢ ، ص ٤٥٣ .

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢ ، ص ٣٠. وذكر أن الرسول (ص)، كان يفرق أهل الصفة على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم معه، حتى جاء الله تعالى بالغنى (انظر: ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١ ، ص ٢٥٥).

(٤) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٧ .

(٥) وممن عد في أهل الصفة عدا من مر ذكرهم : أسماء بن حارثة بن سعيد الأسلمي ، وأوس الثقفي ، وبلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق، وثوبان مولى رسول الله (ص)، وجابر بن حميل الأشجعي ، والأسفع البكري، وجرهد بن خويلد الاسلمي ، والحارث بن نبيه ، والد أنس، وربيعة بن كعب الأسلمي ، وسالم بن عبيد الأشجعي ، وطهفة أو طخفة بن قيس الغفاري ، وعبد الرحمن بن قرط الثمالي ، وعرباض بن سارية السلمي ، وغرقة الأزدي ، وهلال، مولى المغيرة بن شعبة وغيرهم . (انظر: ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١ ، ص ٢٥٦ ، السخاوي: **التحفة اللطيفة**، جـ ١ ، ص ٣٣٥ ، ٣٧١ ، ٣٨١ - ٨٦، المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٣١ ، ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١ ، ص ٣٦ ، ٣٩ ، ٢٣١ ، ٢٩١ ، ٥١١ ، جـ ٢ ، ص ٥ ، ٢٣٥ ، ٤١٩ ، ٤٧٣ ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٦٠٨ وفي أماكن متفرقة).

(٦) ابن النجار: **الدرة الثمينة**، ص ٧٢ - ٧٣. ونحب أن نشير إلى أن ابن سعد وابن حجر، لم يذكرا شيئا عن أمر وضع الأقناء في المسجد . وقد، رجحنا أنه هو المذكور في الرواية على اعتبار إنه لم يكن في الصحابة، ممن ذكرهم ابن سعد أو ابن حجر، أحد بهذا الاسم، سوى محمد بن مسلمة الأنصاري، الذي ولد قبل البعثة النبوية باثنتين وعشرين سنة . (انظر: **الطبقات**، جـ ٣ ، ص ٤٤٣ - ٤٤٥ ، **الاصابة**، جـ ٣ ، ص ٣٨٣ - ٨٤). والقنو: هو العذق بما فيه من الرطب، والجمع أقناء. (انظر المرجاني: **تاريخ هجرة المختار**، ورقة ١٣٠ - ٣١ ، مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ ٢ ، ص ٧٧٠).

عددهم، هي تخصيص مكان خاص لنزولهم، عرف باسم منزل الوفد[١]. ولم تكن تلك الفكرة جديدة على المجتمع الاسلامي - في الواقع - إذ أنها صاحبت أحداث الهجرة، واقترنت بها، حين نزل العزب من الهاجرين، دار سعد بن خيثمة في قباء[٢]. ونزل معظم المهاجرين على كلثوم بن الهدم[٣]، وعلى رفاعة بن عبد المنذر[٤].

ونحب أن نشير في هذا الصدد، إلى أننا لم نجد ما يجلي الغموض عن طبيعة نزول معظم المهاجرين، مع بدء الهجرة، على تلك الفئة المحدودة من الأنصار. وهل كان نزولهم بأجر أم كان تبرعا منهم لوجه الله؟ ومن استقرائنا للنصوص الواردة في كتب التراجم والطبقات، لم نجد ما يدل على فقرهم أو غناهم الكبير. وذلك يحمل على الاعتقاد أنهم كانوا من أواسط الناس. ولا يستبعد أنهم كانوا يأخذون على ايوائهم للنزلاء في بيوتهم أجرا معلوما، خصوصا، وأن المدينة كانت محطة تجارية ومستراحا لقوافل التجار المارين بها، من الجنوب إلى الشمال والشرق، والذي لا بد وأنهم قد طلبوا مكانا يؤمن لهم الراحة والأمان، نظير شيء معلوم يقدمونه، من بضائعهم أو أرباحهم. والذي حملنا على هذا الاعتقاد، ما لوحظ من تكرر نزول كثير من المهاجرين عليهم، مع أن في المدينة عددا من الصحابة هم أكثر من أولئك مالا، وأرفع منهم منزلة اجتماعية وقيادية بين القوم، مما يجعلهم أحرص على أن ينزل المهاجرون عليهم دون غيرهم، لو أن في الأمر مفاخرة أو تسابق على فعل الخير.

والظاهر أن تخصيص منزل بعينه للوفود في المدينة، قد جرى مع بداية سنة تسع من الهجرة. فقد ذكر أن سبعة نفر من قبيلة خشين، قدموا بعد خيبر، فنزلوا على أبي ثعلبة الخشني[٥]. وحين قدم وفد بهراء من اليمن، وهم ثلاثة عشر رجلا، أقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهوا إلى باب المقداد بن عمرو، ببني جديلة، فخرج إليهم المقداد فرحب بهم وأنزلهم في منزل من الدار[٦].

وتعد دار رملة بنت الحارث، أشهر منازل الوفود في المدينة، على عهد الرسول (ص)، وذلك لتكرر ذكرها - منذ سنة تسع من الهجرة - حين يذكر إنزال الوفود في المدينة[٧]. وكان اتخاذ دار رملة لتكون منزل الوفد في المدينة، إنما يعود

---

(١) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٣٢.

(٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٠٥.

**دار سعد بن خيثمة**: جنوبي مسجد قباء، تلي جدار قبلته. وهناك أيضا دار كلثوم بن الهدم، جوارها. وقد تهدمت الداران قديما وبنت وزارة المعارف السعودية في مكانهما المدرسة الابتدائية للبنين. (انظر: الديار بكري: **تاريخ الخميس**، جـ ١، ص ٣٣٦، الفيروز آبادي: **المغانم المطابة**، ص ٣٢٧، الأنصاري، عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، ص ٢٥ - ٢٧).

(٣) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٠٤، ٤٠٧ - ١٨.

(٤) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٠٥، وفي أماكن متفرقة.

(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٣٢٩.

(٦) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٣١.

(٧) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٢١٦، ٢٩٩ - ٣٠٢، ٣١٥، ٣٢٤. ورملة بنت الحارث، تذكر في المبايعات، وهي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحرث بن زيد الأنصارية النجارية. وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٣٠٥).

إلى أنها كانت واسعة وفيها نخل[١]. وقد ذكر في هذا الصدد أن بني قريظة، لما حكم فيهم سعد بن معاذ، حبسوا في دار رملة بنت الحارث[٢]. والمعروف أن عدد من حبس من بني قريظة، كان يزيد على الثمانمائة[٣]. وهو عدد كبير كان يستلزم - ولا ريب - تهيئة مكان واسع لاستيعابهم.

**ثانيا: اعتماد الناس في المدينة المنورة على الخدم والموالي لقضاء أمورهم**

لم تكن ظاهرة الاعتماد على الخدم في المجتمع المدني، وليدة ظروف الهجرة فحسب، بل كان أهل المدينة - بحكم كونهم يعتمدون في حل حياتهم الاقتصادية، على الزراعة - يندر أن تخلو بيوتهم من وجود خادم مملوك أو غلام، كما كان يدعى، يعينهم في أمورهم ويساعدهم في زراعتهم[٤].

ويبدو لنا، أن تلك الظاهرة قد أصبحت ملموسة - أكثر من ذي قبل - مع تعدد مهام المسلمين في المدينة، بعد الهجرة وانصراف معظمهم للقيام بمسؤليته، نحو تثبيت أمر الاسلام، والجهاد في سبيل الله. وذلك أوجد للعبد أهمية كبيرة، في المجتمع المدني، حتى تساوى دوره في نظر المسلمين، بالدور الذي تقوم به الخيل في الجهاد[٥]. وفي هذا ذكر أن سعد بن عبادة سيد الخزرج، كان يغزو على عهد الرسول (ص)، سنة ويغزو ابنه قيس سنة. وكان سعد إذا غزا، أعطى مفاتيح خزائنه لمولاه نسطاس، موليه ثقته، يتصرف بأمواله كيفما شاء[٦].

وقد بلغ من أهمية ضرورة تواجد الخدم في المجتمع المدني، أن أحد بني مزينة (معاوية بن سويد بن مقرن المزني) قال: كنا بني مقرن لنا غلام، فلطمه بعضنا، فأتى النبي (ص)، فشكا إليه فأعتقه. فقيل: يارسول الله إنه ليس فيهم خادم غيره. فقال: فليخدمهم حتى يستغنوا[٧]. ويمكننا أن نستخلص من هذه الحادثة عدة معان وحقائق تاريخية، عن مجتمع المدينة، فهي تؤكد مدى الضرورة الملحة لاعتماد الناس على الخدم، وتظهر في نفس الوقت طبيعة العلاقة بين السادة والخدم ومدى الحرص على حفظ حقوقهم، لدرجة أنه كان من حق ولى الأمر، أن يعتق أي عبد يشتكي ظلم مولاه[٨].

---

(١) الخزاعي: الدلالات السمعية، ورقة ١٩٣،
الكتاني: التراتيب الادارية، جـ ١، ص ٤٤٥ - ٤٦.
(٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٠٥.
(٣) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٣، ص ٧٢١.
الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ٤٨٨.
(٤) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٩٧،
ابن كثير: السيرة، جـ ٢، ص ٢٥٣،
الديار بكري: تاريخ الخميس، جـ ١، ص ٣٣٧.
(٥) روى أن الرسول (ص)، قال: ليس على المسلم في عبده ولا في فرسه صدقة. (انظر: مالك: الموطأ، جـ ١، ص ٢٧٧).
(٦) ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٥٥٣. وروى أن عمير مولى أبي اللحم قال: كنت مملوكا فسألت النبي (ص): أتصدق من مال مولاي بشيء؟ قال: نعم. والاجر بينكما. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٣٨).
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٣٤ - ٣٥.
(٨) وهناك شواهد أخرى، تذكر مجيء بعض العبيد إلى رسول الله (ص)، يشتكون ظلم سادتهم فيصرفهم الرسول (ص)، أحرارا معتقين. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٥٥١).

وقد تعددت مهام الخدم وتشعبت في المجتمع المدني ـ على عهد الرسول (ص) ـ فمنهم من كان يعالج لسادته تجارتهم، إذا كانوا تجارا[١]، أو يرعى غنمهم[٢]، أو يدير شئون البيت الأخرى[٣].

ولم تكن الخدمة، على عهد الرسول (ص)، قصرا على العبيد والموالى. فكان من الصحابة من خدم النبي (ص)، واستمر في خدمته، وإن لم يكن مملوكا أو مولى. ومن أولئك هند وأسماء ابنا حارثة الأسلميين، كانا يخدمان رسول الله (ص) لا يريمان بابه، حتى قال بعضهم: ما كنت أظنهما إلا مملوكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم[٤]. ومنهم أيضا أنس بن مالك الأنصاري[٥]، وخالد بن سيار الغفاري، وكان سائق بدن رسول الله (ص)، هو وحسان الأسلمي[٦]. وعياذ بن عمرو السلمى[٧]، والهيثم بن نصر الأسلمي، وكان يأتيه بالماء من بئر أبي الهيثم بن التيهان[٨]، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وكان صاحب نعليه[٩].

وكان للرسول (ص)، بعض العبيد، فأعتقهم وظلوا في خدمته[١٠]، ومنهم يسار الراعي، كان غلاما للنبي (ص)، فنظر إليه يحسن الصلاة فأعتقه وبعثه في لقاح له بالحرة[١١].

ولم تقتصر الاستفادة من الموالى والعبيد على الخدمة وإدارة شئون البيت فحسب، بل إن صاحب العبد، ربما استخدم مولاه كحرفي يعمل بيده، أو أجره بنسبة معينة يأخذها من أجرته[١٢]. وربما اشترى الرجل العبد لهذا الغرض، يعمل لحسابه، إما حجاما أو قصابا أو نجارا[١٣]. ومما يستدل به على مدى شيوع عادة استخدام السادة، لمواليهم، كأجراء وحرفيين، ما روى من أن الرسول (ص)، قال: وهبت خالتى فاخته بنت عمرو، غلاما وأمرتها أن لا تجعله جازرا ولا صائغا ولا حجاما[١٤]. ويظهر أن شرط الرسول (ص) على خالته، أن لا تجعله في تلك المهن، ربما جاء لأمور توسمها الرسول (ص)، في ذلك الغلام وأمل أن يبذ فيها. وكان الرسول (ص)، قد احتجم، فحجمه أبو

---

(١) الاصفهاني: **الأغاني**، جـ ١، ص ٥٢.
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٦٤٨.
(٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٣.
(٤) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٩٧،
ابن عبد البر: **الاستيعاب** (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)، ص ٩٧ ـ ٩٨.
(٥) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٩٧.
(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٠٧.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٦.
(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦١٥.
(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٦٨ ـ ٦٩.
(١٠) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٩٧ ـ ٩٨.
(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٦٦٦ ـ ٦٧.
(١٢) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٩٧٤.
(١٣) البخاري: **الصحيح**، جـ ٣، ص ٥١، ٥٢، ٥٤.
(١٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٣٧٤.

ظبية، فأمر له بصاع من تمر. وأمر أهله أن يخففوا عنه من خراجه[١]. وقد قيل أن الزبير بن العوام كان له ألف مملوك، يؤدون إليه الخراج[٢]. وذكر أن رجلا، في زمان رسول الله (ص)، أعتق عبيدا له، ستة، عند موته. فأسهم رسول الله (ص)، بينهم، فأعتق ثلث تلك العبيد ولم يكن لذلك الرجل مال غيرهم[٣]. ويبدو أن الرسول (ص)، قد أراد بذلك أن لا ينقطع مورد رزق من كان يعيلهم ذلك الرجل من ورثته، حين يعتق كل عبيده.

على أن ما سبق ذكره، لا يعني أن المولى أو العبد كان لا يعمل أبدا لصالح نفسه. حيث ذكر أن سعد بن عائذ مولى عمار بن ياسر، اشتكى إلى النبي قلة ذات يده، فأمره بالتجارة، فخرج إلى السوق فاشترى شيئا من القرظ، فباعه فربح فيه[٤].

وقد اتجه الناس، في المجتمع المدني ـ كما سبق أن ذكرنا ـ إلى الاكثار من استخدام المخصيين والمجبوبين وكذلك المخنثين، للخدمة في البيوت، مراعاة لتقاليد الاسلام، التي كانت لا تبيح الاختلاط بين النساء والرجال، إلا إذا أمنت الفتنة. ومن أجل ذلك كان الرسول (ص)، يعين بعض الصحابة ليحدو بالرجال، وكان أنجشة الأسود ـ وهو من المخنثين ـ يحدو بالنساء[٥]. فإذا أعنفت الابل قال النبي (ص): يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير[٦]. وكان ماتع، أحد هؤلاء، هو وآخر، اسمه هيت، في بيوت النبي (ص)، يقومان بالخدمة بين نسائه[٧]. ويذكر أن آنة المخنث، كان يأتيه الشخص، إذا أراد أن يتزوج، ليدله على امرأة يخطبها، إذ كان مطلعا على مساوىء ومحاسن النساء وعارفا بهن، لملازمته لهن في البيوت[٨]. وقد أمر الرسول (ص)، بإخراج آنة المخنث من المدينة[٩]، لتلك الخلة فيه وكشفه لأسرار النساء، والتشبب بهن.

وبالاضافة إلى ما ذكر، استعين بالغلمان الصغار الذين لم يحتلموا بعد، للخدمة في البيوت بين النساء[١٠]. كما

---

(١) وقوله من خراجه: ما يقرره السيد ـ حينذاك ـ على عبده أن يؤديه إليه كل يوم أو شهر أو نحو ذلك. (انظر: مالك المصدر السابق، جـ ٢، ص ٩٧٤).

(٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٤٦. وقد شهد الزبير بن العوام بدرا، وقتل سنة ست وثلاثين من الهجرة، بعد أن انصرف يوم الجمل. (انظر: ابن حجر: نفس المكان).

(٣) مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٧٤.

(٤) ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٢٩.

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٦٧ ـ ٦٨. والخصي: هو فاقد الخصيتين مع بقاء الذكر، والمجبوب هو الذي استؤصل ذكره وخصياه، وقد جب جبا. (انظر: ابن منظور: لسان العرب، جـ ١، ص ٣٩٢). والمخنث: هو من يشبه خلقة النساء في حركاته وكلامه، وكان فيه لين وتكسر، ولا يشتهي النساء. (انظر: الكتاني: التراتيب الادارية، جـ ٢، ص ٤٤١).

(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٦٧ ـ ٦٨.

(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٣٣٥ ـ ٣٦.

(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٧٥.

(٩) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٧٥.

(١٠) ومن أولئك: إبراهيم، مولى أم سلمة كان عبدا يعمل في بيت أم سلمة فلما بلغ مبالغ الرجال أعتقه الرسول (ص). (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٢). وكان بكر بن الشداخ الليثي، ممن كان يخدم الرسول (ص)، في بيته، وهو غلام صغير، فلما احتلم أعلم الرسول (ص)، بذلك فدعا له. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٦٤).

استعين بالنساء كخادمات، إلا أنهن كن ـ في الغالب ـ من الجواري المملوكات[١]. وكان ممن خدم منهن في بيت الرسول، صلى الله عليه وسلم: سلمى، جدة عبد الله بن على بن ابي رافع، مولى الرسول، صلى الله عليه وسلم، وخضرة، ورضوى، وميمونة، أعتقهن الرسول (ص)، كلهن[٢]. وكان من أهل المدينة، من أسند إلى الجواري أمر رعي أغنامهم حول جبل سلع[٣]. وقد يتسرر الحر جاريته ويعاشرها كزوجة[٤]. وقد جمع بعض الموسرين وأهل الغنى في المدينة، عددا من الجواري والغلمان للخدمة في بيته[٥].

---

(١) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٩٧.

(٢) ابن سعد: نفس المكان.

(٣) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٧٧٦ ـ ٧٧.

ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٢٨.

(٤) الطبري: **جامع البيان**، جـ ٥، ص ١٥ ـ ١٦،

ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٤٧.

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٥٥١.

الفصل الثاني

# الحالة الاقتصادية في المدينة المنورة خلال العصر النبوي

- الزراعة
- التجارة
- المهن والحرف العامة

**اولا ـ الزراعة**

لقد ساعد تطويق الجبال والحرار البركانية لموقع المدينة المنورة، على جعل تربتها جيدة الخصوبة(1)، كما عمل ذلك التكوين، الذي يشبه الحوض الجبلي(2)، على حجز المياه الجوفية العذبة، مما جعل في الاستطاعة الوصول إليها، في أي بقعة من ذلك الحوض، عند حفر الآبار(3). وقد تضافرت تلك العوامل، بالاضافة إلى وجود عدد كبير من الأودية التي تسيل على سطحها، في وقت الأمطار والسيول من تلك الجبال والحرار(4)، على جعل المدينة ـ في المقام الأول ـ مدينة الزراعة والمزارعين(5). إذ أن معظم أهل المدينة، كانوا يملكون البساتين وحدائق النخيل، وكانوا يعملون فيها بأنفسهم(6)، يستوي في ذلك الصغير والكبير(7).

وكانت بساتين أهل المدينة، وحدائقهم، تعرف بالحوائط(8). وهي لم تكن ـ في أغلب الأحيان ـ كبيرة المساحة،

---

(1) *Brita; Ency*. vol. 15.p.206.

(2) *Brita;* Ency. Loc. cit.

(3) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣١،
المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٨٠،
المطري: **التعريف**، ص ٥٦ ـ ٦٢،
*Brita; Ency*. o.p.cit, p.206.

(٤) اليعقوبي: **البلدان**، ص ٧٢،
المطري: المصدر السابق، ص ٦٣.

(٥) ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٥، ص ٨٢ ـ ٨٦،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٤٣ ـ ٤٤،
*Brita; Ency*. o.p.cit, p.207.
الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٥٦.

(٦) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٣٦١ ـ ٦٣،
الطبري: **جامع البيان**، جـ ٢، ص ٥٩٣،
مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٥٩٢.

(٧) ذكر أن الرسول (ص)، لما رجع من غزوة تبوك، استقبله سعد بن معاذ، سيد الأوس فقال: ما هذا الذي أرى بيدك ياسعد؟ قال: من أثر المسحاة، أضرب وأنفق على عيالي. (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٨).

(٨) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٣، ص ٦٠٦،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ١، ص ٤٠١، جـ ٢، ص ٤٧. والحوائط: مذكره، في معنى الحدائق، ومعنى الجنات. والحائط، هو الحديقة من النخل، وهو أيضا الجدار، لأنه يحوط ما فيه، والجمع حيطان، وحوط حائطا، عمله. فسميت الحديقة حائطا من هذا إنه يحوطها. (انظر: المطري: **التعريف**، ص ٥٨، الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ١٥٧).

وربما كان متوسطها مائة ذراع في مثلها[1]. ويشتمل الحائط ـ غالبا ـ على بئر خاصة به، إلى جانب أطم يكون جواره، لتوفير الحماية[2]. بل إن بعضهم ـ زيادة في الحيطة والحذر ـ لم يجعل لحائطه أي باب ظاهر، سوى فتحة صغيرة جدا، يدخل منها إلى جوف الحائط جدول ماء صغير من إحدى الآبار القريبة منه، وكانوا يسمون ذلك الجدول ربيعا[3]. ومعظم إنتاج تلك الحوائط، كان للاستهلاك الشخصي، وأحيانا، كان الرجل يبيع ثمر حائطه، ويحتفظ بما يكفي قوت عياله[4].

وربما عمل الرجل الذي ليس لديه حائطا خاصا به، في حيطان أهل المدينة بأجر معلوم من التمر[5]. وقد يعمد صاحب الحائط إلى اعطاء حائطه لشخص، يزرعه ويسقيه ويتعهده مقابل ربع الثمرة أو ثلثها أو نصفها أو أقل من ذلك أو أكثر وهي طريقة تعرف بالمزارعة[6].

وكانوا يعتمدون في سقيا حوائطهم، على مياه الأودية[7]، أو مياه الآبار[8]. حيث يرفعونها، مستخدمين الابل النواضح[9]. كما استخدموا البقر لحرث أراضيهم[10].

وقد اتبعت وسائل عديدة، على عهد الرسول (ص)، لحث الناس على الزراعة والاقبال على ممارستها. فكان العرف السائد، أن من أحيا أرضا ميتة فهي له[11]. هذا بالاضافة إلى التوسع في إقطاع الاراضي الزراعية لمعظم المهاجرين، في وادي العقيق[12]، وفي منطقة العالية[13]. ويذكر أن الرسول (ص)، أعطى أحد المهاجرين من حرة

---

(١) ذكر أن مساحة موضع مسجد الرسول (ص)، لم تزد على المائة ذراع في مائة، وكان قبل ذلك حائطا لبني النجار. (انظر: الطبري: **تاريخ**، جـ ٢، ص ٣٩٧، السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٣٢٢ ـ ٣٤).

(٢) المطري: المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣) مسلم: **الصحيح**، جـ ١، ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٤) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٦٢١ ـ ٢٢،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣٨.

(٥) الطبري: **جامع البيان**، جـ ٢، ص ١٦٦ ـ ٦٧.

(٦) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٢١،
ابن سيده: **المحكم**، جـ ٣، ص ١.

(٧) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٥٩٢.

(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٩٦.

(٩) مسلم: **الصحيح**، جـ ١، ص ٥٦،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٩٦،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٤٧. والابل النواضح، هي التي يستقي عليها. الذكر منها ناضح والأنثى ناضحة. (انظر: مسلم: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٦، وانظر الهامش رقم ٢، نفس المكان).

(١٠) الكتاني: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٦.

(١١) مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٤٣.

(١٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٥.

(١٣) البلاذري: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ٢٢.

الوادي، مبذر صاع[١]، وأعطى غيره، بئرا بوادي العقيق [٢] . وهذا يدل على أن القطائع، كانت لجميع الفئات، ولذلك اقتصد في توزيعها، حتى ينال كل نصيبه.

ونتيجة لهذا التوسع الزراعي، خارج المدينة، أصبح معظم بساتينها في ظاهرها، ومحيطة بأكثرها[٣].

وقد اتبعت وسائل عدة، للحفاظ على الثروة النباتية في المدينة ـ على عهد الرسول (ص) ـ فمنع قطع السدر، إلا من حرث[٤] . وقد استمر هذا التقليد، إلى عهد عمر بن الخطاب، إذ عين حارسا مهمته معاقبة من يقطع من السمر شيئا[٥] .

وكان للري نصيب كبير في التنظيم الزراعي على عهد الرسول (ص)، فقضى في سيل أودية، مهزور ومذينيب وبطحان، أن يحبس الماء في الأرض إلى الكعبين. فإذا بلغ الكعبين أرسل إلى الأرض الأخرى، لا يمنع الأعلى الأسفل[٦] . وذكر أيضا أن لأهل النخل إلى العقبين ولأهل الزرع إلى الشراكين[٧] . أما مسايل الماء في الحرار الى السهول، فقضى في مائها أن يسقى الأعلى أرضه ثم يرسل الماء إلى جاره حتى وإن كانت تلك المسايل في أرض الأول[٨] .

وقد ملك المهاجرون كثيرا من الأراضي الزراعية الواسعة بالغابة[٩]، وبالحرة الشرقية[١٠]. وكانت أموال بني النضير، بالعالية، قد أصبحت خالصة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم[١١]، بعد اجلائهم، في سنة أربع من

(١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٨٥ .
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٢٢٤ .
(٣) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٨٠.
(٤) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣٢٤.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ١٠٨ .
(٦) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٧٤٤،
البلاذري: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ٩،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٨٧.
(٧) البلاذري: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٠ . والعقبين: مفردها عقب، وهو مؤخر القدم. (انظر: الزمخشري: **أساس البلاغة**، ص ٤٢٨، معلوف، لويس: **المنجد**، ص ٥١٨، والمطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠). والشراك، رباط النعلين أو سيرها على ظهر القدم. (انظر: الزمخشري: المصدر السابق، ص ٣٢٨، معلوف، لويس: المرجع السابق، ص ٣٨٤).
(٨) البلاذري: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ١١ ـ ١٢.
(٩) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٧٥٢.
(١٠) البلاذري: المصدر السابق، جـ ١، ص ١١ ـ ١٢.
(١١) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٣، ص ٦٨٤.

الهجرة[(١)]. وكان يزرع تحت النخل، في أرض تلك الأموال، فيدخر من ذلك، قوت أهل وأزواج الرسول (ص)، سنة. وما فضل، جعل الكراع والسلاح[(٢)]. وكان الرسول (ص)، قد أقطع بعض المهاجرين واثنين من الانصار، بعض أراضي بني النضير[(٣)].

وتعد النخلة، أهم الأشجار المزروعة في المدينة، وأكثر أموال أهلها[(٤)]، ومنها معاشهم وأقواتهم[(٥)]. وقد بلغ من أهمية زراعة النخلة، على عهد، الرسول، صلى الله عليه وسلم، أن أصبح من حق العبد أن يكاتب صاحبه على عدد من النخل يحييها له بالفقير[(٦)]. وكانوا يتخذون من جريدها وجذوعها سقوفا وأعمدة لبيوتهم[(٧)]، هذا إلى جانب انتفاعهم بأليافها وخوصها في صنع المكاتل والقفف والحصر، ونحو ذلك[(٨)]. وكان ثمر النخلة، أهم الثمار لدى أهل المدينة، وآثره لديهم. فكانوا إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى الرسول، صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه قال: اللهم بارك لنا في تمرنا[(٩)].

وتمر المدينة أصناف كثيرة جدا، منها الأسود والأحمر[(١٠)]. وأشهر أصنافه، على عهد الرسول (ص): العجوة، وعذق زيد[(١١)]. وكان محصول التمر يكفي حاجة السكان ـ في غالب السنين ـ ولذلك كانوا يبيعون منه الفائض، بسعر أغلى من السعر الذي يشترون به القمح المستورد من الشام[(١٢)]. ويعود سبب ذلك الى كون التمر عماد معيشتهم، ولأن زراعته، كانت تكلفهم كثيرا من الجهد والوقت. ويذكر أنه ربما أصاب نخلهم آفات زراعية مثل القشام، فيذهب ثمرتهم تلك السنة[(١٣)].

(١) ابن اسحاق: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٦٨٢.
(٢) البلاذري: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٨.
(٣) البلاذري: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٨ ـ ٢٢.
(٤) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٤٢، اليعقوبي: **البلدان**، ص ٧٣.
(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧، اليعقوبي: المصدر السابق، ص ٧٣.
(٦) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٤٤. والفقير للنخلة، الحفيرة، وإذا خرجت النخلة من النواة، فهي عريسة، ثم يقال لها: ودية، ثم فسيلة، ثم اشاءة، فاذا أنت اليد فهي جبارة، وهي العضيد، والكتيلة. ويقال للتي لم تخرج من النواة، لكنها اجتثت من جنب امها: قلعة وجثيثة، وهي الجثائث، والهراء، ويقال للنخلة الطويلة: عوانه، بلغة عمان، وعيدانه بلغة غيرهم، وهي فيعاله من عدن بالمكان اقام به. (انظر: السهيلي: **الروض الانف**، جـ ١، ص ٢٥٠ ـ ٥١).
(٧) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ٥.
(٨) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٩١، البخاري: **الصحيح**، جـ ١، ص ٧٢، الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٥٧.
(٩) السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٥٣.
(١٠) الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٥٣.
(١١) البخاري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٥٩. والعجوة، ضرب من أجود التمر بالمدينة. والعجوة أيضا، ما يخلط من التمر بعضه ببعض ويركم. أما عذق زيد، فإن العذق، كل غصن له شعب، وهو هنا قنو النخلة. (انظر: مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ ٢، ص ٥٩٣، ٥٩٦).
(١٢) الكتاني: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٢ ـ ٥٣.
(١٣) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٠٩. والقشام، شيء يصيب البلح، بمثل الجدري، فيقير. (انظر: ابن سعد: نفس المكان).

أما غلات الحبوب، مثل القمح والشعير، فتأتي بعد محصول التمر من حيث الكثرة، إذ كانوا يزرعونها تحت النخل(١). ولم يكن هناك مزارع خاصة بالحبوب، إلا بعد قيام بعض المهاجرين بتولي هذا الامر(٢). وكان الشعير يحتل المقام الأول، في اعتماد الناس عليه(٣)، بينما كانت زراعة القمح - فيما يبدو - لا تكفي حاجة أهل المدينة، ولذلك ذكر أن القمح كان يحمل من البلقاء إلى المدينة(٤).

وقد عمل المهاجرون - فيما بعد - على التوسع في زراعة القمح وعلى وجه الخصوص، ما ذكر من أن طلحة بن عبيد الله التيمي، كان أول من زرع القمح بوادي قناة شمالي المدينة(٥). ومع ذلك فإن محصول القمح لم يكن يسد حاجتهم، ولذلك اتجهوا إلى تعويض النقص، بالاستيراد من الخارج، حيث ذكر أن عبد الرحمن ابن عوف، قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام عامة(٦).

وإلى جانب ما ذكر كان يزرع في المدينة بعض الفاكهة. ومن بساتينها، ما كان يحمل الفاكهة في السنة مرتين(٧). وكان أشهرها العنب، وهو أنواع مختلفة. منها المراودي، وهو أجودها، لرقته وحلاوته(٨). وأحسنه ما كان في حدائق قباء، ثم العالية، ثم جفاف، وباقي بساتين المدينة(٩). وحكى أن لسعد بن أبي وقاص، بالعقيق، كرم تباع ثمرته بألف دينار(١٠). هذا إلى جانب زراعتهم للبطيخ والخربز(١١).

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، جـ ١، ص ١٨. ونحب أن نشير هنا إلى أنه لا يوجد احصاء عن مقدار غلة المدينة من التمر والحبوب، غير أن بعضهم قد رجح أن محصول الشعير، كان يساوي ربع محصول التمر، قياسا على ما كانت تنتجه خيبر، وهي واحة شبيهة بالمدينة، فقد كانت تنتج أربعين ألف وسق من التمر وعشرة آلاف وسق من الشعير. (انظر: الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٥٨، وانظر أيضا المقريزي: **إمتاع الاسماع**، جـ ١، ص ٣٢٨ - ٢٩، والهامش رقم ٣، نفس المكان).

(٢) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٢٢٢.

(٣) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤٠، ٤٠٨،

الشريف: المرجع السابق، ص ٣٥٨.

(٤) الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢. ص ٥٢ - ٥٣.

**البلقاء**: مدينة بالشام من عمل دمشق، سميت بالبلقاء بن سورية من بني عبيل ابن لوط، وهو بناها، وبها كان اجتماع الحكمين: أبي موسى وعمرو بن العاص. وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة. (انظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص ٩٦ - ٩٧. ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ١، ص ٤٨٩).

(٥) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٢٢.

(٦) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، جـ ١، ص ٥٠.

(٧) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٧١.

(٨) كبريت: **الجواهر الثمينة**، ورقة ٥٥ - ٥٦.

(٩) كبريت: نفس المكان.

(١٠) كبريت: نفس المكان.

(١١) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٦١٩.

كما زرعوا بعض الخضروات والبقول، مثل القثاء والدباء، وهي نوع من القرع، والبصل والثوم[١]، والجزر[٢].

ومما ساعد على انتعاش الزراعة وتقدمها - بشكل واسع - في المدينة، وجود عدد كبير من المهاجرين عملوا في الزراعة واستغلوا الأراضي الزراعية الواسعة، واستصلحوا ما كان حول الأودية، مثل وادي بطحان، بعد أن كان يجري آجنا متغير الطعم واللون[٣]. كما استصلحوا أرض الغابة، شمالي غرب المدينة. وكانت عبارة عن أشجار كثيرة ملتفة، من الطرفاء والأثل، فقطعوا معظمها وغرسوا مكانه وديّة النخل[٤]. كما عملوا على إيجاد مزارع متخصصة لزراعة القمح، في وادي قناة. ذكر أن أحدها كان يزرع فيها القمح على عشرين ناضحا[٥]، مما يدلل به على سعة تلك المزارع وكثرة محصولها.

## ثانيا - التجارة

### أ - أسواق المدينة التجارية

مارس أهل المدينة أنواع النشاط التجاري، بحكم وضعهم الزراعي، المتسم بالاستقرار، ولوقوع المدينة على طريق التجارة بين الشمال والجنوب[٦]. ومن أهم مظاهر هذا النشاط، اشتمال المدينة على عدة أسواق تجارية تعددت أغراضها وتشعبت[٧]. وكان منها قبيل الهجرة، سوق حباشة (بالضم والشين المعجمة)، لبني قينقاع، وهي مخصوصة لبيع العبيد[٨]. ويبدو لنا أنها كانت جزءا من سوق بني قينقاع عند جسر وادي بطحان[٩]. وكانت سوقا عظيمة تكثر

---

(١) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٣٩١، ٣٩٥،
مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٩١٠،
البخاري: **الصحيح**، جـ ٣، ص ٥٣،
البلاذري: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ٧،
الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٥٨.
(٢) مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦١٩.
(٣) المراغي: **تحقيق النصرة**، ص ١٤.
(٤) البلاذري: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ٩،
الفيروز آبادي: **المغانم المطابة**، ص ٢٩٩.
(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ٢٢٢.
(٦) حتي: **تاريخ العرب**، جـ ١، ص ١٤٦.
(٧) انظر: السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٤٧ وما بعدها.
(٨) ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٢، ص ٢١٠ - ١١.
(٩) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٤٧، جـ ٤، ص ١١٧٧.
الجسر: موضعه، عند أعلى بطحان، وتقدم في بطحان أن سيله حين يأتي من جنوب المدينة يسير حتى يرد الجسر، ثم يستبطن وادي بطحان غربي المدينة. (انظر: السمهودي: نفس المكان).

فيها الحركة وأصوات البيع والشراء(١). وأهم ما كان يباع فيها الحلي والقسي والرماح والسيوف(٢). ومن أسواق المدينة في الجاهلية، غير ماذكر، سوق بزبالة من الناحية التي تدعي يثرب(٣)، وسوق بالعصبة غربي مسجد قباء(٤)، وسوق في منازل بني الحبلى، بموضع يقال له مزاحم(٥)، كانت تقوم في الجاهلية وأول الاسلام(٦). وكان لليهود سوق مجاور لبقيع الغرقد، شرقي المسجد النبوي(٧). واتخذ المسلمون سوقهم مجاورا لها في موضع بقيع الزبير بطريق بقيع الغرقد(٨). والظاهر أن اليهود قد شعروا بقوة المسلمين وأحسوا بخطر منافستهم ومزاحمتهم في تجارة المدينة، طالما كانت هذه السوق قريبة من سوقهم، فأقبل كعب بن الأشرف اليهودي، فدخلها وقطع أطنابها. فقال الرسول (ص): لا جرم لأنقلنها إلى موضع هو أغيظ له من هذا، فنقلها إلى موضع سوق المدينة غربي المسجد النبوي(٩)، وكان بعض الصحابة قد أشار على الرسول (ص)، باتخاذ هذا الموضع(١٠). وقد بنى ـ فيما بعد ـ بين السوق والمسجد النبوي، بعض بيوت الصحابة(١١).

وقد كان اختيار المسلمين لموضع سوقهم، اختيارا موفقا دل على عمق تجربتهم التجارية وفهمهم بأمور البيع والشراء. إذ كان واقعا في جهة هي بمثابة المدخل الرئيسي للمدينة، سواء من جهة الشام أو اليمن ومكة، وديار سائر القبائل المجاورة. مما مكنهم ـ ولا ريب ـ من تلقي التجار والوفود، حال وصولهم، موفرين عليهم مشقة الالتفاف برواحلهم المحملة حول بيوت المدينة أو حتى التخلخل بينها حتى يصلوا إلى سوق اليهود، داخل المدينة.

---

(١) الأصفهاني: **الأغاني**، جـ ٢١، ص ٦٢ (القاهرة، ١٩٢٩ م)،
الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٦٥.
(٢) الواقدي: **المغازي**، ص ١٣٨ ـ ٤٠ (الطبعة الأولى).
(٣) السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٤٧.
زبالة: بفتح الزاي والباء، موضع أول يثرب مما يلي شمال المدينة. (انظر: العباسي: **عمدة الأخبار**، ص ٣٣٢).
(٤) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٤٧،
ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٤، ص ١٢٨.
(٥) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٤٧.
مزاحم: بالضم وكسر الحاء المهملة، أطم من آطام المدينة ابتناه بنو الحبلى بين ظهراني بيوتهم، كان لعبد الله بن أبي بن سلول.
(انظر: الفيروز آبادي: **المغانم المطابة**، ص ٣٨٠).
(٦) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٤٧.
(٧) السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٤٧ ـ ٤٨.
(٨) السمهودي: نفس المكان.
العباسي: المصدر السابق، ص ٢٧٦.
(٩) البلاذري: **فتوح البلدان**، جـ ١، ص ١٥،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٥٣٤،
السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٤٨.
(١٠) السمهودي: نفس المكان.
(١١) مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ١٣١.

وكانت سوق المدينة الجديدة، بعد الهجرة، رحبة واسعة لا بناء، ولا ظلة فيها[١]، وكان الراكب ينزل بها فيضع رحله، ثم يطوف بالسوق، ورحله بعينه يبصره، لا يغيبه عنه شيء[٢]. وكانت السوق أقرب إلى الطول منها إلى العرض. ومن ضمنها المنطقة المعروفة اليوم بالمناخة. ويرجح انها تمتد من الحد الشمالي لمصلى العيد (وهو في موضع مسجد الغمامة اليوم) إلى منطقة جرار سعد، في منازل بني ساعدة، قرب ثنية الوداع شمال المدينة[٣]. وكانت بداية موضع السوق ـ عند جرار سعد ـ مقابر قديمة في بني ساعدة، أعطوها الرسول (ص)، فجعلها من السوق[٤].

وقد حوت السوق، معظم أنواع البضائع مثل التمر[٥]، والحنطة[٦]، والسمن، والأقط[٧]، وسائر الطعام[٨]، كما عرض فيها للبيع أنواع الجلود المدبوغة[٩]، ومواد دبغها، مثل أعشاب القرظ[١٠]. وبيع فيها أيضا، البز، وهو نوع من الثياب، وقيل الثياب خاصة من أمتعة البيت[١١]. وكان للبزازين، وهم بائعوا الثياب، مكان معروف بهم في السوق[١٢]. ويذكر أن عثمان بن عفان كان بزازا، ولم يحترف غير البزازة، وكذلك طلحة بن عبيد الله[١٣]. وقد عرض في السوق أيضا، جميع مصنوعات المدينة من السهام والرماح والسيوف والحلي[١٤]. كما عرضت فيها، أنواع الماشية[١٥]، وكان للخيل قسم خاص من السوق يعرف ببقيع الخيل[١٦]، وكذلك الابل[١٧]، والبقر والغنم[١٨].

---

(١) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٤٩.
(٢) السمهودي: نفس المكان.
(٣) السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٤٨.
(٤) السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٤٨.
(٥) السمهودي: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٤٩،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ١٠، ٥٥٠.
(٦) السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٥٦.
(٧) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ١٢٥.
(٨) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ٣، ص ١١٤ ـ ١٥.
(٩) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٦٨.
(١٠) والقرظ ورق يدبغ به، كقشر البلوط. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٢٩، الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٢٧).
(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٨٤،
الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٣١.
(١٢) الكتاني: نفس المرجع، جـ ٢، ص ٣٣. والبز: بفتح الباء، الثياب، وهي متاع البزاز، وهو بائع البز، وحرفته البزازة. (انظر: الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٢٠٣).
(١٣) الخزاعي: نفس المصدر، ورقة ٢٠٢.
(١٤) الواقدي: **المغازي**، ص ١٣٨ ـ ٤٠ (الطبعة الأولى).
(١٥) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٨٣، جـ ٣، ص ١٦٠، ٣٩٧،
السمهودي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٥٤.
(١٦) السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٥٤.
(١٧) السمهودي: نفس المكان،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٥١.
(١٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤٨٣، جـ ٣، ص ١٦٠.

وبالاضافة إلى ما ذكر، كان يباع في سوق المدينة جميع ما يرد إليها من الخارج، مثل القمح(١)، والزيت(٢)، والعسل(٣)، وكذلك الخيل والسلاح(٤)، وبعض الكماليات، مثل أواني الفضة(٥).

وقد نظم أمر السوق، على عهد الرسول (ص)، وحظي أمر الاشراف عليها باهتمام كبير(٦). وكان الرسول (ص)، يقوم بنفسه مع بعض الصحابة بتعسس أحوال السوق، ومراقبة أمورها وما يجري فيها(٧). وذكر أن الرسول (ص)، مر على رجل يبيع طعاما، فأدخل يده، فإذا هو مبتل، فقال: من غشنا فليس منا(٨). وهذا يعني أن سوق المدينة، على عهد الرسول (ص)، لم يكن عليها عامل بعينه، على الرغم من أن الرسول (ص)، قد استعمل على سوق مكة(٩). إذ أن قيام الرسول، صلى الله عليه وسلم، بنفسه مع كبار الصحابة بمراقبة السوق، كان يفي بالغرض المطلوب.

ومن ضمن ضبط أمور السوق، مراقبة الأسعار وتحديدها بما تقتضيه المصلحة العامة(١٠). كما منع احتكار ما يأتي إليها من البضائع والطعام(١١). ووضعت الحدود الكفيلة بمنع أي غبن بين البائع والمشتري. ومن ذلك النهي عن بيع الثمار، حتى يبدو صلاحها(١٢)، وأن من باع نخلا قد أبرت فثمرها للبائع، إلا أن يشترط المبتاع(١٣). كما حرم بيع أنواع الفاكهة مثل البطيخ والخربز وكذلك الخضار، كالقثاء والجزر، مالم يبد صلاحها(١٤). كما نهى أن يبيع حاضر لباد(١٥)، وهو أن يكون للبائع سمسار يتولى العقد بين البائع والمشتري بأجر(١٦).

---

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٢، ص ١٠٤.
(٢) الطبري: جامع البيان، جـ٣، ص ١٥.
(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ٣، ص ٦٠٧.
(٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٢، ص ٢٨.
(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ١، ص ١٤١.
(٦) البخاري: **الصحيح**، جـ٣، ص ٦١ ـ ٦٢،
السمهودي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٥٥ ـ ٥٧.
(٧) السمهودي: نفس المكان.
(٨) الدولابي: **الكنى والاسماء**، جـ١، ص ٢٥،
ابن الأثير: **أسد الغابة**، جـ٣، ص ٢٦٥.
(٩) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٢، ص ٤٧.
(١٠) يروى في هذا، أن الرسول (ص)، مر برجل يبيع طعاما في السوق، بسعر هو أرفع من سعر السوق. فقال: تبيع في سوقنا بسعر هو أرفع من سعرنا؟ ثم قال: إن المحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله. (انظر: ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٤٤٨ ـ ٤٩، السمهودي: **الوفاء**، جـ٢، ص ٧٥٦ ـ ٥٧).
(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٦٣، جـ٣، ص ٤٤٨ ـ ٤٩،
الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٦٧ ـ ٦٨.
(١٢) مالك: **الموطأ**، جـ٢، ص ٦١٨.
(١٣) مالك: نفس المصدر، جـ٢، ص ٦١٧.
(١٤) مالك: نفس المصدر، جـ٢، ص ٦١٩.
(١٥) البخاري: **الصحيح**، جـ٣، ص ٦١.
(١٦) والسمسار هنا، هو الدلال، لأنه يدل المشتري على البائع، أو هو الوسيط بين البائع والمشتري. وقيل إن السمسار، لفظ فارسي معرب. (انظر: الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ٢، ص ٥٧ ـ ٥٨، مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ١، ص ٤٥١).

وكان أمر تنظيم البيع والشراء قبل ذلك منعدما في أسواق المدينة، ولم تكن هناك رقابة رادعة على التجار، الذين يغشون في الكيل ويحتالون على الناس[١]. وقد تغير الأمر بظهور الاسلام، حيث نزلت آيات، خاصة بضبط المكاييل والموازين[٢]. وكان تجار المدينة، عند قدوم الرسول (ص)، من أسوأ الناس كيلا، فأنزل الله «ويل للمطففين»، فأحسنوا الكيل[٣].

وقد مارس أهل المدينة، أعمال الصيرفة، وكانوا يعتبرونها نوعا من التجارة[٤]. وقد نظمت أمورها، وبين حكم الله فيها[٥]. ويعد الربا أبرز تلك الأعمال التي كانوا يتعاملون بها[٦]، حتى حرمه الله بينهم[٧]. وأعمال الصيرفة، قائمة على بيع الذهب بالفضة، يدا بيد[٨]. وفي بعض الأحيان، يكون البيع بالنسأ أو التأخير، ولم يكن شائعا[٩].

وقد أقر الاسلام للنساء، نصيب مما اكتسبن[١٠]. ومنهن بائعات للعطر، يطفن به على النساء في البيوت[١١].

وكان للقبائل المجاورة للمدينة، دور كبير ساهم في ازدهار ورواج التجارة في أسواقها. إذ كانوا يفدون إليها، حاملين معهم بضائعهم، للبيع والشراء خلال السنة[١٢]. وأهم ما يقدمون به، الابل[١٣]، والغنم[١٤]. ويذكر أن بني

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٣٦.
(٢) انظر: سورة المطففين: ١ ـ ٣،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٦.
(٣) الطبري: **جامع البيان**، جـ ٣٠، ص ٩٠ ـ ٩١. والظاهر أن قول الطبري: «أنزل الله سورة المطففين». إنما يريد بذلك، قراءتها بين الناس في المدينة. لأن هذه السورة، مكية النزول.
(٤) الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٣٥،
الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٦٦.
(٥) انظر: سورة البقرة: ٢٧٥، ٢٨٢.
(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٣١. والربا، هو من ربا يربو. وأصل الربا الزيادة. يقال: ربا الشيء يربو، إذا زاد. وربا المال يربو: زاد. والزيادة، هي الربا. (انظر: الزمخشري: **أساس البلاغة**، ص ٢١٩، مسلم: **الصحيح**، جـ ٣، ص ١٢٠٨).
(٧) انظر: سورة البقرة: ٢٧٥.
(٨) البخاري: **الصحيح**، جـ ٣، ص ٤٨،
الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٣٦.
(٩) الكتاني: نفس المكان.
(١٠) انظر: **سورة النساء**: ٣٢.
(١١) الواقدي: **المغازي**، ص ٦٦٥ ـ ٦٦ (الطبعة الاولى)،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٢٧٨.
(١٢) ابن خياط: **الطبقات**، ص ٥٧ ـ ٥٨،
ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ١١٤ ـ ١٥،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٩٨، جـ ٣، ص ٥٦٩ ـ ٧١، جـ ٤، ص ٨٩.
(١٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤١، ٣٣٥، ٥٨٦.
(١٤) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٨٤، جـ ٣، ص ٦٤٣.

سليم، كانوا يجلبون إليها الخيل والابل والغنم والسمن[١]. ويبيعون الابل بالدنانير[٢]. وقد ابتاع النبي (ص)، من رجل من بني فزارة، فرسا بعشر أواق من الفضة[٣]. ومن مجلوبات القبائل لسوق المدينة أيضا، الخمر، قبل أن تحرم[٤]، واللحوم[٥]، وهي ـ في الغالب ـ من لحوم الصيد، يجلبه أهل البادية معهم[٦]. كما جلبوا معهم الرقيق[٧]، ينادون عليه في نفس السوق[٨]، كعادة العرب في أسواقهم، أيام الجاهلية[٩]. أما أهم ما كانت القبائل تمتاره من سوق المدينة، فهو التمر والبر وبعض الكساء[١٠].

## ب ـ التبادل التجاري بين المدينة وخارجها

من المستبعد أن يكون النشاط التجاري في المدينة، قد اقتصر على التجارة، داخل أسواقها، دون أن يكون لأهلها اتصالات تجارية خارجية[١١]، خصوصا وأن المدينة كانت واقعة على طريق القوافل، التي تحمل الطيوب بين اليمن والشام[١٢]. ولذلك نجد أن بعضهم، قد أسهم في ذلك المجال، فسلكوا طريق القوافل، بين المدينة، من جهة وفارس والشام من جهة أخرى[١٣]. ويذكر أن سلمان الفارسي، لما جاء إلى النبي (ص)، ليسلم، لم يفهم كلامه، فطلب ترجمانا، فأتى تاجر من اليهود كان يعلم الفارسية والعربية، فترجم كلام سلمان إلى العربية، غير أنه حرف الترجمة، لأن سلمان مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، وذم اليهود[١٤]. ومن هذا نستدل على وجود رحلات تجارية

(١) السمهودي: **الوفاء**، جـ ٢، ص ٧٥٤.
(٢) السمهودي: نفس المكان.
(٣) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٨٩.
(٤) البخاري: **الصحيح**، جـ ٣، ص ٧٢،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٧ ـ ١٨، جـ ٣، ص ٣٠٩.
(٥) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٤٨٨.
(٦) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٤٨٨،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٩٩.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٢٣ ـ ٢٤.
(٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٥٤٢.
(٩) ابن بكار: **جمهرة الانساب**، ص ٣٦٧ ـ ٦٨.
(١٠) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٧٣.
(١١) الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٧١.
(١٢) حتي: **تاريخ العرب**، جـ ١، ص ١٤٦.
(١٣) مما نستدل به على ركوب أهل المدينة، قبل الاسلام، طريق التجارة بين الشام والمدينة، ما ذكر من قول بشير بن سعد الخزرجي، يمتدح ناقته التي حملته على طريق القوافل إلى يثرب من الشام:

| | |
|---|---|
| ابـاح لها بطـريـق فارس غائطـا | من ذرا الجـولان بقـل وزاهـر |
| فقـربـتـهـا للرجـل وهي كأنهـا | ظليـم نعـام بالسـماوة نافـر |
| فاوردتهـا ماء فما شربـت به | سوى انـه بل منهـا المشـافـر |
| فبـاتـت سراهـا ليـله ثم عرسـت | بيـثـرب والاعـراب باد وحـاضـر |

(انظر: الاصفهاني: **الاغاني**، جـ ١٦، ص ١٤ ـ ١٥، وانظر عن ترجمة بشير بن سعد: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٥٨).
(١٤) مجهول: **في سيرة الرسول**، ورقة ١١.

من المدينة إلى فارس، كان يقوم بها بعض تجار يثرب. ولذلك أضطر هؤلاء التجار إلى تعلم الفارسية، وكانوا قلة بين الناس. ويمكن اعتبار مشاركة أهل المدينة في الأسواق العربية، في عكاظ وذي المجاز ومجنة، داخلة في نطاق رحلاتهم الخارجية للتجارة، شأنهم في ذلك شأن سائر العرب في الجاهلية(١).

وقد ذكر أن أبا معلق الأنصاري - بعد الهجرة - كان تاجرا يتجر بماله ولغيره، ويضرب في الآفاق(٢). كما أن من كبار الصحابة، رجال لم تصدهم مشاغلهم مع الرسول (ص)، عن طلب الرزق وابتغاء فضل من الله، بمعالجة التجارة الخارجية، حيث ذكر أن أبا بكر الصدّيق، خرج في تجارة إلى بصرى، قبل موت النبي (ص)، بعام، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة(٣).

وكذلك كان يقدم على المدينة، تجار مكة للبيع والشراء(٤)، أو ليمتاروا تمرا(٥). كما كان يقدم عليهم تجار الشام(٦)، وكانوا يحملون الزيت والبر والشعير والتين والقماش وما يكون في الشام(٧)، مثل الدقيق والسمن والعسل(٨). كما كان يقدم عليهم تجار النبط(٩)، وجل تجارتهم الحنطة والزيت(١٠).

وذكر أن أحد تجار فارس، سمع بذكر رسول الله (ص)، وخروجه، فخرج بتجارة معه حتى قدم المدينة فأسلم(١١). وهذا يدل على أن لتجار فارس، معرفة بالمدينة واتصال تجاري قديم بها.

وكان أهم ما يأتي المدينة من البضائع الخارجية، أنواع الثياب، مثل البرود والعمائم، ومصدرها عدن واليمن(١٢)،

(١) البخاري: **الصحيح**، جـ ٣، ص ٤٦،
ابن بكار: **جمهرة الأنساب**، ص ٣٦٧ - ٦٨،
الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٧٢.
(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ١٨٢،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٢٨.
(٣) الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٢٠١.
(٤) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٣، ص ٣٠٠.
(٥) ابن عبد البر: **الاستيعاب**، (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)، ص ٢١.
(٦) الطبري: **جامع البيان**، جـ ٣، ص ١٥.
(٧) الواقدي: **فتوح الشام**، جـ ١، ص ٤ - ٩،
ابن حجر، **الاصابة**، جـ ٢، ص ١٠٤.
(٨) الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٥٣.
(٩) مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ٢٨١.
(١٠) مالك: نفس المكان.
(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٨٥.
(١٢) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٢، ص ٢٤١، ٢٨٢، ٢٨٣،
ابن حجر: المصدر السابق جـ ١، ص ٢٩٩.

والخمائص من الشام(١). كما استوردوا العطر من اليمن(٢).

وقد ازداد رواج التجارة في المدينة، بعد الهجرة، حيث حول معظم المهاجرين تجارتهم إلى المدينة، واستمروا في مزاولة رحلاتهم التجارية بينها وبين الشام وبصرى(٣). وكانوا يحملون من الشام إلى المدينة، القناديل والزيت والمقط(٤). كما استوردوا من الشام، الأواني الفضية(٥)، واستوردوا أيضا المسك من الهند، عن طريق دارين، وكانت فرضة على الخليج العربي، وهي المنطقة المعروفة ـ حينذاك ـ باسم البحرين. وكان في دارين سوق يحمل إليها مسك من ناحية الهند(٦). ولذلك كان العطار، أي بائع العطر، يعرف بالداري، نسبة إلى دارين(٧). وقد تميزت قوافلهم بكثرة عدد رجالها. إذ بلغت أحيانا، أربعمائة وخمسين رجلا(٨). مما يدلل به على كبر حجم التجارة الخارجية للمدينة، بعد الهجرة. وقد ذكر أن عبد الرحمن بن عوف، لما هاجر إلى المدينة، قال: دلوني على السوق(٩)، حيث اشتغل بالتجارة، فكثر ماله، حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام(١٠). فأصبحت المدينة بعد هذا الازدهار الكبير، في تجارتها «سوق العرب» تقصد بالبضائع، من الأطراف البعيدة(١١).

ومن صلات المدينة التجارية بالخارج، على عهد الرسول (ص)، صلاتها بنجد(١٢). ويذكر أن الرسول (ص)، بعث سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من سبايا بني قريظة، إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا(١٣). وكان يأتي

(١) مالك: المصدر السابق، جـ ١، ص ٩٧. والخميصة، كساء رقيق من حرير أو صوف. وقيل ثوب أسود مربع. (انظر: معلوف، لويس: المنجد، ص ١٩٦).
(٢) الواقدي: المغازي، ص ٦٥ (الطبعة الاولى).
(٣) الطبري: جامع البيان، جـ ٧، ص ١١٥ ـ ١٦،
الذهبي: سير اعلام النبلاء، جـ ١، ص ١٥ ـ ٢١،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٩٨، ١٨١،
الخزاعي: الدلالات السمعية، ورقة ٢٠١ ـ ٢٠٢.
(٤) ابن حجر: الاصابة، جـ ٤، ص ١٨. والمقط، بضم الميم والقاف، مفردها المقاط، بكسر الميم، وهو الحبل أيا كان. (انظر: ابن منظور: لسان العرب، جـ ٣، ص ٥١٢).
(٥) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٤٠ ـ ٤١.
(٦) الخزاعي: الدلالات السمعية، ورقة ٢٠٣.
(٧) الخزاعي: نفس المكان.
دارين: هي اليوم جزيرة صغيرة، قريبة جدا من ساحل مدينة القطيف، على الخليج العربي في المملكة العربية السعودية. وتتصل باليابسة بطريق مرصوف، بعد ردم البحر بكتل كبيرة من الأحجار والتراب، وخاصة الاحجار الجيرية.
(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٢٤.
(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١، ص ٥٠.
(١٠) الذهبي: نفس المكان.
(١١) الكتاني: التراتيب الادارية، جـ ٢، ص ٥٣.
(١٢) ابن اسحاق: السيرة، جـ ٣، ص ٧٢٥.
(١٣) ابن اسحاق: نفس المكان،
ابن حجر: الاصابة، جـ ٢، ص ٢٨.

المدينة، التمر من اليمامة[١]. كما كانوا يخرجون إلى خيبر يمتارون من التمر[٢]

وكان للبحر دور يسير في ازدهار تجارة المدينة الخارجية، نظرا لعدم وقوعها على ساحله ـ كما سبق أن علمنا ـ وكان أقرب ميناء للمدينة على ساحل البحر الأحمر يصلح لرسو السفن، هو ميناء الجار[٣]، على ثلاث مراحل منها، على شط البحر[٤]، وهو ـ حينذاك ـ فرضتها الوحيدة[٥]. وكانت ترفأ إلى ميناء الجار، السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند[٦]. وعن طريق الجار، قدم على الرسول (ص)، بالمدينة، بقية أصحابه في أرض الحبشة، حيث أرسوا بهم إلى ساحلها[٧]. وكان ساحل الجار يعرف ـ حينذاك ـ بساحل بولا[٨]. وقد، ظل دور الجار كفرضة عظيمة للمدينة عهودا كثيرة، يحمل عن طريقهاالطعام في البحر إلى المدينة من أمصار الاسلام، كما كان عليه الحال في عهد عمر بن الخطاب[٩].

### جـ أسس التعامل التجاري

١ ـ **العملة**: تداول الناس في تعاملهم التجاري في المدينة، بالدراهم والدنانير أو بأوزانها من الفضة والذهب، كعملة أساسية في البيع والشراء، وذلك قبل الهجرة وبعدها[١٠]. ومن ذلك ما ذكر، من أنه لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء. وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع القربة منها بالمد. فقال له رسول الله (ص): بعنيها بعين في الجنة. فقال: يارسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها. فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فاشتراها بخمسة

---

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٣٠.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٢٢.
(٣) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٢٣.
(٤) الاصطخري: نفس المكان.
(٥) الاصطخري: نفس المكان.
(٦) ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٢، ص ٩٢ ـ ٩٣.
(٧) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٢٠٨.
(٨) ابن سعد: نفس المكان.
**بولا**: بفتح الباء وسكون الواو، اسم قديم للجار. لم يرد له ذكر في أشهر القواميس العربية. ثم عرفت اليوم باسم البريكة، تصغير بركة، لوجود بركة أو بحيرة يفيض إليها ماء وادي الجار، يليل. اما اسمها المحلي اليوم والمعروف بين جيرانها، فهو: «الكزابير»، وهي التلال في عرفهم. (انظر: الانصاري، عبد القدوس: بحث خاص عن اطلال الجار، نشر في مجلة المنهل، جـ ٥، السنة السابعة والثلاثون، م ٣٢، عام ١٣٩١ هـ، ص ٤٦٨، ٤٨٧).
(٩) اليعقوبي: **تاريخ**، جـ ٢، ص ١٥٤.
(١٠) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٣، ص ٦٩٤،
ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٢، ص ٣٧،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٦٨ ـ ٦٩،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ١، ص ٤١٣ ـ ١٧. وبالنسبة للدينار، فهو عملة ذهبية، نقل العرب اسمه من اليونانية اللاتينية، ديناريوس (Denarius) ويذكر أنه مشتق، عند الروم، من لفظ ديني (Deni) أي عشرة، وهو لفظ لاتيني. والأصل فيه الدلالة على قطعة من الفضة تساوي عشرة أسات والأس، درهم من دراهم الروم. (انظر: زيدان، جرجي: **تاريخ التمدن الاسلامي**، جـ ١، ص ١٤١ «تحقيق د. حسين مؤنس»).
وقد ورد لفظ دينار في القرآن الكريم في قوله تعالى: «ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون». (انظر: سورة آل عمران: ٧٥، وأنظر أيضا: د. كاشف: النقود في العصر العباسي، بحث نشر في **سجل الموسم الثقافي الأول بجامعة الكويت**، عام ١٩٦٨/٦٧ م، ص ٢٣٣).

وثلاثين ألف درهما(١). كما ذكر أن أبا رحيمة، حجم الرسول (ص)، فأعطاه درهما(٢).

أما عن تعاملهم بأوزان الفضة، فمن ذلك ما ذكر، من أن الرسول (ص)، أمر بلالا أن يجيز وفد بني مرة، وهم ثلاثة عشر رجلا، قدموا المدينة سنة تسع من الهجرة، فأجازهم بعشر أواق فضة، وفضل رأسهم، الحارث بن عوف، أعطاه اثني عشر أوقية(٣). وكذلك ذكر، أن الرسول (ص)، اشترى جملا من أحد الصحابة بأوقية واحدة(٤).

ويجدر بنا، في هذا الصدد، أن نشير ـ لما ـ إلى نوعية تلك النقود التي تعامل بها الناس، على عهد الرسول (ص). والذي نراه أنها لم تكن تختلف كثيرا عن مثيلاتها، سواء التي تعامل الناس بها في مصدرها الأصلي، أم تلك التي كان الناس يتداولونها في صدر الاسلام، وخلال العصر الأموي. وفي هذا يذكر أن الدراهم التي كانت على عهد الرسول (ص)، على نوعين: السوداء الوافية، وزن الدرهم منها ثمانية دوانق، والطبرية العتيقة، وزن الدرهم منها أربعة دوانق. وكانت الصعوبة في تداولها، تنحصر في إخراج الزكاة منها. ولذلك فإن الناس كانوا يزكون بشطرين من الكبار والصغار(٥). وهذا الاختلاف، في نوعية الدراهم في المدينة، على عهد الرسول (ص)، كان خارجا عن إرادة الناس ـ حينذاك ـ إذ كان تبعا لورود تلك الدراهم من بلاد الفرس، حيث كانت مختلفة الأوزان، صغارا وكبارا(٦).

وبالاضافة إلى تعامل الناس في المدينة بالنقود، فقد تعاملوا، في بيعهم وشرائهم، بطريقة المقايضة(٧)، أي التبايع بالعروض، كالحنطة والشعير والفواكه، وما أشبه ذلك. وأحيانا كانوا يتعاملون بشيء معلوم من التمر يدفع ـ غالبا ـ للعامل حين يؤجر نفسه(٨).

وكما أشرنا آنفا، فإن تلك الدراهم والدنانير لم تكن خاصة بهم حين تعاملوا بها، سواء في الجاهلية أم بعد ظهور الاسلام(٩). فقد كانت تلك النقود، مجموعات من ضرب فارس والروم، أقر الرسول (ص) ـ فيما بعد ـ استعمالها، بشكلها البيزنطي والفارسي المصور، كما أقرها من تلاه من الخلفاء، طوال العهدين الراشدي والأموي، حتى تم تعريبها زمن عبد الملك بن مروان عام ٧٧ هـ(١٠).

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٥٤٠.
(٢) ابن حجر: **نفس المصدر**، جـ ٤، ص ٦٨ ـ ٦٩.
(٣) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٢٩٧ ـ ٩٨.
(٤) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٣، ص ٦٩٤.
(٥) المقريزي: **إغاثة الأمة**، ص ٤٨،
الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ١٧٤،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ١، ص ٤١٣.
(٦) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٥٧١ (تحقيق د. صلاح المنجد).
(٧) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٦١،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣٦٠ ـ ٦١.
(٨) الطبري: **جامع البيان**، جـ ١٠، ص ١٩٤ ـ ٩٥.
(٩) الحسيني (د. محمد باقر): **تطور النقود العربية**، ص ١٩.
(١٠) الحكيم: **الدوحة المشتبكه في ضوابط السكه**، ص ٤٥، ٤٩،
الحسيني: المرجع السابق، ص ١٩.

وكان الدينار البيزنطي أو الرومي، عبارة عن قطعة مستديرة من الذهب يحمل على أحد وجهيه صورة الأمبراطور البيزنطي، الذي عاصر سك هذا النقد[١]. وقد عاصرت الفترة الاسلامية الأولى، ما كان يعرف بالدنانير الهرقلية وعليها صورة هرقل وحده أو صورته وعلى جانبه ولداه هرقليوناس وقسطنطين، وقد قبض كل منهم على صليب طويل[٢]. وكان الذي أطلق على هذه الدنانير اسم الهرقلية، هم العرب[٣]. ويعد ذهب الدينار الهرقلي من أحسن الذهب، وكان شكله بديعا حسنا[٤].

ويبدو أن القيمة الشرائية للدينار، كانت قوية جدا، ولذلك ذكر أن الرسول (ص)، اشترى حائطا لبني النجار، بعشرة دنانير ذهبا، دفعها أبو بكر[٥].

أما بالنسبة للدراهم، وهي من الفضة، فكانت تضرب بأرض العراق وأرض المشرق كلها، وهي فارسية، عليها صورة كسرى واسمه فيها مكتوب بالفارسية[٦]. وهذه الدراهم كانت عبارة عن قطع مستديرة أيضا[٧].

على أننا نرجو ألا يفهم مما سبق، أن العرب لم يتداولوا، في الجاهلية نقودا عربية[٨]. وذلك أن الحفريات الأثرية، قد أثبتت وجود نقود عربية حميرية مضروبة ومنقوشة[٩]. وكان تداول هذه النقود العربية، في نطاق ضيق جدا، وبشكل محدود أيضا[١٠]. وكذلك يذكر أن العرب قد تداولوا فيها بينهم نقودا عربية أخرى، من ممالك أطراف الجزيرة العربية، مثل الانباط والتدمريين، الذين كانت لهم نقود مضروبة ومنقوشة[١١]. غير أنها كانت مثل سكة حمير، محدودة التداول لقلة ما كان يرد العرب منها[١٢]. أو لانعدام ثقة العرب في النقود، التي تضرب فيها بينهم. وهو - فيما نرى - السبب الرئيسي لقلة تداول النقود العربية بين العرب، وبالتالي انعدام وجود دور للضرب لديهم، في الجزيرة العربية، قبل الاسلام[١٣]. وقد ظل الأمر كذلك إلى أن أنشأ عمر بن الخطاب، داراً لضرب الدراهم. وكانت مضروبة على

(١) الحسيني (د. محمد باقر): **تطور النقود العربية**، ص ١٨.
(٢) الحسيني: نفس المكان.
(٣) الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ١، ص ٤١٦.
(٤) كاشف: النقود العربية، (بحث نشر في سجل **الموسم الأول الثقافي، جامعة الكويت**، عام ٦٧/١٩٦٨ م)، ص ٢٣٢.
(٥) المراغي: **تحقيق النصرة**، ص ٤١.
(٦) الكتاني: المرجع السابق، جـ ١، ص ٤١٦. وهناك من يرى أن الدرهم ليس لفظاً فارسياً، لان أصله اغريقي، من لفظة دراخمة. (انظر: الحكيم: **الدوحة المشتبكة في ضوابط السكه**، ص ٤٥، الهامش رقم ١، نفس المكان).
(٧) الحسيني: المرجع السابق، ص ٤٥.
(٨) الحسيني (د. محمد باقر): **العملة الاسلامية في العهد الاتابكي**، ص ١٤ - ١٥.
(٩) وأقدم النقود العربية، التي وصلت من اليمن، كانت زمن الدولة الحميرية، التي عاشت في الفترة التي ابتدأت منذ سنة ١١٥ ق.م. وهذه النقود الحميرية، التي عثر عليها، قد صور على القديم منها، صورة البومة، ويظن انه تقليد للدراخما الأغريقية، كما رسم تحت صورة البومة خنجرا ونقش أمام البومة وخلفها اسم الملك ولقبه، ومدينة الضرب والضرب بالخط المسند، وعلى الجهة الثانية من النقد، نقشت صورة رأس إنسان. (انظر: الحسيني: **تطور النقود العربية**، ص ١٥ - ١٦).
(١٠) الحسيني: المرجع السابق، ص ١٤ - ١٥.
(١١) الحسيني: **تطور النقود العربية**، ص ٩ - ١١.
(١٢) الحسيني: **العملة الاسلامية**، ص ١٤ - ١٥.
(١٣) الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٧٥.

هيئة نقش الدراهم الفارسية، غير أنه زاد في بعضها كلمة «الحمد لله» وفي بعضها «رسول الله»، وعلى آخر «لا إله إلا الله»، وعلى آخر «عمر». والصورة صورة ملك الفرس[(١)].

٢ ـ **الموازين والمكاييل**: ومن الأوزان المستعملة في المدينة، على عهد النبي (ص)، المثقال[(٢)]. ويسمى درهما وديناراً، وذلك لاستعمالهما في الوزن[(٣)]. ومن أوزان أهل المدينة أيضاً، التي كانوا يتعاملون بها واصطلحوا عليها فيما بينهم، وزن الأوقية، والظاهر أنها كانت تساوي أربعين درهما[(٤)]، كما تعاملوا بأوزان القنطار، وهو عند العرب، المال الكثير، وكان يساوي على عهد النبي (ص)، ألف ومائتا أوقية[(٥)]. ومن مكاييل أهل المدينة، المد والصاع والفرق والعرق والوسق[(٦)].

**ثالثا: المهن والحرف العامة**

مارس أهل المدينة، إلى جانب اشتغالهم بالزراعة ومعالجة التجارة، عدة أنشطة مهنية وحرفية، تطلبتها ضرورات حياتهم ونمط معيشتهم وتقاليدهم.

ولما كان في المدينة ثروة ـ لا بأس بها ـ من الماشية، مثل الغنم والابل والخيل، لذلك زاول، بعض السكان، مهنة الرعي، لسد حاجاتهم[(٧)]، أو لحساب غيرهم، مثل رعي عير الصدقة، أو العير المعدة للجهاد، ونحو ذلك[(٨)]. وكان يعرف من يقوم بهذه المهنة، باسم راعي العير[(٩)]. والرعاة، بصفة عامة، يأخذون ـ نظير قيامهم بهذه المهنة ـ أجرا

---

(١) المقريزي: **إغاثة الأمة**، ص ٥١ ـ ٥٢.

(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٣٥٤ ـ ٥٥.

(٣) المقريزي: المصدر السابق، ص ٤٨،

زيدان، جرجي: **تاريخ التمدن الاسلامي**، جـ ١، ص ١٤ (تحقيق د. مؤنس). والمثقال، اسم لما له ثقل، سواء كبر أو صغر. وغلب عرفه على الصغير. ولذا صار في عرف الناس، اسما للدينار. (انظر: المقريزي: المصدر السابق، ص ٤٨ ـ ٤٩، وانظر أيضا هامش رقم ٥، نفس المكان).

(٤) المقريزي: نفس المكان،

الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ١٨١.

(٥) الخزاعي: نفس المصدر، ورقة ١٨٢.

(٦) الخزاعي: نفس المكان،

الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ١، ص ٤٣٩. وكان قدر المد، أربع حفنات بحفنة الرجل الاوسط، ليست يده بمبسوطة الاصابع ولا بمقبوضها، أما الصاع، فهو أربعة امداد، أما الفرق فكان قدره، ستة عشر رطلا، وكان العرق، وهو الزبيل المضفور، فيعادل ما بين خمسة عشر صاعة إلى عشرين، بينما كان الوسق، يقدر بستين صاعا. (انظر: الخزاعي: المصدر السابق، ورقة ١٨٢ ـ ٨٤، ابو داوود: **السنن**، جـ ٢، ص ١٢٧، الكتاني: المرجع السابق، جـ ١، ص ٤٢٨ ـ ٣٨).

(٧) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٤٨٩.

(٨) ابن خياط: **الطبقات**، ص ١٠٦،

ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ١٩٧، ٤٨٢.

(٩) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٤٨.

معلوماً من صاحب الماشية(١). أما بالنسبة لركاب الصحابة المربوطة في سبيل الله للجهاد، فالظاهر، أن رعيتها كانت نوبا عليهم، لا يأخذون على ذلك أجرا(٢).

ولقد اقتضى الحال - نتيجة تطور الأمور، في المدينة وكثرة خروج الرجال إلى الغزوات والبعوث - ضرورة تواجد هيئة خاصة للحراسة في المدينة(٣). وهذه الهيئة كانت تعرف باسم حرس المدينة(٤). وهم - في الغالب - من الشبان، الذين بلغوا الخامسة عشرة من أعمارهم(٥). كما تطلبت ضرورات الأمن - في الغزوات - وجود رجال للحراسة في الركاب، مهمتهم القيام فيها - أثناء المعركة - والذود عنها(٦). وكان للرسول (ص)، عدة رجال، يتناوبون الحراسة، عند بابه، كل ليلة سواء في السلم(٧)، أم في الحرب(٨). وقد لقب بعضهم بالحرسى(٩)، أو بحارس النبي(١٠)، صلى الله عليه وسلم.

وذكر أن في أهل المدينة، بعض الرجال ممن كانت لهم دراية تامة بطرق وطبيعة بعض المناطق، سواء حول المدينة أم في الجزيرة العربية عامة. وقد أستعين بهم كأدلاء وخبراء عارفين وملمين بأفضل الطرق وأصح المناطق وأنقاها هواء(١١).

أما مهنة الكتابة، فقد مارسها قلة من الصحابة، وذلك لقلة من كان يعرف صنعتها فيهم، حيث لوحظ أن الكتاب - في الغالب - كانوا من المهاجرين ممن أتقن الكتابة في الجاهلية وزاولها في الاسلام(١٢). على أن ذلك لا يعني عدم وجود كتاب من الأنصار، كانوا يتقنون الكتابة ويكتبون للنبي (ص)، مثل عبد الله بن رواحة، وأبي بن

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ٣، ص ٥١٠.
(٢) انظر: الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ١٣٥.
(٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٨٠.
(٤) ابن حجر: نفس المكان.
(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٨٠.
(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٧٣، جـ٣، ص ٢٥.
(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٦٤، ١٧٥.
(٨) المقريزي: **امتاع الاسماع**، جـ ١، ص ٢٢٩.
(٩) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٩٤.
(١٠) ابن الأثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ٥٦،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٢٨، جـ ٢، ص ١٧٨.
(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٩١، جـ ٢، ص ٢١، جـ ٣، ص ٤٢٥، ٥٤١.
(١٢) ومن هؤلاء الكتاب نذكر: جهم بن الصلت، من بني عبد المطلب من قريش، تعلم الخط في الجاهلية، وكان هو والزبير بن العوام، يكتبان أموال الصدقة. ومنهم كذلك، العلاء بن عقبة والأرقم. ذكر أنهما كانا يكتبان بين الناس المداينات والعهود والمعاملات، ومن هؤلاء الكتاب أيضا، حنظله بن الربيع بن صيفي التميمي، وكان يقال له: حنظلة الكاتب. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٥٥ - ٥٦، ٣٦٠، جـ ٢، ص ٤٩٨، الاعظمي، محمد مصطفى: **كتاب النبي**، ص ٣٧، ٤٢، ٥٧، وفي أماكن متفرقة).

كعب[١]، وغيرهم. وقد كان للنبي (ص)، جماعة من الكتاب مهمتهم كتابة الوحي، إلى جانب الكتابة بين الناس في أمور المداينات والعهود والمعاملات[٢]. وكانوا يكتبون ـ عادة ـ على العسب والرقاع والعظام[٣].

وهناك وظائف أخرى أو مهن عرفت في المدينة، على عهد الرسول (ص)، مثل وظيفة المستوفي، وهو الرجل يبعثه الامام، يقبض المال من العمال ويستخلصه، ويقدم به على الرسول[٤]، صلى الله عليه وسلم. كما أن هناك، مهنة خازن النقدين، أي صاحب بيت المال[٥]. وكذلك مهنة الخارص، والخرص هو حرز ما على النخل من الرطب[٦].

ومن الوظائف المتعلقة بالمسجد، عدا وظيفة الامام، وظيفة المؤذن. ومن المؤذنين المشهورين في المدينة على عهد الرسول (ص)، بلال بن رباح، وابن أم مكتوم، وكان رجلا أعمى، وسعد القرظ، مولى الانصار، وكان يؤذن في مسجد قباء[٧].

وكان للطب نصيب من اهتمام الناس، في مجتمع المدينة، على عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، ومن مظاهر اهتمامهم، حرص معظمهم على معرفة بعض الأمور الطبية، واجتهدوا في فهمها والالمام بأسرارها[٨]. وكان ممن اشتغل بالطب وامتهنه في المدينة، الحارث بن كلدة الثقفي[٩]. وقد تعلم الطب في ناحية فارس واليمن، وتمرن هنالك وعرف الدواء[١٠]. وكان الصحابة يقصدونه في مرضهم، ويسمونه طبيب العرب[١١]. ويذكر أن أسماء بنت عميس،

(١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩، جـ ٢، ص ٣٠٦،
النووي: **تهذيب الأسماء واللغات**، جـ ١، ص ١٠٨ ـ ١٠٩، ٢١٠.

(٢) ومن هؤلاء: أبي بن كعب الانصاري، ويعد أول من كتب للنبي. (انظر: النووي: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٠٨، ١٠٩، ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩). وكذلك منهم زيد بن ثابت الانصاري، كان يكتب الوحي، ويكتب المراسلات إلى الناس، وكان ألزم الصحابة كتابة الوحي. (انظر: النووي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١، ابن عبد البر: **الاستيعاب بهامش كتاب الاصابة**، جـ ١، ص ٥١، الأعظمي، محمد مصطفى: المرجع السابق، ص ٦٠ ـ ٦٣). ومن كتاب الوحي أيضا، عبد الله بن سعد بن سرح العامري القرشي. (انظر: ابن عبد البر: المصدر السابق، ص ٥١، ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣١٧). وكذلك معاوية بن أبي سفيان من بني أمية، أسلم في فتح مكة. (انظر: النووي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٠٢).

(٣) ابن عبد البر: المصدر السابق، ص ٥٥١ ـ ٥٢. والعسب، واحدها عسيب، وهو جريدة من النخل مستقيمة دقيقة، يكشط خوصها. (انظر ابن سيده: **المحكم**، جـ ١، ص ٣١٣). والرقاع: واحدها رقعة، من الجلد، وهي قرطاسة، يكتب عليها. (انظر: الزمخشري: **أساس البلاغة**، ص ٢٤٥).

(٤) الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ١٦٨.
(٥) الخزاعي: نفس المصدر، ورقة ١٦٩.
(٦) الخزاعي: نفس المصدر، ورقة ١٦٢.
(٧) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ١٦٥، جـ ٢، ص ٢٩،
الخزاعي: المصدر السابق، ورقة ٣١ ـ ٣٢.
(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٥٦.
(٩) ابن جلجل: **طبقات الاطباء والحكماء**، ص ٥٤،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨٨.
(١٠) ابن جلجل: المصدر السابق، ص ٥٤.
(١١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٨٨.

كانت تمارس مهنة الطب وتصف الدواء للناس[1]، وقد أصابت علومها الطبية تلك، بأرض الحبشة[2].

كما باشرت بعض الصحابيات مهنة التمريض، حيث ذكر في هذا المجال، أن امرأة من أسلم، يقال لها: رفيدة، كان لها خيمة في مسجد الرسول (ص)، تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين[3].

وهناك مهن أقل شأنا ومنزلة بين الناس، مارسها بعضهم في المدينة، على عهد الرسول (ص)، مثل مهنة الحجام[4]، ومهنة الحلاق، وهو ـ في الغالب ـ حجام[5]. وكذلك مهنة الجزار[6]، ويدعى الجزار أحيانا، لحاما[7]. واللحام بصيغة المبالغة، بائع اللحم[8]، وكانوا يبيعون اللحم في السوق[9]. ومن تلك المهن أيضا، مهنة الخباز[10]. ويذكر أن الرسول (ص)، مر بأحد الخبازين فقال: اياك والخبز المرقق[11]. كما زاول بعضهم مهنة الطبخ[12]، ومهنة الخياطة[13]، ومهنة حفر القبور[14]، وقد يسمى الحفار نباشا[15]. وعرف بين أهل المدينة السقاء، وكان يحمل الماء للناس على ظهره[16]، أو على الابل[17]، وأحيانا كان يؤجر نفسه، يستخرج الماء من البئر بالدلو، على كل دلو تمرة[18].

---

(١) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٢، ص ٢٣٦.

(٢) ابن سعد: نفس المكان. وأسماء بنت عميس، هي أسماء بنت عميس بن سعد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك الخثعمية. وكانت أخت ميمونة بنت الحارث، زوج النبي (ص)، لأمها. وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب. (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣١).

(٣) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٣، ص ٧٧٠. وقد ذكر أنه أثناء معركة أحد (ولم يضرب الحجاب، يومئذ) خرجت مجموعة من النساء، يحملن الطعام والماء على ظهورهن، يسقين الجرحى ويداوينهم. (انظر: الواقدي: **المغازي**، ص ١٩٥، ٢٠٦ «الطبعة الأولى»).

(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦، ١٠٤، جـ ٤، ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٤٤، ٤٤٩.

(٦) ابن اسحاق: المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٠٤٢،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ١٠٦.

(٧) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٠٢.

(٨) الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ١٠٦.

(٩) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٤٨٨.

(١٠) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٤٠١.

(١١) ابن حجر: نفس المكان.

(١٢) الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٠٧.

(١٣) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٣٩١،
الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٦٠.

(١٤) الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٢٧٣.

(١٥) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٧. واطلق لفظ نباش فيما بعد على حفار القبور بغرض السرقة.

(١٦) الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٠٤.

(١٧) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٥٤، ٢٩٧ ـ ٩٨.

(١٨) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢٩٧ ـ ٩٨.

وقد كان لبعض النساء نشاط مهني يتلاءم مع تقاليد المجتمع ويساير طبيعة المرأة واستعدادها، فكان هناك، من النساء، المشاطة، والقابلة، والمرضعة [١] . وقيل: إن ممن كان يقم المسجد النبوي، أي يلتقط الخرق والقذى والعيدان منه، امرأة سوداء، أو شابا، اختلف الرواة في ذلك [٢] .

أما النشاط الحرفي أو الصناعي بصفة عامة، فكان جيدا في المدينة ومؤديا مهمته لسد حاجات الناس واكتفائهم، وخاصة تلك الصناعات المعتمدة على انتاج النخيل، مثل صناعة القفاف والحصر ونحوها من الخوص [٣] . وكان صاحب تلك المهنة يدعى بالخواص [٤] . هذا إلى جانب أنهم كانوا يفتلون الحبال من الصوف والليف [٥] . كما أن هناك صناعات قائمة على طرق وإذابة المعادن، لسبك الحلي وصنع الأسلحة، مثل القسي والرماح والسيوف ونحوها [٦] . وربما صنع الصاغة، بعض الأطراف الصناعية للانسان، مثل الأنف، كانوا يصنعونه من الفضة أو الذهب [٧] .

ولم تحظ حرفة الصياغة، باحترام كبير في المجتمع المدني، لأن الصائغ ربما كثر الكذب والفساد في صنعته، وكان يتعاطاها ـ في الغالب ـ أراذل الناس، كاليهود [٨] . بينما كان الحداد يحظى، بشيء من الاعتبار. ولذلك فإن الرسول، صلى الله عليه وسلم، لم يستنكف من دفع ولده إبراهيم ـ حين احتاج إلى مرضعة له ـ إلى أم سيف، زوج قين بالمدينة، يقال له: أبو سيف، وهو حداد من الأنصار [٩] ، كان يزاول صنعته في بيته [١٠] .

---

(١) الخزاعي: المصدر السابق، ورقة ٢١٧، ٢١٨.
(٢) الخزاعي: نفس المصدر، ورقة ٣٥.
(٣) الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٢١١،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٩٢،
الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٧٥ ـ ٧٦.
(٤) الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٩٢.
(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٩١.
(٦) الواقدي: **المغازي**، ص ١٣٨ ـ ٤٠ (الطبعة الاولى)،
الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٦٣ ـ ٦٤.
(٧) ابن خياط: **الطبقات**، ص ٤٤.
(٨) الواقدي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٧٣ ـ ٧٥، ١٧٦، ١٧٩،
الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٦٣ ـ ٦٤.
(٩) ابن الاثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ٣٨ ـ ٣٩،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٩٨. والقين، هو الحداد. والجمع، القيون. (انظر: الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٢٠٩). وقيل القين، العبد، والقينة: الأمة، وهي الجارية. ويقال: تقينت المرأة، أي تزينت. (انظر: الزمخشري: **أساس البلاغة**، ص ٥٣١). والقين بصفة عامة، هو الصانع، والقينة هي الأمة، صانعة أو غير صانعة. (انظر: الاسد، د. ناصر الدين: **القيان والغناء في العصر الجاهلي**، ص ٢٠ ـ ٢١).
(١٠) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٨ ـ ٣٩،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٩٨.

والملاحظ أن الذي كان يتولى مهنة الحدادة، جملة من العبيد والموالي[١]، وكانوا يصنعون السيوف ويصقلونها[٢]. كما كانوا يصنعون الأسلحة، والآلات الزراعية، كالفؤس والمحاريث والمساحي[٣]. وقد كان يضرب بسهام يثرب المثل، لجودة صنعها[٤].

وقد عرفت المدينة صناعة النسيج، إلا أنها كانت تمارس على نطاق ضيق، وكان يقوم بها بعض النساء في البيوت[٥]. وذكر أنه لم يكن في المدينة حائك، بل كان يقدم عليهم بالأقمشة والثياب من اليمن والشام وغيرها، منسوجة، فيشترونها ويلبسونها[٦].

ومن جملة الحرف التي عرفت في المدينة، أيضا، حرفة النجارة[٧]. وكانوا يصنعون الكراسي من الخشب، وقوائمها من الحديد[٨]. وكذلك حرفة الدباغة[٩]، وحرفة البناء[١٠]. وكانت صنعتها تقوم على اتقان عجن الطين،

---

(١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٢٩، ٤١٦، جـ ٤، ص ٩٨.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤١٦، جـ ٣، ص ٤٠١.
(٣) الواقدي: المغازي، ص ١٣٨ - ٤٠ (الطبعة الاولى)،
الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٧٦ - ٧٧.
(٤) قال كثير:
ماء كأن اليثربية أنصلت    بأعقاره دفع الازاء نزوع
(انظر: ياقوت: **معجم البلدان**، جـ ٥، ص ٤٣٠ - ٣١).
وقالوا:
منعت قياس الماسخية رأسه    بسهام يثرب أو سهام بلام
(انظر: **ديوان الاعشى**، ص ٩٨).
(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٥٤،
البخاري: **الصحيح**، جـ ٣، ص ٥٣،
الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٢٠٦،
الشريف: **مكة والمدينة**، ص ٣٧٨.
(٦) الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٥٩. والحائك، من حاك الثوب حوكا، وحياكا وحياكة: نسجه، فهو حائك، من حاكه وحوكه. ونسوة حوائك. والموضع محاكة، بضم الميم وفتح الحاء. (انظر: الفيروز آبادي: **القاموس**، جـ ٣، ص ٣٠٠).
(٧) ويذكر في هذا المجال، أن «ميناء مولى العباس، عم الرسول (ص)، كان أحد من عمل المنبر في مسجد الرسول (ص). وقيل أن الذي أخذ في صنعة المنبر هو إبراهيم النجار، وقيل اسمه باقوم، وربما أن هذا لقبه. (انظر: ابن الاثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ٤٣، ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ١٦، جـ ٣، ص ٤٧١، ابن الحاج: **رفع الخفاء**، ورقة ٧٠).
(٨) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٧٠،
الخزاعي: المصدر السابق، ورقة ١١٥ - ١٦.
(٩) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٤٩٨،
الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٩٢.
(١٠) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٥٠ - ٥١،
السمهودي: **الوفاء**، جـ ١، ص ٣٣٣ - ٣٤.

وضرب اللبن أو الطوب[١]، إضافة الى البراعة في التخطيط، ومعرفة القواعد الصحيحة لجعل الأساس، وصف الطوب[٢].

ومما سبق نجد أن المدينة كانت ذات فعاليات كبيرة، في مجالات الصناعة والعمل، سواء في الفترة التي كانت قبيل الهجرة أم بعدها. وقد تضافرت جهود جميع سكانها، من السادة والموالى والعبيد، على العمل الدؤوب، رغم كل الصعاب أوما كان يشغلهم في حياتهم، من أمور حربية، اقتضتها ضرورة حماية أنفسهم والبحث عن أفضل السبل للعيش الكريم، ثم تحملهم بعد الهجرة، مهمة نشر الاسلام وما اشتمل عليه من علوم ومبادىء وقيم وعادات راقية وسامية.

(١) السمهودي: الوفاء، جـ١، ص ٣٣٣ ـ ٣٤.

(٢) الكتاني: التراتيب الادارية، جـ٢، ص ٧٥ ـ ٧٧.

# الفصل الثالث

# لمحات عن الطابع العام لمجتمع المدينة خلال العصر النبوي في النواحي العلمية والثقافية

● التعليم ● دور الشعر في نشر الدعوة
● طابع الغناء في المدينة ● رياضة السبق والصيد
● اللباس ● المظهر العام للصحابة
● الأسرة والبيت ● الطعام والشراب

إن اكتمال وحدة الموضوع، لبحثنا هذا، يستوجب علينا إلقاء بعض الضوء على بعض مظاهر النواحي العلمية والثقافية، لما في معرفتها من أهمية عظيمة قد تساعد على فهم طبيعة الحياة في المجتمع المدني. وفي تناولنا لبعض هذه النواحي، سنتوخى الاختصار قدر الامكان، رغبة في حصر الموضوع والتركيز على أهم نقاطه. حتى تعم الفائدة، ويفي بالغرض الذي نريده، وسنحرص ـ عند تناولنا له ـ على استعراض لمحات عن الطابع العام، لاهتمام مجتمع أهل المدينة، في النواحي العلمية والثقافية، ومدى استفادته وتأثره بها. وذلك دون التعرض للتفاصيل، التي قد تخرجنا عن صلب موضوعنا. وما ذلك إلا لايماننا العميق، بأن موضوع الحالة العلمية والثقافية في المدينة ـ على عهد الرسول (ص) ـ يعد بحد ذاته موضوعا مهما يستحق بمفرده دراسة مستفيضة وتخصصية، نرجو أن تحظى باهتمام الباحثين في هذا المجال قريبا.

## ١ ـ التعليم

اهتم الاسلام أول ما اهتم، بالعلم والحث عليه، منذ أوائل نزول القرآن الكريم(١). وقد حرص الرسول (ص)، حين فشا الاسلام في أهل المدينة، بعد العقبة، على إرسال مصعب بن عمير بن هاشم إليهم، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين(٢). ومما يظهر اهتمام الاسلام بالعلم والتعليم، قول الله تعالى، في معرض ذكر نعمه على خلقه: «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون»(٣). وقال تعالى، مبينا منزلة العلماء: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير»(٤).

وقد اقتضى الأمر، رغبة في نشر العلم والقراءة بين الصحابة في المدينة، أن أمر الرسول (ص) بتسليم كل مهاجر جديد، لأحد الصحابة، يمونه ويعلمه(٥). وكان الرسول (ص)، المعلم الأول للصحابة، يتكي في المسجد بين

---

(١) قال تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم». العلق: ١ ـ ٥. وفي السنة قول الرسول (ص): «من طلب العلم كان كفارة لما مضى». (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ١٦).

(٢) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٢، ص ٢٩٦،
النووي: **تهذيب الاسماء واللغات**، جـ ١، ص ٢١٤، جـ ٢، ص ٩٦.

(٣) البقرة: ١٥١.

(٤) المجادلة: ١١.

(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ١٥، ١٩، جـ ٣، ص ٣٦ ـ ٣٧، ٦٣٣.

ظهراني أصحابه في حلقة، يجيب على أسئلتهم ويعلمهم أمور دينهم [(١)]. وكان يقول: «من سئل عن علم فكتمه، ألجمه الله بلجام من نار، يوم القيامة [(٢)]».

ومن الصحابة، من كان يتولى مهمة تعليم المهاجرين. من تلقاء نفسه وباختياره [(٣)].

ومما يجدر ذكره هنا، أنه لم يغفل حق المرأة في تلقي العلم، إذ كان للنساء يوم خاص، يتلقين فيه تعاليم دينهن من رسول الله، صلى الله عليه وسلم [(٤)]. كما كن يتعلمن في البيوت، على أيدي محارمهن، بأمر رسول الله [(٥)]، صلى الله عليه وسلم. وذكر من المعلمات، اللاتي كن يعلمن النساء الكتابة، الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس العدوية، وأم سليمان بن أبي حثمة [(٦)].

ومما سبق نستدل على أن مسؤولية التعليم، كانت مسؤلية عامة، يتحملها جميع المسلمين. وفي هذا يذكر أيضا، أن الرسول (ص)، خطب في الناس مرة، فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا، ولم يثن على جماعة منهم في المدينة، لأنهم لم يعلموا، ولم يفقهوا جيرانا لهم من الاعراب نزلوا عليهم [(٧)].

وكان أفضل أوقات المسلمين لتلقي العلم من الرسول (ص)، وتدارس القرآن، ما عقد اجتماعه في المسجد [(٨)]. ولذلك حرصت النساء على حضور صلاة الصبح مع الجماعة، في المسجد النبوي، حتى لا يفوتهن تلقي العلم من الرسول، صلى الله عليه وسلم، مغتنمات انسدال ستور الظلام، حيث ينصرفن متلفعات بمروطهن، ما يعرفن من الغلس [(٩)].

---

(١) البخاري: **الصحيح**، جـ ١، ص ١٩ ـ ٢٠.

(٢) ابو داوود: **السنن**، جـ ٣، ص ٤٣٧.

(٣) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ٩٦٦. ويذكر أن عبادة بن الصامت الخزرجي، كان يعلم أهل الصفة القرآن. (انظر الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ١، ص ٤٠).

(٤) انظر: الكتاني: نفس المرجع، جـ ٢، ص ٢٣٥.

(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٤، ص ٢٩٩.

(٦) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٤، ص ٣٤١،
الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ١٩ ـ ٢٠.

(٧) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٧. ويقال أن المعنيين، جماعة من الاشعريين، كانوا من الفقهاء، ولهم جيران جفاة، من أهل المياه، من الاعراب، نزلوا عليهم ولم يعلموهم. (انظر: الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ١، ص ٤١).

(٨) مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ٤ ـ ٥،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٦٥٧.

(٩) مالك: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥. واللفاع، هو ثوب يجلل به الجسد كله، كساء كان أو غيره. وتلفع به، أي اشتمل به. والمروط، جمع مرط، هي اكسية من صوف أو حرير رقيقة وخفيفة مربعة، كانت النساء في ذلك الزمان يأتزرن بها ويتلففن. والغلس هنا، ظلمة آخر الليل يخالطها ظلام الفجر. (انظر: مالك: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤ ـ ٥، ابن منظور: **لسان العرب**، جـ ٢، ص ٢٣٥).

وقد بلغ من اهتمام الصحابة، في مجال تلقي العلم، أن أصحاب الأشغال والمهن، ممن لم يكن في استطاعتهم ملازمة الرسول (ص)، كانوا يسألون إخوانهم من الصحابة، الملازمين له، فيحدثونهم عن كل ما تعلموه(١).

وأساس التعليم، هو القرآن الكريم، لاشتماله على تعاليم الاسلام، التي تنظم حياة المسلمين في أمور الدين والدنيا. ولذلك ذكر أن بعضهم كان يقرأه في ثلاث ليال، وبعضهم كان يختمه في يوم وليلة(٢). وقد تعاهد الصحابة القرآن، بالدرس والمذاكرة(٣)، واهتموا بمعرفة قراءاته وتفاسيره ومعانيه(٤). كما جمعه بعضهم على عهد الرسول (ص)، كعبادة بن الصامت الخزرجي، الذي كان أيضا يعلم أهل الصفة القرآن(٥). وقد كان أحق الناس بالامامة أقرأهم لكتاب الله(٦).

وقد اشتهر عدة رجال في الصحابة، بغزارة علمهم، كأبي بن كعب النجاري، وكان النبي (ص) يقول له: «يهنك العلم أبا المنذر(٧)». وهو أول من كتب للنبي (ص)، وكان عمر بن الخطاب على علمه يسأل أبيا عن النوازل ويحتكم إليه في المعضلات(٨).

ويذكر أن لبعض المسلمين، في المدينة على عهد الرسول (ص)، معرفة جيدة بعلم الأنساب والتاريخ، كأبي بكر الصديق، ويعد أعلم الناس بنسب قريش وسائر العرب، وكذلك عقيل بن أبي طالب كان له نفس الاهتمام(٩)، وهناك سعد بن مسعود الثقفي وغيرهم(١٠). ومما ذكر في هذا المجال، أن عقيل بن أبي طالب كان عالما بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها، وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة(١١). على أن هذا العلم، لم يكن الاقبال عليه كبيرا. وكان يوصف بأنه علم لا ينفع وجهل لا يضر(١٢).

وبالاضافة إلى ما ذكر، فإن للمسلمين إهتماما كبيرا بتعلم السباحة والرماية وركوب الخيل(١٣).

---

(١) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ١٤٢ ـ ٤٣.
(٢) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٥٤٤، جـ ٢، ص ٣٨.
(٣) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤٤ ـ ٤٥.
(٤) الطبري: **جامع البيان**، جـ ١، ص ١١ ـ ٢٩، ٣٥ ـ ٣٧.
(٥) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٦٩.
(٦) ابن خياط: **الطبقات**، ص ١١٩،
النووي: **تهذيب الأسماء واللغات**، جـ ١، ص ٢٠٦.
(٧) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠.
(٨) ابن حجر: نفس المكان.
(٩) ابن عبد البر: **الانباه على قبائل الرواة**، ص ٤٣.
(١٠) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٣٧، جـ ٤، ص ٣٥ ـ ٣٦.
(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤٩٤.
(١٢) الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٢٣٠.
(١٣) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٤،
الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٣١٤ ـ ١٥.

## ٢ ـ دور الشعر في نشر الدعوة

وردت لفظة الشعر والشعراء في القرآن الكريم في عدة مواضع، معظمها كان ردا على الاتهامات الباطلة التي روجها الكفار الذين بهرتهم فصاحة القرآن وإعجازه، فاعتبروه نوعا من الشعر[١]. وقد حدد الاسلام منهجا أخلاقيا لدور الشعر والشعراء في الجهاد ضد الظالمين وأعداء المسلمين. وحارب منهج الغاوين ومن تبعهم[٢]، لما في منهج الغاوين من انفعالات لا ضابط لها، وأحلام مهومة تشغل أصحابها عن تحقيقها[٣]. ويذكر أن الرسول (ص)، قال لمالك بن عمير السلمي، وكان شاعرا: إن كان ولا بد لك من الشعر فشبب بامرأتك وامدح راحلتك[٤].

وقد كان دور الشعر والشعراء في التصدي لأعداء الدعوة الاسلامية بارزا وعظيما، وذلك بعد أن أصبح للمسلمين قوة واجتماع، بعد هجرتهم إلى المدينة[٥]، مما أضفى ـ ولا شك ـ على دور الشعر أهمية سياسية ودينية عظيمة أهلت فئة من شعراء الأنصار أن أصبحوا مقربين جدا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم[٦]، ينصرونه بألسنتهم كما نصروه بسلاحهم[٧]. ويذكر في هذا، أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، كان يضع لحسان بن ثابت الأنصاري، المنبر في المسجد يقوم عليه قائما يهجو الذين كانوا يهجون النبي[٨]، صلى الله عليه وسلم، ويفاخر عنه[٩]. وكان يقول له: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله[١٠]، صلى الله عليه وسلم.

ومما يدلل به على قوة تأثير الشعر وأهميته في تلك الفترة، ما ذكر من أن حسان بن ثابت رمى بأبيات، فبلغ ذلك عبد الله بن الزبعري السهمي، وكان قد هرب إلى نجران بعد فتح مكة فقدم المدينة فأسلم، وكان من أشعر قريش[١١]. وذكر أيضا، أن أحد زعماء العرب، جاء النبي (ص)، فقال: ابعث معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار.

---

(١) الأنبياء: ٥، يس: ٦٩، الصافات: ٣٦، الطور: ٣٠، الحاقة: ٦٩. وانظر ايضا: العاني، سامي مكي: دراسات في الأدب الاسلامي، ص ٢٥ (بغداد، ١٣٩٥ هـ).

(٢) قال تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون». الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن، جـ ١٩، ص ١٢٠ (مطبعة الحلبي، ط ١).

(٤) ابن حجر: الاصابة، جـ ٣، ص ٣٥١.

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٢٦،
ابن قدامة: الاستبصار، ورقة ١٠،
الاصفهاني: الاغاني، م ٤، ص ١٥٣ ـ ٥٤،
العاني: دراسات في الأدب الاسلامي، ص ٥.

(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٢٦، جـ ٢، ص ٣٠٦.

(٧) الاصفهاني: المصدر السابق، م ٤، ص ١٤١ ـ ٤٢.

(٨) ابن حجر: الاصابة، جـ ١، ص ٣٢٦.

(٩) ابن الاثير: أسد الغابة، جـ ٢، ص ٤.

(١٠) الاصفهاني: الاغاني، م ٤، ص ١٤٧.

(١١) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٠٨.

فأرسل معه رجلا من الانصار فغدرت به عشيرته فقتلوا الانصاري. فقدم على رسول الله (ص) يعتذر، وكان الرسول (ص)، لا يؤنب أحدا في وجهه. فقال: ادعولى حسان، فدعي له، فلما رأى الرجل، أنشد أبياتا جعلته يقول: يا محمد أنا عائذ بك من شره، فلومزج البحر بشعره مزجه[1]. وللدور حسان الكبير هذا، في نصرة الدعوة، كان يقال له: «شاعر الرسول[2]». ويأتي مع حسان في مكافحته، كعب بن مالك الأنصاري، وكانا يعارضان أعداء الاسلام بمثل قول شعرائهم في الوقائع والأيام، ويذكران مثالبهم[3]. وكذلك يأتي في صفهما ومنزلتهما المرموقة، عبد الله بن رواحة الأنصاري، إلا أنه اختلف عنهما في طريقة معارضته لأعداء الاسلام، فكان يعيرهم بالكفر وعبادة الأصنام[4]. وذكر أن الرسول (ص)، حين دخل مكة، يوم الفتح، كان عبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ينشد الشعر متوعدا المشركين بالعذاب، وقد أغضب ذلك عمر بن الخطاب وعاب عليه قوله الشعر في حرم الله. إلا أن الرسول (ص)، أجابه بقوله: «والذي نفسي بيده، لكلامه هذا أشد عليهم من وقع النبل[5]». ويذكر أنهم لما أسلموا وفقهوا، كان قول عبد الله أشد القول عليهم[6].

وقد حفلت أشعار المسلمين بروح جديدة، وبمعاني سامية، تحبب إلى الاسلام وتدعو له، وتفتخر برسوله واعتناق دينه[7]. ولذلك لم يكن من المستغرب أن تلقى أمثال تلك الأشعار في مجلس الرسول[8] (ص)، الذي كان يستحسن بعضها ويبدي إعجابه بها[9].

---

(١) ومما قاله حسان (انظر: **شرح ديوان حسان**، ص ٢٦٦ ـ ٦٧):

يا جار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمدا لم يغدر

إن تغدروا فالغدر منكم شيمة ... والغدر ينبت في أصول السخبر

والسخبر: شجر إذا طال تدلت رؤوسه وانحنت. وفي اللسان يقال ركب فلان السخبر. (انظر الاصفهاني: المصدر السابق، م ٤، ص ١٥٩).

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤،
النووي: **تهذيب الاسماء واللغات**، جـ ١، ص ١٥٦،
ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة ٩.

(٣) ابن قدامة: **الاستبصار**، ورقة ١٠.

(٤) النووي: **تهذيب الاسماء واللغات**، جـ ١، ص ١٥٧،
ابن قدامة: المصدر السابق، ورقة ١٠.

(٥) ومما قاله عبد الله بن رواحه:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير في رسوله

اليوم مضربكم على تنزيله ... ضربا يزيل الهام عن مقيله

(انظر: ابن قدامه: نفس المصدر، ورقة ٢٢ ـ ٢٣، باجوده، حسن محمد: **ديوان عبد الله بن رواحه**، دراسة وتحقيق، ص ٥٢ ـ ٥٣ «القاهرة، ١٩٧٢ م»).

(٦) ابن الاثير: **اسد الغابة**، جـ ٢، ص ٥.

(٧) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ١٤١، جـ ٣، ص ٤١٩، جـ ٤، ص ٩٦ ـ ٩٧،
باجودة: **المرجع السابق**، ص ٤٣ وما بعدها.

(٨) ابن حجر: **المصدر السابق**، جـ ١، ص ٤٢٤، ٤٨١، جـ ٣، ص ٢٩٦.

(٩) الاصفهاني: **الأغاني**، م ٥، ص ٣ ـ ١٠.

## ٣ ـ طابع الغناء في المدينة

لم يكن الغناء في المدينة، على عهد الرسول (ص)، شائعا ومتقبلا، مثلما كانت عليه الحال قبل الهجرة[١]. فقد كان المعتقد أن بالمدينة ـ قبل الاسلام ـ دورا خاصة بالغناء، وأن القوم قد شغفوا به كثيرا[٢].

أما على عهد الرسول (ص)، فقد اقتصر الغناء على المناسبات المباحة، مثل الأعياد ومناسبات الزواج، حيث رخص لهم الرسول (ص)، في الغناء وقتها[٣]. ويذكر أن عائشة رضي الله عنها، أهدت عروسا إلى زوجها في قباء، وكان من الأنصار. فسأل الرسول (ص)، عائشة: هل أهديت عروسك؟ قالت: نعم. قال: فأرسلت معها بغناء، فإن الأنصار يحبونه؟ قالت: لا. قال: فأدركيها بأرنب[٤]. وذكر أيضا أن الرسول (ص)، مر بدار هبار بن الأسود القرشي الأسدي، فسمع غناء، فقال: ما هذا؟ فقيل: تزوج. فجعل يقول: هذا النكاح لا السفاح[٥].

والظاهر أن بعض الناس من أهل المدينة، قد احترف ممارسة الغناء، واسترزق عن طريقه[٦]. ومحترفو الغناء، هم ـ في الغالب ـ من الموالي والجواري[٧]. وقد يصاحب لهوهم بعض الرقصات بالحراب[٨].

وقد ردد بعض الصحابة شيئا من الرجز المغنى. حيث ذكر أن البراء بن مالك الأنصاري، كان حسن الصوت، وكان يرجز لرسول الله (ص)، في بعض أسفاره، كما مر بنا[٩]. وكان طابع غناء الصحابة، هو الحداء. واختاروا في

---

(١) ضيف، د. شوقي: **الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**، ص ٥٨.

(٢) ضيف، د. شوقي: نفس المكان.

(٣) ابن خياط: **الطبقات**، ص ١٠٥،
ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة ٢٧،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٤٢٦،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ١٢١، ١٢٧ ـ ٢٩.

(٤) وأرنب هذه، امرأة كانت تغني في المدينة. (انظر: ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٢٦). ويظهر أن العروس كانت جارية لعائشة، «رضي الله عنها».

(٥) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٣، ص ٥٩٨.

(٦) يروي أن عمرو بن قرة، جاء إلى رسول الله (ص) فقال: إن الله قد كتب عليّ الشقوة وما أراني أرزق إلا من دفي بكفي، فائذن لي بالغناء من غير فاحشة. فقال: لا آذن لك، ولا كرامة ولا نعمة، ابتغ على نفسك وعيالك حلالا، فإن ذلك جهاد في سبيل الله، واعلم أن عون الله تعالى مع صالحي التجارة. (انظر: ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ١١).

(٧) الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٢٢١،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ١٢١ ـ ٣٥،
ضيف، د. شوقي: **الشعر والغناء في المدينة**، ص ٥٨ ـ ٦٣.

(٨) مسلم: **الصحيح**، جـ ٢، ص ٦١٠.

(٩) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٤٣.

حدوهم أشعارا إسلامية، تظهر فضل الدين عليهم[١]. ونستدل مما ذكر، أن الغناء على عهد الرسول (ص)، لم يكن ـ في الغالب ـ صناعة تحترف، إلا كما ينشد الناس في خلواتهم، ويترنمون به من الأشعار، في شئونهم[٢].

## ٤ ـ رياضة السبق والصيد

استحوذت رياضة سباق الخيل، على اهتمام أهل المدينة، في عصر الرسول (ص). ولذلك أصبح لها تنظيم خاص، دل على الاهتمام الكبير بها. فقد ذكر أن الرسول (ص)، سابق بين الخيل، التي قد أضمرت، من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع[٣]، وسابق بين الخيل، التي لم تضمر، من الثنية إلى مسجد بني زريق[٤]. ويذكر أن الرسول (ص)، راهن على فرس يقال لها «سبحة» فجاءت سابقة، فهش لذلك وأعجبه[٥]. وكان يجيز راكب الفرس ويكرمه[٦]. وكذلك تسابق الصحابة على الابل. ويذكر، أن للرسول (ص)، ناقة تسمى «العضباء»، وكانت لا تسبق[٧].

ومن الهوايات الرياضية التي مارسها بعض الصحابة، على عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، هواية الصيد، بواسطة الكلاب والطيور، كالبازي، أو باستعمال السهام والرماح والمعراض، وهو خشبة محدودة الطرف قيل في طرفها حديدة، يرمى بها الصيد[٨]. كما استعملوا في صيدهم، الفخاخ والأشراك المستورة والشباك ونحو ذلك[٩]. ومما كانوا

---

(١) ومن ذلك قولهم:

تالله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

(انظر: العسكري، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل: **كتاب الأوائل**، ص ٧٠، المدينة، ١٣٨٥ هـ). والحدو، سوق الابل والغناء لها. (انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، جـ ١، ص ٥٨٩).

(٢) مسلم: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨،

الخزاعي: المصدر السابق، ورقة ٢١٩ ـ ٢٣،

الكتاني: المرجع السابق، جـ ٢، ص ١٢٥.

(٣) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٤٦٧ ـ ٦٨.

الحفياء: بالفتح ثم السكون وياء والف ممدودة: موضع قرب المدينة. ومن الحفياء إلى الثنية، خمسة أميال أو ستة، وقيل سبعة. وكانت بظاهر المدينة، خارج السور قرب مسجد الراية بأدنى الغابة شمال غربي المدينة. (انظر العباسي: **عمدة الاخبار**، ص ٣٠٤).

(٤) مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٦٧ ـ ٦٨. وكان بين الثنية ومسجد بني زريق ميل أو نحوه. (انظر: الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ١١٥).

(٥) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٩٣.

(٦) الخزاعي: المصدر السابق، ورقة ١١٥.

(٧) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٩٣.

(٨) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٤٨٢، جـ ٢، ص ٤٧٥.

الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٩٥ ـ ٩٧.

(٩) الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٢١٣.

يصيدون، الظباء والبقر والحمر الوحشية، ونحو ذلك[١]. وقد رخص لهم في أكل الصيد، بعد ثلاث ليال، إلا أن ينتن[٢].

## ٥ ـ اللباس

امتاز لباس الصحابة ـ على عهد الرسول (ص) ـ في المدينة، ببساطته وتكونه من جزئين رئيسيين هما، الازار[٣]، وكانوا يرخون مقدمة الازار حتى تقع حاشيتاه على ظهر القدم، ويرفعونه مما وراءهم[٤]، ويكون تحت السرة، وقد يكون فوقها[٥]. والازار ـ بصفة عامة ـ قصير، ويكره عندهم اسباله[٦]. والجزء الثاني من ثيابهم، هو الرداء، ويعرف أيضا بالقميص، ويغطي أعلى الجسم[٧]، وهو قصير الطول، قصير الكمين، وربما يصل إلى الرسغين[٨]. ويذكر أن طول رداء النبي، صلى الله عليه وسلم، أربع أذرع وعرضه ذراعان[٩]. ويلبس القميص كل من الرجال، كبارهم وصغارهم على حد سواء، إلا أن أقمصة الصبيان قد تكون حمراء اللون[١٠]، بينما نهى الكبار عن لبس اللون الأحمر، فتركوه[١١]. ويذكر أن الرسول (ص)، أمرهم بالبياض من الثياب، فانها من خير ثيابهم، ولأنها أطهر وأطيب[١٢].

والذي يبدو لنا، أن السر في تفضيلهم للثياب البيض، إنما يرجع إلى خاصيتها المعروفة في إظهار الأقذار بمجرد، أن تعلق بها، مما يستوجب تنظيفها في الحال. ولذلك قيل إنها أطهر وأطيب، خصوصا، وأن لبسها كان ضروريا، في جميع الأوقات، بعكس ما كان عليه الحال في لبس الجبب والبرود، التي لم يكونوا يلبسونها ـ على الأغلب ـ إلا أيام

---

(١) الواقدي: **المغازي**، ص ١٧ (الطبعة الاولى)،
ابن عبد البر: **الاستيعاب** (هامش كتاب الاصابة، جـ ١)، ص ٥٤٩،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٤٨٢،
الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ٢، ص ٩٦. أما بالنسبة للحمر الوحشية، فإن الوحش، كل شيء من دواب البر، مما لا يستأنس، مؤنث، والجمع وحوش. ويقال حمار وحشي، وثور وحشي، وكل شيء لا يستأنس بالناس وحشي. (انظر: ابن سيده: **المحكم**، جـ ٣، ص ٣٥٩).
(٢) الدولابي: **الكنى والاسماء**، جـ ١، ص ٢١.
(٣) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٥٩،
ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٨٠، ٥٣٥ ـ ٣٦، جـ ٣، ص ٢٦.
(٤) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٥٩.
(٥) ابن سعد: نفس المكان.
(٦) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٣٥ ـ ٣٦، جـ ٣، ص ٢٦.
(٧) مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ١٤١،
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٦٢ ـ ٦٣.
(٨) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٥٨.
(٩) ابن سعد: نفس المكان.
(١٠) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٣٢٩.
(١١) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤٢٥.
(١٢) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٤٩ ـ ٥٠.

الجمعة وفي العيدين[١]. ولذلك فإن معظمها، كانت تغلب عليه ألوان الحمرة والخضرة، على شكل خطوط حمراء أو خضراء[٢]. وقد لبس بعض أهل المدينة، البرنس، وهو كل ثوب رأسه منه وملتصق به[٣]. وقد لبس الصحابة أيضا السراويل[٤]. والذي يبدو أنهم ربما استعاضوا بالسروال عن الازار. ويذكر أن النجاشي ملك الحبشة، بعث إلى الرسول (ص)، بكسوة فيها سراويل[٥]. أما لبس العباءة، فالظاهر أنها لم تكن شائعة كثيرا، بين الصحابة في المدينة، على عهد الرسول (ص)، وقد ذكر أبا بكر الصديق كانت عليه عباءة له «فدكية». وكان يحرص على لبسها لا تفارقه حتى عرف بها. ولذلك قال أهل نجد، حين ارتدوا كفارا: نحن نبايع ذا العباءة[٦]. وذلك يدلل على تميز أبي بكر بالعباءة عن غيره من الصحابة، الذين لم يعتادوا لبسها.

وكان أغلب لباسهم، ما نسج من القطن وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان[٧]. ولم يرخص لهم في لبس الحرير، إلا ما ذكر من أن الرسول (ص)، رخص للزبير بن العوام في قميص من حرير[٨]. وكذلك عبد الرحمن بن عوف، رخص له في لبس الحرير من شرى كان به[٩].

---

(١) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤٥٠ ـ ٥١. والجبب، مفردها جبة، ضرب من مقطعات الثياب، تلبس. وجمعها جبب، وجباب. والجبة من أسماء الدرع. (انظر: ابن منظور: لسان العرب، جـ ١، ص ٣٩٣). والبرود، مفردها البرد، بضم الباء وسكون الراء، ثوب فيه خطوط، وخص بعضهم به الوشي. (ابن منظور: نفس المصدر، جـ ١، ص ١٨٩).

(٢) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٥٠ ـ ٥٤،
ابن الجوزية: زاد المعاد، ورقة ١٧.

(٣) مسلم: **الصحيح**، جـ ١، ص ٩٧،
مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ ١، ص ٥٢.

(٤) مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ٣٢٥،
ابن حبيب: **المحبر**، ص ٧٦. والسراويل، لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما، وهو فارسي معرب. (انظر: مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، جـ ١، ص ٤٣٠).

(٥) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٧٦.

(٦) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ١٠٤١. والعباءة الفدكية، يبدو أنها نسبة إلى بلدة فدك: بالتحريك وآخره كاف، بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة. أفاءها الله على رسوله (ص)، في سنة سبع صلحا، بعد فتح حصون خيبر. (انظر: **معجم البلدان**، جـ ٤، ص ٢٣٨). والعباءة، أو العباية، لغة فيه: ضرب من الأكسية، واسع فيه خطوط سوداء كبار، والجمع عباء، بكسر العين. (انظر: ابن سيده: **المحكم**، جـ ٢، ص ١٨٧).

(٧) ابن الجوزية: زاد المعاد، ورقة ١٧.

(٨) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ٣، ص ١٠٣.

(٩) مسلم: **الصحيح**، جـ ٣، ص ١٦٤٦،
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٣٠. والشرى، بثور حمر كالدراهم، حكاكة مؤلمة. (انظر: مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ ١، ص ٤٨٤).

وقد لبس الصحابة العمائم لغطاء[١] الرأس، بينما لبس أهل الكتاب القلانس[٢]. وربما لبس القلانس، بعض الصحابة، فوق عمائمهم[٣]. والغالب على القلانس، أنها بيضاء[٤]، بينما كانت العمامة سوداء، في الغالب[٥]. وقد تكون صفراء[٦]. وللصحابة طريقة خاصة للبس العمامة، وهي أنهم كانوا يرسلونها من الخلف أربع أصابع، ثم يلفونها، أي يعتموا بها[٧]، مكورة فوق الجبهة [٨]. ويذكر أن الرسول (ص)، كان يلبس عمامة سوداء، يرخيها بين كتفيه [٩].

أما بالنسبة لنعالهم، فإنها مصنوعة من الجلد وتكون مخصوفة[١٠]. كما لبسوا الأخفاف[١١].

وبالنسبة للمرأة، فإن لباسها لم يختلف كثيرا عن لباس الرجل في المدينة ـ على عهد الرسول (ص) ـ فهي قد لبست السروال[١٢]. كما لبست الدرع، وهو شبيه بالقميص، إلا أنه كان سابغا يغيب ظهور القدمين[١٣]. ولبست المرأة أيضا، الخمار، وهو ثوب تغطي به رأسها[١٤]، كما تلفعت بالمروط، وهي جمع مرط، أكسية من صوف أو حرير ـ كما مر بنا ـ كان النساء ـ في ذلك الزمان ـ يأتزرن بها ويجللن بها الجسد كله[١٥]. ويذكر أن المرأة كانت ـ حينذاك ـ تلبس القفازين، تعمل لليدين وتحشى بقطن، تلبسها المرأة للبرد[١٦].

---

(١) مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ٣٥. والعمائم، مفردها عمامة، وهي كل ما يلف على الرأس. (انظر: مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٦٣٥).

(٢) ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٥١٢. والقلانس، مفردها قلنسوة: لباس للرأس مختلف الانواع والاشكال. (انظر: مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٧٦٠).

(٣) وفي هذا يذكر، أن للرسول عمامة كان يلبسها تحت القلنسوة. (انظر مالك: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٢٥، ابن الجوزية: زاد المعاد، ورقة ١٦، ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٠٣).

(٤) ابن حجر: نفس المكان.

(٥) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٥٦.

(٦) ابن سعد: نفس المصدر، جـ ٣، ص ١٠٣.

(٧) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ١٠٤٨.

(٨) البخاري: تاريخ، جـ ١، ص ١٧٥.

(٩) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٥٦.

(١٠) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٧٨ ـ ٧٩. والنعل، ما وقيت به القدم من الارض. (انظر: الفيروز آبادي: **القاموس**، جـ ٤، ص ٥٨).

(١١) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٨٢،

ابن حجر: **الاصابة**، جـ٣، ص ٤١٧، ٤٦٧. والاخفاف: واحدها الخف. والخف في الارض اغلظ من النعل. (انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، جـ ١، ص ٨٦٨).

(١٢) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩.

(١٣) مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ١٤١ ـ ٤٢. ودرع المرأة، قميصها، والجمع ادراع. (انظر: ابن سيده: **المحكم**، جـ ٢، ص ٧).

(١٤) مالك: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٤١ ـ ٤٢.

(١٥) مالك: نفس المصدر، جـ ١، ص ٤ ـ ٥.

(١٦) مالك: نفس المصدر، جـ ١، ص ٣٢٨.

٦ ـ المظهر العام للصحابة

من أهم مظاهر اهتمام الصحابة في المدينة، بمظهرهم العام، اعتنائهم بنظافة ثيابهم، حتى أن الصحابي كان يتخذ ثوبين لجمعته[1]، سوى ثوبي مهنته[2]. وقد عرف تميم بن أوس الداري، بين الصحابة بأنه صاحب هيئة ولباس، وكان اشترى رداء بألف درهم، يخرج فيه إلى الصلاة[3].

ولم يترك الصحابة الشعر في وجوههم مرسلا، بل أحفوا شواربهم، أي أزالوا ما طال منها على الشفتين، وأعفوا لحاهم، أي وفروها لتكثر[4]، وصبغوها بالحناء[5]. كما أخذوا من أظفارهم[6]، واكتحلوا بالاثمد، واستعملوا السواك، لنظافة أسنانهم[7].

وكان لبعض الصحابة جمة، وهي شعر الرأس إذا بلغ المنكبين، وكان الرجل يسرحها وربما دهنها في اليوم مرتين[8]، مستعملا أمشاط العاج[9]. أما بالنسبة للمرأة، فإنها كانت تضفر شعرها وتجعله ذوائبا[10]، مستعملة المشط[11] أيضا.

وقد حرص الصحابة، على التطيب بالمسك والعنبر[12]، وهي عادة كانت معروفة بين الناس في المدينة، حتى قبل

(١) مالك: نفس المصدر، جـ ١، ص ١١٠.
(٢) مالك: نفس المكان.
(٣) النووي: **تهذيب الاسماء واللغات**، جـ ١، ص ١٣٨ ـ ٣٩.
(٤) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٩٤٧،
ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٤٩.
(٥) البخاري: **الصحيح**، جـ ٧، ص ١٣٧.
(٦) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٤٣،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٣٥٤.
(٧) البخاري: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣ ـ ٤،
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٨٤. والاثمد، عنصر فلزي معدني بلوري الشكل قصديري اللون، صلب هش، يوجد في حالة نقية، وغالبا متحدا مع غيره من العناصر، يكتحل به. (انظر: مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ ١، ص ١٠٠). والسواك: عود يتخذ من شجر الأراك ونحوه، يستاك به، أي ينظف الفم أو الأسنان به. (انظر: مجموعة من المؤلفين: نفس المرجع، جـ ١، ص ٤٦٧).
(٨) مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٩٤٩.
(٩) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٨٤.
(١٠) البخاري: المصدر السابق، جـ ٧، ص ١٤٠،
مسلم: **الصحيح**، جـ ١، ص ٢٥٩.
(١١) البخاري: **تاريخ**، جـ ١، ص ١٢٩.
(١٢) البخاري: **تاريخ**، جـ ٢، ص ٨٨،
ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٣٩٩،
مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ١١٠.

الاسلام[١]. وقد ذكر أن شعر النبي (ص)، كان أحمرا من الطيب[٢]. كما ذكر أن الصحابة كانوا يتطيبون حتى تجد لمعان الطيب في رؤسهم ولحاهم[٣].

واستحب بين الصحابة في المدينة، الاختتام بخاتم من حديد[٤]، أوبخاتم من فضة، يجعلونه في اليد اليسرى[٥]، وأحيانا في اليمنى[٦]. وكانوا يختتمون بخواتم الذهب، إلا أنهم نهوا عن ذلك[٧]، بداعي قطع دابر المباهاة والمفاخرة ـ ولا ريب ـ خصوصا، وأن التدابير التي مرت بنا، كانت تظهر حرص الرسول (ص)، على إزالة كل أسباب الفرقة والمفاخرة بين المسلمين، وتدعو إلى تكريس الجهد، على أن يتجه المسلمون إلى هدفهم الأسمى، وهو نشر الاسلام. أما بالنسبة للمرأة، فقد رخص لها بلبس الذهب[٨]، وقد لبست أيضا القلائد والاقراط[٩].

### ٧ ـ الأسرة والبيت

لعل منأبرز سمات المجتمع في المدينة، بالنسبة للأسرة والبيت ـ على عهد الرسول (ص) ـ هو الحرص الكبير على أن يكون للرجل زوجة وأولادا. ويروي في هذا أن أحد الصحابة (عكاف بن وداعة الهلالي، ويقال عكاف بن بشر التميمي) سأله الرسول (ص): ألك زوجة؟ قال: لا. قال: ولا جارية؟ قال: لا. قال: وأنت صحيح موسر؟ قال: نعم والحمد لله. قال: فأنت إذا من إخوان الشياطين. إما أن تكون من رهبان النصارى، فأنت منهم، وإمَّا أن تكون منا، فاصنع كما نصنع، فإن من سنتنا النكاح، شراركم عزابكم[١٠]. فلم يبرح الرجل مجلسه، حتى زوجه الرسول (ص)، إحدى الصحابيات[١١]. ولذلك فقد سهلت مراسم الزواج وخفف عن الخاطب حمل الصداق، بشكل كبير جدا[١٢]. وكان بعض الصحابة، قد دفع صداقا لامرأة من قومه، مبلغ مئتي درهما[١٣]، وساق عبد الرحمن بن عوف إلى

---

(١) الواقدي: **المغازي**، ص ١٤٨ (الطبعة الاولى).
(٢) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٣٧.
(٣) البخاري: **الصحيح**، جـ ٧، ص ١٤٠.
(٤) مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٢٦.
(٥) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٧٣ ـ ٧٥.
(٦) مسلم: **الصحيح**، جـ ٣، ص ١٦٥٨.
(٧) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٧٠ ـ ٧١.
(٨) مسلم: المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٦٣٥، ١٦٥٤.
(٩) البخاري: المصدر السابق، جـ ٧، ص ١٣٦.
(١٠) ابن الاثير: **أسد الغابة**، جـ ٤، ص ٣،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٤٩٥ ـ ٩٦.
(١١) اس حجر: نفس المكان.
(١٢) ذكر أن رجلا طلب من الرسول (ص)، ان يزوجه أمرأة حضرت مجلسه، فقال له: هل عندك من شي، تصدقها إياه؟ فقال: ما عندي إلا ازاري هذا. فقال الرسول (ص): التمس ولو خاتما من حديد. فالتمس فلم يجد شيئا. فقال له: هل معك من القرآن شيئا؟ فقال: نعم. فقال له الرسول (ص)، قد انكحتكها بما معك من القرآن. (انظر: مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٥٢٦).
(١٣) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ١٠٤٥. ويبدو ان دفع مئتي درهما، مهرا، كان عرفا متبعا. ولذلك ذكر أن الرسول (ص)، قال: «لو كنتم تغرفونها من بطحان مازدتم». (انظر: الدولابي: **الكنى والاسماء**، جـ ١، ص ٢٥).

احداهن، زنة نواة من ذهب(١) . ولم يكن يستحب الزيادة على ذلك(٢) .

ومن مظاهر العرس في المدينة، إقامة الوليمة(٣)، وكانت لازمة من غير إسراف(٤) . وقد شهد الرسول (ص)، املاك رجل من الأنصار، فزوجه وقال: على الخير والالف والطائر الميمون والسعة في الرزق، دفعوا على رأسه. فجاءوا بالدف، فضرب به، وأقبلت الأطباق عليها الفاكهة وسكر، فنثر عليه، فكف الناس أيديهم. فقال: مالكم لا تنتهبون؟ قالوا: يارسول الله، نهيتنا عن النهب. فقال: إنما نهيتكم عن نهبة العسكر، فأما العرسان فلا، فجاذبهم وجاذبوه(٥) .

وقد قامت العلاقة بين الزوج والزوجة، على اللطف والمودة والبعد عن أسباب الشجار، وما يكدر صفو العيش(٦) . ولم يمنع حصول ذلك اللطف كون الرجل عنده أربع نسوة(٧)، فإنهن كن يجتهدن في الطيب ابتغاء مرضاته(٨) . كما أن الرجل من جانبه، كان يعبر عن عواطفه نحو امرأته، بما لا يخرج عن الحشمة، كأن يداعبها ويقبلها(٩) . ومع كل ذلك، فإن حياة الأسرة في البيت، كانت بسيطة التكاليف، خالية من البذخ والبهرج. وخير مثال على ذلك، أن رأس الأمة ورسولها، صلى الله عليه وسلم، كان ينام على سرير مرمول بشرط ووسادته من جلد محشوة بليف(١٠). وقد تأثر عمر بن الخطاب - مرة - حين دخل عليه وقد أثر الشريط بجنبه، فبكى عمر، فقال: وما يبكيك؟ قال: يارسول الله ذكرت كسرى وقيصر يجلسون على سرر الذهب ويلبسون السندس والاستبرق، فقال: أما ترضون أن تكون لكم الآخرة ولهم الدنيا(١١)؟ وإلى جانب ذلك، كانوا يجلسون على الحصر والبسط والفرش المحشوة بالصوف(١٢).

---

(١) مالك: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٤٥ . والمراد بالنواة هنا، قيل نواة التمر، وقيل اسم للمقدار من الوزن كان عندهم كما هو عند غيرهم. (انظر: الكتاني: **التراتيب الادارية**، جـ ١، ص ٤١٥).

(٢) الدولابي: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٥ .

(٣) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٥٤٥،

الطبري: **جامع البيان**، جـ ٢٢، ص ٢٧ . والعرس، بضم العين وسكون الراء، وقيل بضم العين والراء معا: مهنة الاملاك والبناء. وقيل: يقصد به طعام الاملاك والبناء خاصة. (انظر: ابن سيده: **المحكم**، جـ ١، ص ٢٩٧).

(٤) يروي أن عبد الرحمن بن عوف، حين ساق إلى احداهن، ليتزوجها، قال له الرسول (ص): أولم ولو بشاة. (انظر: مالك: المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٤٥).

(٥) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٢، ص ٤٢٦ .

(٦) الطبري: المصدر السابق، جـ ١٨، ص ٩٠،

ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٢ ص ٥٤٢، ٤٥٥،

(٧) ابن حجر: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٤٥٥ .

(٨) ابن حجر: نفس المكان.

(٩) مالك: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٩١ - ٩٢ .

(١٠) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٦٦ . وقوله مرمول بشرط: من رمل الحصير، نسجه، ورمل السرير، زينه بالجوهر ونحوه. (انظر: مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ ١، ص ٣٧٥، معلوف: **المنجد**، ص ٢٨٠).

(١١) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٦٦ .

(١٢) البخاري: **الصحيح**، جـ ١، ص ٧٢،

ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٦٥،

ابن الجوزية: زاد المعاد، ورقة ٢٠ .

أما عن إضاءة بيوتهم، فاستعملوا المصابيح بالفتيل والزيت[١]. وقد بردوا ماءهم في الأسقية، التي تصنع من الجلود المدبوغة[٢]، وهي القرب، يعلقونها على أعواد من جريد، وهو سعف النخل[٣]. هذا بالاضافة إلى تبريدهم للماء في الفخارة[٤].

وكانت وسيلة الركوب، المعروفة كثيرا في المدينة ـ على عهد الرسول (ص) ـ الحمير، وكانوا يطلقون عليها أسماء خاصة، مثل عفير ونحو ذلك[٥]. وقد كانوا يتخذون فوق ظهورها، حين ركوبها، قطيفة أو نحو ذلك[٦].

وقد شاعت بعض العادات وانتشرت بين أسر الصحابة ـ على عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم ـ منها، عادة التحنيك، وهي أنهم كانوا يأتون بأولادهم اذا ولدوا، إلى النبي (ص)، فيحنكهم، أي يمضغ تمرة ثم يضعها في فم المولود، ويدعو له ويسميه[٧].

وهناك عادة العقيقة عن المولود، وهي أنهم يذبحون شاة عن الذكور والاناث، عند ولادتهم، ولم تكن واجبة فهي مستحبة[٨]. وقد عق بعض الصحابة، عن مولده، بفرس، على حياة الرسول، صلى الله عليه وسلم[٩].

ومن عاداتهم الشائعة أيضا، الختان، وتعتبر بينهم من السنة التي فطر عليها الانسان[١٠].

---

(١) مالك: **الموطأ**، جـ ١، ص ١١٧،
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٣٩.

(٢) ابن قدامه: **الاستبصار**، ورقة ٤٤،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٢٧١.

(٣) الخزاعي: **الدلالات السمعية**، ورقة ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤١٧.

(٥) مسلم: **الصحيح**، جـ ١، ص ٥٨، ٤٦١.

(٦) ابن الاثير: **أسد الغابة**، جـ ١، ص ٦٥.

(٧) مسلم: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٣٧،
ابن حجر: **الاصابة**، جـ ٣، ص ٥٨، ٦٩، ٧٤، وفي أماكن متفرقة. والتحنيك، من الحنك، والحنك من الانسان، والدابة: باطن أعلى الفم من داخل. وقيل الأسفل في طرف مقدم اللحيين من أسفلهما. والجمع أحناك. وحنك الدابة، دلك حنكها، وحنك الصبي بالتمر وحنكه، دلك به حنكه. (انظر: ابن سيده: **المحكم**، جـ ٣، ص ٣١ ـ ٣٢).

(٨) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٥٠٠ ـ ٥٠٢. والعقيقة: أصلها الشعر الذي يكون على رأس المولود حين يولد، وسميت الشاة، التي تذبح عنه، عقيقة، لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح. (انظر: مالك: نفس المكان، وانظر: أيضا الهامش رقم ١، ص ٥٠٠، نفس المكان، ابن منظور: **لسان العرب**: جـ ٢، ص ٨٤٣).

(٩) ابن حجر: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٦٣.

(١٠) مسلم: **الصحيح**، جـ ١، ص ٢٢١. قال الرسول، صلى الله عليه وسلم: «الفطرة في خمس (أو خمس من الفطرة): الختان، والاستحداد وتقليم الأظفار، ونتف الأبط، وقص الشارب». (انظر: مسلم: نفس المكان). والفطرة، السنة وقيل الدين. والاستحداد: حلق العانة، باستعمال الحديدة، وهي الموسى. (انظر: مسلم: نفس المكان، الهامش رقم ١، ٢).

## ٨ ـ الطعام والشراب

لم تكن مسألة الترفع في الطعام والشراب، تستحوذ على اهتمام أهل المدينة كثيرا على عهد الرسول (ص). ولذلك تجد أحيانا أن عامة زادهم التمر[١]، وخبز الشعير[٢]. وربما أولموا بالوليمة ما فيها خبز ولا لحم[٣]. ومع أن هذا القول ربما كان يصور الحالة المعيشية التي كانت تمر بالمدينة في كثير من الأحيان ـ كما سبق أن رأينا ـ إلا أن المعروف عن المسلمين عامة وأهل المدينة، على وجه الخصوص، في تلك الفترة، قلة إقبالهم على الطعام[٤]، لما روى عن الرسول (ص)، قوله: حسب ابن أدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه[٥].

ومن أفخر طعامهم الثريد، من الخبز وعراق اللحم[٦]، وكذلك الخبز المثرود باللبن[٧]، والثريد من التمر[٨]، والقديد[٩]. ومن الأطعمة التي يفضلونها أيضا، الرطب[١٠] وسائر الحلو والعسل والبطيخ والسفرجل، ونحو ذلك من الفاكهة[١١]. وكذلك أحبوا مرق الدباء (القرع) مع خبز الشعير بالشحم المذاب، ويعرف بالاهالة، وهي الودك[١٢]، أو كل ما يؤتدم به من الأدهان[١٣]، وكانوا أيضا، يأتدمون بالخل[١٤]. وربما أضافوا إلى طعامهم البصل والثوم[١٥].

---

(١) ابن اسحاق: **السيرة**، جـ ٤، ص ١٠٤٨،
الواقدي: **المغازي**، ص ٢٦٢ (الطبعة الاولى).

(٢) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٤٠٨.

(٣) مالك: **الموطأ**، جـ ٢، ص ٥٤٦.

(٤) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤١٠.

(٥) ابن سعد: نفس المكان.

(٦) الواقدي: **المغازي**، ص ٢٥٥ (الطبعة الاولى).
ابن كثير: **البداية والنهاية**، م ٢، جـ ٣، ص ٢٠٢. والعراق: العظم بغير لحم، فإن كان عليه لحم فهو عرق، بفتح العين وسكون الراء، وقيل العرق: الذي أخذ أكثر لحمه. (انظر: ابن سيده: **المحكم**، جـ ١، ص ١١٠). ومن اللحوم التي أكلوها: لحم الابل، والضأن، والدجاج والحباري ولحم الحمر الوحشية والأرنب، وطعام البحر. (انظر: ابن الجوزية: **زاد المعاد**، ورقة ١٧).

(٧) ابن كثير: المصدر السابق، م ٢، جـ ٣، ص ٢٠٢.

(٨) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٣٩٣.

(٩) ابن حجر: **الاصابة**، جـ ١، ص ٤١٧. والقديد: من اللحم، ما قطع طولا وملح وجفف في الهواء والشمس. (انظر: مجموعة من المؤلفين: **المعجم الوسيط**، جـ ٢، ص ٧٢٤).

(١٠) الواقدي: المصدر السابق، ص ٢٥٦ (الطبعة الاولى).

(١١) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٩١ ـ ٩٣،
الدولابي: **الكنى والاسماء**، جـ ١، ص ١٠.

(١٢) ابن الجوزية: المصدر السابق، ورقة ١٧.

(١٣) البخاري: **الصحيح**، جـ ٣، ص ٤٩ ـ ٥٠، الهامش رقم ١، نفس المكان.

(١٤) مسلم: **الصحيح**، جـ ٣، ص ١٦٢٣.

(١٥) ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٩٥.

أما عن الأشربة، فإن اللبن، يعد أكثر يسرا وتفضيلا عند معظم أهل المدينة. وقد روى أن الرسول (ص)، قال: من سقاه الله لبنا، فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزى من الطعام والشراب غير اللبن[١]. كما شربوا أيضا العسل بالماء، وشربوا نقيع التمر[٢]، وسويق اللوز، ويعد شراب المترفين[٣].

(١) ابن سعد: **الطبقات**، جـ ١، ص ٣٩٧.

(٢) ابن الجوزية: **زاد المعاد**، ورقة ١٧.

(٣) روي أن الرسول (ص)، أتى بسويق لوز، فقال لهم: أخروه. هذا شراب المترفين. (انظر: ابن سعد: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٩٥).

# مصادر ومراجع البحث

## أولا ـ المخطوطة

ابن الجوزية : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م).

(١) **زاد المعاد في هدى خير العباد** (مخطوط بمكتبة طبقبوباستانبول ـ تركيا ـ برقم ٤٤٦ تاريخ. وهي النسخة التي رجعت إليها، لتيسرها أولا، ورغبة في الاستفادة مما قد، يكون فيها من شروح على المتن. علما بأن الكتاب قد طبع في أربعة أجزاء بمجلدين، ط٣، القاهرة، ١٣٩٢ هـ).

ابن الحاج : عبد القادر بن الحاج صالح بكتاش البغدادي (كان حيا سنة ١١٨٧ هـ).

(٢) **رفع الخفاء على ذات الشفاء** (وهو شرح المنظومة الموسومة بذات الشفاء في سيرة النبي ثم الخلفاء، لابن الحاج نفسه وقد فرغ من تأليفه في التاسع عشر من شهر محرم سنة ١١٨٧ هـ. والمخطوط، بمكتبة المتحف العراقي ببغداد، برقم ٢٤٦).

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١ هـ/٩٣٣ م)

(٣) **كتاب الاشتقاق** (مخطوط بالمكتبة السليمانية باستانبول ـ تركيا ـ برقم ٢٣٥٧ تاريخ).

ابن شبة : أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النمري البصري (ت٢٦٢ هـ).

(٤) **تاريخ المدينة** (مخطوط مصور، بقسم المخطوطات ـ جامعة الرياض ـ برقم ٤٤ ص. والأصل محفوظ بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت ـ المدينة المنورة برقم ١٥٧).

ابن فرحون : برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن نور الدين أبو الحسن بن على بن محمد بن أبي الحسن بن محمد (ت ٧٩٩ هـ/١٣٩٧ م).

(٥) **نصيحة المشاور وتعزية المجاور** (مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، برقم ٩٠٠ عام، ٥١ خاص).

ابن قدامه : موفق الدين عبد الله بن محمد بن أحمد، المعروف بالمقدسي (ت ٦٢٠ هـ).

**(٦) الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار** (مخطوط مصور بقسم المخطوطات ـ جامعة الرياض ـ برقم ٣ ص أنساب تاريخ. وهي عن نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، رقم ٥٩٧ تاريخ).

أبو القاسم التيمي : الحافظ قوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي (ت ٥٣٥ هـ/١١٤١ م).

**(٧) كتاب المبعث والمغازي** (مخطوط بمكتبة كوبريلي باستانبول ـ تركيا ـ تحت رقم ١١٣٨).

الخزاعي : أبو الحسن على بن ذي الوزارتين محمد بن أحمد بن موسى بن سعود بن موسى بن أبي غفرة (ت ٧٤٧ هـ تقريبا).

**(٨) تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الحرف والصنائع والعملات الشرعية** (مخطوط مصور بمعهد إحياء المخطوطات ـ جامعة الدول العربية ـ برقم ١٨٥٣ تاريخ. رقم الميكروفلم ١٥٨).

العجيمي : حسن بن على المكي الحنفي (كان حيا خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري).

**(٩) تاريخ مكة والمدينة والطائف** (مخطوط مصور، بقسم المخطوطات ـ جامعة الرياض ـ برقم ٤٣ ص تاريخ. وتاريخ النسخ سنة ١٢٦٧ هـ).

العدوي : أبو البقاء محمد بهاء الدين بن ضياء المكي الحنفي القرشي العمري (توفي خلال القرن التاسع الهجري).

**(١٠) أحوال مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف وغير ذلك** (مخطوط مصور، بقسم المخطوطات ـ جامعة الرياض ـ برقم ٢٢٦ ص تاريخ. عن النسخة المحفوظة بمكتبة دار الكتب المصرية. والمخطوط في مجلدين. أفرد المجلد الأول وجزءا من الثاني للحديث عن أحوال مكة وباقي الجزء الثاني مختص بالحديث عن أحوال المدينة المنورة. وتاريخ النسخ سنة ١١٣٠ هـ).

العيني : أبو محمد محمود (ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١ م).

**(١١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** (مخطوط بمكتبة طبقبو باستانبول ـ تركيا ـ برقم ٢٦١١ تاريخ. والمخطوط في ٢٨ مجلدا. وقد كتب في آخر صفحة من المجلد الأول: «أنجز الجزء الأول بعون الله وتوفيقه على يد مؤلفه فقير رحمة ربه الغني أبي محمد محمود العيني عامله الله

ووالـديـه بلطفـه الخفي، نهار يوم الجمعة سلخ شهر الله الحرم عام خمسة وعشرين وثمان مابة من الهجرة).

كبريت : محمد كبريت بن عبد الله الحسيني المدني الموسوي ( ت ١٠٧٠ هـ/ ١٦٦٠ م).
**(١٢) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة** (مخطوط بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد، برقم ١٧٧ تاريخ. وهذه هي النسخة التي رجعت إليها في هذا البحث. ويوجد نسخة أخرى بمكتبة الحرم المكي. برقم ٢٤ تاريخ «القسم الخص بمكتبة دهلوي»).

مجهول : (يبدو أنه كان حيا خلال القرن الحادي عشر الهجري. حيث أن المخطوط من مخطوطات تلك الفترة).
**(١٣) في سيرة الرسول وغزواته** (مخطوط بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد، برقم ١٣٦٧/٣٥٨).

المرجاني : أبو عبد الله محمد بن أبي مروان عبد الملك القرشي البكري القرطبي (ت ٧٨١ هـ).
**(١٤) تاريخ هجرة المختار** (مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، برقم ٩٠٠ تاريخ عام، ٤٥ تاريخ خاص).

## ثانيا ـ المطبوعة

ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ/١٢٦٩ م).
(١) **عيون الأنبياء في طبقات الأطباء**، بيروت، ١٣٧٧ هـ.

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٨ م).
(٢) **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (خمسة أجزاء)، المطبعة الوهبية، القاهرة ١٢٨٠ هـ.
(٣) **الكامل في التاريخ**، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.

ابن اسحاق : أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي ـ بالولاء ـ المدني (ت ١٥١ هـ/٧٦٢ م).
(٤) **سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم** (تهذيب عبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ/٨٣٣ م)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣م.

ابن بكار : الزبير (ت ٢٥٦ هـ).
(٥) **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، جـ ١، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٣٨١ هـ.

ابن جلجل : أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي (كان حيا سنة ٣٨٤ هـ).
(٦)**طبقات الأطباء والحكماء** (ألفه سنة ٣٧٧ هـ)، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٥٥.

ابن الجوزية : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ/١٣٥٠ م).
(٧) **زاد المعاد في هدى خير العباد** (أربعة أجزاء بمجلدين، ط٣، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م).

ابن حبيب : محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ/٨٥٩م).
(٨) **كتاب المحبر**، تحقيق المستشرقة الأمريكية د. ايلزه ليختن شتيتر، حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣٨٤هـ/١٩٤٢م.
(٩) **كتاب المنمق في أخبار قريش**، تصحيح وتعليق خورشيد أحمد فاروق، ط١، حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م.

ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٩ م.

(١٠) **كتاب الاصابة في تمييز الصحابة**، ط١ (أربعة أجزاء)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ. (وقد أعادت طبعه بالأوفست، دار صادر بيروت).

ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٤ م).

(١١) **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٣٨٢ هـ/١٩٦٢ م.

ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ/٩١٢ م).

(١٢) **المسالك والممالك**، طبعة ليدن، ١٨٨٩ م. (وقد أعادت طبعه بالأوفست، مكتبة المثنى ببغداد).

ابن خلدون : عبد الرحمن (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م).

(١٣) **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** (وهو المعروف باسم **تاريخ ابن خلدون**). تصحيح علال الفاسي وعبد العزيز بن ادريس، وتعليق الأمير شكيب أرسلان، مطبعة النهضة بمصر، ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م.

وانظر أيضا، طبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٤ هـ.

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ/٩٣٣ م).

(١٤) **كتاب الاشتقاق**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م.

ابن رستة : أبو علي أحمد بن عمر (كان حيا عام ٢٩٠ هـ/٩٠٣ م).

(١٥) **كتاب الأعلاق النفيسة**، م ٧، طبعة ليدن، ١٨٩١م.

ابن سعد : محمد (ت ٢٣٠ هـ/٨٤٥م).

(١٦) **الطبقات الكبرى** (في تسعة أجزاء)، طبعة دار صادر، بيروت، (٨٠ ـ ١٣٨٨ هـ)/(٦٠ ـ ١٩٦٨ م).

ابـن سيد الناس : فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى (ت ٧٣٤ هـ/١٣٣٣م).

(١٧) **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، مطبعة دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٩٧٤م.

وانظر أيضا طبعة دار الآفاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٩٧٧م.

ابن سيده : علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٥ م).

(١٨) **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة** (ستة أجزاء)، جـ١، تحقيق مصطفى السقا، ط ١، القاهرة، ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م، جـ٢، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط ١، القاهرة، ١٣٧٧ هـ، جـ٦، تحقيق د. مراد كامل، ط ١، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

ابن ظهيرة : جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن ابي بكر بن علي القرشي المخزومي (كان حيا خلال القرن التاسع الهجري).

(١٩) **الجامع اللطيف فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف**، ط ١، القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢١م.

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

(٢٠) **كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب** (وقد رجعت إلى النسخة الملحقة بها مش كتاب ابن حجر: الاصابة، ط ١، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٨ هـ).

(٢١) **الانباه على قبائل الرواة**، القاهرة، ١٣٥٠ هـ.

(٢٢) **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم**، النجف، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

ابن فضل الله : العمري (ت ٤٧٩ هـ/١٣٤٩ م).

(٢٣) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، جـ ١، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، ١٣٤٢ هـ/١٩٢٤م.

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م).

(٢٤) **المعارف**، ط ٢، تحقيق د. ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٦٩ م.

ابن قدامة : موفق الدين عبد الله بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠ هـ).
(٢٥) **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، تحقيق على يوسف نويهض، بيروت، ١٣٩١ هـ/١٩٧١م.

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٣ م).
(٢٦) **البداية والنهاية في التاريخ**، ط ١، القاهرة، ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م.
(٢٧) **السيرة النبوية** (في جزئين)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، بيروت، ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م.

ابن الكلبي : أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر (المعروف أيضا باسم الكلبي) (ت ٢٠٤ هـ).
(٢٨) **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي، القاهرة، ١٣٨٤ هـ.

ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي، وقيل: رضوان بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل (ت ٧١١ هـ/١٣١١م).
(٢٩) **لسان العرب المحيط**، طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
وانظر أيضا، طبعة دار لسان العرب، بيروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

ابن النجار : أبو عبد الله البغدادي محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن (ت ٦٤٧هـ).
(٣٠) **أخبار مدينة الرسول** (المعروف باسم الدرة الثمينة في أخبار المدينة)، تحقيق صالح محمد جمال، ط ١، مكة، ١٩٦٦.

أبو داوود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ).
(٣١) **سنن أبي داوود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (أربعة أجزاء في مجلدين)، ط ٢، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

أرنولد : سير توماس.
(٣٢) **الدعوة إلى الاسلام**، الترجمة العربية لحسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، واسماعيل النحراوي، ط ٢، القاهرة، ١٩٤٧ م.

الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ/٨٦٥ م).
(٣٣) **أخبار مكة**، ط ٣، تحقيق رشدي الصالح ملحس، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

الأسد : د. ناصر الدين.

(٣٤) **القيان والغناء في العصر الجاهلي**، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

أمين : أحمد (ت ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

(٣٥) **فجر الاسلام**، ط ١٠، بيروت، ١٩٦٩م.

الأصبهاني : الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م).

(٣٦) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (في عشرة أجزاء)، ط ١، القاهرة، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

الاصطخري : أبو القاسم بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد الفارسي (توفى في النصف الاول من القرن الرابع الهجري).

(٣٧) **المسالك والممالك**، تحقيق د. محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

الاصفهاني : أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م).

(٣٨) **كتاب الأغاني**، مراجعة عبد الله العلايلي، موسى سليمان، وأحمد أبو سعيد، ط ٣، بيروت، ١٩٥٥ م.

الأعظمي : د. محمد مصطفى.

(٣٩) **كتاب النبي، صلى الله عليه وسلم**، ط ١، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

الأنصاري : عبد القدوس.

(٤٠) **آثار المدينة المنورة**، ط ٣، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

بارتولد : فاسيلي فلاديمر (ت ١٩٢٧م).

(٤١) **تاريخ الحضارة الاسلامية**، الترجمة العربية لحمزة طاهر، ط ٣، القاهرة، ١٩٥٨ م.

باسلامة : حسين عبدالله.

(٤٢) **تاريخ عمارة المسجد الحرام**، ط ١، جدة، ١٣٥٤هـ.

البتنوني : محمد لبيب (ت ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).
(٤٣) **الرحلة الحجازية**، ط ٢، القاهرة، ١٣٢٩هـ.

البخاري : شيخ المحدثين الامام أبوعبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي (ت ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م).
(٤٤) **الصحيح**، تقديم وتحقيق وتعليق محمود النواوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد خفاجي (تسعة اجزاء في ثلاثة مجلدات)، مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٣٧٦هـ.
(٤٥) **كتاب التاريخ الكبير** (تسعة أجزاء)، منشورات المكتبة الاسلامية، ديار بكر بتركيا.

بروكلمان : كارل.
(٤٦) **تاريخ الشعوب الاسلامية**، الترجمة العربية لنبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط ٥، بيروت، ١٩٦٨م.

البستاني : المعلم بطرس (ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م).
(٤٧) **كتاب محيط المحيط**، بيروت، ١٢٨٦هـ/١٨٧٠م.

البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).
(٤٨) **معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع** (أربعة أجزاء في مجلدين)، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، (٦٤ ـ ١٣٦٨هـ)/(٤٥ ـ ١٩٤٩م).

البلخي : أبو زيد أحمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ/٩٣٤م).
(٤٩) **كتاب البدء والتاريخ**، تحقيق المستشرق الفرنسي كلمان هوار (ستة أجزاء في ثلاث مجلدات)، شالون ـ فرنسا ـ ١٨٩٩ م. (أعادت نشره بالأوفست، مكتبة خياط، ببيروت).

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
(٥٠)**أنساب الأشراف**، جـ ١، تحقيق د. محمد حميد الله، مطبعة دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ م.
(٥١) **كتاب فتوح البلدان** (قسمين في مجلد واحد)، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه د. صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧م.
وانظر ايضا، النسخة التي حققها، رضوان محمد رضوان، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

البقري : عبد الله أبو العطا.
**(٥٢) الانصار والاسلام**، القاهرة، ١٩٦٤ م.

جاد المولى : محمدين أحمد، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.
**(٥٣) أيام العرب في الجاهلية**، ط ٣، القاهرة، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

الجاسر : حمد.
**(٥٤) بلاد ينبع «لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة»**، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض.

حافظ : علي.
**(٥٥) فصول من تاريخ المدينة المنورة**، منشورات شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة.

حتـي : د. فيليب، د. ادورد جرجي، د. جبرائيل جبور.
**(٥٦) تاريخ العرب** (المطول من جزئين)، ط ٤، بيروت، ١٩٦٥ م.

الحربي : أبو اسحاق (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م).
**(٥٧) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

حسن : د. حسن إبراهيم.
**(٥٨) تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** (صدر منه أربعة أجزاء، ١ ـ ٣، ط ٧، القاهرة ٦٤ ـ١٩٦٥م، ج ٤، ط ١، القاهرة، ١٩٦٨م).

الحسيني : محمد باقر.
**(٥٩) تطور النقود العربية الاسلامية**، ط ١، بغداد، ١٩٦٩م.

الحكيم : أبو الحسن علي بن يوسف (كان موجودا خلال القرن الثامن الهجري).
**(٦٠) الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق وتذييل د. حسين مؤنس، مدريد، ١٣٧٩ هـ.

الحلبي : علي بن إبراهيم بن أحمد (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٥م).
(٦١) **إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون** (المعروفة بالسيرة الحلبية)، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

حميد الله : د. محمد.
(٦٢) **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ط ٣، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م).
(٦٣) **كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥ م.

الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م).
(٦٤) **سنن الدارمي** (جزآن في مجلد واحد)، نشرته دار إحياء السنة النبوية، بيروت.

الدباغ : مصطفى مراد الدباغ.
(٦٥) **الجزيرة العربية «مواطن العرب ومهد الاسلام»**، ج ١، ط ١، بيروت، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

الدوري : د. عبد العزيز.
(٦٦) **مقدمة في تاريخ صدر الاسلام**، ط ٢، بيروت، ١٩٦١ م.

الدولابي : أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (ت ٣١٠ هـ/٩٢٣ م).
(٦٧) **كتاب الكنى والأسماء**، ط ١، حيدر أباد ـ الهند ـ ١٣٢٢ هـ.

الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٩م).
(٦٨) **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس** (جزآن في مجلد واحد)، طبعة مؤسسة شعبان ببيروت، عن الطبعة القديمة بالمطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٣ هـ.

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م).
(٦٩) **سير أعلام النبلاء**، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٥٥م.
(٧٠) **تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام**، القاهرة، ١٣٦٧هـ.

(٧١) كتاب تذكرة الحفاظ (أربعة أجزاء في مجلدين)، حيدر أباد - الهند - ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

رستم : د. أسد.
(٧٢) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب (جزآن)، دار المكشوف، ط ١، بيروت، ١٩٥٥م.

الزبيدي : د. محمد حسين.
(٧٣) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري، بغداد، ١٩٧٠ م.

الزبيري : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت ٢٣٦هـ/٨٥١م).
(٧٤) كتاب نسب قريش، تصحيح وتعليق ا. بروفنسال، القاهرة، ١٩٥١م.

الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م).
(٧٥) أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ.
(٧٦) الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق السيد محمد صادق أل بحر العلوم، النجف، ١٣٨١هـ.

زيدان : جرجي.
(٧٧) تاريخ التمدن الاسلامي (٥أجزاء)، طبعة جديدة علق عليها د. حسين مؤنس، القاهرة. وانظر الطبعة القديمة، القاهرة (١٩٠٢ - ١٩٠٦م).

السخاوي : شمس الدين أبو الخير وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القاهري الشافعي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م).
(٧٨) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٣ أجزاء) القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

السمهودي : نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد (ت ٩١١هـ/١٥٠٦م).
(٧٩) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (أربعة أجزاء في مجلدين)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
(٨٠) خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م).

(٨١) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تعليق طه عبد الرؤف سعد (أربعة أجزاء في مجلدين)، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

شافعي : د. فريد.
(٨٢) العمارة العربية في مصر الاسلامية عصر الولاة، القاهرة، ١٩٧٠ م.

الشريف : د. أحمد إبراهيم.
(٨٣) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، القاهرة، ١٩٦٥ م.

شلبي : د. أحمد.
(٨٤) موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، جـ ١، ط ٦، القاهرة، ١٩٧٤م.

شنودة : المحامي زكي.
(٨٥) اليهود «نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس»، ط ١، القاهرة، ١٩٧٤م.

صالح : د. عبد العزيز.
(٨٦) الشرق الأدنى القديم. جـ ١، (مصر والعراق)، القاهرة، ١٩٦٧ م.

ضيف : د. شوقي.
(٨٧) الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ط ٢، بيروت، ١٩٦٧ م.
(٨٨) العصر الجاهلي، ط ٣، القاهرة، ١٩٦٠م.

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م).
(٨٩) تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (٨ أجزاء)، دار المعارف بمصر، ٦٠ ـ ١٩٦٦م.
(٩٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط ٢، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

طنطاوي : د. محمد سعيد.
(٩١) بنو اسرائيل في القرآن والسنة(جزآن)، ط ٢، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

العامري : عماد الدين يحيى بن أبي بكر (كان حيا سنة ٨٥٥هـ).
(٩٢) **بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل** (جزآن)، شرح الأشخر اليمني: جمال الدين محمد (كان حيا سنة ٩٧٥هـ)، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٣٠ هـ (وقد أعيد نشر الكتاب من قبل مكتبة النمنكاني بالمدينة المنورة).

العاني : د. سامي مكي.
(٩٣) **دراسات في الأدب الاسلامي**، بغداد، ١٣٩٥هـ.

العباسي : أحمد بن عبد الحميد (توفي في القرن العاشر الهجري).
(٩٤) **كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار**، ط ٥، تصحيح حمد الجاسر، منشورات أسعد درابزوني الحسيني بالمدينة المنورة.

العسكري : أبو هلال الحسن بن علي بن سعد بن سهل (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م).
(٩٥) **كتاب الأوائل**، تحقيق محمد الوكيل، المدينة المنورة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م).
(٩٦) **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٩هـ.

علي : د. جواد.
(٩٧) **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**(١٠ أجزاء، منشورات دار العلم للملايين، بيروت ومكتبة النهضة ببغداد)، بيروت ٦٩ - ١٩٧٦م.

علي : سيد أمير.
(٩٨) **مختصر تاريخ العرب**، الترجمة العربية لعفيف البعلبكي، ط ٢، بيروت، ١٩٦٧م.

العياشي : إبراهيم بن علي.
(٩٩) **المدينة بين الماضي والحاضر**، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة، دمشق، ١٣٩٢هـ.

الغزالي : محمد.
(١٠٠) **فقه السيرة**، ط ٧، القاهرة، ١٩٧٦م.

فلهاوزن : يوليوس (ت ١٩١٨م).
(١٠١) **الدولة العربية وسقوطها**، الترجمة العربية لمحمد أبوريدة، القاهرة، ١٩٥٨م. وانظر أيضا، الترجمة العربية للدكتور يوسف العش، دمشق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

الفيروز آبادي : مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (ت ٨٢٣هـ/١٤١٥م).
**(١٠٢) المغانم المطابة في معالم طابة**، تحقيق حمد الجاسر، ط ١، الرياض، ١٣٨٩هـ.
**(١٠٣) القاموس المحيط**، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٣٢هـ/١٩١٣م.

قطب : سيد.
**(١٠٤) في ظلال القرآن**، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).
**(١٠٥) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق علي الخاقاني، بغداد، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

الكتاني : عبد الحي بن شمس الآفاق أبو المكارم عبد الكبير بن الشيخ أبو المفاخر سيدي محمد الحسني الأدريسي الفاسي (كان حيا في مطلع عام ١٣٤٧هـ).
**(١٠٦) كتاب التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الاسلامية في المدينة المنورة العلية** (جزآن)، بيروت.

كحالة : عمر رضا.
**(١٠٧) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** (٣ أجزاء)، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
**(١٠٨) جغرافية شبه جزيرة العرب**، مراجعة أحمد علي، ط ٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

كستر : بروفسور م. ج.
**(١٠٩) مكة وتميم «مظاهر من علاقاتهم»**، الترجمة العربية للدكتور يحي الجبوري، بغداد، ١٩٧٥ م.

الكلاعي : أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي (ت ٦٣٤هـ/١٢٣٧م).
**(١١٠) الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، تحقيق مصطفى عبد الواحد (جزآن)، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

لاندو : روم.
**(١١١) الاسلام والعرب**، الترجمة العربية لمنير بعلبكي، بيروت، ١٩٦٢م.

ماجد : د. عبد المنعم.
**(١١٢) الدولة العربية «عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين»** (جزآن)، ط ٤، القاهرة، ١٩٦٧م.

ماسنيون : لويس.
**(١١٣) خطط الكوفة وشرح خريطتها**، الترجمة العربية والتعليق لتقي بن محمد المصعبي، ط ١

مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

مالك بن أنس : الامام (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م).
(١١٤) **الموطأ** (جزآن)، صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٧م).
(١١٥) **الاحكام السلطانية والولايات الدينية**، ط ٢، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

متولي : د. عبد الحميد.
(١١٦) **مبادىء نظام الحكم في الاسلام**، ط ١، القاهرة، ١٩٦٦م.

المراغي : أبو بكر بن الحسن بن أبي حفص عمر بن أبي عبد الله ابن محمد بن يونس بن أبي الفخر بن محمد بن عبد الرحمن الأموي العثماني المصري نزيل المدينة المنورة (ت ٨١٦هـ).
(١١٧) **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**، تحقيق محمد عبد الجواد الاصمعي، ط ١، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦ م).
(١١٨) **مروج الذهب ومعادن الجوهر** (أربعة أجزاء)، دار الاندلس، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

مسلم : الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).
(١١٩) **صحيح مسلم** (٥ أجزاء)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، القاهرة، ١٣٧٤هـ.

مصطفى : إبراهيم، ومجموعة من المؤلفين هم، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، عبد السلام هارون.
(١٢٠) **المعجم الوسيط** (جزآن)، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

المطري : جمال الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى بن عباس الخزرجي الساعدي المدني الشافعي (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م).
(١٢١) **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة**، تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال، منشورات أسعد درابزوني بالمدينة المنورة، ١٣٧٢هـ.

معلوف : لويس.
(١٢٢) **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، المطبعة الكاثوليكية، ط ١، بيروت، ١٩٦٠م.

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
(١٢٣) **امتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع**، ج ١، تصحيح محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٤١م.
(١٢٤) **كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار** (٧ أجزاء)، تحقيق المستشرق ج. ويت، القاهرة، ١٩١٠م.
(١٢٥) **كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٧م.

المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).
(١٢٦) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق م. ج. دي غوج، ط ٢، ليدن، ١٩٠٦م.

النووي : أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ).
(١٢٧) **تهذيب الأسماء واللغات** (أربعة أجزاء)، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت.

الواقدي : أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ).
(١٢٨) **مغازي رسول الله**، ط ١، القاهرة، ١٣٦٧هـ. وقد رجعنا أيضا إلى النسخة المعروفة بطبعة اكسفورد، تحقيق د. مارسدن جونس، لندن، ١٩٦٦م.

ولفنسون : د. اسرائيل، المعروف بأبي ذؤيب.
(١٢٩) **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام**، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٢٧م.

الهمداني : لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ/٩٤٦م).
(١٣٠) **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

الهمذاني : أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥هـ/٩٧٦م).
(١٣١) **مختصر كتاب البلدان**، ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

هيكل : محمد حسين.
**(١٣٢) حياة محمد، ط ٩، القاهرة، ١٩٦٥م.**
**(١٣٣) في منزل الوحي، ط ٤، القاهرة، ١٩٦٧م.**

ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
**(١٣٤) معجم البلدان** (خمسة أجزاء)، بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٦م).
**(١٣٥) تاريخ اليعقوبي** (جزآن)، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.
**(١٣٦) البلدان**، ط ٣، النجف، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

## ثالثا ـ الرسائل الجامعية والدوريات والموسوعات ودواوين الشعر

الأنصاري. : د. عبد الرحمن الطيب.
(١) لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية ، بحث نشر في **مجلة الدارة**، الرياض، العدد الأول، السنة الأولى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

الأنصاري : عبد القدوس.
(٢) أطلال الجار «ميناء المدينة القديم»، بحث نشر في مجلة المنهل، جـ ٥، س ٣٧، م٣٢، جمادي الأولى، عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

الجنابي : د. كاظم.
**(٣) تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والاثرية**، ط ١، بغداد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م (بحث نال به مؤلفه درجة الماجستير في الآثار الاسلامية من جامعة الاسكندرية. ١٩٦٢م).

حسان بن ثابت : شاعر الرسول.
**(٤) شرح ديوان حسان بن ثابت**، تصحيح عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

الحسيني : محمد باقر.
(٥) **العملة الاسلامية في العهد الأتابكي** (رسالة ماجستير من جامعة القاهرة، وقد طبعت في بغداد، ١٣٨٦هـ).

سليمان : حسين محمد.
(٦) **ثقيف من صدر الاسلام حتى سقوط الخلافة الأموية** (رسالة لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ عام ١٩٧٢م).

عبد الله بن رواحه الانصاري : شاعر الرسول.
(٧) **ديوان عبد الله بن رواحه**، دراسة وتحقيق د. حسن محمد باجودة، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

العلي : د. صالح أحمد.
(٨) خطط البصرة، بحث نشر في **مجلة سومر**، م ٨، جـ ١، بغداد، سنة ١٩٥٢م.

الغندي : محمد ثابت، وآخرون وهم، أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس (معربون).
(٩) **دائرة المعارف الاسلامية** (١٥ جزءا)، القاهرة، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

كاشف : د. سيده إسماعيل.
(١٠) النقود العربية في العصر الاسلامي، بحث نشر في **السجل الثقافي الأول لجامعة الكويت**، عام ١٩٦٨/٦٧م.

كستر : برفسور م. ج.
(١١) الحيرة وعلاقتها بالجزيرة العربية، الترجمة العربية للدكتور خالد العسلي، بحث نشر في **مجلة العرب**، جـ ١١، س ٧، عام ١٣٩٣هـ.

مدني : السيد عبيد.
(١٢) أطوم المدينة، بحث نشر في **مجلة كلية الآداب ـ جامعة الرياض** ـ م ٣، س ٣، عام ٩٣ ـ ١٣٩٤هـ.

نافع : عبد المنعم صالح.
(١٣) الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق الاسلامي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (رسالة لنيل درجة الماجستير في الآداب، مقدمة لكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ عام ١٩٧٢م).

الوهيبي : د. عبد الله.
(١٤) الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، بحث نشر في مجلة كلية الآداب ـ جامعة الرياض ـ م ١، س ١، عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

## رابعا ـ الأجنبية

**Arnold, sir Thomas S.**

*The Preaching of Islam,* London (1935).

**Britannica; Encyclopaedia.** vol. 15, London (1957).

**Crichton, Andrew.**

*History of Arabia.* vol. 1, Edinburgh (1833).

*Dictionary of the Bible;* The Interpreter's. vol. 2, Abingdon press, NewYork.

**Holt, P.M., Lambton, A. and Lewis, B.**

*The Cambridge History of Islam,* Cambridge (1970).

**Landau, Rom.**

*Islam and the Arabs,* London (1958).

**O'Leary, De Lacy.**

*Arabia before Muhammad,* London (1927).

**Watt, W. Montgomery.**

*Muhammad at Medina,* Oxford (1977).

# الملاحق والخرائط

## ملحق رقم (١)

**إحصائية تقريبية لعدد المشهورين من الصحابة ، من سائر القبائل في المدينة المنورة ـ خلال العصر النبوي ـ ممن نبه ذكره أو روى عن الرسول (ص) ، وذلك طبقا لما ذكره ابن حجر في كتابه الاصابة ، في أماكن متفرقة من نفس الكتاب**

| القبيلـــة | عدد الأفراد | | ملحوظـــــات |
|---|---|---|---|
| | ذكر | أنثى | |
| بلى | ٤٦ | ٤ | |
| حنيفة وبعض أهل اليمامة | ٢١ | ١ | |
| تميم | ٨٥ | ١٥ | |
| الأزد | ٢٥ | ٢ | |
| ذهل بن جشم | ٢ | - | |
| بنو عجل | ٥ | ١ | |
| بنو كلب | ٦ | ٣ | |
| بنو ثمالة | ٣ | - | |
| بنو هلال بن عامر | ٨ | ٦ | |
| بنو كنانة | ٥ | ٢ | |
| هوازن | ٣ | ٢ | |
| خثعم | ٨ | ٥ | |
| مزينة | ٦٥ | ٤ | وعدد مقاتلتهم حوالى ألف رجلا |
| الليث | ٤٩ | ١٤ | |
| غطفان | ٦ | - | |
| بنو ضبة | ١٣ | ١ | |
| بنو غفار | ٤٠ | ٨ | |
| بنو غافق | ٢ | - | |
| بنو عقيل | ٧ | - | |
| جشم بن سعد | ٥ | - | |
| بنو عامر | ١٥ | ٢ | |
| بنو ثعلبة | ٥ | - | |

تابع ملحق رقم (١)

| القبيلـــة | عدد الأفراد | | ملحوظـــــات |
|---|---|---|---|
| | ذكر | أنثى | |
| بنو جعل | ٣ | - | |
| مذحج | ٤ | ١ | |
| بكر | ٣ | ١ | |
| أحمس | ٣ | - | عدد مقاتلتهم حوالي ٥٠٠ رجلا |
| عنز | ٥ | - | |
| قضاعة | ٤ | ١ | |
| دوس | ١٥ | ٧ | عدد مقاتلتهم حوالي ٤٠٠ رجلا |
| أسلم | ٦٠ | ١٠ | |
| خزاعة | ٥٤ | ١٦ | |
| أشعر | ١٦ | ٢ | |
| باهلة | ٩ | ١ | |
| طيء | ١٣ | ٤ | |
| عذرة | ١٠ | - | |
| بنو مراد | ٢ | - | |
| بنو محارب | ٧ | ١ | |
| بنو عبد القيس | ١٧ | ٢ | |
| بنو نهد | ٣ | ١ | |
| بنو جرم | ٦ | - | |
| ذبيان | ٢ | - | |
| قشير | ٩ | ١ | |
| أنمار | ٥ | ١ | |
| أسد خزيمة | ٤٣ | ٢ | |
| بنو نمير | ٨ | - | |
| بنو جذام | ١٦ | ١ | |
| بنو كلاب | ٢٠ | ٥ | |

## تابع ملحق رقم (١)

| القبيلـــة | عدد الأفراد |  | ملحوظـــات |
|---|---|---|---|
|  | ذكر | أنثى |  |
| النخع | ٣ | - | عدد المقاتلة حوالي ٢٠٠ رجلا |
| مرة | ٤ | ٣ |  |
| جعفى | ١١ | - |  |
| همدان | ٦ | - |  |
| كندة | ٤٠ | ٧ |  |
| هذيل | ٢٢ | ٥ |  |
| فزارة | ١٢ | ٤ |  |
| سدوس | ٩ | - |  |
| ضمرة | ١٧ | ١ |  |
| لخم وتنوخ | ١٥ | ٢ |  |
| عبس | ١٠ | ٢ |  |
| أشجع | ٤٢ | ٩ | عدد المقاتلة حوالي ٧٠٠ رجلا |
| حضرموت | ١٧ | ١ |  |
| جهينة | ٧٨ | ٦ | عدد المقاتلة حوالي ١٠٠٠ رجلا |
| سليم | ٨٠ | ٦ | عدد المقاتلة حوالي ١٠٠٠ رجلا |
| حمير | ١١ | ٣ | عدد المقاتلة حوالي ١٠٠٠ رجلا |
| غنو | ٦ | ٣ |  |
| بنو قينقاع | ٢ | ٢ |  |
| بنو النضير | ٣ | ٢ |  |
| بنو قريظة | ١٥ | ١ |  |
| سائر قبائل اليهود |  |  |  |
| ممن دخل الاسلام | ١٩ | ٢ |  |
| الأوس والخزرج | ١٣٤١ | ٥٢١ |  |
| قريش | ٣٥٦ | ١٦٩ |  |
| ثقيف | ٦٣ | ١٢ |  |

## تابع ملحق رقم (١)

| القبيلـــــة | عدد الأفراد | | ملحوظـــــــات |
|---|---|---|---|
| | ذكر | أنثى | |
| الموالي | ١٧٥ | ٦١ | |
| مهاجرون لم تعرف قبائلهم | ٦٠٥ | ٨٤ | |
| | ٣٧١٨ | ١٠٣٣ | المجموع |

## ملحق رقم (٢)
## (كتاب النبي (ص)، بين المهاجرين والانصار واليهود وهو المعروف بالصحيفة أو دستور المدينة)*

«هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش و(أهل) يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. إنهم أمة واحدة من دون الناس. المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو الحارث (بن الخزرج) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون مَعاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه. وأن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثما، أو عدوانا، أو فسادا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن. وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم. وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم. وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا. وأن المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله. وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه. وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن. وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل)، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه. وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه، وأن من نصره، أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبة يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله وإلى محمد.

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين

---

* انظر: ابن اسحاق: السيرة، جـ٢، ص ٣٤٨ـ ٣٥١ وانظر أيضا، النص المحقق لحميدالله: مجموعة الوثائق السياسية، ص ٣٩ ـ ٤٧.

دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، وإلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم. وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الاثم. وأن موالي ثعلبة كأنفسهم. وأن بطانة يهود كأنفسهم. وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد. وأنه لا ينحجز على ثار جرح، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا. وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم. وأنه لا يأثم امرء بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة. وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم. وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها. وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله والى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره. وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها. وأن بينهم النصر على من دهم يثرب. وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين. على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

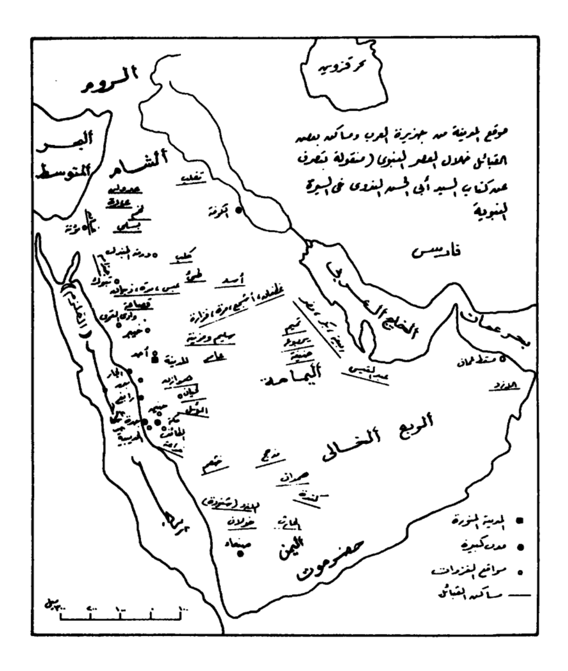
وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الاثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره. وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)».

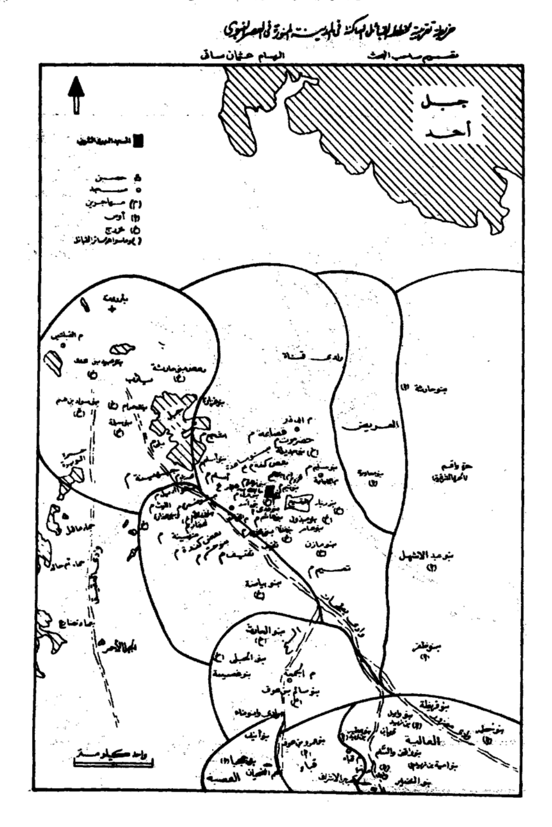
## ملحق رقم (٣)

## ( نموذج لكتب النبي (ص)، للملوك وعظماء العالم، كتابه، صلى الله عليه وسلم، إلى هرقل عظيم الروم)**

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الاسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين. و (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)».

** انظر: حميدالله: مجموعة الوثائق السياسية، ص ٨٠ ـ ٨٢.

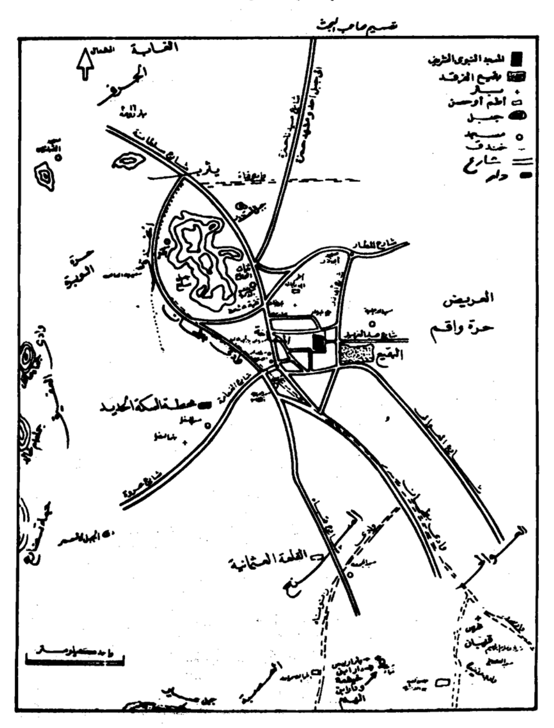

موقع المدينة من جزيرة العرب ومساكن بعض القبائل خلال العصر النبوي (منقولة بتصرف عن كتاب السيد أبي الحسن الندوي في السيرة النبوية
الروم
البحر المتوسط
الشام
بحر قزوين
فارس
الخليج العربي
بحر عمان
اليمامة
الربع الخالي
حضرموت
اليمن
صنعاء
المدينة
تبوك
خيبر
أحد
المدينة المنورة
مدن كبيرة
مواقع الغزوات
مساكن القبائل
ميل

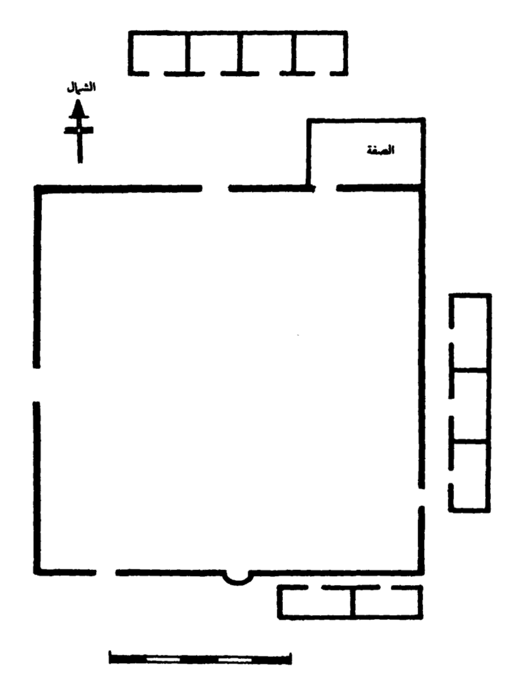

خريطة تقريبية لخطط القبائل الساكنة في المدينة المنورة في العصر النبوي
الرسام عثمان ساقي
جبل أحد
المسجد النبوي الشريف
حصن
مسجد
(م) مهاجرين
(أ) أوس
(خ) خزرج
وادي قناة
بنو حارثة
العريض
بنو عبد الأشهل
بنو ظفر
بنو بياضة
بنو الحارث
بنو الحبلى
م الجمعة
بنو سالم بن عوف
بنو قريظة
بنو النضير
العالية
قباء
العصبة
واحد كيلو متر

# خريطة تبين أسماء المواضع التاريخية على خريطة المدينة المنورة

## حسب التخطيط الحديث

تصميم صاحب البحث






مسقط لمسجد المدينة ايام الرسول موضحا حوله عدد الحجرات والصفة

